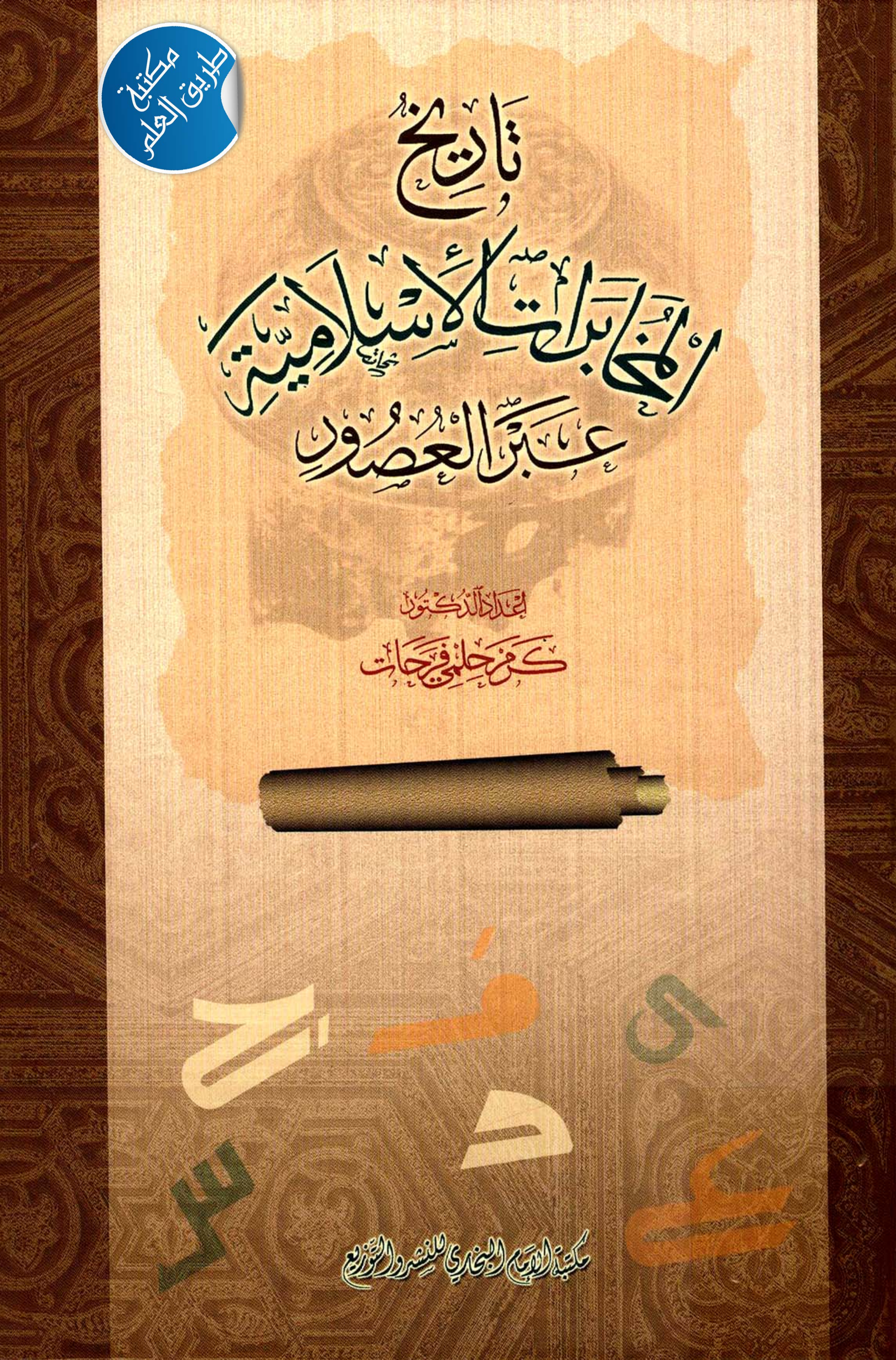
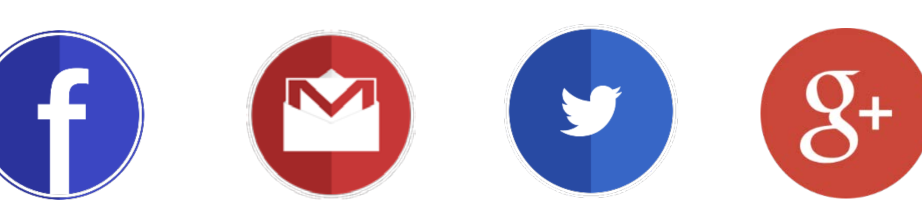


مكتبة
طريق العلم
تاريخ
المخابرات الإسلامية
عبر العصور
إعداد الدكتور
كرم حلمي فرحات
مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع


مكتبة
طريق العلم








إعداد الدكتور
كرم حلمي فرحات





الطبعة الأولى
مصر الإسماعيلية
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٤٧٦٤ بتاريخ ٢١/ ١١ / ٢٠٠٧م

I . S . B . N
977 - 5291 - 49 - 6

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فرحات ، كرم حلمي
تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور / إعداد كرم حلمي فرحات . ط١ .
- الإسماعيلية : مكتبة الإمام البخاري ، ٢٠٠٧
٤٨٠ ص ؛ ٢٤سم
تدمك ٩٧٧ ٥٢٩١ ٤٩ ٦
١- التاريخ الإسلامي ٩٥٣
٢- المخابرات
أ - العنوان

مكتبة الإمام البخاري
للنشر والتوزيع
مصر - الإسماعيلية - ٤٦ شارع الجمهورية "الثلاثيني" بعد النزال
ت ٣٣٤٣٧٤٣ .٠٦٤ - جوال ٠١٢٣٦٧٦٧٩٧



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين .

نظرًا لأهمية استخدام رجال المخابرات في مجال أمن البلاد ، نجد أن أعمالهم كانت موجودة مع الإنسان منذ القدم ، ولكنها أصبحت في العصور الإسلامية أكثر استخدامًا وتركيزًا وتطورًا ، وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع والكتابة فيه مدى حساسيته وخطورته ، ومدى أهميته بالنسبة للعصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي . في مجال الأمن ، ومقاومة الجاسوسية المضادة ، وكقطاع هام في الدولة الإسلامية ، من قطاعات القوات الإسلامية .

إن المخابرات في الإسلام ملازمة لظهوره ، فكان لها وجود واضح ، وأثر جلي عظيم ، ولكن مع هذا الوجود وهذا الأثر ، نجد أن الكتابة في هذا المجال قليلة ونادرة ، وبخاصة التناول العلمي التأصيلي ، فالحديث عن المخابرات الإسلامية شذرات متناثرة في بطون الكتب هنا وهناك ، فكان من الواجب أن أنقب عن هذه الشذرات المتناثرة ، وأجمعها لكي أَصِلَ إلى حقيقة هؤلاء العيون العظيمة .

إنه من المعروف أن أي تخطيط سليم لأي معركة يتوقف إلى حد كبير على معرفة نوايا العدو وأسراره ، وإن رجال المخابرات هم الذين يمدون القائد بالمعلومات والأسس التي يبني عليها قراراته .

إن تسليط الضوء على هذا القطاع الهام من قطاعات القوات الإسلامية هدف أساسي من أهداف الكتابة ، لأنه يمثل الجندي المجهول الذي يخفى على الكثيرين ، وهو في الحقيقة صاحب الفضل في الانتصارات وفي إبطال خطط العدو ودحر جحافلهم ، وتحقيق الأمن والحفاظ على مصلحة الدولة .

ومما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع هو إلقاء الضوء على مدى ما قام به هذا

النوع من البشر من أجل تحقيق إنجازات عظيمة في تاريخ الأمة الإسلامية ، حيث يجلو لها الحقيقة ، ويهيئ لها الأمن والأمان ، واكتشاف جانب من جوانب الأمة الإسلامية ، ومدى ما أنجزته في هذا المجال الحيوي على صعيد الدولة المركزية ، أو على صعيد دول الأطراف والثغور .

ورغم حصول هذا العمل الأمني في الوقت الحاضر على تقنيات وأساليب علمية عالية المستوى تحت مسمى « جهاز المخابرات » إلا أن دراسته في العصور الإسلامية تحت مسمى « تاريخ المخابرات » أو « العيون » و « الطلائع » و « الأدلاء » وغير ذلك من المصطلحات التي كانت موجودة من قبل ، تبين لنا أن التاريخ هو قيمة معنوية وتربوية وأخلاقية ، وهو خلاصة تجارب ولدت على أرضية الواقع بكل آلامه ومخاضاته ، ونجاحاته وإخفاقاته ، وعلى الأمة أن ترجع إلى تاريخها في عصوره الزاهية ، فهو المعين الذي لا ينضب لاكتشاف الحقائق ، التي يمكن أن توظف في تسهيل طريق الأمة نحو العصرنة ، واستعادة دورها التاريخي الذي أراده الله لها ، وإلا قام أعداؤها بهذه المهمة ووظفوا هذه الحقائق لمصلحتهم في توجيه مزيد من الأذى والعدوان إلى الأمة الإسلامية .

لقد حرصت كل الحرص أن أبين للقارئ الكريم أن عالم المخابرات وما أوتيه من مهارة وجدة ، وذكاء وحذر ... وقل ما شئت من صفات العظمة والرجولة والقيادة والجدارة والكفاءة .. ما هو بجديد عما جاء به النبي محمد ﷺ وصحابته الكرام والقرون الثلاثة الأولى من بعده .

إن المتتبع لكتب السيرة النبوية العطرة ، وكتب التاريخ الإسلامي التي سجلت تاريخ العصور الإسلامية لسوف يجد مدى الاهتمام بهذا القطاع من قطاعات القوات الإسلامية ، وأن لديهم الوسائل والمصادر المتعددة التي عن طريقها يحصلون على المعلومات ، وأنهم جعلوا العديد من الصفات التي يجب أن تتوفر في الرجل الذي يكون عينًا لهم ، وقد صنفوا رجال المخابرات إلى أنواع متعددة ، وأن لديهم أساليب

شتى في مواجهة عيون العدو وجواسيسه ، وأنهم على كفاءة عالية من إدارة هذا القطاع الهام ، وقد حدّدوا المهام والواجبات المنوطة برجل المخابرات بلغة العصر ، أو بالعين التي يطلقونها على العدو بلغة العصور الإسلامية .

فإذا كان جهاز المخابرات في أي دولة من دول العالم اليوم يفتخر على الأقل في نفسه أو في داخله بأنه قام بعمليات خاصة معيّنة تجاه العدو الفلاني أو الدولة الفلانية فإن العصر النبوي والعصر الراشدي والأموي وغيرهم من العصور الإسلامية حافلة بالعمليات الخاصة التي قام بها عيون مسلمة كلها ثقة بالله وإخلاص في العمل .

وإذا كانت مخابرات العالم تفتخر بأنها تجيد الحرب النفسية والتضليل والاستطلاع العميق خلف خطوط العدو فإن صحابة رسول الله ﷺ قد أجادوا وأحسنوا القيام بمثل هذه المهام وهذه الأعمال مما جعلهم يشكلون قوة ردع للعدو تفقده توازنه ، وتجعله يعترف بكفاءة وشجاعة وبسالة العيون المسلمة .

إن المتتبع لمثل هذا الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن ليجد أن تاريخ الأمة الإسلامية حافل بأعمال رجال المخابرات الإسلامية ، مما يجعله يفخر بأن المسلمين الأوائل كما علموا البشرية العلوم التجريبية وأشرقت شمس علمهم على الغرب ، فإنهم أيضًا سطروا صفحات مكتوبة بأحرف من نور تعلم البشرية كيف تكون العيون ، وما صفاتها وما أنواعها وما الواجبات المنوطة بها ؟

أما من حيث محتوى هذا الكتاب فقد اشتمل على مقدمة وأربعة أبواب ، وخاتمة .

* **أما من حيث الباب الأول : فعنوانه : « نشأة المخابرات الإسلامية وأهميتها »**

ويشتمل على ستة فصول :

الفصل الأول : تحدّث عن مفهوم المخابرات في الإسلام .

والفصل الثاني : تحدّث عن المخابرات في القرآن الكريم والسُّنّة المطهّرة .

والفصل الثالث : تحدّث عن نشأة المخابرات في الإسلام .

والفصل الرابع : تحدّث عن سمات ومرتكزات المخابرات الإسلامية .
والفصل الخامس : تحدّث عن نشاط المخابرات الإسلامية .
والفصل السادس : تحدّث عن أهمية المخابرات الإسلامية

* **أما الباب الثاني ، فقد جاء عنوانه : « المخابرات الإســـلامية في عصـــر الرسول ﷺ »** . ويشتمل على سبعة فصول :

الفصل الأول : تحدَّث عن اهتمام الرسول ﷺ بالعيون « رجال المخابرات » .
والفصل الثاني : تحدَّث عن وسائل جمع المعلومات عند الرسول ﷺ وعند العدو .
والفصل الثالث : تحدَّث عن صفات رجال المخابرات في عصر الرسول ﷺ .
والفصل الرابع : تحدَّث عن أنواع رجال المخابرات في العصر النبويّ .
والفصل الخامس : تحدَّث عن أساليب الأمن في مواجهة عيون العدو وتحليل المعلومات .
والفصل السادس : تحدَّث عن إدارة الرسول ﷺ لعمل المخابرات .
والفصل السابع : تحدَّث عن الواجبات المنوطة برجل المخابرات في عصر الرسول ﷺ .

* **أما الباب الثالث فجاء عنوانه : « المخابرات الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين »** ، ويشتمل على سبعة فصول :

الفصل الأول : تحدَّث عن اهتمام الخلفاء الراشدين بالعيون « رجال المخابرات » .
والفصل الثاني : تحدَّث عن وسائل جمع المعلومات في عصر الراشدين .
والفصل الثالث : تحدَّث عن صفات رجال المخابرات .
والفصل الرابع : تحدَّث عن أنواع رجال المخابرات .
والفصل الخامس : تحدَّث عن أساليب الأمن في مواجهة عيون العدو .
والفصل السادس : تحدَّث عن إدارة الخلفاء الراشدين لعمل المخابرات .

والفصل السابع : تحدَّث عن الواجبات المنوطة برجل المخابرات .

*** أما الباب الرابع فجاء عنوانه : « المخابرات الإسلامية في العصر الأمويّ » .**

ويشتمل على سبعة فصول :

الفصل الأول : تحدَّث عن اهتمام الخلفاء الأمويين بالعيون « رجال المخابرات » .

والفصل الثاني : تحدَّث عن وسائل جمع المعلومات في العصر الأمويّ .

والفصل الثالث : تحدَّث عن صفات رجال المخابرات في العصر الأمويّ .

والفصل الرابع : تحدَّث عن أنواع رجال المخابرات .

والفصل الخامس : تحدَّث عن تطور أساليب العمل الأمني لرجال المخابرات .

والفصل السادس : تحدَّث عن الهيكل الإداريّ والتنظيميّ لرجال المخابرات .

والفصل السابع : تحدَّث عن الواجبات المنوطة برجل المخابرات .

ثم جاءت الخاتمة بما تحويه من حديث عن مجموعة من الاستنتاجات نتيجة هذا العمل الشاق الذي استغرق السنوات العديدة حتى خرج إلى النور .

فما أكتبه هنا لا يعدو أن يكون جهد المقل ، وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يقبل هذا العمل وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يحفظ على الأمة الإسلامية أمنها واستقرارها ، وأن يحفظ أمن مصر واستقرارها وأن يحفظ كل عيونها في الداخل والخارج . وأن يمنحني الصحة والعافية والتوفيق حتى أتمّ هذا العمل ويخرج إلى النور وإلى القارئ الكريم ، تاريخ المخابرات الإسلامية في باقي العصور حتى العصر المملوكي إن شاء الله .

هذا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وأصلّي وأسلم على سيدنا محمد قائد الغر المحجلين وآله وأصحابه أجمعين .

❖ ❖ ❖ ❖

الباب الأول

نشأة المخابرات الإسلامية وأهميتها

الفصل الأول : مفهوم المخابرات في الإسلام

الفصل الثاني : المخابرات في القرآن الكريم والسنّة المطهرة

الفصل الثالث : نشأة المخابرات في الإسلام

الفصل الرابع : سمات ومرتكزات المخابرات الإسلامية

الفصل الخامس : نشاط المخابرات الإسلامية

الفصل السادس : أهمية المخابرات الإسلامية

الفصل الأول

مفهوم المخابرات في الإسلام

هناك تعاريف متعددة للفظ المخابرات، منها : هي المعرفة والعلم بالمعلومات التي يجب أن تتوافر لدى كبار المسئولين من المدنيين والعسكريين حتى يمكنهم العمل لتأمين سلامة الأمن القومي .

وقيل : هي نتيجة جمع وتقييم وتحليل وتفسير كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات ، عن أي نواحي لدولة أجنبية أو مناطق العمليات ، والتي تكون لازمة لزومًا مباشرًا للتخطيط .

وقيل : هي الخطى المتناسقة المدروسة الموجهة لاستخدام كل الوسائل بالحقائق والتقديرات الواقعية ، وفي الوقت المناسب توضح استراتيجية الدولة ، ولرسم سياسات معينة ولاتخاذ القرارات السليمة التي تكفل سلامة الأمن القومي للدولة ، وللعمل ضد عمليات المخابرات المعادية لمنعها من إلحاق الضرر بالدولة في أيّة صورة من الصور [١] .

من خلال ما سبق نلاحظ أن هذه التعريفات تنطوي على مجموعة من العناصر مثل : الحصول على المعلومات عن العدو ، وفرز وفحص وتقسيم هذه المعلومات وتقدير مدى صحتها ، وتفسير هذه المعلومات واستخلاص النتائج المفيدة منها ، وإمداد المسئولين بهذه المعلومات والنتائج المستخلصة منها ، والإفادة من هذه المعلومات وما يستخلص منها في التخطيط وفي اتخاذ

---

(١) محمود شيت خطاب وآخرون ، اقتباس النظام العسكري في عهد النبي ﷺ ، طبعة قطر ١٤٠٠ هـ ص ١٦٥ .

ومحمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ ص ١٤٨ .

القرارات ، ومقاومة أعمال مخابرات العدو .

وكثيرًا ما يطلق على هذا المجال لفظ « الاستخبارات » وكلاهما واحد ، **فالاستخبار عند أهل اللغة** : السؤال عن الخبر ، فاستخبره : سأله عن الخبر ، وطلب أن يخبره كتَخَبَّره يُقال تَخَبَّرْتُ الخَبَرَ واسْتَخْبرْتُهُ ، وخَبَّرَهُ تَخْبِيرًا ، يُقال : اسْتَخْبرْتُه فَأَخْبَرني وخَبَّرني [(١)] .

ومن حيث الاصطلاح : المخابرات أو الاستخبارات هي مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليها ، والعاملة في الوقت نفسه على مكافحة عمليات التجسس أو التخريب المعادية ، وإبطال كل عمل يقوم به العدو لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية عن معسكر الصديق [(٢)] .

وهناك بعض المصطلحات تمس جانب المخابرات مثل العيون والتجسس والاستطلاع والعملاء ، نحن في حاجة إلى بيان ما تنطوي عليه هذه المصطلحات من معاني وذلك على النحو التالي :

* **أما العيون** : فمن حيث اللغة : العين هو الذي يبعث لتجسس الخبر [(٣)] ، وقيل هو

---

(١) ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، طبعة دار المعارف ، القاهرة بدون تاريخ مادة « خبر » .
- والجوهريّ إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، دار الكتاب العربي ، مصر بدون تاريخ ج ٢ / ٦٤١ « خبر » .
- والزبيدي محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، طبعة الكويت ١٩٦٥ م . ج ١١ / ١٣٢ .

(٢) الهيثم الأيوبي وآخرون ، الموسوعة العسكرية ، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٧٧ م ، ج ١ / ٦٢ .

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي طبعة - بغداد ١٩٨٤ م - ج ٢ / ٢٥٥ .

جاسوس القوم (١) ، وقيل هو الطليعة الذي يأتي بالخبر (٢) ، وهو الجاسوس تشبيهًا بالجارحة في نظرها (٣) ، ومن خلال استعراض هذه الأقوال نجد أن أهل اللغة ركزوا على صنو العين وهو الجاسوس ، وأن عمل العين والجاسوس لغة يتعلق بجلب الأخبار ، ويبحث عن مواضع ضعف العدو وعن حركاته .

العيون اصطلاحًا : إن استخدام المصطلح التاريخي والمحافظة على مدلولاته الفكرية بالطريقة التي ورد فيها ، هو أمر بالغ الأهمية ، يرتبط بالهوية الثقافية للأمة ، ويعزز الثقة في نفوس أبنائها ، ويدفعهم إلى التمسك بهذه المصطلحات ذات التطبيقات التاريخية المضمونة ، بدلاً من التنقل بين مصطلحات جاءت إلى ساحتنا الفكرية ، عبر النقل الحرفي لبعض المصطلحات الغربية .

وبالنظر في التعريف اللغوي والاصطلاحي نجد تآلف المعنيين والاتفاق في الدلالة ، وبذلك يمكن القول بأن العيون هم ذلك الصنف من المجاهدين الذين برز دورهم إلى جانب الصنوف الأخرى من المجاهدين في الجيش الإسلامي .

هذا الصنف من البشر يجعل جلّ اهتمامه تحقيق أمن البلاد في الداخل والخارج ، وذلك من خلال منع جواسيس العدو وعيونه من التسلل إلى دار الإسلام ، سواء للحصول على المعلومات أو التخريب ، أو بث الفرقة بين عناصر الأمة ، أو تجنيد عناصر بعينها من ذوي النفوس الضعيفة المريضة للعمل معه .

كما أن هذا الصنف من البشر لا يألو جهدًا في خدمة البلاد من حيث جمع المعلومات المتعلقة بالعدو ، سواء فيما يخص قواته وقياداته وخططه وأهدافه ، مرورًا بإمكانيات العدو البشرية والاقتصادية والعقدية ، وطبيعة أراضي العدو وتضاريسها .

---

(١) محمد بن الحسن الأزدي ، جمهرة اللغة ، طبعة الهند ١٣٤٥ هـ ، ج ٣ / ١٤٥ .

(٢) ابن منظور لسان العرب مادة « جسس » .

(٣) الزبيدي محمد مرتضى ، تاج العروس « جسس » .

* **أما التجسس : فمن حيث اللغة** ، هو البحث عن الأخبار وفحصها ، والتفتيش عن بواطن الأمور [(١)] ، وقد أشكل على كثير من الناس كلمة « تجسس » فيفسرونها بمعنى واحد ، وهو مراقبة الناس والاطلاع على عوراتهم والعمل على إيذائهم .

والحقيقة أن هذا المعنى صحيح من بعض الوجوه ، وهو الوقوف على عورات المسلمين استنادًا لقول الله عزَّ وجلَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ [الحجرات : ١٢] ، وهذا ليس بمقصود هنا ، ولكن المقصود هنا تتبع أخبار العدو الذي غالبا ما يكون بواسطة العيون ، وهو من الأمور المباحة في الإسلام ، عندما يكون المستهدف هو عدو المسلمين ، وذلك لأخذ الحيطة والحذر .

والجاسوس من التجسس ، وفي شرح صحيح مسلم [(٢)] أن العين هو الجاسوس .

وقيل : الجاسوس يسمى عينًا ، لأن عمله بعينه ، أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها ، فكأن جميع بدنه صار عينًا [(٣)] .

وقيل الجاسوس مشتق من جسَّ الخبر [(٤)] ، وقيل هو الباحث عن أمور الناس ، فيقال : قد تجسّس الرجل وتحسَّس بمعنى واحد[(٥)] .

---

(١) ابن منظور محمد بن مكرم ، لسان العرب « جسس » .

(٢) مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، شرح محمد الذهبي ، طبعة مصطفى الحلبي – القاهرة ١٣٧٧ هـ ٢ / ١٤٠ .

(٣) الشوكاني ، محمد بن علي ت ١٢٥٥ هـ ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، طبعة مصطفى الحلبي – القاهرة بدون تاريخ ج ٨ / ١٠ .

وأحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ ، المطبعة السلفية القاهرة بدون تاريخ ج ٦ / ١٦٨ .

(٤) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ٦ / ٥ .

(٥) محمد بن القاسم ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، طبعة بغداد ١٩٨٧ ، ج ١ / ٤٧٣ - ٤٧٤ .

نلاحظ مما سبق أن التجسّس والتحسّس هدفهما واحد ومآلهما إلى معنى واحد، وأن كلاًّ منهما يعني البحث عن الأخبار وتفحصها بصورة خفية، ومعرفة الأمور والبحث عنها وطلبها، وتحسّس من القوم تتبع أخبارهم، وتحسس للقوم سعى في جمع الأخبار لهم (١)، وقيل: إن تجسّس وتحسّس معناهما واحد في تطلب معرفة الأخبار (٢).

ومن حيث الاصطلاح : فالتجسس هو البحث والتفتيش عما يخفى من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو، بواسطة أفراد التجسس بقصد الاطلاع عليها، والاستفادة منها، في إعداد خطة المواجهة (٣).

فالجاسوس الذي يجمع المعلومات لوطنه يفيد دولته بجهوده، وبذله كل طاقاته لانتصارها، وهو جندي مخلص، يختلف بالنسبة لدولته عن الجاسوس الذي يجمع المعلومات عنها ويعطيها لعدوها، فهذا عدو خطير، والأول جنديّ مخلص يتجسس الأخبار ويجمعها لدولته لكي تعرف نوايا العدوّ وأخباره ومبلغ قدرته وعددهم وعدّتهم وتحصيناتهم.

* **أما الاستطلاع** : فهو مجموعة التدابير المتخذة لجمع المعلومات الدقيقة عن تحركات العدو واكتشاف مواقعه المتقدمة والخفية بغية مساعدة القائد على اتخاذ

---

(١) عبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ ج ١ / ٢٣٥، ٢٣٨.
وصديق حسن خان ت ١٣٠٧ هـ، فتح البيان في مقاصد القرآن، طبعة دار الأنصار – القاهرة بدون تاريخ ج ٥ / ٤٠.

(٢) عماد الدين بن كثير ت ٧٧٤ هـ، تفسير القرآن العظيم، طبعة عيسى الحلبي القاهرة (د. ت) ج٤ / ٢١٣ وطبعة دار العروس ج ٤ / ١١٩.
والزبيدي، تاج العروس ج ٤ / ١١٩.

(٣) محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية – طبعة دار السلام. القاهرة ١٩٨٥. ص ٢٩.

قرار سليم بناء على معلومات دقيقة ما أمكن ، ومساعدة القوات الصديقة على تجنب المفاجآت العدوانية ، وهذا أمر جائز شرعًا ، لم يختلف فيه بين الفقهاء [١] .

والاستطلاع يستهدف جمع المعلومات الدقيقة عن تحركات ومواقع العدو قبل بدء المعركة ، وتشمل هذه المعلومات معرفة حجم القوات ، ومراكز تجمعها ونوعية الأسلحة وما إلى ذلك ، كما يستهدف كشف تحركاته من الجانب العملي وتقدير نواياه المقبلة خلال سير العمليات ، ومعرفة طرق الإمداد ومراكز التموين وغيرها [٢] .

* **أما العملاء** : فهم مواطنون في دولة العدو تقوم باستخدامهم ، فهم بذلك عملاء محليون ، ويوجد عملاء داخليون وهم رجال رسميون في دولة العدو وتقوم باستخدامهم ، ويوجد عملاء مزدوجون ، وهم جواسيس العدّو الذين تقوم باستخدامهم ، يقول الهرثمي : ذكروا عن بعض الحكماء في الحرب أنه كان يُصيّر جاسوس عدوه جاسوسًا له ، على أن يصدقه ويصدق عنه ، ويعطيه عن ذلك أكثر مما

---

(١) ابن قدامة موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي ، المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل ، طبعة مكتبة الرياض الحديثة – الرياض ١٩٨٠ ج ١ / ٤٩٣ .
وابن قدامة شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد المقدسي .
الشرح الكبير على متن الإقناع ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة – الرياض . ج ٥ / ٥٢٥ .
وعلي بن محمد الماوردي ت ٤٥٠ هـ ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ . ص ٤٣ .
وعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦ هـ ، المحلى ، طبعة دار الفكر بيروت بدون تاريخ ج ٧ / ٣٤٠ .
وشمس الدين عبد الله بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، طبعة مؤسسة الرسالة – الكويت بدون تاريخ ٢ / ٨٥ .

(٢) الهيثم الأيوبي : الموسوعة العسكرية ج ١ / ٧١ ، ٧٢ .

يعطيه عدوّه [١] .

وجاء في « صبح الأعشى » : اعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشّوك ، وربما كانوا لك وعليك ، فنصحوا لك وغشوا عدوك ، وغشوك ونصحوا عدوك ، وكثيرًا ما يصدقونك ويصدقونه » [٢] .

كما يوجد عملاء فعّالون هم العملاء الأذكياء القادرون على بناء صداقات مع رجال العدو القريبين من الحكم ومن النبلاء ، وبهذا يستطيعون مراقبة ومعرفة وضع العدوّ الحقيقي [٣] .

بعد بيان مفهوم المخابرات والعيون والجواسيس والاستطلاع والعملاء نلاحظ أن جميع هذه المصطلحات تستهدف جمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعقدية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها ، فهي نتيجة جمع وتقسيم وتحليل وإيضاح وتفسير كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن أي نواحي دولة أجنبية أو لمناطق العمليات .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) الهرثمي الشعراني ، مختصر في سياسة الحروب ، تحقيق عارف أحمد عبد الغني ، طبعة دار كنان – سورية ١٩٩٥ ص ٢٣ .

(٢) القلقشندي ، أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بدون تاريخ ج ١٠ / ٢١٤ .

(٣) عبد الله على السلامة ، الاستخبارات العسكرية في الإسلام ، الطبعة الثانية ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩١ م . ص ٣٠١ – ٣٠٢ .

الفصل الثاني

المخابرات في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة

المخابرات في القرآن :

إن المتأمل لنصوص القرآن الكريم يجد فيها إشارات واضحة على جواز عمل المخابرات ، وأن هذا العمل الأمني والاستخباري من صميم الإسلام ، وليس أمرًا دخيلاً عليه ، وأكّد علماء الأمة على مشروعية وأهمية هذا العمل الأمني في النقاط التالية :

١ - قال تعالى : ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ [التوبة : ١٢٠] تشير هذه الآية الكريمة إلى أن كل نيل من العدو عليه جزاء [١] ، وإن استطلاع أخبار العدو ، ومعرفة مواطن الضعف فيه ، ومواقع آلياته ومنشآته يعتبر نيلاً منه ، لأن ذلك يوصل للتخطيط السليم المؤدي إلى الظفر بهذا العدو .

كما تشير هذه الآية إلى بشرى عظيمة للذين يشتركون في حملات الجهاد في سبيل الله ، فإنهم لا يصيبهم في هذا السبيل ظمأ ولا نصب ، ولا جوع ، ولا يقفون موقفًا يغيظ الكفار ولو لم يقع الحرب بينهم ، ولا ينالون من أعدائهم نيلاً ما ، إلا كتب الله لهم به عملاً صالحًا وجازاهم ما هو أحسن منه ، قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ

---

(١) محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢ هـ ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، تخريج محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر بيروت ١٩٧٨ م . مجلد ٥ جزء ٨ ص ٣٥٧ .
– وسيد قطب ، في ظلال القرآن ، الطبعة السابعة ، بيروت ١٩٧١ م . مجلد ١١ ج ٤ / ٣٤٢ .
– ومحمد عزة دروزة ، التفسير الحديث ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٤ ، ١٢ / ٢٣٧ .
– وأبو الحسن علي بن أبي بكر عبد الجليل الراشدني المرغيناني ت ٥٩٣ هـ ، الهداية شرح بداية المبتدي طبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر بدون تاريخ ، ج ٢ / ١٣٦ ، ١٣٧ .
– وأبو محمد علي بن سعد بن حزم ت ٤٥٦ هـ ، المحلي تحقيق أحمد محمد شاكر ، طبعة دار الفكر بيروت ، بدون تاريخ ٤ / ٧ ، ٢٩٤ .

وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة : ١٢٠] .

فكل ما يقوم به المسلمون في سبيل هذا الواجب القتالي مهما كان شأنه بدنياً أو قتالياً أو استعدادًا أو مرابطة ، هو داخل في شمول هذا الواجب لأجر الله الموعود (١) .

٢ - قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

يوجه سيدنا يعقوب الأمر لأبنائه بأن اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه أو البلاد التي منها جئتم وخلفتم أخويكم بها ، فتحسسوا من يوسف وتعرفوا من خبره ، وأخيه يعني بنيامين (٢) . فوجه الاستدلال هنا أن سيدنا يعقوب عليه السلام قد طلب من أبنائه أن يتحسسوا ويبحثوا عن يوسف وأخيه ، وفي هذا إقرار من أحد الأنبياء في جمع المعلومات عن الآخرين ، ويعتبر جمع المعلومات من العناصر الأساسية في علم الاستخبارات ، ويؤكد على مبدأ جمع المعلومات بعدم اليأس .

---

(١) محمد عزة دروزة ، التفسير الحديث ج ١٢ / ٢٣٨ .

(٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي ت ٥٨١هـ ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، طبعة دار المعرفة - بيروت ١٩٧٨ ج ٣ / ٤٣ .
- وسيد قطب ، في ظلال القرآن مجلد ٥ ج ١٣ ص ٤٤ .
- ومحمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري المسمى جامع البيان ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة بيروت ١٩٧٢ م . ج ١٢ ص ٣٢ .
- وعماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤ هـ ، تفسير القرآن العظيم ، طبعة دار المعرفة
- بيروت ١٩٨٠ م . ج ٢ / ٤٨٨ .
- ومحمد أحمد جاد المولى ، قصص القرآن ، طبعة المكتبة الأموية ، بيروت بدون تاريخ ص ١٠٣ .

٣ - قال تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل : ٢٢] .

أخبر الله عزَّ وجلَّ عن غياب الهدهد الذي هو من جند سيدنا سليمان عليه السلام ، وأن الهدهد قد ذهب إلى منطقة سبأ باليمن وجاء بخبر جديد ، وبالنظر في هذا المعنى نجد مبدءًا من مبادئ الاستخبارات ، وهو جمع المعلومات ، حيث أن الظروف التي جمعت فيها المعلومات هي ظروف حرب بدليل قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل : ١٧] .

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة وما تلتها من آيات على العديد من عناصر الاستخبارات وهي :

أ - إقرار مبدأ الحصول على المعلومات ، إذ أقر سليمان عليه السلام الهدهد ثم أرسله مرة أخرى ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النمل : ٢٧] .

ثم قال : ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل : ٢٨] .

ب - عرض المعلومات المجمعة ، قال : ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل : ٢٣ - ٢٤] .

جـ - تقييم المعلومات المعروضة وتقرير مدى صحتها ، قال : ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النمل : ٢٧] .

د - تحليل ودراسة المعلومات واستخلاص النتائج المفيدة منها .

هـ - إمداد المسئولين وإطلاع القادة على المعلومات .

نلاحظ أن الهدهد كجندي من جنود سيدنا سليمان عليه السلام رأى أن من واجبه أن يأتي بما حصل عليه من معلومات إلى مسئوله وهو سليمان عليه السلام ﴿ وَجِئْتُكَ مِن

سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل : ٢٢] . لذلك نرى اهتمام الهدهد بما حصل عليه من معلومات وإن كانت سببًا في تأخيره عن سيدنا سليمان عليه السلام ، حتى صار هذا الخبر للهدهد عذرًا وحجة عند سليمان عليه السلام درأ به عنه ما كان توعده به (١) .

و – المباغتة والمفاجأة في جميع المعلومات وتوصيلها .

ز – الاستفادة من المعلومات القيمة في التخريب الفكري ، تخريب الباطل وإظهار الحق ، قال تعالى : ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل : ٢٨] .

ح – استخدام المال في عملية الاستخبارات كوسيلة من وسائل كشف الآخرين قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٥] .

٤ – قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل : ١٧ ، ١٨] .

نلاحظ من خلال الآية السابقة أن المعلومات لا تقتصر على بني الإنسان فقط ، بل يستفيد منها الحيوان والطير ؛ إذ استفاد النمل من المعلومات السابقة ، فاستعمل وسائل الإنذار المبكر ، إذ قالت نملة بلغة جنسها حسب ما وصلت إليه من معلومات ادخلوا مساكنكم حفاظًا على حياتكم ؛ لأن سليمان وجنوده ربما يدوسون بأرجلهم فوقكم فتحطمون بغير قصد ، فقد بينت السبب في توجيه هذا الإنذار إلى جماعتها من النمل بفضل المعلومات المسبقة التي حصلت عليها (٢) .

٥ – قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

---

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن ، طبعة الحلبي وأولاده – مصر ١٣٥٠ هـ ج ١٢ / ٨٦ .
– ومحمد بن جرير الطبري ، جامع البيان ج ١٩ / ٩٢ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٤ / ١٤١ .

* ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ [القصص: ١١ - ١٢][١] .

تشير الآية الكريمة إلى جمع المعلومات واستخدامها من قِبَلِ أم موسى التي تمثل جانب الإيمان مع فرعون الطاغية في المجتمع الفرعوني بمصر ، كما توضح الآية أهمية تلك الوسيلة التي اتبعتها أم موسى في تقصّي أخبار ابنها ، وتتبع آثاره بعد أن قذفته في اليمّ وأصبح فؤادها فارغًا ، ولقد أثمرت هذه الطريقة في رد موسى إلى أمه ، وفي كل هذا إشارة إلى طريقة التقصّي والتتبع وجمع المعلومات والاستفادة منها لمصلحة مشروعة .

كما يستفاد من هذه الآية عدة معاني جليلة منها :

أ - استخدام أم موسى مبدأ جمع المعلومات والحصول عليها في حفاظها على ابنها ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص : ١١][٢] فالتقصّي إنما هو تتبع الأثر وجمع المعلومات ، فأم موسى لم تختر غير أخته ، لأن الأخت تعتبر من الحريصين والأمناء على تلك المصلحة ، وهي تندفع من ذاتها في جمع المعلومات ، وتحصيل الأخبار ، وأظن أنها من الأمور الضرورية في العنصر المرسل في عملية الاستخبارات أن يكون مندفعًا من ذاته حريصًا على المصلحة المرسل إليها .

ب - اختيار العنصر الأمين والحريص في مجع المعلومات لتكن صحيحة وموثوقة وأمينة ، وقبل ذلك حريصة على تلك المعلومات .

جـ - التقصّي والتتبع بدون إثارة أو جلب أنظار « قُصّيه » [٣] ، إذ نفهم من كلمة التقصّي الانتباه وعدم إثارة الأنظار ، ودليل ذلك أنها بصرت به دون أن يشعروا بها .

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ج ٢ / ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) أخته : هي مريم بنت عمران .

(٣) قصيه : اتبعي أثره واطلبيه ، وقيل : اتبعي أثره حتى تعلمي خبره .

د – دقة الملاحظة وقوة الفراسة أثناء جمع المعلومات ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل : ١١] .

هـ – محاولة تحقيق الهدف أثناء جمع المعلومات ، فأخت موسى لم تكتف بأن تعرف مكان موسى لتخبر أمها بمكانه ، وإنما تقصت الأخبار ، وتوصلت إلى مكانه وحاولت إعادته إلى أمه ، وقد نجحت في هذا .

من خلال الأدلة القرآنية السابقة نجد أن القرآن الكريم قد أجاز العمل بهذا الأمر وفيه ، لما ينطوي عليه هذا العمل من أهداف سامية تخدم الدولة وأفرادها وتحميها من العدو وتدبيراته ومكافحة للجاسوسية والقيام بأعمال إيجابية ضد العدو .

المخابرات في السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة :

المتأمل لأحاديث رسول الله ﷺ يجد فيها دليلاً واضحًا على جواز عمل المخابرات ، وأن هذا العمل قام به النبي ﷺ واستخدمه في سراياه وغزواته وغير ذلك ، ويتضح ذلك من خلال الأدلة الآتية :

١ – روى عن الرسول ﷺ أنه بعث عبد الله بن جحش (١) في السنة الثانية للهجرة في اثني عشر رجلاً من المهاجرين ، وزودوه بكتاب مختوم ، أمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ويصل إلى موقع معلوم حدده له ، فلما وصل ذلك المكان وآن وقت فضّ الكتاب ، فضه فإذا فيه « إذا نظرت في كتابي هذا فامض على اسم الله وبركاته ، لا تكرهن أحدًا من أصحابك على السير معك ، وامض فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » (٢) .

---

(١) هو عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي ، صحابي قديم الإسلام ، هاجر إلى بلاد الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وكان من أمراء السرايا ، وهو صهر النبي ﷺ ، أخو زينب أم المؤمنين ، قُتل يوم أحد شهيدًا ، خير الدين الزركلي ، الأعلام طبعة دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٦ م ، ٤ / ٧٦ .

(٢) أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢١٣ هـ ، السيرة النبوية بهامش الروض الأنف للسهيلي طبعة دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٨ م ، ٣ / ١٨ .

من خلال الكتاب الذي ورد في حديث رسول الله ﷺ نلاحظ العديد من الأمور الاستخبارية منها : أن هذه السرية هي سرية استطلاع هدفها مراقبة العدو واستطلاع أخباره على نحو السرايا الاستكشافية التي تضعها الجيوش أمامها دون أن تتعرض للأعداء بالتحرش أو الاحتكاك أو القتال ، فهي استخبارات هجومية هدفها جمع المعلومات عن العدو فقط لمصلحة الدولة الإسلامية .

وأن هذه السرية طُلب منها أن تكون في مهمة مكتومة لا يعرفها أي فرد بعد مدة زمنية ، وفي مكان محدد ، حتى لا تتسرب المعلومات [١] .

٢ - حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : بعث النبي ﷺ بُسَيْسَة [٢] عينًا [٣] ينظر ما صنعت عير [٤] أبي سفيان » [٥] نلاحظ من خلال هذا الحديث الشريف الصحيح أنه واجب على كل أمير أو قائد أن يرسل عينًا أو أكثر إلى العدو ليتعرف أموره ويأتي بأخباره لأن مهمة من أرسلهما هي استطلاع أخبار العدو .

---

(١) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحسن السهيلي ت ٥٨١ هـ ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٢ .
وانظر ابن سيد الناس ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٠ م . ج ١ / ٢٢٧ .

(٢) بُسَيْسَة : هو بُسَيْسَة بن عمرو بن ثعلبة بن جرسة ، شهد بدرًا بالاتفاق ، انظر أبا داود سليمان بن الأشعث الأزدي ، سنن أبي داود ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت بدون تاريخ ج ٣ / ٣٨ .

(٣) عينًا : جاسوسًا مع « عدي بن الزغباء » ، انظر خليل أحمد السهارنفورى ، بذل المجهود في حل سنن أبي داود ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ ج ١٢ / ١٢٥ .

(٤) عير : قافلة أبي سفيان ، القادمة من الشام ، وهو أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أسلم يوم الفتح في السنة الثامنة من الهجرة . انظر خير الدين الزركلي ، الأعلام ج ٣ / ٢٠١ .

(٥) الحديث صحيح ، رواه الإمام مسلم القشيري في صحيحه بتحقيق فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء التراث العربي ١٩٥٦ ، الحديث رقم ٢٦١٨ ج ٣ / ٣٨ .

٣ – عندما بعث النبي ﷺ « بُسَيْسة وعديّ بن عدي بن الزغباء للحصول على معلومات عن قافلة قريش ، وهما عند بئر بدر سمعا جارية تطالب جارية أخرى صاحبة لها بَدينٍ عليها ، والثانية تجيبها : عندما تأتي العير – أي القافلة غدًا أو بعد غدٍ ، سأقوم على خدمتها ثم أقضيك الذي لك ، فأسرع الرجلان وأخبرا الرسول ﷺ بما سمعاه » [(١)] ، نلاحظ أن الرسول ﷺ بصفته القائد الأعلى أرسل عيونًا إلى الأعداء لكي يتعرف أمورهم وأخبارهم ، فكانت بمثابة استخبارات استطلاعية .

٤ – عندما قارب المسلمون وأعداؤهم بدرًا ، وتسابقوا إلى الماء ، أرسل الرسول ﷺ دورية للحصول على المعلومات عن قريش وكانت تتألف من الزبير بن العوام وعليّ بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ونفر من أصحابه ، وعند ماء بدر وجدت هذه الدورية غلامين لقريش يستقيان الماء ، فأتت بهما إلى النبي ﷺ ، فتولى استجواب الغلامين ، فعلم منهما أن قريشًا وراء الكثيب (بالعدوة القصوى) ، ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش ، سألهما النبي ﷺ كم ينحرون من الإبل كل يوم ؟ فقالا : يومًا تسعًا ويومًا عشرة ، فاستنبط النبي ﷺ من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف ؛ لأن العرب عادتهم يخصصون بعيرًا لكل مائة ، كذلك عرف النبي ﷺ من الغلامين أن أشراف قريش جميعًا خرجوا للقتال [(٢)] .

---

(١) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٦٨ ، ومحمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ ص ١٥٣ ، ومحمد المعراوي ، شريعة الحرب في الإسلام ، طبعة كلية الحقوق – الجامعة السورية ١٩٥٨ م ، ص ٣٢٧ .
وانظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٢ هـ ج ٦ / باب ٤٠.

(٢) الحديث صحيح ، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٧٧٩ ج ٣ / ١٤٠٤ .
– وانظر ابن هشام ، السيرة النبوية بهامش الروض الأنف للسهيلي ج ٣ / ص ٣٤ . =

٥ – استطلع النبي ﷺ بنفسه عندما نزل قريبًا من بدر ، فقد خرج بنفسه ومعه أبو بكر الصديق يستطلعان الأخبار ، وبينما هما يتجولان حول معسكر مكة إذا هما بشيخ من العرب ، فسأله رسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه – سأل عن الجيشين زيادة في التكتم – ولكن الشيخ قال : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك ، قال : أوذاك بذلك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا – للمكان الذي به جيش المدينة – وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به جيش مكة ، ولما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه ، وبقي الشيخ يتفوه ، ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ .. [1] .

٦ – بعث النبي ﷺ عينًا ليطلع على حقيقة خبر أن خالد بن سفيان زعيم بني لحيان من هذيل أقام « بنخلة » أو « عرفة » يجمع الناس بعد موقعة « أحد » ليغزو الرسول ﷺ في المدينة ، ففي اليوم الخامس من نفس الشهر – شهر المحرم سنة ٤ هجرية ، نقلت

= – ومحمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكريّ ص ١٦٨ .

– ومحمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ١٥٣ .

– وعبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٦١ ص ٢١٣ .

(١) صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، طبعة دار الوفاء – القاهرة الطبعة السابعة ١٩٩٠ ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

– وابن سيد الناس ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، طبعة دار الجيل الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٤ م . ج ١ / ٢٤٨ .

الاستخبارات أن خالد بن سفيان الهذلي يحشد الجموع لحرب المسلمين ، فأرسل إليه النبي ﷺ عبد الله بن أنيس ليقضي عليه ، وظل عبد الله بن أنيس غائبًا عن المدينة ثماني عشرة ليلة ، ثم قدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم ، وقد قتل خالدًا وجاء برأسه ، فوضعه بين يدي النبي ﷺ ، فأعطاه عصا ، وقال : هذه آية بيني وبينك يوم القيامة ، فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل معه في أكفانه [(١)] .

٧ - حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب ، فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتيني بخير القوم ؟ قال الزبير : أنا . فقال النبي ﷺ : إن لكل نبيّ حواريًا وحواريّ الزبير » [(٢)] .

الحديث يشير إلى وجوب إرسال القائد من يستطلع له أعداءه ، فيعرف أحوالهم ، ويأتيه بأخبارهم ، وأن العين التي يتم اختيارها لهذا العمل تكون من الأصفياء المخلصين للقائد ، ومن الممتازين بالدهاء والمهارة .

من خلال ما أوردناه من أحاديث شريفة للنبي ﷺ يتضح لنا مشروعية بعث المخابرات في جمع المعلومات عن نوايا العدو ومعرفة أخباره ، والوقوف على أسراره .

وسيجد القارئ في ثنايا الكتاب الكثير من الأحاديث والكثير من الأثر عن الرسول ﷺ عن مثل هذا الأمر الضروريّ ، الذي يدل على مدى اهتمام النبي ﷺ به ، ومن بعده الخلفاء الراشدون ثم الخلفاء المسلمون .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) أبو محمد عبد الملك بن هشام ت ٢١٣ هـ ، السيرة النبوية ، طبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية ١٩٥٥ م . ج ٢ / ٦١٩ - ٦٢٠ .

- أبو عبد الله محمد بن بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١ هـ ، زاد المعاد ، طبعة المطبعة المصرية - القاهرة ١٩٢٨ م . ج ٢ / ١٠٩ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، طبعة دار الريان للتراث القاهرة ١٩٨٦ ج ٦ الباب ٤٠ حديث رقم ٢٨٤٦ .

الفصل الثالث

نشأة المخابرات في الإسلام

عندما نريد الحديث عن نشأة المخابرات في الإسلام ، فقدوتنا في هذا الأمر هو النبي ﷺ معلّم البشرية الأول ، والذي لا ينطق عن الهوى ، بل عن وحي من الله عزَّ وجلَّ فأحداث سيرته العطرة تشير بوضوح إلى أن نشأة المخابرات الإسلامية كانت متزامنة مع ظهور الإسلام .

فمنذ نزول الوحي اتخذ النبي ﷺ ترتيبات أمنية للحفاظ على أسرار دعوته الوليدة ، فكان يحسب لكل خطوة حسابها قبل أن يخطوها ، ويدرس كل أمر مليًا قبل الإقدام عليه ، فلقد عني ﷺ بالأمن والمخابرات أشد العناية ، ووضع له الأصول والأسس والمناهج والأساليب ، ولقد أثبت تاريخ صدر الإسلام أن من أبرز أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم ، أن أسرار ومعلومات الرسول ﷺ كانت مصونة وبعيدة كل البعد عن متناول يد المخابرات المعادية ، في الوقت الذي كانت فيه المخابرات الإسلامية تطلع على تحركات العدو قبل حدوثها فتتخذ الترتيبات اللازمة لذلك .

إن المتتبع للسيرة النبوية يجد أن المخابرات الإسلامية مرت **بثلاث مراحل** : مرحلة سرية الدعوة ، ومرحلة الجهر بها ، ومرحلة المدينة المنورة .

أما المرحلة الأولى : وهي سرية الدعوة ، فإننا نجد جانب الحذر والحيطة كان واضحًا طول هذه المرحلة السرية ، فقد كان ﷺ يختار من يدعوهم حسب مقاييس خاصة يتحرى فيها الدقة المتناهية ، والحذر والحيطة ، لأن المستجيبين للدعوة آنذاك هم الذين تقع عليهم أعباؤها ، ومسئولياتها ، فلابد أن يكونوا من خيار المجتمع صدقًا وعدلاً ومروءة ونخوة واستقامة .

إن أي خلل في التصرف أو تسرب أي معلومة يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية من شأنها أن تؤثر على تقدم الدعوة ومستقبلها ، ولهذا حرص على اختيار منْ يكتم السر

وعدم تسريب المعلومات عن الدعوة الجديدة [١] . لذلك نجد أول من دعاه الرسول ﷺ زوجه السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومولاه زيد بن حارثة ، وحاضنته أم أيمن رضي الله عنهم أجمعين [٢] .

ولما دخل في الإسلام ما يربو على الثلاثين ، كان من اللازم اجتماع الرسول ﷺ بهم ليعلمهم أمور دينهم فاختار بيتًا آمنًا يجتمع فيه سرًا مع المسلمين هذا البيت هو دار الأرقم بن أبي الأرقم ، فكان أول بيت آمن في تاريخ المخابرات الإسلامية ، وكان هذا المكان يمتاز بعدة ميزات تجعله مقرًا سرّيًا ، فكان على « الصفا » ، وكان بمعزل عن أعين الطغاة ومجالسهم وصلح أن يكون مركزًا للدعوة [٣] .

ومما يميز دار الأرقم في أمور السرية أنها بعيدة عن مراقبة قريش ، وأنها لا تحتاج إلى كبير عناء في الوصول إليها أو الخروج منها .

كما أن لموقعها أسفل جبل الصفا ميزة تضاف إلى الميزات الآنفة ، فلو كانت في أعلى الجبل لأصبحت مكشوفة وسهلت مراقبتها .

كما أن صاحبها - الأرقم بن أبي الأرقم - مصدر ثقة للنبي ﷺ ولا يمكن أن يبوح بسر هذا الأمر .

كما لم يكن الأرقم معروفًا لدى قريش بأنه أسلم ، ولم يعلن إسلامه بعد ، ولا يمكن أن يخطر ببال قريش أن يتم لقاء الرسول ﷺ مع أصحابه بداره .

ولم يخطر ببال قريش أن يجتمع محمد ﷺ وأصحابه عند فتى في حدود السادسة

---

(١) إبراهيم علي محمد أحمد ، في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية ، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر ١٩٩٦ م . ص ٣٥ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة دار الهداية - القاهرة (د . ت) ١ / ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ / ٣٦٧ - ٣٦٨ .

عشرة من عمره ، بل تبحث في بيوت منْ كانوا كبارًا في السن من الصحابة .

كما كان الأرقم من بني مخزوم التي كانت تحمل لواء الحرب ضد بني هاشم ، فلو كان معروفًا بإسلامه لصعب أن يكون اللقاء في داره ، لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو (١) .

يلاحظ أن هذه الدار كانت محاطة بالكتمان التام ، ولم يُعلم أن قريشًا داهمت ذات يوم هذا المقرّ السرّيّ ، فقد كان اختياره في غاية الحكمة من الناحية الأمنية . مما يدل دلالة قاطعة على النشأة الجادة للمخابرات الإسلامية في عهد النبي ﷺ خلال مرحلة سرية الدعوة .

ولعل الحس الأمني كان من أوضح الأمور الاستخباراتية عند النبي ﷺ في هذه المرحلة من عمر المخابرات الإسلامية ، فهذه أم جميل بنت الخطاب رضي الله عنها وتصرفها مع أم الخير والدة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عندما ذهبت إليها تسألها عن مكان محمد ﷺ لكي تحمل أبا بكر إليه بعد أن أغمي عليه من ضرب قريش له ، فقد أخفت أم جميل عن والدة أبي بكر إسلامها ولم تخبرها بمكان النبي ﷺ ، بل طلبت منها رؤية أبي بكر هذا الذي يريد معرفة مكان محمد ، فلما ذهبت أم جميل لأبي بكر ومعه والدته طمأنها أبو بكر من ناحية والدته فما كان من أم جميل إلا أن تمثلت الحس الأمني حتى إذا هدأت الرِّجلُ وسكن الناس خرجت هي وأم أبي بكر ومعهما أبو بكر يتكئ عليهما ، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ (٢) .

لقد تصرفت أم جميل بحيطة تامة ووعي استخباري عظيم ، في عملية الذهاب

---

(١) منير محمد الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، طبعة مكتبة المنار – الأردن الطبعة الثانية ١٩٨٥ ج ١ / ٤٩ .

(٢) أبو الفدا الحافظ ابن كثير ت ٧٧٤ هـ ، البداية والنهاية ، تحقيق فريق من العلماء ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥ . مجلد ٢ ج ٣ ص ٢٩ ، ٣٠ .

بأبي بكر إلى النبي ﷺ ، في وقت تكون المراقبة منعدمة من قريش ، خاصة بعد أن تهدأ الرِّجل ، ويسكن الناس .

كما يظهر الحس الأمني فيما قام به سيدنا علي بن أبي طالب وأبو ذر رضي الله عنهما ، حينما جاء سيدنا أبو ذر يبحث عن النبي ﷺ ، فعندما أراد سيدنا علي بن أبي طالب أخذ سيدنا أبي ذر إلى دار الأرقم لمقابلة الرسول ﷺ اتفق معه على مصطلح معين في حالة وجود مراقبة أو متابعة من قِبل الأعداء فقال له : « إن رأيتُ أحدًا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي » وفي لفظ « كأني أريق الماء فامض أنت » . نلاحظ أنهما استخدما الإشارة في حالة الخطر ، لقد تجلى الاهتمام بعملية الذهاب إلى المقر السرّيّ ، مما يدل على أن سيدنا عليّ بن أبي طالب كان يراقب الأعداء أثناء ذهابه إلى المقر (١) .

أما المرحلة الثانية : وهي مرحلة الجهر بالدعوة ، ولا ريب أن ثمة فوارق كبيرة في الوضع الأمني بين الفترتين ، فانتقال الدعوة من السرية إلى العلنية ، ومن الاختفاء إلى الظهور ، ومن القلة إلى الكثرة ، كان لابد أن يصاحب ذلك تغيرات في الأساليب والمناهج الأمنية الاستخبارية ، ولابد من أن يكون الاستعداد على أشده لكل الاحتمالات التي يمكن أن تحدث ، وأن تكون الحلول المناسبة لها جاهزة .

فمقاومة جهاز المخابرات النبويّ يتميز بمواجهته الحاسمة للأساليب التي لجأ إليها القرشيون من حرب نفسية ضد رسول الله ﷺ وأصحابه ، ومن حصار اقتصاديّ واجتماعيّ ومن تعذيب واضطهاد ومفاوضات مباشرة وغير مباشرة كل هذا لم يزد

---

(١) لمراجعة مثل هذه المواقف الأمنية الدالة على نشأة المخابرات الإسلامية منذ البعثة النبوية انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ١ / ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي ذرّ ، وانظر ابن حجر فتح الباري بشرح صحيح البخاري باب إسلام أبي ذر الغفاري حديث رقم ٣٥٢٢ ، وابن كثير ، البداية والنهاية المجلد الأول ج ٢ / ٢٩ .

النبي ﷺ وأصحابه إلا صلابة وعزيمة وتمرسًا وحنكة وتطورًا استراتيجيًا للمخابرات النبوية ، وقد ظهر هذا التطور الواضح في بيعة العقبة التي تمت في غاية الإحكام والإتقان ، حيث كان الإتقان المسبق على زمان ومكان البيعة ، في أوسط أيام التشريق في الشعب عند العقبة ليلاً [١] .

فقد تمت في الليل لما هو معروف من أن الليل غطاء جيد ، كما أن النبي ﷺ أمر الأنصار بكتمان الخبر عن المشركين [٢] ثم وضع خطة مأمونة في كيفية الحضور بأن يأتوا فرادى ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجوا من رحلهم لميعاد رسول الله ﷺ ، متسللين مستخفين تسلل القطا - أي أفرادًا [٣] .

ومن أروع ما تم في المرحلة الجهرية من عمل سريّ هو من المهام الاستخبارية الهجرة من مكة إلى المدينة ، فقد كانت غاية الإحكام وقمة التنفيذ الذي ينم عن عبقرية استخباراتية ، فقد اختار الوقت المناسب والمكان المناسب والرفيق المناسب والتمويه المناسب ، والمتابعة المناسبة والتضليل لقريش ، وإخفاء الأثر ، والدليل الثقة والطريق المهجورة .

فالوقت المناسب في تبليغ أبي بكر الصديق هو وقت الظهيرة وكان ملثمًا ﷺ [٤] .

والتمويه الجيد في مبيت سيدنا علي بن أبي طالب مكانه في فراشه ﷺ . واختيار الدليل عبد الله بن أريقط ، وتهيئة وسيلة الهجرة من الجمال ، ثم تموين الهجرة بالطعام

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ / ٤٤٠ طبعة دمشق . (د . ت) .
وصفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، الطبعة السابعة - دار الوفاء مصر ١٩٩٠ ص ١٧٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٧ .

(٣) أبو الفرج عبد الله بن الجوزي ، الوفا بأحوال المصطفى ، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة - بدون تاريخ ج ٢ / ٢٢٥ .

(٤) البخاري ، صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرته ﷺ وأصحابه .

من أسرة سيدنا أبي بكر ، ثم التوقيت المناسب للخروج قبيل الفجر ، سيرًا على الأقدام إلى الغار ، في جنوب مكة ، ومتابعة أخبار قريش عن طريق عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما ، وإخفاء الأثر بالأغنام ، وتضليل قريش بالسير في الطريق المهجورة [١] .

فبالهجرة إلى المدينة تنتهي المرحلة الثانية من مراحل تاريخ المخابرات الإسلامية في صدر الإسلام ، وقد تفوقت المخابرات الإسلامية على قريش في كثير من المواقف .

أما المرحلة الثالثة : فهي مرحلة الفترة المدنية أي بعد انتقال النبي ﷺ إلى المدينة المنورة ، فقد دخلت المخابرات الإسلامية مرحلة جديدة ، تختلف عن تلك التي كانت بمكة ، حيث وجدت الدعوة بالمدينة أنصارًا بعد اضطهاد واستضعاف ، فتحول جهاز المخابرات من مرحلة اللا دولة إلى مرحلة الدولة ، إضافة إلى تباين المجتمع في المدينة عنه في مكة ، نظرًا لوجود اليهود والحروب الطاحنة بين الأوس والخزرج [٢] .

فالوضع في المدينة من الناحية الأمنية يتطلب وضع خطة دقيقة محكمة لمجريات الأمور ، حتى يتم تأسيس الدولة المسلمة ، وقيام المجتمع المدني على أسس ودعائم قوية ويمكننا أن نحدد مهام المخابرات الإسلامية في هذه المرحلة وذلك على النحو التالي :

الأمن الداخلي للمسلمين فيما بينهم ، والمخابرات الإسلامية والمنافقين ، والمهام الخاصة والاستخبارات العسكرية .

فمن الأعباء التي أضيفت إلى جهاز المخابرات النبوي في المدينة المنورة ظهور المنافقين ، وقد ظهرت في المدينة دون مكة ؛ لأن الإسلام في مكة كان مغلوبًا على

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٣ / ١٧٦ .
وابن هشام ، السيرة النبوية ١ / ٤٨٣ . طبعة دمشق بدون تاريخ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، طبعة دار الفكر العربي - بيروت (د . ت) ص ٣٢٢ .

أمره ، لا يملك حولاً ولا طولاً ولا نفعًا ولا ضُرًا ، ولكن تبدل الحال في المدينة حيث باتت القوة والعزة للمؤمنين مما اضطر بعض مرضى القلوب ، من إظهار الإسلام وإضمار الكفر (١) فكان لابد لجهاز المخابرات الإسلامية أن يتصدى لممارسات هذا الصنف من الناس ، الذين كانوا يقومون بتخذيل الناس عن الجهاد في غزوة أُحد ، عندما رجع زعيمهم بثلث الجيش (٢) وأيضا قاموا بالتخذيل في غزوة الأحزاب وقد فضحهم القرآن في ذلك ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢] ، وكذلك في غزوة تبوك حيث أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس من الخروج وكانوا يخوفونهم بصعوبة الغزو في الصيف قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ [التوبة : ٨١] .

وكان هناك تعاون واتصال بين المنافقين واليهود أعداء الدعوة ، وأن ثمة اتصالات سرية تتم بين الطرفين ، وظهر ذلك في غزوة بني النضير عندما اتصل المنافقون سرًا ، ويطلبون من اليهود عدم الاستسلام ، وأنهم معهم في حالة القتال ، وقد سجل القرآن الكريم هذه الخيانة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر : ١١] .

نخلص مما كان يقوم به المنافقون وما فعله جهاز المخابرات الإسلامية إلى أن الأساس الذي كان يعامل به الرسول ﷺ المنافقين أنه كان يقبل ما ظهر منهم ويترك أسرارهم لله المطلع على الظواهر والبواطن ولكنه مع ذلك ما كان يأمن المنافقين على عمل فطوال فترات تغيبه من المدينة لم يحدث أن ولى عليها رجلاً من أهل النفاق ، بل كان يحرص على اختيار صحابته المخلصين من المهاجرين والأنصار ، بل أخبر سيدنا

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٦ / ٣٧٣

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٦٤ .

حذيفة بن اليمان بأسمائهم وذلك ربما ليراقبهم أو يحذرهم المؤمنون بعد وفاته ﷺ .

لقد نفذت العديد من المهمات الخاصة من خلال المخابرات الإسلامية في غاية الإحكام من حيث التخطيط والتنفيذ والجرأة وتكللت جل المهمات بالنجاح التام ، مثل مهمة اختطاف وفك أسر عياش وهشام رضي الله عنهما ، والتي قام بها الوليد بن الوليد رضي الله عنه (١) ، ثم اختيار كعب بن الأشرف الذي أخذ يهجو الرسول ﷺ ، ويتشبب بنساء المسلمين ، وقد قام بها مجموعة من الأنصار بقيادة محمد بن سلمة رضي الله عنه (٢) .

وكذلك في جانب الاستخبارات العسكرية فقد ظهر تفوق المخابرات الإسلامية في بيان الأمور الاستراتيجية أو التكتيكية ، وقد اهتم الرسول ﷺ بالمخابرات العسكرية اهتمامًا بالغًا ، وكان يتخير أفراد المهام العسكرية اختيارًا دقيقًا ، وما كان ﷺ يضع خطة لغزوة أو سرية دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح عن العدو ، وعن الأرض والظروف المحيطة (٣) .

لقد كان للنبي ﷺ عيون وأرصاد محلية في المدينة يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة للمسلمين في السلم والحرب على حد سواء ، ففي غزوة بدر بعث اثنان من الصحابة للحصول على معلومات عن قافلة قريش (٤) .

وفي مجال المخابرات الاستراتيجية كان للرسول ﷺ عيون وأرصاد خارج المدينة ففي مكة مقر أعداء الدعوة كان عمه العباس (٥) ،وفي القبائل الأخرى كان له عدة

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ / ٤٧٦ .

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب مقتل كعب بن الأشرف .

(٣) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري في عهد النبي ﷺ ص ١٦٧ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ / ٦١٧ .

(٥) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، طبعة دار التحرير - القاهرة ١٣٨٨ هـ ٢ / ١ / ٢٥ .

عيون مثل عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي في قبيلة هوازن [١] . وحسيل بن نويرة [٢] رضي الله عنه عين الرسول ﷺ المتجول بين القبائل ، وكان له عيون في بلاد فارس وبلاد الروم [٣] .

من خلال ما سبق عرضه لوقائع الأحداث في فترة مكة ، والمدينة اتضح لنا أن المخابرات الإسلامية لم تكن غائبة طوال العهد النبوي ، بل كانت موجودة يكاد المرء أن يحسها في كل حركة من حركات الرسول ﷺ وصحبه الكرام .

۞ ۞ ۞ ۞

(١) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٦٩ .

(٢) محمد بن عمر الواقدي ، المغازي ، طبعة عالم الكتب - بيروت بدون تاريخ ص ٧٢٨ .

(٣) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٦٩.

الفصل الرابع

سمات ومرتكزات المخابرات الإسلامية

من المعروف أن لكل مخابرات سمات تميزها ، ومرتكزات تقوم عليها ، ويرجع ذلك إلى اختلاف الأفكار والمعتقدات والقيم والأخلاق التي تسود الأمم ، ومن هذا المنطلق نستطيع القول بأن المخابرات الإسلامية لها سماتها ومرتكزاتها التي تميزها عن سواها ، وإن التقت مع المخابرات الأخرى في أساسيات العلم والمصطلحات الاستخبارية ، فالغاية التي تسعى المخابرات الإسلامية إلى تحقيقها هي الإصلاح وإقامة العدل والمساواة وضبط حركة الحياة على ظهر البسيطة لتسير نحو سعادة البشرية ، ومحاربة أي شيء يكدّر صفو تلك السعادة من المكدرات الظاهرة والباطنة ، الأمر الذي يجعلها منفردة عن غيرها ، فمن أهم وأبرز السمات والمرتكزات التي امتازت بها المخابرات الإسلامية : التقيد بأوامر القرآن الكريم والسّنّة النبوية المطهّرة ، والتثبت والتأكّد من صحّة المعلومة قبل اتخاذ القرار ، واختيار القويّ الأمين ، والمرونة والمواكبة ، والرقابة على العاملين في بيئة المخابرات ، وسمو الغاية والوسيلة منها :

التقيد بأوامر القرآن الكريم والسّنّة النبوية : بمعنى أن المرجعية تنطلق من الوحي فأي حركة أو سكون في هذا المجال لابد أن تعرض على القرآن والسّنّة ، فالقرآن الكريم هو المرتبة الأولى من مراتب الاستدلال في المخابرات الإسلامية ، ثم تأتي السّنّة في المرتبة الثانية كمصدر من مصادر التشريع في مجال المخابرات الإسلامية ، وذلك بعد عرض المسألة على أحكام القرآن الكريم أولًا [١].

التثبت والتأكد من صحة المعلومة قبل اتخاذ القرار : وتعتبر سمة بارزة ومرتكزًا هامًا وقد نص القرآن الكريم صراحة على هذه السمة في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

---

(١) عوض أحمد إدريس ، الوجيز في أصول الفقه ، طبعة الخرطوم ١٤٠٨ هـ ص ١٣ - ١٤ .

إن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] .

يقرر هذا النداء العظيم ضرورة التثبت من مصدر النبأ ، ويخصص الفاسق لأنه مظنة الكذب وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها ، فمدلول الآية الكريمة يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق ، أما الصالح فيؤخذ بخبره ، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة (١) .

ومن أوضح الأمثلة على التثبت والتأكد من المعلومة في المخابرات النبوية ما حدث مع زيد بن أرقم حين نقل ما قاله عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس النفاق إلى رسول الله ﷺ ، في غزوة بني المصطلق ، فقد غضب عبد الله بن أبيّ بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم ، فقال : أَوَقَدْ فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأُول : سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلكَ ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم ، هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير دياركم » (٢) فسمع زيد بن أرقم ما قاله رأس النفاق ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما قاله رأس النفاق ، فقبل أن يبني النبي ﷺ على قول زيد شيئا قال له : يا غلام لعلك غضبت عليه ؟ قال : لا والله ، لقد سمعت منه . قال ﷺ : لعله أخطأ سمعك ؟ قال : لا يا نبيّ الله . قال ﷺ : فلعله شُبّه عليك ؟ قال : لا والله لقد سمعت منه يا رسول الله (٣) .

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ١ / ٣٣٤١ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٢٩١ .

(٣) تقي الدين أبو العباس أحمد المقريزي ، إمتاع الأسماع ، تحقيق محمود شاكر ، طبعة لجنة الترجمة والنشر القاهرة ١٩٤١ م ج ١ / ١٩٩ .

من خلال هذا الحوار الذي دار بين النبي ﷺ وبين زيد بن أرقم نلاحظ مدى تثبت النبي ﷺ من صحة المعلومة ، ومدى حرصه على التأكد منها ، ومن صدق الناقل ، ومدى دقة هذا الناقل ، ومدى فهمه لما قيل ، فقد رأى النبي ﷺ التثبت والتأكّد من زيد بن أرقم كغلام حدث ، ولكننا نجد منهج النبي ﷺ يقوم على الاعتدال في التثبت دون إفراط أو تفريط ، فهناك كثير من المعلومات يقبلها النبي ﷺ ولم يتثبت فيها ، كالمعلومات التي تأتيه من عمه العباس رضي الله عنه من مكة كما حدث في غزوة أحد [(١)] ، والمعلومات التي كان يأتي بها عبد الله بن أبي بكر للنبيّ ﷺ في الغار [(٢)] . وأحيانا كان ﷺ يقوم بالتثبت من المعلومات الواردة إليه ، كما سبق أن بيّنّا .

اختيار القوي الأمين : لقد سلك الإسلام منهجًا رفيعًا في اختيار العاملين في الوظائف المختلفة في الدولة ، لا يقوم على المحاباة أو الأهواء أو القرابة أو الجنس أو اللون بل يقوم على من تتوفر فيه القوة والأمانة ، فمن هذا المنطلق كان من أهم سمات ومرتكزات مجال المخابرات الإسلامية اختيار القويّ الأمين لكي يكون من بين العاملين في هذا المجال ، نظرًا لخطورة هذه الوظيفة لأنها تتعلق بأسرار الأمة وأمنها واستقرارها ، لذلك فيكون العاملون في المخابرات الإسلامية متفردين وتتوفر فيهم شروط وضوابط تنطلق من الشرع الحنيف منها : أن يكون مسلمًا ، لأن العمل في هذا المجال نوع من الولاية التي تخول لصاحبها صلاحيات ، وسلطات واسعة ، فلا يمكن أن نعين في مثل هذه الوظيفة كافرًا أو ذميًا ، وهؤلاء ليس لهم على المسلمين سبيل قال تعالى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ١٤١] ، ولكن كان النبي ﷺ يستعين بغير المسلمين كمصادر بشرية للمعلومات ، أو كدليل كما

---

(١) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبرى ٢ / ٧٢٨ .

(٢) أبو حاتم محمد بن حبان ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ١٤٠٧ هـ ص ١٣٠ .

حدث في الهجرة من الاستعانة بعبد الله بن أريقط [(١)] وأن يكون عاقلاً حتى يستطيع فهم الخطاب ، فلا يفهم الخطاب إلا عاقل ، والخطاب لا يتوجه إلا لمن يفهمه ، فالعمل الأمني في هذا المجال تكليف ، والتكليف لا يكون إلا لعاقل ، ويقوم هذا العمل الأمني على التفكير والتدبير وحسن التصرف ، وكل ذلك لا يتوفر إلا في من يتصف بالعقل .

وأن يكون على علم بالأحكام المتعلقة بمهنته وعمله ، وهذا العلم ينطبق على معرفة حكم التجسس ، وحدوده وحكم التهديد ، والتعذيب والحبس والقتل والتخريب المادي ونحو ذلك مما هو من متطلبات العمل الأمني الاستخباري ، ولابد من هذا النوع من العلم حتى يتمكن رجل المخابرات من القيام بعمله على هدى وبصيرة ، فلا يظلم ولا يجور ولا يتجاوز في عمله ، ولا يتعد حدود الشرع . ولا مانع أن يستعين رجل المخابرات المسلم بالخبراء الفنيين في كل صنعة ساعة الضرورة ، فقد جاء عن النبي ﷺ : « اسْتَعِينُوا عَلَى كُلِّ صَنْعَةٍ بِأَهْلِهَا » [(٢)] .

وأن يكون مستقيمًا على طريق الحق باجتناب ما هو محظور شرعًا ، أي متوفر فيه شرط العدالة ، وهي عبارة عن الاستقامة على طريق الحق والابتعاد عما هو محظور شرعًا [(٣)] فشرط العدالة ضروري وأساسي في اختيار منْ يعمل في مجال المخابرات . لذلك يجب توخي الحذر في اختيار أكثر الناس عدالة ، وفي حالة الاضطرار ، يجب

---

(١) أبو الحسن الندوي ، السيرة النبوية ، طبعة دار الشرق ، جدة الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ص ١٣٩ .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك .
وذكره المناوي عبد الرؤوف بن علي ت ١٠٣١ هـ في كتاب كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق طبعة القاهرة - المطبعة الخيرية ١٩٠٥ م . ص ٢٩ .

(٣) علي بن محمد بن علي الجرجاني ت ٨١٦ هـ كتاب التعريفات ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، طبعة دار الريان - القاهرة بدون تاريخ ص ١٩١ .

على كل ولي أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل ، وإذا تعذر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل وإن كان فيه كذب وظلم ، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وبأقوام لا خلاق لهم (١) .

فاشتراط صفة العدالة يحمى المخابرات الإسلامية من الاختراق ، أو وجود العملاء فالاختراق والعمالة عادة ما تكون من الفاسق ، والذي لا أخلاق له ، وقد فطن لذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أوصى سيدنا سعدًا رضي الله عنه ، وقال له : والفاسق عين عليك لا لك (٢) .

وأن يقوم بالعمل على الوجه الأكمل والأفضل ، فلابد أن يكون رجل المخابرات كامل الجسم قوي الشخصية ، خاليًا من العجز الحسي أو المعنوي ، وبجانب القدرة يجب أن تتوفر في رجل المخابرات الطاعة والتقيد بالأوامر فهما أساس نجاح عمل المخابرات ، وكذلك الدهاء والذكاء والخديعة لكي يتوصل بدهائه إلى كل موصل ، ويدخل بحيلته في كل مدخل ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه فإنه متى كان قاصرًا في هذا الباب أوشك أن يقع ظفر العدو به ، أو يعود صفر اليدين من طلبيته (٣) .

وأن يكون ذا خبرة ومهارة ، وأن يعلم لغات العدو مخاطبة وكتابة ، وقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود وقال : إِنّي لاَ آمَنُ أَنْ يُبَدِّلُوا كِتَابِي ، فتعلم زيد بن ثابت ذلك في خمسة عشر يومًا (٤) .

كما ينبغي مراعاة الحدس الصائب وأن يكون رجل المخابرات على قدر كبير من

---

(١) أبو العباس أحمد بن تيمية ت ٧٢٨ هـ ، الحسبة في الإسلام الطبعة الثانية ، طبعة المكتبة السلفية القاهرة ١٤٠٠ هـ ص ٧ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢ / ٣٨ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٣ .

(٤) ابن حبان ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، ص ٢٣٩ .

قوة الملاحظة والتدقيق في الأمور ، والحكم عليها ، والربط بين الأحداث ، ومعرفة الأشياء وتحليلها لأن جمع المعلومات وتثبيتها وتصنيفها وإيصالها للجهات المسئولة في الوقت المناسب من أهم العمليات اللازمة لضمان نجاح أي خطة عمل مهما كانت أهدافها وأدواتها أو ميادينها .

كما يجب أن يتحلى رجل المخابرات بحفظ السرّ والكتمان فهما من أساسيات العمل الاستخباري ، إذ يترتب على إفشاء المعلومات السرّيّة مخاطر جمة على الدولة المسلمة والمجتمع ، فقد ضرب صحابة رسول الله ﷺ المثل الأعلى في كتمان السرّ ومن أبرز رجال المخابرات النبويّة - كان يلقب بكاتم سرّ رسول الله ﷺ هو سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

كما يجب أن يتحلّى بالشجاعة ، فالعمل في مجال المخابرات تكتنفه الخطورة والمخاطر كالمخاطرة بالمال ثم المخاطرة بالنفس في سبيل الله ، لذا يجب أن يتصف رجل المخابرات بالشجاعة كي يؤدي عمله على الوجه الأكمل وبالصورة المثلى ، وأن يكون من ذوي الملاحظة الدقيقة حتى لا تفوته تفاصيل الأشياء ، وأن يكون حدسه صائبًا ليصل إلى استنتاجات تعينه على عمله وتنقذه من الخطر ، كما يجب أن يكون قوي الذاكرة لتعينه على حفظ المعلومات بدقة شديدة ، وتمكنه من ربط ملاحظاته ومعلوماته بعضها البعض ليخرج بنتائج محددة ، وكل ذلك يقوم على دقة الملاحظة وينبغي مراعاة صفة المقدرة على التنكر والتخفي ، فهي صفة ضرورية لرجل المخابرات فهذه الصفة تؤمن رجل المخابرات أثناء تأدية واجباته ، وتنفيذ مهامه المسندة إليه ، وتمنعه من أن يكشف أمره ، والتنكر لكل مهمة جديدة يجعل من الصعوبة بمكان على أجهزة المخابرات المعادية كشف عدوها بسهولة (١) .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) إبراهيم علي محمد ، المدخل إلى علم الاستخبارات ، طبعة الخرطوم ٢٠٠٠ م ص ٦٤ - ٦٥ .

الفصل الخامس

نشاط المخابرات الإسلامية

ينقسم نشاط المخابرات إلى نوعين :

النوع الأول : وهو النشاط الإيجابي للمخابرات وهو الذي يهدف إلى الحصول على المعلومات عن العدو وتعرف بالمخابرات الإيجابية .

والنوع الثاني : وهو النشاط الوقائي أو ما يعرف بالمخابرات الوقائية أو المخابرات المضادة ، وهو الذي يهدف إلى مواجهة أعمال المخابرات المعادية وإلى حرمان العدو من الحصول على المعلومات والأسرار ، ومقاومة الجاسوسية والعمل ضدها والقبض على عملائها .

لذلك نلاحظ ارتباط المخابرات بالأمن ، فالسعي على المعلومات عن العدو يرتبط ارتباطًا وثيقًا بإجراءات الوقاية من نشاط المخابرات المعادية ، ويعتمد نجاح كل من المهمتين بدرجة كبيرة على الأخرى . فكيف نتصور أننا نسعى للحصول على معلومات عن العدو لكي نتمكن من مفاجأته بينما نترك الفرصة لمخابرات العدو تحصل على ما تريد من معلومات عن المسلمين وعن نواياهم ؟ ، وبناءً عليه جاء نشاط المخابرات نشاطا إيجابيًا ، ونشاطًا وقائيًا (١) .

وتنقسم المخابرات الإيجابية بالنسبة إلى المستوى والمجال والتأثير إلى نوعين : مخابرات استراتيجية ومخابرات تكتيكية .

المخابرات الاستراتيجية : وتتعلق بالمعلومات المتعلقة بالمسائل الكبرى مثل المعلومات عن نوايا العدو وإمكانياته العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمعنوية ، ومواطن الضعف والقوى لدى هذا العدو (٢) . فالحصول على هذه

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ١٤٩ .

(٢) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٦٦ .

المعلومات تساعد أصحاب القرار ومنْ يخططون لوضع سياسة الأمن اللازمة للدولة في وقت السلم ، وكذلك تساعد أصحاب القرار في وقت الحرب فتكون أساس التخطيط للعمليات العسكرية (١).

فقد كانت المخابرات الإسلامية في عهد النبي ﷺ استراتيجية بالدرجة الأولى ، فكانت له عيون وأرصاد خارج المدينة تمده بالمعلومات المتعلقة بقريش ونواياها وإمكانياتها ومواطن الضعف عندها ومواطن القوة ، ففي مكة - مركز قريش الرئيسي - وهي تبعد عن المدينة بحوالي أربعمائة كيلو متر ، كان عمه العباس ، وبشير بن سفيان العتكي بمثابة عيون راصدة له تمده بالمعلومات أولاً بأول ، وله أيضا عيون في القبائل العربية الأخرى في أنحاء شبه الجزيرة العربية كعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي في قبيلة هوازن ، وله في بلاد فارس ، وفي بلاد الروم (٢) .

ومن بين نشاط المخابرات الإسلامية الاستراتيجية ما قام به العباس بن عبد المطلب - وهو عين لرسول الله ﷺ في قريش - حيث أرسل رسالة للنبي ﷺ قبل غزوة أحد يخبره فيها عن وقت خروج قريش لقتاله ، وعن عدد قوات قريش ، فأسرع حامل رسالة العباس رضي الله عنه بإيصال تلك الرسالة إلى النبي ﷺ ، حتى أنه قطع المسافة بين مكة والمدينة في ثلاثة أيام ، فلما قرأ أبيّ بن كعب على النبي ﷺ ، طلب ألا يبوح بمضمونها لأحد (٣) .

ومما يدل على يقظة المخابرات الإسلامية الاستراتيجية ، عندما عبَّأ المشركون عشرة آلاف مقاتل لمهاجمة المدينة المنورة ، رصدت عيون النبي ﷺ هذا التحرّك

---

(١) حسين بكار ، سياسة نامة سير الملوك ، طبعة دار القدس - بيروت بدون تاريخ ص ١٠٠ .

(٢) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٣) محمد بن عمر الواقدي ، كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس ، طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٩٦٦ ج ١ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

الهائل منذ البداية ، وأصبح النبي ﷺ على علم بنوايا قريش من خلال مخابراته في مكة والمدينة والقبائل العربية ، وحفر المسلمون خندقًا حول المدينة المنورة ، كان بمثابة مفاجأة للعدو لمّا رأوه حتى قالوا : « وَاللهِ إنَّ هذه لمكيدةٌ مَا كَانَتِ العَرَبُ تكيدُهَا » (١) .

إن هذه اليقظة التي تحلى بها عيون المخابرات الإسلامية لا تدل على نجاح المخابرات الاستراتيجية فحسب ، بل تدل على عجز مخابرات وعيون الأعداء على المستويين الاستراتيجي والتكتيكي معًا ، وذلك على الرغم من أن حفر الخندق استغرق حوالي عشرين يومًا كانت كافية جدًّا لرجال مخابرات العدو لكشفه والإعلام عنه .

كما يدل هذا العمل العظيم على نجاح المخابرات الإسلامية الوقائية في كتمان سر خطة المسلمين الحربية ، وحرمان العدو من الحصول على معلومات عنها (٢) .

ومن خير الأمثلة على نشاط المخابرات الإسلامية الاستراتيجية ، أنه بعد فتح مكة قررت بعض القبائل العربية أن تغزو المسلمين قبل أن يغزوهم ، وبلغ رسول الله ﷺ نبأ تجمع هوازن وثقيف لمهاجمته فأرسل ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ليأتيه بالمعلومات اللازمة عن أحوال القوم ومدى استعدادهم للقتال ، وليقف على حالة الجيش النفسية ويتعرف على صدى تجهز الرسول لغزوهم (٣) . وأمره ﷺ أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ، وبالفعل دخل عبد الله بن أبي حدرد فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمع الأعداء عليه للنبي ﷺ من حرب ، وقد سمع من مالك بن عوف قائد هوازن ، وعلم ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ

---

(١) صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ص ٣٧٥ .
وأحمد راتب عرموش ، قيادة الرسول السياسية والعسكرية ، طبعة دار النفائس بيروت ١٩٨٩ م ، ص ٧٤ .

(٢) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥٤ .

(٣) محمد السيد الوكيل ، تأملات في سيرة الرسول ﷺ ، الطبعة الثالثة طبعة جدة السعودية ١٩٩٥ م . ص ٢٧١ .

فاخبره الخبر ، وعرف النبي ﷺ مكان تجمع العدو ومدى قوتهم وعددهم ، وقرر ﷺ مهاجمة هذه القبائل ليحتفظ بالمبادأة بيد المسلمين (١) .

أما المخابرات التكتيكية : فإنها تتعلق بالمعلومات ذات الطابع المحلي المحدود ، أو ذات الطابع التخصصي في ناحية محدودة ، بمعنى جمع المعلومات على المستوى التكتيكي حول قوات العدو في منطقة محدودة ، أو حول المنطقة ذاتها ، وتحليل هذه المعلومات وهي محدودة بوضع آني معين ، وهي في زمن الحرب تسمى بمخابرات المعركة وتشمل كل المعلومات الخاصة بالعدو ، وتتعلق بكل مظهر عسكري للعدو أو للعدو المحتمل ، وبأي نوع من المعلومات التي لها أثر مباشر على سير المعركة ، أما في زمن السلم فتكون المعلومات التكتيكية لازمة باستمرار لرؤساء المنظمات السياسية والدبلوماسية وهي في زمن الحرب معلومات ضرورية لجميع القادة على مختلف درجات السلم العسكري (٢) .

ومن أمثلة المخابرات الإسلامية التكتيكية في عهد النبي ﷺ ، كان له ﷺ عيون وأرصاد محلية في المدينة المنورة يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة للمسلمين في السلم والحرب على حد سواء ، فقد اختار ﷺ حذيفة بن اليمان العبسي ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم داخل المدينة المنورة (٣) .

وفي غزوة بدر بعث النبي ﷺ مخابراته التكتيكية وهما اثنان من الصحابة للحصول على معلومات عن قافلة قريش ، وعند بئر بدر سمعا الصحابيان جارية تطالب جارية

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية طبعة دار الهداية – ج ٤ / ٦٨ .

(٢) الهيثم الأيوبي ورفقاؤه ، الموسوعة العسكرية ١ / ٦٣ .
ومحمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٦٦ .
وأحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٢٧ – ٢٨ .

(٣) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥٣ .

صاحبتها بدَيْن عليها ، والثانية تجيبها « عندما تأتي العير ، أي القافلة غدًا أو بعد غدٍ سأقوم بخدمتها ، ثم أقضيك الذي لك » فأسرع الرجلان المسلمان فأخبرا رسول الله ﷺ بما سمعا (١) .

ثم أرسل ﷺ دورية استخبارية ثانية إلى ماء بدر للحصول على معلومات عن العدو - قريش وقافلتها - وكانت هذه الدورية مؤلفة من علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه ، وقد استطاعت هذه الدورية الوصول إلى ماء بدر ، ثم عادت ومعها غلامين أسيران لقريش ، فاستنطقهما الرسول ﷺ ، وعلم منهما أن قريشًا وراء الكثيب بالعدوة القصوى ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش ، سألهما النبي ﷺ : كم ينحرون من الجزر - أي الإبل - كل يوم ؟ فقالا : يوما تسعة ويوما عشرة ، فاستبنط الرسول ﷺ من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف ، لأن العرب على عادتهم يخصصون بعيرًا لكل مائة ، وعرف ﷺ من الغلامين أن أشراف قريش جميعًا خرجوا للقتال (٢) .

لقد استطاع الرسول ﷺ عن طريق رجال المخابرات الإسلامية الحصول على معلومات عن قريش بمعرفة ذكية ماهرة ، وتوصل إليها من أصحابها بطريقة استنتاجية عن عدد الإبل التي تنحر للجيش وعنها توصل إلى عدد القوات في قريش ، ونلاحظ أنه ﷺ لم يكتف بمعلومات دورية استطلاعية واحدة ، بل حرص ﷺ على الاستزادة من المعلومات عن العدو فأرسل دورية ثانية لكي يحصل على أحدث المعلومات عن العدو .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٩٥ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٩٥ .

ومحمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، طبعة دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة - بغداد (د . ت) ص ٧٢ - ٧٣ .

ومحمد جمال الدين محفوظ ، غزوات الرسول ، طبعة دار الاعتصام - القاهرة (د . ت) ص ٧٠ .

هذا ما تم عرضه من ناحية المخابرات الإيجابية التي تهدف إلى الحصول على المعلومات عن العدو بنوعيها الاستراتيجية والتكتيكية .

أما المخابرات الوقائية : فهي تسعى جاهدة في مقاومة المخابرات المعادية ، وحرمان العدو من الحصول على الأسرار . وترتكز هذه المخابرات على ركيزتين هامتين :

الأولى : السرية والأمن .

والثانية : مقاومة الجاسوسية .

أ – فالركيزة الأولى تعنى مخابرات أمنية ، تُتخذ لحفظ أسرار الدولة وتأمين أفرادها ومنشآتها ومصالحها الحيوية في الداخل والخارج ، من أجل ذلك كان جوهر المخابرات الوقائية هو كتمان الأسرار وحمايتها ، ويعتبر الخط الأول للدفاع عن الأمة .

لقد عني المسلمون في صدر الإسلام بالأمن أشد العناية ، ووضعوا له المبادئ والأصول والأساليب ، وثبت أن من أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم الكثيرين أن أسرار النبي ﷺ وأسرار المسلمين كانت مصونة وبعيدة عن متناول الأعداء ، في الوقت الذي كان النبي ﷺ يطّلع على نيّات أعدائه العدوانية عن طريق عيونه وأرصاده من رجال المخابرات الإسلامية ، قبل وقت مبكر فيعمل من جانبه على إحباط ما يبيتونه للإسلام من غدر وخيانة ودسائس ، ولم يستطع المشركون وأعداء الإسلام أن يباغتوا قوات النبي ﷺ في الزمان والمكان وأسلوب القتال ، بينما استطاع ﷺ أن يباغت أعداءه في معظم غزواته وسراياه (١) .

وهذا النوع من المخابرات الإسلامية يعتمد على المبادئ التالية :

١ – أمانة الكلمة : فالكلمة أمانة عظمى لها مكانتها في الإسلام ، وتقدير أمرها والتدبر فيها قبل التلفظ بها مرتبط بالإيمان كما يُفهم من قول النبي ﷺ : « مَنْ كَانَ

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥٨ .

يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خيرًا أو لِيَصمُتْ » [١] .

لذلك من المبادئ المعروفة أن الأمة الَتي تكتم أسرارها هي الأمة التي يمكن أن تنتصر ، والأمة التي لا تكتم أسرارها هي الأمة التي لا يمكن أن تنتصر ، واللسان الذي هو نعمة من نعم الله على عباده هو وسيلة التكلم والتعبير ، وهو وسيلة الخير والسعادة ووسيلة الشر والشقاء في الدنيا والآخرة ، ذو حدين يمكن به النفع ويمكن به الضر .

٢ - المعرفة على قدر الحاجة : وهو مبدأ هام يقصد به ألا تمنح المعلومات السرية إلا لمن تحتم طبيعة واجبه المكلف به استخدام هذه المعلومات السرية ، وتحجب عمن سواه ، مهما كانت درجة حرصه على الدولة ، ومهما تعاظم مقدار الثقة فيه ، فكثيرًا ما يفضى الخلل إلى الأجهزة الأمنية بانتشار المعلومة بين العديد ممن يوصفون بأنهم مطلعين على بواطن الأمور ، وقد يكون سعي أمثال هؤلاء نابعًا من حرصهم على أمن الدولة وصحة مسيرتها ، أو لغير ذلك من الأسباب الأخيرة ، وهنا يكمن الخطر الشديد ، ولقد وجهنا النبي ﷺ لكي نتجنب عواقب ذلك إلى ترك ما لا يعنينا . كما بَيَّنَ ﷺ : أن في الصمت النجاة ، فقال ﷺ : « مَنْ صَمَتَ نَجَا » [٢]، وفي حديث آخر « مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَيعنيه » [٣] .

فحجب المعلومات السرية وقصر إفشائها على ذوي الاختصاص ، أدعى إلى حفظها وأولى بتحقيق الحذر المطلوب الذي أمر الله تعالى به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ٧١] ، لذلك فمبدأ المعرفة على قدر الحاجة هو بالدرجة الأولى لصالح الأمة ، والالتزام به حرص شديد عليها [٤].

---

(١) مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة بدون تاريخ كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها حديث رقم ٤٨ ج ٣ / ١٣٥٣ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه ، وقال حديث غريب ورواه في كتاب صفة القيامة رقم ٢٥٠٣ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه ، وابن ماجه في سننه ، حديث حسن .

(٤) علي نميري ، الأمن والمخابرات - طبعة الخرطوم ١٩٩٧ م ، ص ١٢٥ .

٣ - كتمان الأسرار : يعتبر كتمان الأسرار والمعلومات أمرًا ضَرُوريًا ومن صميم عمل المخابرات ، فكتمان المعلومات التي إذا نالها العدو أضرت بالصالح العام يستلزم منا اتخاذ اجراءات صارمة في نسخها ، والاعتماد على أهل الثقة فيما يستنسخ منها ، وإتلاف المسودات . عملاً بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء : ٧١] ، وكما قال النبي ﷺ : « المؤمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ » [(١)] وقال ﷺ « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُم بِالكِتْمَانِ » [(٢)] ، فمبدأ كتمان الأسرار أو السرية طبقه النبي ﷺ خير تطبيق في بداية دعوته ، وعند هجرته وفي غزواته ، فقد أولى النبي ﷺ أهمية كبيرة في أول أيام دعوته لمفهوم السرية ، إذ كان يجتمع بأصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وكيف خطط للهجرة وكيف نفذها ، وكيف طبقت قواعد السرية والأمن على أكمل وجه سواء في التخطيط أو التنفيذ ، فكان ذلك من أهم أسباب نجاحها [(٣)] .

لقد جعل الإسلام الوعي والفطنة اللذان يدفعان إلى كتم الأسرار أمانة من الأمانات يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها ، كما قال النبي ﷺ : « كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » [(٤)] وفي رواية أخرى : « كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » [(٥)] .

٤ - غرس الوعي الأمني : يظل المسلمون في حاجة مستديمة إلى غرس وعي

---

(١) الحديث رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد ذكره صاحب الجامع الصغير عن أنس رضي الله عنه .

(٢) الحديث ذكره الألباني في الصحيح الجامع وقال صحيح رقم ٩٤٣ .

(٣) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٦٤ - ١٦٥ .
وعلي نميري ، الأمن والمخابرات ص ١٢٥ .

(٤) الحديث صحيح رواه أبو داود في سننه ، والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) الحديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الأمن بالتربية والتوعية ، فقد كان الصحابة الكرام يعلمون أولادهم المحافظة على السر قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله : إني أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - يقدمك على الأشياخ - يعني كبار الصحابة - فاحفظ عني خمسًا : لا تفشين له سرًا ، ولا تغتابن عنده أحدًا ، ولا يجربن عليك كذبًا ، ولا تعصين له أمرًا ، ولا يطلعن منك على خيانة .

وقال أنس بن مالك : أتى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا ، فبعثني في حاجة ، فأبطأت على أمي ، فلما جئت ، قالت : ما حبسك ؟ أي أخرك - فقلت : بعثني رسول الله ﷺ لحاجة ، قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سرّ . قالت : لا تخبرن بسرّ رسول الله ﷺ أحدًا [١] .

٥ - **الصمت** : يُعد الصمت من أكبر الوقاية من إفشاء الأسرار ، والإسلام يرشد ويوجه إلى الصمت ، ويدعو المسلمين إليه ، فإن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ سَرَّه أَنْ يَسْلَمَ فَلْيَلْزَم الصَّمْتَ » [٢] وقال ﷺ « مَنْ صَمَتَ نَجا » [٣] وقال : « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِالله واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أَو لِيَصْمُتْ » [٤] .

فالإسلام نهى عن إطلاق اللسان فيما نعرف وفيما لا نعرف ، ونهانا عن التطفل ، وأمرنا بأن يرعى المسلم أخاه المسلم ، فلا يظلمه ولا يخذله ولا يكشف سره ، ولا يهتك ستره ولا يسخر منه ، ولا يتجسس عليه ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٦٠ .

(٢) علاء الدين الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال حديث رقم ٦٨٨٩ - مؤسسة الرسالة بيروت . (د . ت) .

(٣) الحديث صحيح رواه الترمذي عن ابن عمرو كتاب صفة القيامة رقم ٢٥٠٣ .

(٤) الحديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه ص ١٣٥٣ .

أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقال ﷺ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ » (١) .

ولقد أدى تمسك المسلمين بتعاليم الإسلام في مجال الأمن إلى أنه لم يرد في تاريخ صدر الإسلام حوادث خيانة أو تخابر مع العدو (٢) .

ب- أما الركيزة الثانية من ركائز المخابرات الوقائية فهي : مقاومة الجاسوسية :

اهتمت الدولة الإسلامية منذ نشأتها في المدينة المنورة بالمحافظة على أسرارها ، وعملت جاهدة على مقاومة محاولات العدو للحصول على الأسرار الخاصة بها وبمنشآتها ، كما اتخذت الإجراءات الوقائية الدائمة لتوعية أفراد المجتمع من خطر جواسيس الأعداء الذين قد ينفذون إلى صفوف المسلمين .

لذلك حرص المسلمون على أن تكون ركائز مقاومة الجاسوسية متمثلة في توعية المجتمع من خطر التجسس ، وحذر الإسلام من موالاة الأعداء من الكفار وأعوانهم ، ونبه إلى عدم معاونتهم والإخلاص لهم أو إفشاء الأسرار عندهم ، أو إعطائها للمنافقين ، كل ذلك يفيد في يقظة المجتمع وحذره .

١ - تكون توعية المجتمع من خطر التجسس **بالنهي عن مكاشفة الأعداء ونقل الأخبار لهم** : فالإسلام يحث المؤمن بأن يكون حذرًا فطنًا يقظًا لأسرار دولته فيكتمها لأنها أمانة ، والله عزّ وجلّ حذرنا من خيانة الأمانة فقال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

فإفشاء الأسرار إلى العدو أو إعطائها إلى من قد يوصلها إليه من المنافقين والجواسيس وغيرهم ، إنما تدل على معنى الإهمال ، وعدم تقدير الموقف ، وتدل

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه وقال : حديث حسن .

(٢) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٦٣ .

على النفاق ، وفيها خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين [١] .

فالمسلم مطالب بألاّ يخون المسلمين أو أولياء الأمور خاصة ما يتعلق بالشئون السياسية والحربية ، وقد نبه الله سبحانه إلى ذلك فقال عزَّ وجلَّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة : ١][٢] .

ففي هذه الآية نهى الله عزَّ وجلَّ أصحاب النبي ﷺ وكل مسلم عن موالاة المشركين المحاربين لله ولرسوله ، لأن في موالاتهم الفتنة بالدين وأهل الإسلام [٣] .

فلا تجوز موالاة الكفار ، وإظهار عورة المسلمين لهم أو الدلالة على ذلك ، وعلى المسلم أن يخلص لله ربّ العالمين ، ولا يحب غير المسلمين ، فالإيمان مكانه القلب ، ولا يجتمع فيه حب لله ولرسوله مع حب العدو والولاء له [٤] .

لقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن موالاة الكفار والإخلاص لهم في كثير من المواقع والمناسبات يقول الله تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ففي موالاة الكفار الذلة وضياع المصلحة العامة ، فلا يجوز كشف الأسرار لهم ، الأمر الذي يمكنهم من التسلط على البلاد الإسلامية وعلى رقاب المسلمين ، ومن هنا يبتعد المسلم ويحرص على ألاّ يكشف أسرار المسلمين للأعداء حتى ولو كان في ذلك تحقيق مصلحة شخصية ، كما لا تجوز موالاتهم مهما كانت المصلحة المترتبة على ذلك من مال أو تجارة أو حماية لولد ، فلا يجتمع الإيمان بالله

---

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٦٠ م . ، ج ٥ / ٤٧٠ .

(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ج ٩ / ٥١٣ .

(٣) محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢ هـ ، تفسير محاسن التأويل ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة الحلبي ١٩٥٧ م ، ١٦ / ٥٧٥٨ .

(٤) فخر الدين محمد الرازي ، التفسير الكبير ، المطبعة الخيرية - مصر ١٣٠٨ هـ ج ٨ / ١٣٥ .

وموالاة الكفار أعداء المسلمين ، فالمسلم يعرف دوره في بناء المجتمع المسلم يعمل لصالحه ، ولا يصاحب ولا يثق إلا بالمؤمنين ، فدوره في المجتمع دور هام وحاسم في تطبيق أو هدم الأمن ، وذلك لأنه باعتبار موقعه في المجتمع يعرف من الأسرار الهامة للدولة والكثير من المعلومات ، التي لو أدلى بها إلى العدو ، فقد يكون سببًا في إلحاق الضرر بالدولة ، وقد يعرّض كيانها للتهديد ، وربما لفقدان هيبتها بين الدول الأخرى (١) .

لاشك أن الخيانة في إعطاء المعلومات إلى العدو سبب من أسباب ثباته في وجه المسلمين في الحرب خاصة .

وتؤخذ العبرة من خيانة بعض المنافقين لرسول الله ﷺ أثناء محاصرة « ثقيف » في حصونها ، فإن ثبات ثقيف في حصونها كان نتيجة خيانة بعض المنافقين أمثال « عيينة ابن حصن » ، فقد أشار عيينة أن يأتي ثقيفًا في حصنهم ليدعوهم إلى الإسلام فأذن له رسول الله ﷺ في ذلك ، فأتاهم فدخل في حصنهم ، فقال لهم : تمسكوا في حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ، ولا تعطوا بأيديكم ولا تتأثروا ، ولما رجع إلى رسول الله ﷺ قال له : « ما قلت يا عيينة ؟ » قال : أمرتهم بالإسلام ، ودعوتهم إليه ، وحذرتهم النار ، ودللتهم على الجنة ، فقال الرسول ﷺ : كَذَبْتَ إِنَّمَا قُلْتَ لَهُمْ كَذَا وَكَذَا ... وقصَّ عليه ما قاله لهم ، فقال عيينة : صَدَقْتَ يا رسول الله ، أتوبُ إلى الله وإليك من ذلك » (٢) .

وقد ظهر في عهد الرسول ﷺ جواسيس للأعداء من المنافقين واليهود ، يلتمسون الخبر عن المسلمين وأسرارهم ، وينقلون إلى أعدائهم ، وكثيرًا ما كان الرسول ﷺ يعفو عنهم لمصلحة خاصة أو سبب معين ، مع علمه ما لخطورتهم

---

(١) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ١١٨ .

(٢) الحلبي علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية ، طبعة القاهرة ، ١٩٦٤ م ، ٣ / ٨١ .

على الإسلام والمسلمين [١].

فالتيقظ والاحتراز من العدو ضروري حتى لا يتمكن العدو من المسلمين ، قال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ وقد يكون الحذر بإعداد الآلات والجيش كما يكون بالحزم ومراقبة أعوان العدو ، واليقظة والانتباه ، وعدم إطلاع العدو أو أعوانه على أسرار المسلمين ومخططاتهم [٢] .

لقد نهي المسلم عن الثرثرة والتكلم بما لا يعرفه فيكون قد كذب أو اقترب من الكذب إذا تحدث بكل ما يسمع ، يقول الرسول ﷺ في ذلك : « كَفَا بِالمَرْءِ إِثْمًا أَن يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ » [٣] .

وإذا كان لا يجوز إفشاء الأسرار الشخصية لما يترتب عليها من المضرة فإنه لا يجوز إفشاء الأسرار التي تخص الأمة من باب أولى لعموم المضرة التي تشمل كافة مرافق الحياة ، وجميع أفراد المجتمع المسلم ، وقد قال رسول الله ﷺ فيما يرويه ابن عباس ، رضي الله عنه : « لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ » [٤] .

فكما كان النهي عن مكاشفة الأعداء ونقل الأخبار لهم درب من دروب توعية المجتمع من خطر التجسس ، وإجراء وقائي لتوعية المجتمع في مقاومة الجاسوسية كان أيضا **تماسك الجبهة الداخلية ومحاربة الإشاعات** درب من دروب توعية المجتمع من خطر التجسس على النحو التالي :

---

(١) محمود سيت خطاب ، الرسول القائد ص ٣١٥ .

(٢) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير محاسن التأويل ٥ / ١٣٩٢ .

(٣) مسلم القشيري ، صحيح مسلم بشرح النووي طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها بدون تاريخ ، في المقدمة الباب الثالث حديث رقم (٥) ج ١ / ١٠ .

(٤) محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة (د. ت) ٢ / ٧٨٤ .

من المعروف أن الجيش وحده لا يستطيع أن يحرز النصر إذا كانت الجبهة الداخلية في المجتمع مهزوزة معنويًا ، لذلك لابد من ارتباط وثيق بين الجيش والأمة ، فالروح الجهادية للمواطنين عامل من عوامل النصر وإن لم يشتركوا في القتال ، فقوة المجتمع وإرادة القتال إذا وجدت عند أبنائه تقوي الجيش وهو في أرض المعركة .

والمسلمون معنيون جميعًا بمجاهدة العدو ، بحيث يساهم كل مسلم في المعركة قدر طاقته وإمكاناته ، والمجتمع المسلم يقف أمام العدو وحدة واحدة قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

فالروح الجهادية التي يتصف بها الجندي المقاتل تدفعه للقتال والاستبسال في المعركة ، هذه الروح يجب أن يتصف بها غير المجاهدين من أفراد المجتمع ، بحيث تظهر عند الشباب بالحماس والإقبال على القتال ، وعند الكهول تتمثل بإعطائهم النصائح والتوجيهات بالصبر والثبات ، وعند النساء تظهر هذه الروح بصبرهن وثباتهن ، ورحم الله الخنساء حيث ضربت أروع الأمثلة في الصبر على استشهاد أبنائها الأربعة في سبيل الله في معركة القادسية ، حمدت الله على أنهم استشهدوا في سبيله ، وقالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته » [١] إن السرّ وراء صبر الخنساء واحتسابها هو العقيدة التي رسخت في قلبها ، وعرفت ما للجهاد من أجر وما للشهيد من ثواب ، فكانت معنوياتها عالية ، لا يهمها مَنْ قُتل في المعركة بقدر ما يهمها أن ينتصر الإسلام ويعلو .

وسيرة النبي ﷺ تذخر بالمواقف التي تدل على تماسك الجبهة الداخلية ، ففي غزوة بدر عندما استشار الرسول ﷺ أصحابه فكان مما قاله المقداد بن عمرو : « فوالذي

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥٤٤ .
وعمر رضا كحالة ، أعلام النساء ، المطبعة الهاشمية بدمشق (د . ت) ١ / ٣١٥ .

بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى « برك الغماد » [(١)] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

وقال سعد بن معاذ : (امضِ يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا ، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء » [(٢)] .

لقد ظهر على مدى السيرة النبوية تماسك الجبهة الداخلية للمسلمين ووقوفهم صفًا واحدًا في وجه العدو في كل غزوة من الغزوات ، فكان لا يتخلف عن الجهاد إلا أصحاب الأعذار والمنافقون ، فلقد عرف المسلمون ثواب هذا الغزو وثواب الاستشهاد في سبيل الله ، فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لغدْوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » [(٣)] .

إن أنباء القتال تؤثر على معنويات المجاهدين كما تؤثر على معنويات المواطنين ، فإن انتصر المسلمون في المعركة وعرف أفراد الجيش وكافة وحداتهم العسكرية ذلك الخبر وعرفه المجتمع فإنه يجبر قلوبهم ، وفي الوقت نفسه يؤثر على الكفار بصورة عكسية ، كما تؤثر أنباء الهزيمة على المعنويات بصورة عكسية أيضًا .

فقد حارب الرسول ﷺ الإشاعات التي تؤثر على الجيش ، واهتم أيضًا بالمعنويات وأنباء القتال فاهتم بتوصيلها إلى المواطنين بصورتها الحقيقية ، خوفًا أن يدس العدو أخبارًا غير صحيحة ، فقد اهتم ﷺ بالبشائر عندما انتصر في غزوة بدر الكبرى ، فقد بعث عبد الله بن رواحة مبشرًا إلى أهل العالية « وهم مَنْ كانوا من جهة « نجد » من

---

(١) برك الغماد : موضع في أقصى اليمن ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ١ / ٣٩٩ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية طبعة عيسى البابي الحلبي الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٥٥م . ج ٢ / ٦١٥ . وشهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب طبعة دار الكتب المصرية – ١٩٥٥ م ١٧ / ١٧ ، ١٨ .

(٣) مسلم القشيري صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٣ / ١٤٩٩ حديث رقم ١٨٨٠ .

المدينة - بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل « السافلة » وهم من كان من جهة « تهامة » [١] .

ففي تصرف الرسول ﷺ هذا ما يحارب كل شائعة قد تظهر في المجتمع ، وقد اهتم قادة الفتح الإسلامي بالمحافظة على المعنويات ومنع الشائعات ، فعندما أصيب النعمان بن مقرن في وقعة نهاوند تناول الراية « نعيم بن مقرن » ورفعها قبل أن تقع على الأرض ثم كتم القائد « نعيم » والمسلمون مصابهم بأميرهم حتى لا يهن الناس ويتأثرون بهذا الخبر ، والذي قد يترتب عليه حدوث شائعات يطلقها العدو ، بهدف تثبيط المعنويات [٢] .

فالعقيدة الإسلامية الصادقة ترفع من معنويات الأفراد والجماعات وتدعوا المسلم لمحاربة كل شائعة قد تظهر لإضعاف الروح المعنوية ، ولذلك فالمسلم لا يستمع إلى ما يطلقه العدو من شائعات بل يرفض ذلك ، ولا يضعف ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

فعندما أرادت قريش أن تشيع في المسلمين شائعة قوتهم بعد « أحد » بقيادة أبي سفيان ، حيث خرج الرسول ﷺ في طلبهم إلى « حمراء الأسد » وتهدف قريش من ذلك أن تثبط الروح المعنوية للمسلمين ، فإنها لم تثنهم عن سيرهم حسب ما أمرهم به الرسول ﷺ [٣] .

واستطاع الرسول ﷺ أن يرد على هذه الحرب النفسية بحرب نفسية ضد قريش فبعث

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ / ٢٩٦ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٣٢ .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر طبعة دار المعارف - مصر الطبعة الثانية ١٩٧١ . ج ٧ / ٤٠٥ .

« معبد الخزاعي » وكان مشركًا وقال لأبي سفيان : إن الرسول ﷺ قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقًا ، قد اجتمع معه مَنْ كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا من الحنق عليكم ، شيء لم أر مثله قط (١) .

والقرآن الكريم نبّه المؤمنين إلى ضرورة عدم سماع ما يقوله الأعداء أو أعوانهم ، وبذلك يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٠٠ - ١٠١] .

فالكافرون يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله ، ولذلك يسعون بين المؤمنين بالوقيعة والفساد ، وإن المسلمين إذا قبلوا ما يأمرهم به الأعداء من أهل الكتاب وغيرهم وسمعوا إلى ما يلقونه أو يشيعونه فلابد أن يضلوهم عن الحق لأنهم يحملون لهم الغلّ والغش والحسد (٢) .

وقد نبه الله إلى خطورة ما يشيعه المنافقون وأعداء الدين بين المسلمين من شائعات يهدف بها إضعافهم ، وبين أنهم يستحقون الطرد من المجتمع لأنهم يريدون إضرار المسلمين ، وللحاكم التصرف بما تقتضيه مصلحة الأمة ودرء المفسدة عنها ، قال تعالى : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠] .

والمنافقون يشيعون أخبار السوء ، ويفترونها ، وينشرونها كمجيء عدو ، وانهزام سرية وترويج الشائعات التي تخدم العدو وتكسر قلوب المؤمنين (٣) .

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ٧ / ٤٠٧ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ٧ / ٦٠ .
ومحمد جمال الدين القاسمي ، تفسير محاسن التأويل ٤ / ٩١١ .

(٣) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير محاسن التأويل ١٣ / ٤٩١٠ - ٤٩١١ .

ففي غزوة أحد نادى « ابن قميئة » في الناس قائلا : ألا إن محمدًا قد قُتل ، فإن هذه الشائعة أثرت في نفوس المسلمين ويئس كثير منهم ، ومنهم من ألقى سلاحه كعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ومجموعة من المهاجرين والأنصار وفاتهم هدف العدو من ترويج هذه الشائعة ، فمرّ عليهم أنس بن النضر فقالوا له : قُتل رسول الله ﷺ ، قال : ما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل . ثم وقف كعب بن مالك مناديًا : « يا معشر المسلمين : أبشروا هذا رسول الله ﷺ ، ولما عرف المسلمون أن رسول الله ﷺ على قيد الحياة نهضوا ، وقاتلوا ، فأثرت هذه الشائعة في نفوس المسلمين ومعنوياتهم فلم يحتملوا النبأ ، وضاقوا بالأمر فرد خبر وجود النبيّ ﷺ الثقة إلى نفوسهم وقوى معنوياتهم [(١)] .

وقد نبه الله سبحانه وتعالى المسلمين إلى ضرورة رد كل خبر إلى الرسول وإلى أولي الأمر ، وأن لا يفشوه حتى لا يترتب عليه مفسدة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٨٣] .

هكذا لا يترك الإسلام أمر الكلمة لغير المختص المسئول ، ولذلك لام الإسلام المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام ، كما لام ضعفاء المسلمين لأنهم كانوا يفشون أمر رسول الله ﷺ ويذيعونه ويتحدثون به قبل أن يقفوا على حقيقته سواء كان هذا الأمر يتصل بحالة الحرب أم بحالة السلام والأمن ، فتوجيهات الإسلام تسد منافذ الحرب النفسية ، ولا تعطي غير أهل العلم من القادة والرؤساء حق الحديث عن كل ما يتصل بأسرار الجيش والأمة ، لأن هؤلاء أدرى بما يصلح أن يقال وما لا يقال ، « فليس

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٨٣ ، والنويري ، نهاية الأرب ١٧ / ٢٥ .

كل ما يعلم يُقال ، ولا كل ما يقال حضر أهله ، ولا كل ما حضر أهله حان وقته » كما يقول الإمام علي رضي الله عنه[١] .

حذر الرسول ﷺ الذين يحدثون بما يسمعون وسمّى ذلك كذبًا لعظم المفسدة المترتبة على ذلك خاصة لهج العامة بكل ما يسمعون من أخبار ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كَفَى بِالمرْءِ كَذِبًا أن يُحدِّث بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ » [٢].

بَيَّنَ رسول الله ﷺ أنه لا يجوز مكاشفة الأعداء ، كما بَيَّنَ ضرورة التكتم على العدوّ ، وإن في إفشاء الحديث خيانة للسر ، خاصة إذا كان هذا الأمر يضر بالمسلمين .

وبهذا تكون الجبهة الداخلية للمسلمين متماسكة قوية تدعم المجاهدين بالشباب القوي بمعنوياته ، والأمهات الصابرات اللآتي لا يجزعن على ما أصاب أبناءهن من جروح أو استشهاد ، لأن المسلمين يعرفون أن مَنْ مات مات شهيدًا ، ومن عاش عاش عزيزًا ، وأن الحياة الأخرى خير وأبقى ، ولذا عرف الصحابة هذا ، فكانوا يتبايعون على القتال في سبيل الله ، ولا يبالي الواحد منهم في الاستشهاد .

وإن الوسيلة الناجحة لمحاربة الإشاعات هي إطلاع الناس بصورة مستمرة على المعلومات الدقيقة والصحيحة دون مبالغة أو تهويل ، ليكون أفراد المجتمع المسلم على اطلاع دائم بما يجري حولهم من أعمال ، فلا يؤثر في نفوسهم ما يقوله ويروجه المرجفون والجواسيس أو ما يصدر عنهم من إشاعات مغرضة ، أو أنباء كاذبة ، حيث إنهم وثقوا بقيادتهم الصادقة ، واطلعوا على الحقيقة بأنفسهم .

٢ - **حماية الثغور من التجسس** : تعد حماية الثغور من بين ركائز مقاومة الجاسوسية بفضل رجال المخابرات الوقائية من أجل حرمان العدو من الحصول على الأسرار .

لما فتح المسلمون البلاد أسسوا فيها المدن المحصنة وبنوا فيها المساجد إلا أن

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٣٢ .

(٢) مسلم القشيري ، صحيح مسلم كتاب الأدب حديث رقم ٩٤٩٢ ج ١ / ١٠ .

الجيش كان يقيم في هذه المدن المفتوحة ، وقد غيّر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الأمر ، فأوصى بألا يقيموا داخل هذه المدن بل يبقوا في ضواحيها وذلك لتظل طباعهم نقية صافية ، ولما توسعت الفتوحات الإسلامية اقتضت الضرورة أن تؤسس المدن القوية المحصنة لإقامة الجند مع مراعاة أن تكون هذه المدن مراكز حربية على الحدود مع الدول المعادية ومن هذه المدن البصرة والكوفة (١).

وكان يطلق على هذه المراكز الحربية اسم الثغور ، ومنها ما كان في مجاورة الدولة الفارسية ، ومنها ما كان في مواجهة دول الروم .

كما كان الهدف من هذه المدن - الثغور - إخماد أي حركة أو محاولة تقوم بها طلائع العدو ولتكون نقطة البداية لمراقبة العدو وجواسيسه ، وحماية البلاد الإسلامية مما يلي العدو ، وأرسلت الجنود بعائلتهم للإقامة بالثغور التي تبنى متاخمة للعدو ، ورتبت لهؤلاء الجنود المرابطين في هذه الثغور غزوات دائمة على الحدود مع العدو ، وثم تشكيل دوريات من هؤلاء الجنود لتأمين هذه الحدود المتاخمة للعدو ، وجمع المعلومات عنه (٢) .

لقد أصبح لهؤلاء المرابطين في هذه الثغور فضل كبير ، فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « حَرَسُ ليلةٍ في سبيل اللهِ أفضلُ من ألفِ ليلةٍ يُقام لَيلُها ويُصَامُ نَهَارُها » (٣) .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمِعْتُ رسولُ الله ﷺ يقول : رِبَاطُ يومٍ

---

(١) عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ، طبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٦١ ، ص ١٩٨ .
وعباس محمود العقاد ، عبقرية عمر ، طبعة دار نهضة مصر - القاهرة بدون تاريخ ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ص ٢٠١ .

(٣) أحمد عبد الرحمن البنا ، الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، طبعة القاهرة ١٣٧٠ هـ ، ١٤ / ٨ .
وابن ماجه ، سنن ابن ماجه ٢ / ٩٢٤ حديث رقم ٢٧٦٦ .

في سبيل الله خيرٌ من ألفِ يومٍ فِيما سِوَاهُ من المَنَازِلِ » (١) .

لقد حث الرسول ﷺ على الرباط في سبيل الله وبين أن له الفضل العظيم والأجر الكبير ، فعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « كلُّ ميتٍ يختمُ على عملِه إلا المرابطَ في سبيل اللهِ ، فإنَّه يَجري عليه أجرُ عَمَلِه حتى يبعثَه اللهُ » (٢) .

ومن هنا نلاحظ أن المسلمين كانوا يهتمون بالجهاد في سبيل الله ويقبلون على الثغور بنفس طائعة وراضية لرضا الله عزَّ وجلَّ ، كما أن المسلمين اهتموا بحماية حدود الدولة الإسلامية من اعتداءات العدو العسكرية وطلائعه الاستكشافية ، ثم رد الاعتداء وإلقاء القبض على الجواسيس فلا يدخل فرد من أفراد العدو إلا ويعرفه المرابطون وإذا شكوا في أمره ألقوا القبض عليه .

وقد جرت العادة على شحن الثغور بالجيوش ووضع أمراء للثغور بمختلف المناطق ، وتكون هذه الجيوش تكفي لمواجهة مَنْ يليهم من الكفار ، ويكون هؤلاء الأمراء من ذوي الخبرة ، وعادة يأخذون وصايا الأمير بالحذر والحيطة ، وحفر الخنادق وإعداد العدة وتجهيز الآلات ، ومن بين هؤلاء الأمراء الذين حموا الثغور ، خالد بن الوليد ، وضرار بن الأزور ، وضرار بن الخطاب ، والقعقاع بن عمرو والمثنى بن حارثة وعتبة بن النهاس (٣) .

---

(١) الشوكاني محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥ هـ ، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، طبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة بدون تاريخ ٧ / ٢٣٨ .
وابن ماجه ، سنن ابن ماجه ٢ / ٩٢٥ .

(٢) نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، طبعة ونشر مكتبة القدسي – القاهرة ١٣٥٣ هـ ، ٥ / ٢٨٩ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٩٢ .
وابن قدامة عبد الله بن أحمد بن قدامة ، المغني ، تحقيق محمود عبد الوهاب وغيره ، طبعة مكتبة القاهرة – مصر ١٩٦٩ م ، ٩ / ٢٠٢ .
ومحمود عباس العقاد ، عبقرية عمر ص ٩٩ – ١٠٠ .

هذه الجيوش المرابطة في الثغور يخرج منها الطلائع حذرًا من العدو ، ولإلقاء القبض على جواسيسه ، ومن أجل ألا يُمكّن الحربيون من دخول دار الإسلام من غير حاجة لأنه لا يُؤْمَن كيدهم ودخولهم للتجسس أو المكيدة بالمسلمين ، وفي الأوقات الحرجة يفتش هؤلاء لمعرفة ما إذا كانوا جواسيس أم لا ، وقد تضع الدولة نقاط رصد لتحركات الأعداء لتفتيش الداخلين والخارجين من الدولة وإليها ، ثم التحقيق معهم ولذلك يقول أبو يوسف صاحب كتاب « الخراج » : وينبغي للإمام أن تكون له مسالح على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك من الطرق فيفتشون مَنْ مرّ بهم ، فما كان من خير من أخبار المسلمين قد كتب به أخذ الذي أصيب مع الكتاب وبعث به إلى الإمام »(١) .

فالدولة الإسلامية معنية بأن تحافظ على سلامة شعبها ، ووضع الأجهزة الخاصة للحيلولة دون تحقيق العدو لأهدافه ، في تحطيم تماسك الجبهة الداخلية ، وتقويض روابط الوحدة بين أفرادها وجماعاتها ، ولذلك فإن الدولة تعنى بمختلف المؤسسات والوزارات التي تجعلها قادرة على حماية أمنها والحفاظ على شعبها ، حيث تقوم كل وزارة ومؤسسة بدورها في الحفاظ على الأمن وحماية الدولة (٢) .

فكما اهتمت الدولة الإسلامية بالحذر والحيطة وشحن الثغور بالجيش ، اهتمت أيضا بالجندي وإعداده بما يتناسب والمعركة من تدريب على السلاح وتوجيه معنوي ، وتنمية للقدرات العسكرية بكل ما تحتاجه المعركة ، وبما يتناسب مع حجمها وقوتها .

وقد أعطت البيئة الإسلامية الجيش الإسلامي والمرابطين على الثغور صفات وعادات متميزة ، فكان الجندي سليمًا نظيفًا في فكره ، متواضعًا وصادقا في طلبه

(١) أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٣٩٢ هـ . ص ٢٠٦ .
(٢) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ١١٨ - ١١٩ .

للشهادة وقويًا في بنيته العسكرية [(١)] .

فالأجر العظيم هو الذي ينتظر المؤمن الذي يبذل روحه في سبيل الله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تَكَفَّلَ اللهُ لِمَن جَاهَدَ في سَبِيله لاَ يُخرجه إلاَّ جهادٌ في سبيلِهِ وتصديقُ كلمتِهِ بأن يُدخِله الجنَّةَ ، أَو يُرجِعَهُ إلى مَسْكَنِهِ الَّذي خَرَجَ مِنه مَعَ مَا نَالَ مِنْ أجرٍ أو غَنيمةٍ » [(٢)] .

من هنا نستنتج أن الإمام معنيّ بشحن الثغور بالجنود والعيون لمواجهة العدو ، وأن يختار ذوي الكفاءة القتالية العالية بما يفيد المسلمين ويقوي شوكتهم ، فانتشار الجند والعيون على الحدود يمكن المسلمين من القبض على جواسيس العدو ويحمى الدولة من خطر الجاسوسية .

٣ - **سرية التخطيط والحركة للجيوش** : تُعد هذه السرية من بين ركائز مقاومة الجاسوسية وتتمثل هذه السرية في الحذر من المخذلين والمرجفين ، وحفظ أسرار الدولة وحماية منشآتها الحيوية في الداخل والخارج وتأمينها ضد أي محاولات للعدو تلحق الضرر والتخريب أو أخذ الأسرار عن طريق الجواسيس ، لذلك فإن على عاتق أجهزة التجسس والمخابرات الوقائية واجبات جسام في مقاومة جواسيس العدو باستخدام كافة الوسائل والإجراءات التي يتم بها حماية أسرار الدولة ، وذلك لا يتم إلا عن طريق تطهير الجيش من المخذلين والتكتم في الخطط والتحركات ، ولا يمكن أن يتم تطهير الجيش إلا إذا تم معرفة المخذلين ، ولا تتم معرفتهم إلا بواسطة أجهزة المخابرات الوقائية - أجهزة التجسس الخاصة - التي تعمل على كشف هؤلاء ومعرفة

---

(١) محمد فرج ، المدرسة العسكرية الإسلامية ، طبعة دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٦٩ ص ٢٠٨ - ٢١٢ .

(٢) مسلم القشيري ، صحيح مسلم باب فضل الجهاد ٣ / ١٧٩٦ .

أمرهم ومدى صدق نيتهم [١] .

فالمخذلين إذا خرجوا في الجيش فإنهم يتمكنون من نفث سموم التردد والهزيمة في صفوفه ، لأن مثل هؤلاء وهم ضعاف في إيمانهم وعقيدتهم ليست لهم عزيمة أو نفسية يتحملون بها الشدائد [٢] .

وقد وصفهم الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز بقوله : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة : ٤٧] .

ومن أمثلة تخذيل المنافقين ، أن الرسول ﷺ عندما خرج لغزوة تبوك وجه المنافقون رأيهم موهمين أن هذه نصائحهم إلى الناس أن لا ينفروا في الحر اللاهب وأن الطريق بعيدة ، وأشاعوا مثل هذه المعلومات بين صفوف المسلمين وبهذا يقول الله عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨١] .

وهذه الصنف من الناس عرّاه الإسلام وكشف عنه ، وبين أنه سبب الضعف والانتكاس ، وهو المعروف بإطلاق الشائعات ، ومن هنا يتحتم على الدولة أن تعرف هؤلاء وتضع عليهم الجواسيس وترصد ما يطلقونه من إشاعات سواء كانت مكتوبة أو غير مكتوبة [٣] .

لقد كان قادة الفتح الإسلامي يحذرون من أن يطلع العدو على أسرارهم ويحذرون

---

(١) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ١٠٦ .
ومحمد فرج ، المدرسة العسكرية الإسلامية ص ١٨٥ .

(٢) محمد فرج ، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ طبعة دار الفكر العربي الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٧٧ م . ص ٦٥٠ .

(٣) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ص ٢١٥ .

جواسيس العدو ، فكان أبو عبيدة بن الجراح في حروبه يحذر من تسرب الأخبار إلى العدو ، وقد قال لخالد بن الوليد ذات ليلة : « يا أبا سليمان إن جواسيس عدو الله تكشف أخبارنا وتوصلها إليه ، فإني أقسم عليك ألا جلت في عسكرنا جولة واختبرت أمر الناس فلعلك تقع بأحد من جواسيسه ، فجال خالد وأمر الناس بالحذر والحيطة فاكتشفوا رجلاً من بين صفوف المسلمين فأنكر أنه من جواسيس الأعداء ، ولكنه ظهر أنه مُرْتبك ، وعندما رآه أبو عبيدة على هذا الحال أمره باختباره بالقرآن الكريم وفحصه بالصلاة ومدى معرفته لها ، فلم يحسن ما يحسنه المسلمون ، فاستخبره عن شأنه فأقر أنه عين للعدو [١] .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ في سراياهم التي يبعثهم بها الرسول ﷺ يكمنون النهار ويسيرون الليل إمعانا في التعمية على العدو والحذر منه ، فقد أرسل النبي ﷺ سعدًا بن أبي وقاص بسرية لاعتراض عير قريش فخرجوا وهم يمشون على أقدامهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى وصلوا إلى مكان « الخرار »[٢] وذلك على رأس تسعة أشهر من الهجرة في عشرين رجلًا من المهاجرين[٣] . هكذا كان أصحاب رسول الله ، ﷺ في مسيرهم يكمنون النهار ويسيرون الليل وذلك بتوجيه من الرسول ﷺ حيث يقول في رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه : عليكم بالدلجة [٤] فإن الأرض تطوى بالليل [٥] .

---

(١) محمد بن عمر الواقدي ، فتوح الشام ٢ / ١٧ .

(٢) الخرّار : موضع بالحجاز قرب الجحفة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٣٥٠.

(٣) الحلبي على بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية – طبعة القاهرة ١٩٦٤ ح ٣ / ١٣٨ .

(٤) الدلجة : أدلج القوم ، إذا ساروا ليلاً ، والإدلاج سير الليل كله .
ابن منظور ، لسان العرب « دلج » .

(٥) سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود بشرح عون المعبود ، وشرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، نشر المكتبة السلفية – المدينة المنورة الطبعة الثانية ١٩٦٨ م ٧ / ٢٣٩ .

فمن أهم ركائز مقاومة جواسيس الأعداء اتخاذ الإجراءات السليمة في الحرص من أن تتسرب الأخبار إليه ، وإن من أهم وسائل مقاومة جواسيس الأعداء الكشف عمن يقومون بأعمال التجسس وتعقبهم ، ومتابعة نشاطهم وذلك بالوسائل السرية في حماية الأسرار لإحباط محاولات العدو من الحصول على معلومات عن المسلمين عن طريق جواسيسه وأعوانه في الداخل .

فقد حرص ﷺ ألا تتسرب الأخبار إلى العدو وعمل على مقاومة جواسيس قريش في مكة والمدينة ، فبث عيونه ودورياته لتجوب الدروب حول المدينة لتحول دون تسرب المعلومات إلى قريش ، كما بثَّ عيونه في الداخل ليقضي على كل خبر يمكن أن يصل أو يتسرب إلى قريش عن طريق عيونها داخل صفوف المسلمين وذلك في فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، وذلك ليتمكن ﷺ من السيطرة على الموقف وليستفيد من عنصر المبادرة أيضا [١] .

لقد عرف الرسول ﷺ أهمية حفظ السّر والتكتم على العدو في حروبه وكان ﷺ يُعمي على العدو تحركاته ، ولا يظهر للناس الجهة التي يريدها أو القبيلة التي يريد قتالها إلا في تبوك وذلك لبعد الشُقّة التي تحتاج إلى الاستعداد الكامل وأخذ المئونة ، ويروي البخاري في ذلك قائلاً : « لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها » [٢] .

كما استخدم الرسول ﷺ الحراسات لتحول دون تسرب الأخبار إلى العدو ورصد تحركاته ، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال : ليت رجلاً من أصحابي صالحًا يحرسني الليلة إذ سمعنا صوت سلاح

---

(١) الحلبي علي بن برهان الدين ، السيرة الحلبية ٣ / ٩ .
ومحمود شيت خطاب ، الرسول القائد ص ٢٣٤ .

(٢) بدر الدين محمود بن أحمد العيني ت ٨٥٥ هـ ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، طبعة بيروت (د . ت) ح ١٤ / ٢١٧ .

فقال : من هذا ؟ فقال : أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ، فنام النبي ﷺ (١) .

وفي خيبر ألقى الحرس القبض على يهودي في جوف الليل فجاء به عمر إلى النبي ﷺ وسأله الرسول ﷺ عن يهود ، فأخبر عن قوتهم وأسلحتهم وأنواعها ، وحصونهم ومداخلها وطريقة دفاعهم واستفادوا من ذلك في فتح خيبر ومعرفة مآتي هذه الحصون (٢) .

وللمحافظة على الأسرار بطريقة غاية في التكتم والحيطة استعمل ﷺ الأوامر المختومة فكان ﷺ يعطي الأمر بكتاب دون أن يراه المكلف بقيادة السرية أو أحد من أفرادها فقد وجه عبد الله بن جحش في سرية وذلك في السنة الثانية للهجرة وأمره على اثني عشر مهاجرًا في مهمة أخفاها عنهم ودفع إليه كتابًا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين في اتجاه معين ثم ينظر فيه ، فلما مضى يومان فضّ الكتاب فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل « نخلة » بين مكة والطائف فترصد لنا عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم ، فلما نظر في الكتاب قال : سمعًا وطاعة ، ثم قال ذلك لأصحابه وقال : قد نهاني رسول الله ﷺ أن أستكره أحدًا منكم فمضوا لم يتخلف منهم أحد ، ومضى عبد الله بن جحش وأصحابه حتى نزل بنخلة (٣) .

إن كتابة رسول الله ﷺ لهذا الكتاب وجعله مقفلاً لا يعلمه أحد من الخارجين في هذه السرية له هدف وهو التكتم على الناس حتى لا يشيع أمر هذه السرية بينهم فيعرفون اتجاهها ومقاصدها فيبلغ ذلك العدو فيحتاط لنفسه .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦ / ١٨١ .

(٢) الحلبي علي بن برهان الدين ، السيرة الحلبية ٢ / ٧٢٣ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية بهامش الروض الأنف للسهيلي ٣ / ١٨ .

الفصل السادس

أهمية المخابرات الإسلامية

إن مستقبل الأمم يتوقف على دقة المعلومات التي تصل إليها مخابراتها ، وعلى التوفيق في تفسير هذه المعلومات واستخلاص مدلولاتها ، وعلى تقديم كل ذلك لصانعي القرار في الوقت المناسب ، كما يتوقف مستقبلها على نجاحها في المخابرات الوقائية أو المخابرات المضادة ، أي أن كيان الأمة وأمنها يتوقفان على مدى المعرفة التي تتوافر لديها ، وتوفر المعرفة المبكرة ضرورة حيوية لتجنب المفاجأة ، ولمباشرة عملية وضع الخطط على أسس سليمة (١) . وتتضح هذه الأهمية فيما يلي :

١ - **المخابرات أهم وسائل النصر** : من المعروف أن السلاح وطريقة استخدامه وتوجيهه في الوقت المناسب من أهم وسائل الظفر ، ولا يتم ذلك إلا بالخطة المدروسة ، ولا يمكن وضع خطة ناجحة إلا بالحصول على المعلومات السابقة عن العدو والحرص على عدم تسربها ، ولا حصول على هذه المعلومات إلا عن طريق المخابرات ، فالمخابرات تعتبر بذلك أهم وسائل النصر ، وأهم وسيلة من وسائل القتال ، بل أهم وحدات الجيوش المقاتلة (٢) .

٢ - **المخابرات من أسباب القوة** : تظهر أهمية المخابرات من حيث معرفة المعلومات عن العدو حتى يأتي التخطيط على أساس سليم ، وقد وجه الإسلام إلى إعداد العدة فقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٥٦١ ، ٥٦٦ .
ومحمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٤٩ .
ومحمد راكان الدغني ، التجسس ص ٣٢ .

ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

كما تظهر قوة المخابرات في معرفة حال العدو ومدى استعداده وقوته ، ومخططاته ورصد تحركاته ومعرفة أسراره ، ويشتمل الإعداد الذي نصت عليه الآية الكريمة كل قوة مادية أو معنوية أو سياسية أو اقتصادية أو نفسية بحيث يكون المسلمون في حالة تأهب كامل لأي اعتداء محتمل في كل وقت من الأوقات (١) .

٣ – المخابرات أحد الضمانات الأساسية لبقاء الدولة : فالدولة تكون متأهبة في كل لحظة لمواجهة احتمال أي عدوان قد يشن عليها . وهذا يتوقف على دقة المعلومات التي تحصل عليها ، وشمولها وسرعة وصولها ليتسنى وضع خطة مناسبة بعد معرفة خطة العدو وحالته حيث إن مصيرها إما مغلوبة أو منتصرة ، ومن هنا عرف المسلمون خطورة المعلومات المبكرة ، يقول المهلب بن أبي صفرة لبنيه : « عليكم بالمكيدة في الحرب فإنها أبلغ من النجدة »(٢) .

وقد سئل بعض من جرب الحرب وخاض غمارها وتمرس بها عن أحزم المكائد فيها فقال : « إذكاء العيون ، وإفشاء الغلبة ، واستطلاع الأخبار وإظهار السرور » (٣) وهذا الأمر عرفه المسلمون خلال معاركهم مع العدو فكانوا يهتمون بجمع المعلومات عن العدو خاصة عن قواته الحربية عدتها وعددها في وقت الحرب .

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥١ .
ومحمد راكان الدغني ، التجسس ص ٣٣ – ٣٤ .

(٢) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٥٨ .
وابن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة – الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٦٥ م ج ١ / ١٢٢ .

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ج ١ / ١٢٢ .

٤ – **المخابرات أساس الرباط** : تعدّ المخابرات مطلب أساسي للرباط في سبيل الله هذا الرباط الذي أمر به الإسلام في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] والرباط والمرابطة كما عرفنا حراسة ويقظة وتأهب لرد عدوان العدو ، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة ما يدور على الجانب الآخر جانب العدو . فأهمية المخابرات هنا تكمن في اليقظة التامة والحذر على درجة عالية ، وإعداد لكافة الأجهزة المستخدمة للقتال (١) .

٥ – **المخابرات وسيلة عسكرية ذات فعالية عند الخلفاء** : يقول الخليفة أبو جعفر المنصور : لا يصلح السلطان إلا بالتقوى ، ولا تصلح رعية إلا بالطاعة ، ولا تعمر البلاد بمثل العدل ، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته إلا بالمال ، ولا تقدم في الحياطة بمثل نقل الأخبار .

ويقول أيضا عن مدى أهمية معرفة الأخبار : « ما كان أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعفّ منهم » ، قيل له يا أمير المؤمنين : من هم ؟ قال : « هم أركان الملك ، لا يصلح الملك إلا بهم كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم ، ولا يصلح إن نقصت واحدة ، وهي : أما أحدهم : فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر ، صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية ، فإني عن ظلمها غني ، والرابع : ثم عضّ على أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول كل مرة آه .. آه ، قيل له : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة » (٢) .

٦ – **المخابرات من مظاهر الحذر واليقظة** : تعتبر المخابرات من مظاهر الحذر ودليل عليه لمنع العدو من المفاجأة ، وهو ما أمر به الإسلام في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥١

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٩ / ٢٩٩

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ٧١] . وهذا الحذر وهذه اليقظة يأتيان من معرفة كل شيء عن العدو عسكريًا ومدنيًا ، وهذا لا يتأتي إلاّ عن طريق المخابرات الإسلامية ، التي تفيد في معرفة العدو على حقيقته والتأكد مما يبيته للمسلمين من مكائد وخطط عسكرية ، كما تفيد في تقوية الروح المعنوية لأفراد المجتمع فتصون المعنويات من الانهيار ، ومن هنا لا يجوز الإعراض عن معرفة العدو ، ولا التهوين من شأنه ، لأن نتائج الاستهانة بالعدو هي القصور عن إعداد العدة لمجابهته ، وإن المعنويات هي السلاح الرابع في المعركة مع الأخذ بأسباب النصر [١] .

فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الحذر واليقظة والتريث في الحرب وأخذ القرارات فمن توجيهاته لأبي عبيد بن مسعود الثقفي عندما ولاه حرب فارس والعراق قال له : اسمَعْ من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر ، ولا تجيبن مسرعًا حتى تبين ، فإنها الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث ، الذي يعرف الفرصة والكف ، وقال له في أخرى : إنه لم يمنعنى أن أؤمِّر « سليطًا » إلاّ سرعته في الحرب ، وفي التسرع في الحرب إلا عن بيان ضياع ، والله لولا ذلك لأمرته ، ولكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث » [٢] .

٧ – معرفة أهل البدع والضلال على حقيقتهم : فكما تظهر أهمية المخابرات في معرفة أهل الحرب تظهر أيضًا في معرفة أهل البدع والضلالة على حقيقتهم وذلك لحماية الرعية من خطر هؤلاء ومن أضرار المتلصصين وأهل الريب والفساد ، وبذلك

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٤٩ ،
وأحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٢٣ – ٢٤ .
ومحمد فرج ، المدرسة العسكرية الإسلامية ، طبعة دار الفكر العربي ١٩٦٩ م ، ص ٣٢٢ – ٣٢٥ .
ومحمد فرج ، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ طبعة دار الفكر العربي الطبعة الثالثة ١٩٧٧ م . ص ٣٠٨ – ٣١١ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة الأعلمي – بيروت (د . ت) ج ١ / ٢٣١ .

يحفظ الأمن والاستقرار في البلاد ، فالنظر في أمور الرعايا يترتب على الاطلاع على الغوامض والخفايا ، وإذا انتشرت من خطة المملكة الأطراف وأسبلت الحماية دون معرفتها إسدال الأعراف ولم تطلع شمس رأي راعي الرعية على صفة الإشراق والإشراف امتدت أيدي الظلمة إلى الضعفة بالإهلاك والإتلاف والثلة - أي الجماعة من الناس - ، إذا نام عنها راعيها عاشت طلس الذئاب فيها ، وعسر تداركها وتلافيها ، والتيقظ والخبرة أساس الإيالة وقاعدة الإمرة ، وإذا عمي المعتدون أخبارهم أنشبوا في المستضعفين أظفارهم واستجرؤوا على الاعتداء ، ثم طمسوا عن مالك الأمر آثارهم ويخون حينئذ المؤتمن ، ويغش الناصح وتشيع المخازي والفضائح » (١) .

فملاحقة أهل التلصص والريب ووضع العيون عليهم يفيد انتظام الحكام ، ويأمن نتيجته على نفسه وماله وعرضه ودينه ، وبخلاف ذلك تظهر دواعي الفساد ، يقول الجويني : ثم ما أهون البحث والتنقير على من إليه مقاليد التدبير ، على أن هذا الخطب الخطير قريب المدرك يسير ، فلو اصطنع صدر الدين والدنيا من كل بلدة زمرًا من الثقاة على ما يرى ورسم لهم أن ينهوا إليه تفاصيل ما جرى ، فلا يغادروا نفعًا ولا ضرًا إلا بلغوه اختفاء وسرًا لتواتب دقائق الأخبار وحقائق الأسرار على مخيم العز عضة طرية ، وتراءت للحضرة العلية ، مجاري الأحوال في الأعمال القصية ، فإذا استشعر أهل الخبل والفساد أنهم من أصحاب الأمر بالمرصاد آثروا الميل طوعًا أو كرها إلى مسالك الرشاد وانتظمت أمور البلاد والعباد » (٢) .

٨ - **المخابرات وقاية من الضرر والهلاك** : فمن أهمية المخابرات ما تؤديه من دور مزدوج بتوفير المعرفة عن العدو ، ومقاومة أعمال المخابرات المعادية ، تحقق

---

(١) أبو المعالي الجويني إمام الحرمين ت ٤٧٨ هـ ، غياث الأمم ، طبعة ونشر مكتبة الدعوة ، الاسكندرية ١٩٧٩ م ، ص ٢٧٣ .

(٢) أبو المعالي الجويني ، غياث الأمم ص ١٤٣ .

الوقاية للأمة والجيش من الهزيمة أو الهلاك ، ولذلك فإن إهمالها أو التراخي في ممارستها ، إنما هو تعريض الأمة للتهلكة وهو ما نها الإسلام عنه في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

لقد حفلت السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بكل ما قدمته عن المخابرات ومدى أهميتها ، والدور الذي نيط بها [١] .

لذلك فالمخابرات هي التي تكشف عورة الأعداء وتكافح التجسس ، لذا اهتم بها المسلمون حتى لم يخل مكان من صاحب خبر وبريد حتى تعرف المسلمون على أخبار أعدائهم مما ساعد على تحقيق انتصاراتهم فيما بعد[٢] ، وهي معرفة وتنظيم وعمل ، ودائما الحصول على المعلومات يحقق هدفين ، هدفًا مباشرًا وهو وضع خطة ضد العدو وهدفًا غير مباشر وهو توفير الأمن لجيوش المسلمين ضد تحركات العدو وخططه [٣] .

❖ ❖ ❖ ❖

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٠٢ .

(٢) إبراهيم مصطفى محمود ، الحرب عند العرب ، الطبعة الرابعة ، دار الكلمة للنشر بيروت ١٩٨١ م . ص ٣٨٣ ،
وأحمد شلبي ، الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي ، مكتبة النضهة المصرية الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٧٤ م ص ٩٠ .

(٣) محمود شيت خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ١٩٧٧ . ص ٢٦٤
ومحمود شيت خطاب ورفاقه « اقتباس النظام العسكري في عهد النبي ، طبعة قطر ١٤٠٠ هـ ص ٢٥٦

الباب الثاني

المخابرات الإسلامية في عصر الرسول ﷺ

الفصل الأول : اهتمام الرسول ﷺ بالعيون « رجال المخابرات »
الفصل الثاني : وسائل جمع المعلومات عند الرسول ﷺ وعند العدو
الفصل الثالث : صفات رجال المخابرات في عصر الرسول ﷺ
الفصل الرابع : أنواع رجال المخابرات في العصر النبويّ
الفصل الخامس : أساليب الأمن في مواجهة عيون العدو وتحليل المعلومات
الفصل السادس : إدارة الرسول ﷺ لعمل المخابرات
الفصل السابع : الواجبات المنوطة برجل المخابرات في عصر الرسول ﷺ

الفصل الأول

اهتمام الرسول ﷺ بالعيون ، رجال المخابرات ،

اهتم النبي ﷺ بأخذ الحذر من عدوه ، وقد استلزم هذا الحذر إعداد الأسلحة والعدة ، وتكثير العدد ، وبث العيون إلى غير ذلك من مستلزمات الإدارة العسكرية(١) ، عملاً بقول الله عزّ وجلّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ٧١] .

فالعيون من الأمور الأساسية للحصول على المعلومات والأخبار ، من أجل بناء خطة صحيحة متكاملة عن العدو أو عن الأرض التي ستجري عليها المعركة ، سواء في مرحلة التخطيط أو خلال المعركة ، أو بعدها ، ويتضح ذلك من سير الحوادث خلال الغزوات والفتوحات الإسلامية (٢) .

اتخذ الرسول ﷺ العيون ضد العدو منذ هجرته إلى المدينة ليترصد أخبارهم ، ويتعرف على نواياهم ومبلغ قوتهم وعددهم وعدتهم وتحصيناتهم ، فيكون منهم على حذر ، واستكمل هذا في غزوة بدر وما تلاها من غزوات ومعارك إسلامية ، حيث كان ﷺ يبعث بالسرايا عيونًا على المشركين لترصد تحركاتهم .

ومن المعروف أن النبي ﷺ طلب من عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه حين أسلم بأن يكتم إسلامه عن كفار قريش وأن يبقى بمكة حيث اتخذه عينًا له عليهم يكتب له بأخبار المشركين ، وبما يدور في مكة من مجريات الأحداث ، إضافة إلى

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت ١٩٦٩ م ، ١ / ٥٣٧ .

(٢) حازم إبراهيم العارف ، الجيش العربي الإسلامي ، طبعة دار الرشيد – الرياض بدون تاريخ ، ص ١٧٤ .

اتخاذه قبيلة خزاعة وغيرها لنفس المهمة [١] .

فعندما تهيأ كفار قريش في العام التالي لمعركة بدر ، كتب له عمه العباس رضي الله عنه بخبرهم كله [٢] ، وعندما شاع خبرهم ومسيرهم في الناس وبلوغهم ذا الحليفة بعث رسول الله ﷺ عينين له ليستعلما عنهم ، فأتيا رسول الله ﷺ بخبرهم ، وأنهم قد خلوا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي في العُريض [٣] ، حتى تركوه ليس به خضراء [٤] .

ثم بعث النبي ﷺ بالحباب بن المنذر أيضًا ليستطلع قوتهم وعددهم فدخل فيهم فحزرهم ، وجاء بعلمهم كله إلى النبي ﷺ [٥] .

كما أرسل أبو تميم الأسلمي [٦] غلامه مسعود بن هُنيدة من العرج [٧] على قدميه إلى النبي ﷺ يخبره بقدوم قريش عليه ، وبما معهم من العدد والعدة والخيل والسلاح ليوم أحد [٨] .

وهذا يؤكد لنا مدى حرص النبي ﷺ ويقظته في إدارته العسكرية وغير العسكرية لمتابعة العدو وأخباره منذ تحركهم من مكة إلى أن بلغوا مشارف المدينة ، وذلك حتى

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٦٣ ، ٩٥ ، واليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٧ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٤٩٣ ، ٥٣٥ ، ٥٤١ ، ٦٢٥ ، ٣ / ٣٤ ، والمقدسي ، البدء والتاريخ ٤ / ٢٠٥ ، والصفدي ، نكت الهميان ص ١٧٦ ، وابن حجر العسقلاني ، الإصابة ١ / ٤١٨ ، والتلمساني ، تخريج الدلالات السمعية ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٣ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٧ .

(٣) العُريض : تصغير عرض ، أو عرض وادي بالمدينة المنورة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ١١٤ .

(٤) العينان هما : أنس ومؤنس ابني فضالة الظفريين ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٣٧ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٣٧ .

(٦) هو أوس بن حجر الأسلمي أبو تميم كان ينزل ناحية العرج . ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ١ / ١٨٦ .

(٧) العرْج : عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٩٩ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤ / ٣١٠ .

لا يؤخذ على غرة يظفر بها العدو ، وبهذا يسلم من مكرهم وخداعهم ، ويستعد لملاقاتهم والتصدي لهم ، ويكون على علم تام بمجريات أحوالهم .

وبعد انتهاء موقعة أحد حين أراد رسول الله ﷺ اللحاق بقريش لإرهابهم بعث خلفهم نفرًا من أسلم طليعة له (١) ، كما بعث بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال له : « اخْرج في آثارِ القومِ فانظرْ مَاذا يصنعُون وماذا يريدونُ فإن كانُوا قد اجتنبوا الخيلَ وامتطوا الإبَلَ فإنهم يريدُونِ مكةَ ، وَإنْ ركبُوا الخيلَ وساقُوا الإبل فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده لئن أرادُوهَا لأَسِيرَنَّ إِلَيهم فِيها ، ثُمَّ لأناجزنهم ، وسار علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لما أُمِرَ بِهِ (٢) . »

وحينما تحزبت الأحزاب على رسول ﷺ وعمل لذلك الخندق كان عينه عليهم جبيلة بن عامر البلوي (٣) وأحب النبي ﷺ أن يطلع على خبرهم ويعلم حالهم ، فكلف بذلك حذيفة بن اليمان ، وبعثه إليهم ليلاً وقال له : « يا حُذيفة اذْهَبْ فَادْخُلْ في القَومِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ وَلاَ تُحْدِثَنّ شَيئًا حَتّى تَأْتِينا » فامتثل حذيفة رضي الله عنه للأمر فأتاه بكل ما شاهده وسمعه من خبرهم وما استقر عليه رأيهم من الرحيل والعودة إلى بلادهم وترك حصار المسلمين (٤) .

كما كان للنبي ﷺ في إدارته العسكرية عيون على اليهود ومَنْ والاهم يأتونهم بدسائسهم ومكرهم وخداعهم حتى يكون منهم على حيطة وحذر (٥) .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٤٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٢٧ .

(٣) جبيلة بن عامر بن أنيف بن ثعلبة حليف الأنصار ، كان عين النبي ﷺ يوم الأحزاب ، ابن حجر ، الإصابة ١ / ٢٢٨ .

(٤) ابن حجر ، الإصابة ١ / ٢٢٨ ، وابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٢٣١ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٦٩ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٧٩ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٦٣ ، ٨٩ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٧١ ، ٦٤٢ .

وفي السنة التي سار فيها الرسول ﷺ لأداء العمرة أتاه عينه من مكة مخبرًا إياه بأن قريشًا تريد صدَّه عن المسجد الحرام ، وأنها أرسلت له جيشًا بقيادة عكرمة بن أبي جهل ، فاستفاد رسول الله ﷺ من هذا الخبر ، مما جعله يغير خطَّ سيره ، ويسلك طريقًا غير طريقهم حتى يتلافى ملاقاتهم والاصطدام بهم لأنه لم يذهب عليه الصلاة والسلام من أجل القتال بل كان هدفه الاعتمار وزيارة بيت الله الحرام (١) .

كما جاء بديل بن ورقاء الخزاعي (٢) ، إلى النبي ﷺ في نفر من قومه مخبرًا إياه أن قريشًا تريد قتاله (٣) .

وفي عام الفتح اتخذ النبي ﷺ غالب بن عبد الله الكناني الليثي عينًا له على المشركين ، قال غالب : « بعثني النبيُّ ﷺ عام الفتح بين يديه لأُسهِّل له الطريقَ ولأكونَ له عينًا » (٤) .

ودعا الرسول ﷺ قائلا : « اللّهُمَّ خُذِ العُيُونَ والأَخْبَارَ عن قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغتَهَا فِي بِلاَدِهَا » (٥) .

وهذا الدعاء النبوي يبين لنا مقدار ما للعيون من دور فعَّال في نَقْل المعلومات ، حيث طلب النبي ﷺ من ربه حجب عيون قريش عنه .

وحين اجتمعت هوازان وثقيف في حنين لحرب رسول الله ﷺ وجه إليهم عينًا له

---

(١) كان ذلك في السنة السادسة من الهجرة ، انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٩٥ .

(٢) بديل بن ورقاء بن عمرو الخزاعي ، له صحبة ، سكن مكة ، وأسلم قبل الفتح وقبل يوم الفتح انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ١ / ١٧٢ ، وابن حجر ، الإصابة ١ / ١٤٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٦٢٥ .

(٤) كان ذلك في سنة ٨ هـ ، انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣ / ١٨١ ، ١٨٢ ، وابن حجر ، الإصابة ٣ / ١٨١ ، ١٨٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧

هو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي [١] وأمره بأن يدخل في الناس فيقيم فيهم ويأتيه بخبرهم ، فامتثل عبد الله لما كلف به ودخل عسكرهم وعرف خبرهم وسمع ما قد أجمعوا عليه أمرهم من حرب الرسول ﷺ فعاد إلى النبي ﷺ فأخبره خبرهم [٢] .

ومن وصية النبي ﷺ لأسامة بن زيد عندما أمره بالتوجه لغزو الروم قوله : « وَأسْرع السَّيرَ تَسْبِق الأخبارَ ، فإن أظفرك الله فأقلِلِ اللّبثَ فِيهم ، وخُذْ مَعَكَ الأدلاَّءَ وقَدِّم العُيونَ والطَّلائعَ أمامَكَ » [٣] .

مما سبق يتضح لنا مدى اهتمام الرسول ﷺ بأمر العيون من أجل التعرف على أخبار العدو حتى تُتَّخذ لهم التدابير والاجراءات المضادة حتى يتم إحباط عملياتهم .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ٤ / ٤٢ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١٥٠ ، والطبريّ ، تاريخ الطبري ٣ / ٧٢ ، وعبد الحي الكتاني ، التراتيب الإدارية ١ / ٣٦٢ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١٩٠ .

الفصل الثاني

وسائل جمع المعلومات عند الرسول ﷺ وعند العدو

أولاً : وسائل جمع المعلومات عند الرسول ﷺ

إن جمع المعلومات هو الهدف الأسمى لعمل المخابرات ، وهو عمل شاق ومنظم ، وهذا العمل يمر بعدة مراحل هي :

١ - تحديد ماهية المعلومات المطلوبة ، خوفًا من تجميع المعلومات بشكل عشوائيّ يترك صانع القرار في النهاية بدون المعلومات التي تساعده في اتخاذ القرار .

٢ - نقل المعلومات المطلوبة والتي تم تحديدها من مكانها إلى حيث يمكن تناولها بالتحليل والتقدير .

٣ - دراسة المعلومات التي تم تجميعها وتحليلها وتقديرها ، بهدف وضعها في قالب عمليّ ليتسنى التصرف بها أو حفظها للمستقبل ، وتنبع أهمية تقدير المعلومات من تعدد مصادرها واختلاف درجة الثقة بهذه المصادر .

٤ - وضع المعلومات تحت تصرف واضع القرار في الوقت المناسب ، إذ لا يعني كون المعلومات صحيحة أنها تؤدي بالضرورة إلى قرارات نهائية صائبة ، ولا يكفي أن تحتوي ملفات الدولة على معلومات صحيحة ، وإنما ينبغي استخدامها في حينها ، وقبل فوات الأوان (١) .

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ : المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص ١٤٩ .
ومحمود شيت خطاب : اقتباس النظام العسكريّ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .
والهيثم الأيوبيّ ورفقاؤه : الموسوعة العسكرية ، ١ / ٢٥١ .

لذلك نجد أن رجال المخابرات الإسلامية تتحرك على مستويات مختلفة ، سواء المستوى الخارجيّ الخاص بالعدو ومعرفة خططه وتحركاته ، أو على المستوى الداخلي من أجل حماية أسرار الدولة والقبض على كل من يحاول الكشف عنها لمصلحة العدو [١] .

أما من حيث وسائل جمع المعلومات التي كان الرسول ﷺ يحصل من خلالها على الأخبار فإنها تتمثل في العيون ، وأسرى الحرب والأدلاء ، والعملاء داخل مكة ، وعمال الصدقات والتجار والرسل والوفود .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) أحمد هاني : الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٧٢ والهيثم الأيوبي ١ / ٢٥١ ، محمد جمال الدين محفوظ · المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص ١٤٩ .

الوسيلة الأولى

العيون

تتمثل هذه العيون في : عيون مقيمة داخل صفوف العدو في مكة ، وعيون من المدينة المنورة ، تتبع العدو وترصد حركته وتتحسس أخباره ، وعيون من القبائل العربية ، وعيون من الشام ، وعيون يهودية .

أـ العيون المقيمة في مكة :

يأتي في مقدمة هذه العيون **عبد الله بن أبي بكر الصديق** ، صاحب الدور الشجاع في حادث الهجرة ، فقد كلفه أبوه كي يكون عينًا له وللنبي ﷺ على قريش ، فيقضي نهاره في مكة يجالس الناس ويسمع الأخبار ويتقصى المعلومات ، ويطلع على أخبار قريش ، فإذا جاء المساء انطلق إلى غار ثور فأخبر النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنه بما تكيده لهما قريش وما يتآمر به صناديد قريش ، ثم يبيت عندهما حتى إذا جاء وقت العودة إلى قريش ، يقوم عامر ابن فهيرة راعي غنم أبي بكر الصديق باتباع أثره بالغنم حتى يعفى عليه ويمحوه (١) .

وسليط بن النعمان الأسلمي : وهو من قبيلة أسلم بن قصيّ ، وكان موادعًا مسالمًا للنبي ﷺ ، وكان لسليط هذا ندماء من حلفاء قريش من غطفان ويهود بني النضير ، فكان يجلس إليهم وينادمهم ، فلما شربوا الخمر ولعبت برؤسهم انطلقت ألسنتهم وانفلتت عنهم أسرار حلفائهم وسمع سليط من نعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني ، وكنانة بن أبي الحقيق النضري حديثا عن قافلة قريش ، وعلم أنهم غيّروا مسار تجارتهم بعد غزوة بدر ، واتخذوا طريق العراق بدلاً من الطريق الساحلية المعهودة ، وأنهم جعلوا قيادة القافلة لصفوان بن أمية بدلاً من أبي سفيان ، فانطلق سليط من ساعته ، فأخبر النبي ﷺ بما سمع (٢) .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٩٩ .

(٢) الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٥ .

والعباس بن عبد المطلب ، عم النبي ﷺ : كان مقيمًا في مكة ، ولم يغادرها إلا قبيل غزوة الفتح سنة ٨ هـ ، وكان واقفًا على ما تدبره قريش للنبي ﷺ ، ومطلعًا على كل صغيرة وكبيرة من أمرهم ، وكان لا يزال مشركًا ، ولكن عاطفة القرابة جعلته يبعث برسالة مستعجلة إلى النبي ﷺ يخبره فيها بوقت خروج قريش لقتاله في أحد ، كما أعلمه بعدد قواتها ، وجميع تفاصيل جيش قريش ، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة وجدّ في السير حتى وصل من مكة إلى المدينة في ثلاثة أيام وسلم الرسالة للنبي ﷺ في مسجد قباء ، وقرأ الرسالة على النبي ﷺ أُبيّ بن كعب فأمره النبي ﷺ بالكتمان ، وعاد النبي ﷺ مسرعًا إلى المدينة ، وتبادل الرأي مع المهاجرين والأنصار [١].

لقد كانت رسالة العباس إلى النبي ﷺ أوّل المعلومات عن تحرك قريش إلى المدينة وعلى إثر ذلك كثفت رجال المخابرات النبوية نشاطها لجمع المعلومات واكتشاف تحركات العدو ، حيث قامت دوريات من المسلمين لاكتشاف تحركات العدو ، تتجول حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون للإغارة على المسلمين [٢] .

ونعيم بن مسعود الأشجعي : كان عينًا للمسلمين على قريش ، وكان يخذّل أبا سفيان عن قتال المسلمين في غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع من الهجرة ، التي واعد فيها أبو سفيان المسلمين بالقتال بعد عام واحد من أحد ، فقد ذهب نعيم بن مسعود الأشجعي إلى مكة وقال له : ما أقدمني إلا ما رأيت محمدًا وأصحابه يصنعون من إعداد السلاح والكراع ، وقد تجلّب إليه حلفاء الأوس من بَلِيّ وجهينة وغيرهم ، والأرض مثل ظهر الترس - أي جدباء - ليس فيها لبعير شيء ، وإنما يصلحنا عام خصب غيداق - أي واسع مخصب - وقد أسلم نعيم بن مسعود سرًّا أثناء غزوة

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٢٨ ، والواقدي ، المغازي ١ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ص ٢٩٣ .

الأحزاب ، فكان عينًا للمسلمين على أعدائهم ، قال له النبي ﷺ : خذّل القومَ عنا ، فإنَّ الحربَ خدعةٌ ، فاستغل نعيم صداقته القديمة بسائر الأطراف المتحزبة ، واستطاع أن يوقع بينهم الشك والوهم ، وحذّر كلاً منهم من غدر صاحبه ، فقال لليهود : عليكم أن تأخذوا رهائن من قريش وغطفان لتضمنوا وفاءهم لكم وإخلاصهم في القتال معكم ، وزعم لقريش وغطفان أن اليهود سيأخذون منهم رهائن ليسلموهم إلى محمد ﷺ فيقتلهم وبذا تمت الوقيعة بين الأحزاب ، وكفى الله المؤمنين قتالهم [١] .

إن تأثير نعيم على المشركين ينبئ بأن شخصيته قيادية ، تميل إلى العمل بصمت من غير ضوضاء ، ولا توجد إشارة في المصادر تشير إلى احتكاك أو استفزاز تعرض له أثناء بقائه في مكة ، ويعود ذلك إلى تأثيره وعدم مشاركة بني عدي في معارك بدر وأحد والخندق [٢] .

ب ـ عيون في المدينة المنورة :

تقوم هذه العيون بتتبع العدو ورصد حركاته وتحسس أخباره ومن بين هذه العيون :

بَسْبَس بن عمرو، وعدي بن أبي الزَّغْباء : بعثهما الرسول ﷺ إلى « بدر » للتجسس وللحصول على معلومات عن قريش وقافلتها قبل غزوة بدر سنة ٢ هـ ، فسمعا حديثا من بعض الجواري ، وعلما أن القافلة قد دنت ، وعاد بالخبر إلى النبي ﷺ [٣] .

وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص : وذلك حين اقترب الجيش الإسلامي من بدر بعث الرسول ﷺ هؤلاء العيون من جديد للحصول على معلومات عن قوة العدو ومواضعها ، وقد استطاع هؤلاء العيون الوصول إلى ماء بدر ،

---

(١) الواقدي ، المغازي ١ / ٣٨٥ ، وابن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ٢ / ٥٧٩ ، و ٢ / ٥٧٩ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ٣ / ١٠٣ .

(٢) الواقدي ، المغازي ١ / ٤٥ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٧ .

ومن ثمّ عادوا ومعهم غلامان أسيران لقريش فاستنطقهما الرسول ﷺ ، وعلم منهما أن قريشًا وراء الكثيب بالعدوة القصوى ، ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش ، سألهما الرسول ﷺ : كم ينحرون يوميًا ؟ فأجابا ، يوماً تسعاً ويوماً عشرًا ، فاستنبط الرسول ﷺ من ذلك عددهم بين التسعمائة والألف ، وعرف من الغلامين كذلك أن أشراف قريش جميعًا خرجوا للقتال (١) .

وأنس ومؤنس ابنا فضالة بن عدي الأنصاريان : بعثهما النبي ﷺ عينين له ليستطلعا خبر قريش عندما بلغه أن قريشًا تريد أُحدًا ، فاعترضاهم بالعقيق (٢) ودخلا صفوف قريش ، وصارا معهم دون أن ينتبهوا إليهم ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه خبرهم وعددهم ومنازلهم (٣) .

نلاحظ أن ابني فضالة استطاعا كرجال مخابرات أن يدخلا في صفوف العدو ويتنقلا مع العدو من منطقة إلى أخرى ، وذلك لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الدقيقة عن تجهيزات قريش ، وحجم قواتهم والمواقع التي ستستقر فيها (٤) .

والحُبابُ بن المنذر بن الجموح الأنصاريّ الخزرجي : بعثه النبي ﷺ إلى قريش فدخل فيهم وحزر ونظر إلى جميع ما يريد ، وبعثه سرًا ، وقال للحباب : لا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى قلة ، فرجع إليه فأخبره خاليًا ، فقال له رسول الله ﷺ : ما رأيت ؟ قال : رأيت يا رسول الله عددًا حزرتهم ثلاثة آلاف ، يزيدون قليلا أو ينقصون قليلاً ، والخيل مئتي فرس ، ورأيت دروعًا ظاهرة ، حزرتها سبعمائة درع قال :

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) العقيق : وادٍ من أشهر أودية المدينة ، وهو يعني مسيل الماء الذي شقه السيل في الأرض ، وبهذا الوادي عيون ونخيل . انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ١٣٩ ، وانظر عاتق البلادي ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، طبعة دار مكة السعودية ١٩٨٢ م . ص ٢١٣ .

(٣) الواقدي ، المغازي ١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٤) على دعموش ، موسوعة الاستخبارات والأمن ، طبعة دار الأمير - بيروت ١٩٩٣ م ، ٧٧/٣ .

هل رأيت ظعنا ؟ [١] . قال : رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار ، يعني الطبول ، فقال رسول الله ﷺ : أردن أن يحرضن القوم ويذكّرنهم قتلى بدر ، هكذا جاءني خبرهم ، لا تذكر من شأنهم حرفًا ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم بك أجول وبك أصول [٢] .

نلاحظ أن الحباب بن المنذر استطاع أن يدخل في القوم دون أن يشعروا به ، مما يدل على مدى كفاءة عيون رسول الله ﷺ ، وحسن اختيار النبي ﷺ لهؤلاء العيون ، ولم يكتف بنقل الأخبار فقط بل استطاع أن يعرف عدد القوم ومؤنهم وسلاحهم ، تلك هي الفطنة والخبرة والشجاعة .

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أرسله النبي ﷺ في أثر قريش بعد غزوة أُحد حتى يتأكد من نية المشركين أهم ذاهبون أم عائدون ؟ فقال له ﷺ : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ، ثم لأناجزهم ، وأمره بأن يكتم الخبر ، وشاهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه المشركين وقد امتطوا الإبل وجنّبوا الخيل ، فعاد إلى الرسول ﷺ وأخذ يصيح من الفرح ولا يستطيع الكتمان ، وهو يقول : لقد ذهبوا إلى مكة [٣] .

ومن بين عيون النبي ﷺ التي تمتاز بالشجاعة الفائقة والقدرة على التخفي وخداع العدو « **عمرو بن أمية الضمري** » الذي بعثه النبي ﷺ عينًا له إلى قريش ليعرف خبر أسرى المسلمين الذين غدرت بهم هذيل ، وباعت اثنين منهم إلى قريش لتقتلهما ، وهما زيد بن الدّثنة ، وخبيب بن عدي ، وقد تمكن عمرو بن أمية من الوصول إلى جثة

---

(١) الظعن : جمع ظعينة ، والظعينة الهودج فيه امرأة أم لا . الفيروزبادي ، القاموس المحيط ٢ / ١٥٩٤ .

(٢) الواقدي ، المغازي ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٤٥ - ٤٦ .

خبيب وأنزله من خشبته التي صُلب عليها ، وعندما أحست به قريش استطاع أن يقتل بعضهم ويأسر عينًا لهم ثم يعود إلى المدينة [١].

وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة : وهما يرؤسان وفدًا بعثهم النبي ﷺ إلى بني قريظة عندما علم النبي ﷺ بنقض بني قريظة لعهدهم معه في غزوة الأحزاب ، وقال لهم : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقًا فالحنوا لي لحنًا [٢] أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فلما دنوا منهم وجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فقد جاهروهم بالسبّ والعداوة ، ونالوا من رسول الله ﷺ ، وقالوا : منْ رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فانصرفوا عنهم ، فلما أقبلوا على رسول الله ﷺ لحنوا له ، فقال الرسول ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشرَ المسلمين » [٣] .

لقد كان النبي ﷺ أشد الناس حرصًا على معنويات المسلمين ، لذلك حرص على استخدام الشفرة مع عيونه ، وحفاظًا على معنويات المسلمين من الانهيار ، وعدم التصدع في الجبهة الداخلية [٤] .

---

(١) انظر مزيدًا من التفصيل في : السهيلي ، الروض الأنف ٣ / ٣٦١ ، ٣٧٨ ، والبخاري فتح الباري لابن حجر ٧ / ٤٣٧ ، ٤٤٤ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٤٦ ، ٧١ ، وابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ٣ / ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ومحمد سعيد البوطي ، فقه السيرة ص ١٥٣ - ١٥٤ ، وصفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٢) اللحن : العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه . السهيلي ، الروض الأنف ٣ / ٤٢٣ .

(٣) ابن هشام السيرة النبوية ٣ / ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٤) عبد الله مناصرة ، الاستخبارات العسكرية في الإسلام ص ٢١٥ ، وعلي دعموش ، موسوعة الاستخبارات والأمن ٣ / ١٢٦ ، ومحمد أبو زهرة ، خاتم النبيين ٢ / ٧٨٦ .

وأحمد راتب عرموش ، قيادة الرسول السياسية والعسكرية ، طبعة دار النفائس بيروت ١٩٨٩ م . ص ٧٨ .

وحذيفة بن اليمان : انتدبه النبي ﷺ لكي يكون عينًا على القوم المشركين في غزوة الأحزاب فقال ﷺ : يَا حُذَيفةُ اذهبْ فادخُل في القوم ، فانظر ماذا يصنعون ؟ ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا ، قال حذيفة : فذهبت فدخلتُ في القوم ، والريحُ وجنودُ الله تفعلُ بهم ما تفعلُ ، لا تقرُّ لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : « يا معشرَ قريش ، لينظر كُلُّ امرئٍ مَنْ يليه ، قال حُذيفة : فأخذتُ بيدِ الرجُل الذي كان إلى جَنبي ، فقلت : مَنْ أنتَ ؟ قال : فلان بن فلان [١] فجالسهم حذيفةُ وسمِعَ حديثهم ، واعتمد على ذكائِه في خِدَاعِهِم ، وعبقريته وقوة أعصابه ، ورأى حذيفةُ قريشًا يتأهبون للرحيل ، فانطلق إلى معسكر غطفانَ فوجدَهم قد ارتحلوا بالفعلِ ، فرجع إلى المدينة فبشر رسول الله ﷺ ، وكان النبيُّ ﷺ يُؤثِرُ حذيفة ببعضِ سِرِّه حتى لقبَهُ الصَّحَابة رضوان الله عليهم صَاحِب سِرِّ رسول الله ﷺ [٢].

وبريدة بن الحصيب الأسلمي : كلفه النبي ﷺ أن يتحسب له خبر بني المصطلق[٣] وذلك عندما وصلت معلومات إلى النبي ﷺ مفادها أن بني المصطلق يحشرون لغزو المدينة ، وكان رئيسهم وسيدهم الحارث بن أبي ضرار ، سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، فدعا إلى حرب النبي ﷺ والمسلمين فأجابوه ، فتهيئوا للمسير معه إليهم [٤] ، فأراد النبي ﷺ أن يتأكد من صحة هذه المعلومات التي وصلته فأوفد عينًا له من رجاله هو بريدة بن الحصيب الأسلمي ليستطلع الأمر ، واستأذن بريدة رسول الله ﷺ أن يقول –

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٢٥٠ ، ومحمد السيد الوكيل ، تأملات في سيرة الرسول ص ١٨٧ .
ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٢٥٠ ، ومحمد السيد الوكيل ، تأملات في سيرة الرسول ص ١٨٧ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٢٥٠ – ٢٥١ ، والواقدي ، المغازي ٢ / ٤٨٩ – ٤٩٠ .

(٣) بنو المصطلق : هم أبناء جذيمة بن عمرو بن لحمي الخزاعي ، وكان خذيمة يلقب بالمصطلق لجمال صوته وصورته . ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر – بيروت د . ت ، ٣ / ٢٢٠ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٤٨ .

أي يموه على العدو بإظهار العداوة لرسول الله ﷺ والافتراء عليه ، فأذن له ﷺ ، فخرج حتى ورد عليهم ماءهم « بئر المريسع »[١] فوجد قومًا مغرورين قد تألبوا وجمعوا الجموع فقالوا : منْ الرجل ؟ قال : رجل منكم ، قدمت لما بلغني عن جمعكم لهذا الرجل ، فأسير في قومي ومن أطاعني ، فنكون يدًا واحدة حتى نستأصله ، قال الحارث بن أبي ضرار : فنحن على ذلك ، فعجل علينا . قال بريدة : أركب الآن فآتيكم بجمع كثيف من قومي ، ثم رجع بريدة إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر القوم[٢] .

نلاحظ أن النبي ﷺ قد أحسن اختيار رجل مخابراته الناجح الذي قام بكل قدرة وبراعة بجمع المعلومات عن بني المصطلق وذلك بتحايله عليهم ودخوله بين صفوفهم والاختلاط بهم ، وخروجه من بينهم وهم يرونه حليفًا وليس عدوًّا ، وهذا هو قمة عمل رجل المخابرات .

وعباد بن بشر : فقد جعله النبي ﷺ قائدًا لدورية استخبارية عن خيبر ، فما لبث عباد أن كشف جاسوسًا لليهود من قبيلة أشجع يتجسس على المسلمين ، فألقى عليه القبض ، وقام عباد بن بشر باستجوابه فقال له : منْ أنت ؟ فقال : باغٍ أبتغي أبعرة ضلت لي ، أنا على أثرها ، قال له عباد : ألك علم بخيبر ، قال : عهدي بها حديث ، فيم تسألني عنه ؟ قال عباد : عن اليهود ، قال : نعم ، كان كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ، فجاءوا معدين مؤيدين بالكراع والسلاح يقودهم عتبة بن بدر ، ودخلوا معهم في حصونهم ، وفيها عشرة آلاف مقاتل ، وهم أهل الحصون التي لا ترام ، وسلاح وطعام كثير لو

---

(١) تبعد عن المدينة مسيرة أربع ليال وهي قريبة من البحر وبها عدة ينابع . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ١١٨ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٤٨ ، وابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ٣ / ٢٣٠ ، ومحمد بن يوسف الصالحي ، سبل الهدى والرشاد ٤ / ٣٤٤ .

حُصروا لسنين لكفاهم ، وماء وأتن يشربون في حصونهم ، ما أرى لأحد بهم طاقة ، فرفع عباد بن بشر السوط فضربه ضربات وقال : ما أنت عين لهم ، اصدقني وإلا ضربت عنقك ، فقال الأعرابي : أفتؤمني على أن أصدقك ؟ قال عباد : نعم . فقال الأعرابي : القوم مرعوبون منكم خائفون وجلون لما قد صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود ، وإن يهود يثرب بعثوا ابن عم لي وجدوه بالمدينة ، قد قدم بسلعة يبيعها ، فبعثوه إلى كنانة بن أبي الحقيق يخبرونه بقلتكم وقلة خيلكم وسلاحكم ، ويقولون له : فاصدقوهم الضرب ينصرفوا عنكم ، فإنه لم يلق قومًا يحسنون القتال ، وقريش والعرب قد سُرّوا بمسيره إليكم لما يعلمون من موادكم وكثرة عددكم وسلاحكم وجودة حصونكم ، وقد تتابعت قريش وغيرهم ، ممّن يهوى هوى محمد تقول قريش : إنّ خيبر تظهر ، ويقول آخرون : يظهر محمد ، فإن ظفر محمد فهو ذل الدهر ، قال الأعرابي : وأنا أسمع كل هذا ، فقال لي كنانة : اذهب معترضًا للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك ، واحذرهم لنا ، وادن منهم كالسائل لهم ما تقوى به ، ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا فإنهم لن يدعوا سؤالك ، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم ، فأتى به عباد ابن بحر النبي ﷺ ، فأخبره الخبر ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اضرب عنقه قال عباد : جعلت له الأمان ، فقال رسول الله ﷺ : أمسكه معك يا عباد فأوثق رباطًا ، فلما دخل رسول الله ﷺ خيبر عرض عليه الإسلام ، وقال رسول الله ﷺ : إني داعيك ثلاثاً ، فإن لم تسلم لم يخرج الحبل عن عنقك إلا صَعَدًا ، فأسلم الأعرابي (١) .

وعبد الله بن أبي حدرد : كلفه النبي ﷺ بمهمة استخبارية إلى هوازن وأمره أن يدخل فيهم ويقيم بينهم حتى يعلم علمهم ، ويقف على مدى قوتهم وعددهم فقام بمهمته على الوجه الأكمل ، وعاد بالخبر اليقين (٢) .

---

(١) الواقدي ، المغازي ٢ / ٦٤٠ - ٦٤١ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ٦٨ .

كانت مهمة عبد الله بن أبي حدرد مهمة استخبارية محضة ، فالرسول ﷺ يعلم قوة القوم ، ويعرف شراستهم في الحرب ، ويعلم أنهم لو عزموا على الحرب ، لكان ذلك منهم عن قوة يجب أن تواجه بقوة أعظم ، وبتخطيط أدق ، لهذا بعث عبد الله بن أبي حدرد ليأتيه بتفصيل أحوال القوم ، ومدى استعدادهم للقتال ، وليقف على حالة الجيش النفسية ، ويتعرف على صدى تجهز الرسول لغزوهم (١) .

ج ـ عيون من القبائل العربية :

كان للرسول ﷺ عيون من القبائل العربية يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة قد تضر بمصلحة المسلمين في السلم والحرب من بين هذه القبائل ، قبيلة خزاعة وجهينة وضمرة وأسلم وغطفان .

عيون من قبيلة خزاعة : يظهر تعاون قبيلة خزاعة الإخباري بصورة واضحة في غزوة أحد ، حيث قدم عمرو بن سالم الخزاعيّ ، أحد زعماء خزاعة ولم يكن مسلمًا خلال هذه الفترة ، مع نفر من خزاعة قطع المسافة في أربعة أيام إلى الرسول ﷺ عند شروع قريش بالتحرك إلى المدينة وعندما وصل أبو سفيان مع قواته إلى الأبواء ، أخبروا أن عَمْرًا وجماعته ، قد مروا مساءً في اليوم السابق إلى مكة ، فاقتنع بأنهم غادروا بعد أن بلّغوا الرسول ﷺ بخبر مسيرهم إليه ، وبذلك لم يعد الأمر مفاجئًا للمسلمين وهو ما لم يكن يرجوه أبو سفيان .

كما يظهر دور قبيلة خزاعة في حمراء الأسد ، حينما قام معبد الخزاعي بشن حرب نفسية على قريش ، أدت إلى اتخاذ قرار العودة إلى مكة ، كما يظهر دور معبد الخزاعي مرة ثانية في بدر الموعد ، عندما قام بنفس الدور ، وكانت الأخبار التي نقلتها عيون خزاعة في الخندق عن مشروع قوات قريش بالتحرك إلى المدينة

---

(١) محمد السيد الوكيل ، تأملات في سيرة الرسول ﷺ ص ٢٧١ .

بالغة الأهمية من حيث التوقيت للشروع في اتخاذ الموقف الملائم ، كما يشير الواقدي في الحديبية إلى أن الرسول ﷺ عندما وصل إلى ذي الحليفة أرسل أحد عيونه من خزاعة وهو بسر بن سفيان إلى قريش ، وطلب منه أن يأتيه بردود أفعالهم وعاد إلى الرسول ﷺ فالتقاه في غدير الأشطاط ، كما يلاحظ تعاون بديل بن ورقاء أيضا مع الرسول ﷺ في الحديبية [1] .

عيون من قبيلة جهينة : يظهر أول تعاون ويعود أول اتصال للرسول ﷺ مع هذه القبيلة في أحداث سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر ، حيث حال مجديّ ابن عمرو ، وسيد جهينة دون الصدام بين قوات قريش المكلفة بحماية القافلة ، وسرية حمزة وسرعان ما قابل الرسول ﷺ التفاتة مجديّ بأحسن منها ، عندما استقبل وفد من القبيلة في المدينة ، وأثنى على سيدهم مجديّ ووردت أول إشارة إلى هذه القبيلة على صعيد المعلومات في أحداث معركة بدر ، حيث بلغ عدد عيونه من جهينة خمسة من مجموع أحد عشر عينًا ، تعاونوا في رفد الرسول ﷺ بآخر أخبار القافلة العائدة ، من الشام بقيادة أبي سفيان ، وهم كشد الجهني ، وبسيسة الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني ، وبسبس بن عمرو الجهني وابن الأريقط الجهني .

ومما يرعى الانتباه موقف كل من كشد ومجديّ ، ففي الوقت الذي تعاون فيه كشد مع عيني رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد ، سواء في توفير المأوى والمأكل ، والمساعدة الضرورية ، ثم من خلال محاولته إقناع أبي سفيان بعدم تواجد عيون الرسول ﷺ في منطقته ، فإن موقف مجديّ كان مغايرًا له ، حيث قرر في آخر لحظة تقديم ما لديه من معلومات خدمت أبا سفيان بصورة غير مباشرة ، وأدت

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠٥ ، ٣٣٨ - ٣٣٩ ، ٣٨٨ - ٣٨٩ ، ٢ / ٤٤٤ ، ٥٨٠ - ٥٨١ ، ١ / ١٨٥ ، ٥٩٣ - ٦٩٥ . والطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٣٥ ، ٦١٢ - ٦٢٢ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٤٢ ، ٤٨ ، ٦٩ .

إلى إنقاذ القافلة[١] ولا يفسر موقف مجديّ هذا بأنه كان عينًا لأبي سفيان كما اعتقد ابن عبد البر[٢] فقد كان مودعًا للطرفين ، إلا أنه قرر في اللحظة الأخيرة أن يحافظ على مصالحه الاقتصادية المهمة مع قريش ، على مجرد الالتزام بمواعده مع الرسول ﷺ لم يجن ثمارها بعد ، لاسيما بعد أن هدده أبو سفيان بلباقة ، ولكن بحزم بأنه في حالة عدم إعطائه معلومات صحيحة ، سيتحمل النتائج المترتبة على ضياع قافلة فيها أموال عائدة لكل قريش ، « .. لئن كتمتنا عدونا لا يصالحك رجل من قريش ما بَلّ بحْرٌ صوفة »[٣] .

وفي أحد نجد أن الرجل الذي أرسله العباس إلى الرسول ﷺ حاملاً كتابه كان من جهينة[٤] ، كما قام جندب بن مكيث الجهني بدوره كعين في سرية غالب الليثي إلى بني الملوح بالكديد[٥] ومن أشهر عيون رسول الله ﷺ من هذه القبيلة عبد الله بن أنيس الجهني حليف بني سلمة المهاجري الأنصاري العقبي الذي اشتهر في العمليات الخاصة .

عيون من قبيلة ضمرة : وكان أول اتصال بين الرسول ﷺ وبين هذه القبيلة على خلفية غزوة الأبواء ، حيث عقد اتفاقية موادعة مع بني ضمرة على ألاّ يُكثروا عليه ، ولا يُعينوا عليه أحدًا ، ثم كتب بينهم كتابًا ، ثم رجع[٦] .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٩ - ٢٠ ، ٥١ ، ٤٠ ، ٤١ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦ ، ٧ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ١ / ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢ / ٣٧٨ - ٣٨٩ ، وابن عبد البر ، الاستيعاب ٣ / ١٠٥٩ ، ٢ / ٧٦٤ - ٧٧٠ ، ٦١٤ - ٦٢٠ وابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٩٠ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٣ - ٤٣٧ .

(٢) ابن عبد البر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ص ١١٢ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤١ .

(٤) اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٧ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٩٠ .

(٦) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١١ - ١٢ .

ولقد اشتهرت عين من عيون النبي ﷺ في عملها مع النبي ﷺ من قبيلة ضمرة وهو عمرو بن أمية الضمري ، الذي أسلم بعد غزوة أحد ، وكان مشهورًا بالجراءة والنجدة ، وقد عاش إلى خلافة سيدنا معاوية ومات بالمدينة (١) .

بعثه النبي ﷺ إلى مكة ليعرف خبر أسرى المسلمين الذين غدرت بهم هُذيل ، وباعت اثنين منهم إلى قريش لتقتلهما ، وهما زيد ابن الدثنة وخبيب بن عدي ، وتمكن عمرو من الوصول إلى جثة خبيب وأنزله من على خشبته ، وعندما أحست به قريش استطاع أن يقتل بعضهم ويأسر عينًا لهم ثم يعود إلى المدينة (٢) .

عيون من قبيلة أسلم : اتصلت هذه القبيلة وارتبطت مع الرسول ﷺ عندما كان الرسول ﷺ في طريقه أثناء الهجرة إلى المدينة حيث أسلم قسم منها ، وقبلت الإسلام دينا في السنة الثانية من الهجرة ، وتكمن أهمية هذه القبيلة في موقعها الجغرافي على الطريق التجاري ما بين مكة والمدينة ، ومن منازلها غدير الأشطاط ، والعرج والفرع (٣) ، وقد وردت أسماء لعيون ينتمون إلى هذه القبيلة منذ فترة مبكرة ، حيث يشير « ابن سعد » (٤) إلى دور أبي تميم الأسلمي في غزوة أحد ، عندما أرسل غلامه من العرج مخبرًا رسول الله ﷺ بتقدم قوات قريش إلى المدينة ، كما أرسل الرسول ﷺ ثلاثة من هذه القبيلة في اليوم التالي من المعركة للتأكد من نوايا العدو ، الذي كان ينزل الروحاء على بعد ٧٢ كم من المدينة ، وقد استشهد اثنان منهم في حمراء

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ٤ / ٦٠٢ - ٦٠٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٤٥ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٢ / ٤٤٢ ، ١١٦٢ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٨٢ ، ٣ / ٧٩٢ ، ٩٩٠ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٩٧ ، ٤٢ ، والعرج : من بلاد قبيلة أسلم تبعد عن المدينة ١٤٨ كم . انظر ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص ١٣٠ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤ / ٢ / ٤٢ .

الأسد ، وهما سليط وسفيان ابنا عوف الأسلمي ، وهما يحاولان مراقبة العدو (١) .

وقام الرسول ﷺ بإرسال بريدة بن الحصيب ، الذي أسلم قبل بدر ولم يشهدها ، وشهد الحديبية والمشاهد بعدها ، أرسله كعين له في غزوة بني المصطلق (٢) ، وفي الحديبية كان أحد عيون النبي ﷺ من أسلم وهو ناجية الأسلمي (٣) ، وفي غزوة حنين برز عبد الله بن أبي حدرد كعين أرسله الرسول ﷺ إلى قيادة هوازن لجمع المعلومات عن أهدافها وخططها (٤) كما قام بصفته عينًا بدور الدلالة لقوات المقدمة بقيادة خالد بن الوليد في الهجوم غير الموفق في بداية معركة حنين ، وبرز أيضًا كقائد لمجموعة نفذت عملية خاصة ، استهدفت القضاء على أحد قادة الأعراب وهو رفاعة بن رافع الجشمي في منطقة الغابة القريبة من المدينة (٥) ، وبرز سلمة بن الأكوع في غزوة بني لحيان كعين للرسول ﷺ (٦) .

عيون من قبيلة غطفان : وكان أول اتصال للرسول ﷺ مع هذه القبيلة مع أشجع إحدى بطون قبيلة غطفان في أحداث معركة الخندق حيث أسلم نعيم بن مسعود (٧) ولعب دورًا بارزًا في التخذيل بين الأحزاب ، كما توجد أربعة عيون أخرى من أشجع وهم خارجة بن حسيل الأشجعي ، الذي نقل إلى الرسول ﷺ أخبار أسير بن زرام قائد

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٣٣٧ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٠٤ - ٤٠٧ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٤٥ .

(٣) ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤ / ١٥٢٢ - ١٥٢٣ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ٥ / ٢٩٤ .

(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٨٩٣ ، وابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ٦٢ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٧٣ .

(٥) ابن هشام السيرة النبوية ٤ / ٢٠٣ والطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٤ - ٣٥ .

(٦) الإمام مسلم القشيري ، صحيح مسلم ٥ / ١٩١ .

(٧) أسلم نعيم في أحداث الخندق ، وسكن المدينة ، ومات في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٥ / ١٥٠٨ - ١٥٠٩ .

يهود خيبر ، ومحاولته إقامة تحالف مع غطفان ضد الرسول ﷺ (١) ، وكذلك حسيل ابن نويرة الذي كان دليل رسول الله ﷺ إلى خيبر ، والذي نقل إلى الرسول ﷺ أنباء تحشد غطفان في منطقة الجناب (٢) .

وكذلك حسيل بن خارجة الذي أسلم يوم خيبر وشهد فتحها ، وعبد الله بن نعيم ، في معركة خيبر ، وكانا عينين من عيون رسول الله ﷺ(٣) .

د ـ عيون من الشام : جعل النبي ﷺ له عيونًا في الشام بعد تجميد الصراع مؤقتا مع قريش في صلح الحديبية ، ولاسيما في أطراف الشام الجنوبية المتاخمة لجزيرة العرب حيث أشير إلى أحد هذه العيون وهو فروة الجذامي حاكم معاون للبيزنطيين ، والذي اعتنق الإسلام ، مما دفع البيزنطيين إلى إعدامه (٤) .

وكذلك حاجب حاكم بصري الغساني ، الذي أسلم بدوره ، وراسل الرسول ﷺ (٥)

وقد أثبتت حملة مؤتة وجود عيون محلية في المنطقة تعاونت معهم عبر إرسالهم معلومات عن حجم القوة البيزنطية وحلفائها (٦) وقد تكرر الأمر نفسه خلال الأحداث التي أدت إلى خروج الرسول ﷺ في حملته الكبيرة إلى تبوك (٧) وتفسر سرية كعب ابن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح ، وسرية علقمة بن مجزز إلى الداروم على أنهما استمرار للجهود المبذولة لإقامة قواعد للعيون في الشام ، ولجمع مزيد من المعلومات

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٦ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٦ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٢١ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٣٩ ، وابن عبد البر ، الاستيعاب ١ / ٤٠٨ .

(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ٧ / ٣٥٧ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٦٦ .

(٦) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٦٠ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٧ .

(٧) الإمام البخاريّ ، صحيح البخاري ٣ / ٧٣ .

عن هذه المنطقة (١) .

هـ - عيون من اليهود :

من المعروف أن اليهود وقفوا موقفًا معاديًا من الدعوة الإسلامية منذ البداية ، إلا أن أفرادًا منهم اعتنقوا الإسلام خلال مسيرة الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة ، ومن أبرز هؤلاء الذين أسلموا ، عبد الله بن سلام الذي كان حبرًا من أحبار اليهود ، فقد أسلم مبكرًا وهو من بني النضير ، وكان حليفًا للخزرج ، وقد توفي في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه (٢) .

ومنهم أيضا مخيريق اليهودي ، وهو حبر من أحبار اليهود أيضًا آمن بالرسول ﷺ ، وقاتل معه في أحد واستشهد (٣) .

وهناك عشرات من الرجال اليهود بالمدينة لم تُذكر أسماؤهم وعشائرهم قاتلوا مع الرسول ﷺ ضد يهود خيبر (٤) .

وعلى صعيد العيون والجواسيس فقد تعاون أفراد منهم في تسريب المعلومات من داخل القواعد اليهودية إلى الجانب الإسلامي ، فقد عُرف أن امرأة من بني النضير أرسلت منذرة عن مؤامرة يحيكها يهود بني النضير لقتل الرسول ﷺ عندما دعوه إلى زيارتهم (٥) .

كما وقفت امرأة أخرى من بني النضير داعمة بالمشورة والطعام والمأوي للوحدة الخاصة المرسلة لتصفية أبي رافع اليهودي في خيبر (٦) .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٥٢ - ٧٥٣ ، ومحمد بن حبيب البغداديّ ، كتاب المحبر ص ١٢٠ .

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣ / ٩٢١ - ٩٢٣ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٨٤ .

(٥) الصنعاني ، المصنف ٥ / ٣٥٩ .

(٦) خليفة بن خياط ، كتاب الطبقات ص ١٠٣ ، والواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٩١ .

كما سجلت أحداث الخندق معلومات تسربت مرتين من داخل حصون بني قريظة إلى الجانب الإسلامي ، وذلك عندما بلغ الصراع أشده بين الأحزاب والرسول ﷺ ، الأولى تتعلق بخيانة بني قريظة (١) ، والثانية تتعلق بخطة حيي بن أخطب للهجوم على قلب المدينة (٢) .

۞ ۞ ۞ ۞

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٥٧ ، والإمام البخاري ، صحيح البخاري ٣ / ٣٣ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٧١ - ٥٧٢ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٥٨ - ٤٥٩ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٦٩ .

الوسيلة الثانية

الأدلاء

يعتبر الأدلاء الذين يعرفون خفايا الطرق ومسالكها الوعرة من وسائل الاستخبار والحصول على المعلومات ، ولقد حرص النبي ﷺ على الاستفادة من الأدلاء بمثابة الخبراء بالأرض والطرق ومسالكها ، فكان ﷺ يختار الأدلاء المهرة في هذا الفن ، وكانت الأهداف المنشودة تتحقق باستخدامهم إذ كانوا يرشدون إلى الطرق الآمنة ، وإلى أقصرها .

فالسيرة النبوية تخبرنا أن رسول الله ﷺ قد استعان بعبد الله بن أريقط الليثي المشرك ، واتخذه دليلاً في الهجرة من مكة إلى المدينة ، وكان معروفًا بأنه ماهر في معرفة الطرق الآمنة [١] .

وعده النبي ﷺ أن يأتيه غار ثور بعد ثلاثة أيام من خروجه هو وأبو بكر رضي الله عنه حتى لا تعلم بهما قريش [٢] .

فقد استفاد منه النبي ﷺ ومن خبرته رغم أنه مشرك ، فالاستفادة من المشركين وخبرتهم قائمة طالما أنه مأمون ولا ينقل الأخبار للمشركين [٣] .

وقد استعمل الرسول ﷺ الأدلاء في معظم غزواته يدلونه على مسالك الطرق المؤدية إلى أية جهة يريدها في غزواته ، وكان ﷺ يختارهم ممن يعرفون تضاريس الأرض ومن أهل البلاد التي لهم خبرة بها ، أو اعتادوا زيارتها في الجاهلية ، فقد استعمل في غزوة أحد حينما أراد أن يصل إلى موقع المعركة قريبًا ومن منزل المشركين قال لأصحابه : « مَنْ يَخْرُجُ بِنَا عَلَي القَومِ مِن كَثِيب – أي من طريق قريب – لا يمرُّ بِنَا

---

(١) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ٣ / ٥٢

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١٢٣ ، ٢٢٣ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٢٩٦ .

(٣) منير محمد الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ٢ / ١٩٣ .

عَلَيهم ؟ » فقال أبو خيثمة : أَنَا يا رَسُول الله ، فنفذَ بِهِ مِن حَرَّةِ بني حَارثةَ وبين أموالهم حتى دخل في بُستان للمربع بن قيظي الحارثي فتابع سيره حتى وصل قبيل بزوغ الفجر المكان الذي أراده رسول الله ﷺ (١) .

وفي غزوة دوَمة الجندل الواقعة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة الخامسة لهجرة رسول الله ﷺ اتخذ رسول الله ﷺ دليلاً له من بني عذرة يقال له مذكور (٢) . وفي غزوة الحديبية لما بلغ رسول الله ﷺ أن قريشًا قد خرجت تعترض طريقه ونصبت كمينًا له ولأصحابه بقيادة خالد بن الوليد ، وهو لم يكن قد قرر المصادمة مع قريش رأى ﷺ أن يغير طريق الجيش الإسلامي تفاديًا للصدام مع المشركين ، فقال : مَن رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلى طريق غير طريقهم التي هُمْ بها ؟ فقالَ رَجُلٌ من أَسْلَم : أنا يا رسول الله ، فَسَلَكَ بهم طريقًا وعرًا بينَ شعابٍ ، شقَّ على المسْلِمينَ السَّيرُ فيه حتى خَرَجُوا إلى أرض سَهْلَةٍ عِنْدَ مُنْقَطِعِ الوَادِي (٣) .

وحين أرسل رسول الله ﷺ سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السابع من هجرة رسول الله ﷺ اتخذ له دليلاً من بني هلال ، فكان يسير بهم الليل ويكمن النهار (٤) .

واتُّخذ يسار مولى رسول الله ﷺ دليلاً في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني عوال وبني ثعلبة (٥) .

واتخذ الرسول ﷺ علقمة بن الفغواء الخزاعي دليلاً له في غزوة تبوك (٦) .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢١٧ - ٢١٩ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٠٢ - ٤٠٣ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠ ، والواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٨٤ .

(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٢٢ . والطبري ، تاريخ الطبري ٢٣١٣ .

(٥) محمد أبو فارس ، غزوة الحديبية ، طبعة دار الفرقان - عمان ١٩٨٤ م ، ص ١٨٨ .

(٦) أحمد بن على المقريزي ، إمتاع الأسماع ، شرح محمود شاكر ، طبعة الشئون الدينية بقطر - الدوحة . (د . ت) ، ١ / ٤٥١ .

واستعان النبي ﷺ بأدلاء أهل خبرة عندما ذهب ﷺ والمسلمون إلى خيبر يغزونها ، وكانت معرفتهم لطرق خيبر قليلة وضعيفة ، وكذلك عن طبيعة خيبر ، ومن هؤلاء الأدلاء حسيل بن خارجة وعبد الله بن نعيم وكلاهما من قبيلة أشجع النجدية التي يرتاد رجالها دائما في الجاهلية خيبر . على الرغم من أن اليهود حصلوا على معلومات عن طريق المنافقين وأعوان اليهود في المدينة عن تحركات الرسول ﷺ (١) .

۞ ۞ ۞ ۞

(١) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري في عهد النبي ﷺ ، طبعة الدوحة ١٤٠٠ هـ ص ٢٥٩ .

الوسيلة الثالثة

أسرى الحرب

استطاع النبي ﷺ أن يحصل على معلومات هامّة من أسرى الحرب ، الذين أصبحوا وسيلة من وسائل الحصول على المعلومات ، كما نجحت مخابرات النبي ﷺ وطلائعه في التصدّي لعيون العدوّ وجواسيسه وأسر بعضهم والحصول منهم على أخبار العدو بالترهيب والتهديد .

ففي بدر في السنة الثانية للهجرة أقبلت روايا قريش - أي إبلهم التي كانوا يستقون عليها ، فهي الإبل الحوامل للماء - ويقوم عليها عدد من العبيد والغلمان فأصابتها طلائع المسلمين ، وكان فيهم غلام أسود لابن الحجاج بن عامر السهمي القريشي يدعى « أسلم » وآخر للعاص بن وائل السهمي يدعى « عريضًا » ويكنى أبا سعيد ولجأ المسلمون إلى ضربهما حتى أقرّا بمكان قريش وأسماء زعمائهم وقادتهم [١] . واستطاع المسلمون استجواب هذين الأسيرين والحصول منهما على المعلومات التي تفيد المسلمين عن قريش وأحوالها وعددهم وما يخططون إليه ، وأظهر هذا الموقف خبرة الرسول ﷺ لأنه هو الذي قام على استجواب الأسيرين ومدى ذكائه وصبره وهدوئه .

وفي غزوة غطفان وسليم عقب بدر خرج رسول الله ﷺ إليها فلم يجد منهم أحدًا ، فأرسل نفرًا من أصحابه إلى أعلى الوادي فأصابوا غلامًا يرعى الغنم يدعى « يسارًا » ، فحاول النبي ﷺ أن يحصل منه على معلومات فقال الغلام : لا علم لي بهم ، إنما نحن نرعى بعيدًا عن القوم ، فأيقن النبي ﷺ صدقه ، ورآه يصلي فأعتقه [٢] .

وفي السنة الخامسة من الهجرة عندما نزل النبي ﷺ بدومة الجندل جاءهم محمد بن

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٥٢ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٨٢ .

مسلمة الأنصاريّ بأسير منهم ، فسأله عن أصحابه ، فأخبرهُ خبرهم ، وأعلمه أنهم هربوا بالأمس ، وعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فأسلم (1) .

وفي غزوة بني المصطلق : ألقى المسلمون القبض على عين للمشركين فأسروه في منطقة البقعاء - وهي على بعد أربعة وعشرين ميلاً من المدينة - فقالوا له : ما وراءك ؟ أين الناس ؟ قال : لا علم لي بهم . فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لتصدقن أو لأضربن عنقك . فقال الرجل : أنا رجل من بني المصطلق تركت الحارث بن أبي ضرار قد جمع لكم وتجلّب إليه ناسٌ كثير ، وبعثني إليكم لآتيه بخبركم وهل تحركتم من المدينة (2) .

وفي غزوة الغابة في السنة السادسة من الهجرة بالقرب من المدينة من ناحية الشام خرج مسلمة بن الأكوع في طلب عيينة بن حصن الفزاري الذي اعتدى على لقاحٍ للنبي ﷺ فلقى غلامًا يرعى الإبل لعبد الرحمن بن عوف فأخبره بخبر المعتدين وعددهم ، وقال إنه رأى لهم مددًا (3) .

وفي سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بفدك في شعبان سنة ست من الهجرة تمكن المسلمون من أسر عين لبني سعد بفدك وكان بنو سعد حلفاء ليهود خيبر ، فسار سيدنا علي بن أبي طالب الليل وكَمُنَ النهار حتى انتهى إلى ماء الهمج وهو ماء بين خيبر وفدك فأصاب عينًا من بني سعد ، فقال له علي بن أبي طالب : من أنت ؟ هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد ؟ قال : لا علم لي به ، فشدوا عليه فأقر بأنه عين لهم بعثوه إلى خيبر ، يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم ، فقالوا له : فأين القوم ؟ قال : تركتهم وقد تجمع منهم

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية 4 / 92 .

(2) الواقدي ، كتاب المغازي 1 / / 406 .

(3) الواقدي ، كتاب المغازي 2 / 539 .

مائتا رجل ، ورأسهم وبر بن عُليم . قالوا : فسِرْ بنا حتى تدلنا . قال : على أن تؤمنوني . قالوا : إن دللتنا عليهم وعلى سرْحهم أمنّاك ، وإلا فلا أمان لك . قال : فذاك . فخرج بهم دليلاً لهم حتى ساء ظنهم به ، وأوفى بهم على فدافد وآكام ، ثم أفضى بهم إلى سهولة ، فإذا نَعَمٌ كثير وشاءٌ ، فقال : هذا نَعَمهم وشاءُهم . فأغاروا عليه فضمّوا النعم والشاء . قال : أرسلوني . قالوا : لا حتى نأمن الطلب ، ونذر بهم الراعي رعاءَ الغنم والشاء ، فهربوا إلى جمعهم فحذرهم ، فتفرقوا وهربوا ، فقال الدليل : علام تحبسني ؟ قد تفرقت الأعراب وأنذرهم الرعاء ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لم نبلغ معسكرهم ، فانتهى بهم إليه فلم ير أحدًا ، فأرسلوه وساقوا النَعَم والشاء ، النعم خمسمائة بعير ، وألفا شاة [١] .

وفي غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة بعث رسول الله ﷺ عبّاد بن بشر في عدد من الفوارس طليعة فاستطاع أسر عينٍ لليهود من أشجع فقال عباد : من أنت ؟ قال : باغ أبتغي أبعرة ضلت لي ، أنا على أثرها . قال له عباد : ألك علم بخيبر ؟ قال عهدي بها حديث ، فيم تسألني عنه ؟ قال : عن اليهود . قال : نعم . كان كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان ، فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنة فجاءوا معدّين مؤيدين بالكراع والسلاح ، يقودهم عتبة بن بدر ، ودخلوا معهم في حصونهم وفيها عشرة آلاف مقاتل ، وهم أهل الحصون التي لا ترام ، وسلاح وطعام كثير لو حصروا لسنين لكفاهم ، وماء وأتن يشربون في حصونهم ، ما أرى لأحد بهم طاقة ، فرفع عباد بن بشر السوط فضربه ضربات وقال : ما أنت إلا عين لهم ، أصدقني وإلا ضربت عنقك ، فقال الأعرابي : أفتؤمنني على أن أصدقك ؟ قال عبّاد : نعم . فقال الأعرابي : القوم مرعوبون منكم خائفون وجلون لما قد صنعتم بمن كان بيثرب من

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٢ - ٥٦٣ .

اليهود ، وإن يهود يثرب بعثوا ابن عم لي وجدوه بالمدينة ، قد قدم بسلعة يبيعها ، فبعثوه إلى كنانة بن أبي الحقيق يخبرونه بقلتكم وقلة خيلكم وسلاحكم ، ويقولون له : فاصدقوهم الضرب ينصرفوا عنكم ، فإنه لم يلق قومًا يحسنون القتال ، وقريش والعرب قد سُرّوا بمسيره إليكم لما يعلمون من موادكم وكثرة عددكم وسلاحكم وجودة حصونكم ، وقد تتابعت قريش وغيرهم ممن يهوى هوى محمد ، تقول قريش : إن خيبر تظهر ، ويقول آخرون : يظهر محمد ، فإن ظفر محمد فهو ذلّ الدهر ، قال الأعرابي : وأنا أسمع كل هذا ، فقال لي كنانة : اذهب معترضا للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك ، واحزُرْهم لنا ، وادْنُ منهم كالسائل لهم ما تقوى به ، ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا ، فإنهم لن يدعوا سؤالك ، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم ، فأتى به عباد بن بشر النبي ﷺ فأخبره الخبر ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اضربْ عنقه . قال عباد : جعلت له الأمان ، فقال رسول الله ﷺ : أمسكه معك يا عباد ، فأوثق رباطًا ، فلما دخل رسول الله ﷺ خيبر عرض على الأعرابي الإسلام ، وقال رسول الله ﷺ : إني داعيك ثلاثا ، فإن لم تسلم لم يخرج الحبل عن عنقك إلى صعدًا فأسلم الأعرابي (١) .

وهناك من العيون اليهودية أو من اليهود من يأتي بنفسه إلى المسلمين يطلب الأمان لنفسه ، فهذا كعب بن مالك يُحدّث : إن رجلاً من اليهود من أهل النطأة وهي أرض خيبر نادانا بعد ليل ونحن بالرجيع : أنا آمن وأبلغكم ؟ قلنا : نعم ، قال : فابتدرناه فكنت أول من سبق إليه فقلت : من أنت ؟ فقال : رجل من اليهود ، فأدخلناه على رسول الله ﷺ فقال اليهودي : يا أبا القاسم : تؤمني وأهلي على أن أدلك على عورة من عورات اليهود ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . فدله على عورة اليهود ، قال : فدعا

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٤٠ - ٦٤١ .

رسول الله ﷺ أصحابه تلك الساعة فحضهم على الجهاد ، وأخبرهم أن اليهود قد أسلمها حلفاؤها وهربوا، وأنها قد تجادلت واختلفوا بينهم ، قال كعب : فعدونا عليهم فظفرنا الله بهم ، فلم يكن في النطأة شيء غير الذرية ، فلما انتهينا إلى الشق وجدنا فيه ذرية ، فدفع رسول الله ﷺ إلى اليهودي زوجته وكانت في الشق فدفعها إليه فرأيته أخذ بيد امرأة حسناء [١] .

وأثناء قيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالحراسة في خيبر كان رسول الله ﷺ يناوب بين أصحابه في حراسة الليل في مقامه بالرجيع سبعة أيام ، فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر بن الخطاب على العسكر ، فطاف عمر بأصحابه حول العسكر وفرقهم ، وأثناء ذلك وقع رجل يهودي في أسر عمر بن الخطاب ، فأمر به عمر أن يضرب عنقه ، فقال اليهودي : اذهب بي إلى نبيكم حتى أكلمه ، فأمسكه عمر وانتهى به إلى باب رسول الله ﷺ فوجده يصلي ، فسمع رسول الله ﷺ كلام عمر فسلم وأدخله عليه ودخل عمر باليهودي ، فقال رسول الله ﷺ لليهودي : ما وراءك ، ومن أنت ؟ فقال اليهودي : تؤمني يا أبا القاسم وأصدقك ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فقال اليهودي : خرجت من حصن النطاة من عند قوم ليس لهم نظام ، تركتهم يتسللون من الحصن في هذه الليلة ، قال رسول الله ﷺ : فأين يذهبون ؟ قال : إلى أذل مما كانوا فيه ، إلى الشق ، وقد رُعبوا منك حتى إن أفئدتهم لتخفق ، وهذا حصن لليهود فيه السلاح والطعام والوَدَك [٢] ، وفيه آلةُ حصونهم التي كانوا يقاتلون بها بعضهم بعضا ، قد غيّبوا ذلك في بيت من حصونهم تحت الأرض ، قال رسول الله ﷺ : وما هو ؟ قال : منجنيق مفككة ودبابتان وسلاح من درع وبيض وسيوف ، فإذا دخلت الحصن غدًا وأنت تدخله ، قال رسول الله ﷺ : إن شاء الله .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٤٦ - ٦٤٧ .

(٢) الوَدَك : هو الدسم من اللحم والشحم . ابن منظور ، لسان العرب « و . د . ك » .

قال اليهودي : إن شاء الله أوقفك عليه ، فإنه لا يعرفه أحد من اليهود غيري ، وأخرى ، قيل ما هي ؟ قال : تستخرجه ، ثم أنصب المنجنيق على حصن الشق وتدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك ، وكذلك تفعل بحصن الكتيبة ، فقال عمر : يا رسول الله ، إني أحسبه قد صدق . قال اليهودي : يا أبا القاسم ، احقن دمي ، قال : أنت آمن ، قال اليهودي : ولي زوجة في حصن النّزار فهبها لي ، قال : هي لك ، قال رسول الله ﷺ : ما لليهود حوّلوا ذراريهم من النّطاة ؟ قال اليهودي : جرّدوها للمقاتلة ، وحولوا الذراري إلى الشق والكتيبة (١) .

وعندما حاصر الرسول والمسلمون قلعة الزبير في خيبر وهي حصن يطلق عليها هذا المسمى ، وهو حصن منيع لا تقدر عليه الخيل ولا الرجال لصعوبته ومنعته ، فجعل رسول الله ﷺ بإزائهم رجالاً يحرسونهم ، لا يطلع أحد عليهم إلا قتلوه ، وأقام رسول الله ﷺ على محاصرتهم ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له غزال يستأمن المسلمين فقال : يا أبا القاسم تؤمني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة وتخرج إلى أهل الشق ، فإن أهل الشق قد هلكوا رعبًا منك ؟ قال : فأمنه الرسول على أهله وماله ، فقال اليهودي : إنك لو قمت شهرًا ما بالوا ، لهم دُبُول - أي جداول - تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون بها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك ، وإن قطعت مشربهم عليهم ضجوا ، فسار رسول الله ﷺ إلى دبولهم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم لم يطيقوا المقام على العطش ، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وقتل من المسلمين نفرٌ ، وأصيب من اليهود ذلك اليوم عشرة ، وافتتحه رسول الله ﷺ فكان آخر حصون النطاة (٢) .

وفي سرية بشير بن سعد الخزرجي إلى بني مرة بفدك في السنة السابعة من الهجرة ،

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٤٧ - ٦٤٨ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٦٦ - ٦٦٧ .

حيث بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بفدك فخرج بشير بن سعد فلقي رعاء الشاء فسأل : أين الناس ؟ فقالوا : هم في بواديهم ، والناس يومئذ شاقون لا يحضرون الماء ، فاستاق النعم والشاء وعاد منحدرًا إلى المدينة (١) .

وفي السنة التاسعة من الهجرة أصابت طلائع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سرية الفُلْس التي بعثها الرسول ﷺ بقيادة علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل على مائة بعير وخمسين فرسًا ، فأصابوا غلامًا أسودًا فلما استخبروه عن طيء حاول خداعهم ، فلما شدّوا عليه قال : أنا غلام لرجل من طيء من بني نبهان ، وأن قومي أمروني بهذا الموضع وقالوا : إن رأيت خيل محمد فَطِرْ إلينا فأخبرنا ، فقال له علي رضي الله عنه : اصدُقنا ، ما وراءك ، فأخبرهم الرجل عن منازل قومه وعددهم ، ومدى استعدادهم للقتال ، وحاول أن يضلل المسلمين عن الطريق الصحيح فهدده عليّ بالقتل حتى أرشدهم إلى الجادة (٢) .

وفي غزوة الفتح عندما تخطى الرسول ﷺ منطقة « العرج » صوب « مكة » تقدمت أمامه طليعة فلما كان بين « العرج » و « الطلوب » جاءوا بعين من هوازان إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله رأيناه حين طلع علينا على راحلته فتغيب عنا في وهدة ثم جاء فأوفى على نشز (٣) .

فقعد عليه فركضنا إليه فأراد أن يهرب منا ، وإذا بعيره قد عقله أسفل من النشز وهو يغيبه . فقلنا : من أنت ؟ قال : رجلٍ من غفار ، فقلنا : هم أهل هذا الظعن ؟ فقلنا : فأين أهْلُك ؟ قال : قريبًا ، وأومأ بيده إلى ناحيته ، قلنا : على أي ماء ؟ ومن معك هناك ؟ قال الجاسوس : فلم ينفذ لنا شيئًا ، فلما رأينا ما خلط قلنا : لتصدقنا أو لنضرب عنقك .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٢٣ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٨٤ - ٩٨٦ .

(٣) النشز : هو الموضع المرتفع ابن منظور ، لسان العرب « ن . ش . ز » .

قال : فإن صدقتكم ينفعني ذلك عندكم ؟ قلنا : نعم ، قال : فإني رجل من هوازن من بني نضير ، بعثتني هوازن عينًا ، قالوا : ائت المدينة حتى تلقي محمدًا فتستخبر لنا ما يريد في أمر حلفائه ، أيبعث إلى قريش بعثًا أو يغزوهم بنفسه ولا نراه إلا سيتغورهم فإن خرج سائرًا أو بعثًا فسر معه حتى تنتهي إلى بطن سرف فإن كان يريدنا أولاً فيسلك في بطن سرف حتى يخرج إلينا ، وإن كان يريد قريشًا فسيلزم الطريق .

فقال رسول الله ﷺ : وأين هوازن ؟ قال الجاسوس : تركتهم بقبعاء وقد جمعوا الجموع وأجلبوا في العرب ، وبعثوا إلى ثقيف فأجابتهم فتركت ثقيفًا على ساق قد جمعوا الجموع ، وبعثوا إلى جرش في عمل الدبابات والمنجنيق وهم سائرون إلى جمع هوازن فيكونون جميعًا .

قال رسول الله ﷺ : وإلى من جمعوا أمرهم ؟ قال : إلى فتاهم مالك بن عوف . قال النبي ﷺ : وكل هوازن قد أجاب ما دعا إليه مالك ؟ قال : قد أبطأ من هوازن أهل الجد والجلد ، قال ﷺ : مَنْ ؟ قال : كعب وكلاب . قال ﷺ : ما فعلت هلال ؟ قال : ما أقل من ضوى إليه منهم ، ولقد مررت بقومك أمس بمكة وقد قدم عليهم أبو سفيان بن حرب فرأيتهم ساخطين لما جاء به وهم خائفون وجلون ، قال رسول الله ﷺ : حسبنا الله ونعم الوكيل وما أراه إلا صدقني [١].

إن المتأمل في الاستجوابات التي تمت لأسرى العدو وعيونه يجد أنها حوت جوانب هامّة سواء التي قام بها الرسول ﷺ أو التي قام بها أصحابه رضي الله عنهم ، حيث حوت قوة الملاحظة للأسرى والعيون ، وبراعتهم في طرح الأسئلة المتلاحقة للجاسوس لم تدع له فرصة للتفكير ، تحديد الأسئلة ووضوحها ، تهديدهم بالقتل ، الحصول على المعلومات التي تخدم المسلمين في حروبهم وانتصاراتهم .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٨٠٤ - ٨٠٦ .

الوسيلة الرابعة

عمال الصدقات

يعتبر عمال الصدقات في أواخر العهد النبوي كأحد مصادر المعلومات ، ووسيلة من وسائل جمع المعلومات ، فهم فضلاً عن تمثيلهم للرسول ﷺ في القبائل التي أرسلوا إليها ، لغرض جمعهم للزكاة كانوا يرسلون إليه أخبارًا عن تطورات الموقف ، في هذه القبائل لاسيما وأن قيادات هذه القبائل ، ظلت كما هي من الناحية السياسية تمشيًا مع المرونة التي تبعها الرسول ﷺ في سياسته مع القبائل حديثة الإسلام .

مثال ذلك : قيام سنان بن أبي سفيان (١) عامل الصدقات على بني مالك بإرساله خبر تنبؤ طليحة الأسدي إلى الرسول ﷺ (٢) .

---

(١) سنان بن أبي سفيان قد أسلم مبكرًا ، وشهد بدرًا والمشاهد كلها ، وهو أول من بايع الرسول ﷺ في بيعة الرضوان . انظر ابن عبد البر ، كتاب الاستيعاب ٣ / ٦٥٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ١٨٧ .

الوسيلة الخامسة

التجار والركبان

يعتبر التجار من أهم وسائل جمع المعلومات ومصادر الاستخبار والتحسب ، وهؤلاء التجار قد يكون بعضهم مجندًا للعمل عيونا ، والبعض الآخر يتكلم عرضيًا فيستفاد من المعلومات التي يحملها ، وكان المستطلعون للأخبار ينتظرون في الطريق يسألون المسافرين والقادمين عن المناطق التي جاءوا منها أو مروا بها ، ولذا فكثيرًا ما يتردد في المصادر القديمة مثل هذا التعبير :

« ما سبقت به الركبان ، أو تأتي به الركبان » [١] .

وكانت الأسواق في مكة والمدينة وغيرهما وأرض الحرم في الموسم تعج بالقادمين ، وتصبح ملتقى للأخبار ، وكل منهم ينقل أخبار قومه ويتحدث بما رأى وسمع في طريقه ، وكان طالبوا الأخبار يتسمعون ويستنتجون كثيرًا من المعلومات .

وفي المدينة المنورة عديد من الأسواق التي تستقبل الوافدين إليها من مختلف البقاع ، وبخاصة من نجد والشام ومن أبرزها « سوق النبط » وسُميّ بذلك لأنه كان يستقبل كثيرًا من الأنباط القادمين من الشام .

وفي السنة الرابعة من الهجرة تحدث تاجر قادم من نجد في سوق النبط بما تعدّه غطفان من كيد للمسلمين فقال : جئت من نجد وقد رأيت أنمار وثعلبة قد جمعوا لكم جموعًا ، وأراكم هادين - أي غافلين - عنهم ، وعندما نمت الأخبار بذلك إلى النبي ﷺ خرج لغزوهم فتفرقوا في الجبال [٢] .

كما كانت سوق النبط عينها تستقبل جماعات من تجار الشام يعرفون « بالساقطة »

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٧٠ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٩٥ .

وهو اسم أطلقه العرب على الأنباط ، وكانوا يبيعون للعرب الزيت ونوعا من دقيق الحواري يسمى « الدَّرْمك » وكان هذا دأبهم منذ الجاهلية ، واستمروا عليه حتى صدر الإسلام ، وعن طريق هؤلاء كانت أخبار الشام والروم كثيرة ومتوافرة لدى المسلمين ترد عليهم كل يوم مع ورود هؤلاء الأنباط .

وبالرغم من بُعد الشقة بين المدينة والشام فقد بلغت النبي ﷺ أنباء عن طريق هؤلاء الساقطة تشير إلى استعدادات الروم وحشدهم لغزو المسلمين في المدينة ، وأنهم استنفروا حلفاءهم من عرب الشام من لخم وجذام وغسان ، وقيل : إن هرقل ملك الروم دفع لجنده رزق سنة سلفا ، وأنهم زحفوا إلى البلقاء على حدود جزيرة العرب ، بينما بقي ملكهم في حمص ، وكان ذلك في سنة تسعة من الهجرة ، وكان الساقطة ينقلون ما سمعوه فقط دون أن يعاينوه ، ويروون ما قيل لهم ، ولذلك لم تكن هذه المعلومات وثيقة ومؤكدة ، وكان على النبي ﷺ أن يأخذ بالأحوط ويتيقن مدى صدقها ، ولم يكن شيء أخوف عند المسلمين من خطر الروم لكثرة جيوشهم وحلفائهم ، ولذلك خرج إليهم الرسول ﷺ في غزوة تبوك ليقطع الشك باليقين ، ويملك زمام المبادرة ، وعندما وصل إلى تبوك لم يجد كيدًا ، فأقام مدة وأمن الحدود وعقد المعاهدات مع قبائل العرب الشمالية (١) .

نلاحظ أن هؤلاء التجار الأنباط هم الذين نقلوا إلى المسلمين أخبارًا عن تحشدات البيزنطيين في البلقاء (٢) وأكدتها مصادر أخرى (٣) .

ومثل التجار أيضا الركبان وأهل الطرق ، فقد خرج الرسول ﷺ مع أبي بكر

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٨٩ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٩٠ .

(٣) أحمد بن حنبل ، كتاب المسند ، تحقيق أحمد محمد شاكر - دار المعارف - القاهرة ١٩٤٩ م . ١ / ٢٠٣ .

رضي الله عنه قبيل غزوة بدر يتحسبان أخبار قريش ، فالتقيا بشيخ من العرب فسألاه عما يريدان ، وعلما منه أخبارًا دون أن يكشفا له عن هويتهما ، ويُقال أن هذا الشيخ العربي سفيان الضمري (١) .

كما كانت قريش تتحسب أخبار رسول الله ﷺ عن طريق الركبان ، وبعد هزيمة أحد توقفت قريش عند حمراء الأسد يتشاورون ، فمر بهم ركب من عبد القيس متجهين إلى المدينة ، فحمّلوهم رسالة تهديد للمسلمين ، وطلبوا منهم أن يبلغوا النبي ﷺ أنهم يزعمون العودة للقتال ، وأنهم قادمون في آثارهم ، فقال النبي ﷺ : حسبنا الله ونعم الوكيل (٢) .

ومما يلفت الانتباه أيضًا إلى أن أحد أسباب غزوة دومة الجندل هو سوء معاملة قبائل المنطقة للتجار المارين بهم وهذا الاهتمام من قبل الرسول ﷺ يشير إلى أن دولة الإسلام في المدينة كانت تحاول دائمًا أن توفر الظروف الشرعية للتجار للعمل بنجاح وتعمل في نفس الوقت على كسب هؤلاء التجار إلى جانبها من خلال إشعارهم بحجم المكاسب التي يمكن أن يحصلوا عليها في حاجة تعاونهم المخلص مع الجانب الإسلامي ، لاسيما على صعيد المعلومات ، كما تشير سوء المعاملة التي لقيها التجار المارون بدومة الجندل إلى إحساس سكان هذه المنطقة وقبائلها بتعاون هؤلاء التجار مع الرسول ﷺ على الأرجح اقتصاديًا ، وإخباريًا ، لاسيما وأن قبائل هذه المنطقة من قضاعة وغسان التابعين للبيزنطيين (٣) .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٥ ، وابن سيد الناس ، عيون الأثر ١ / ٢٤٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٣٦ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٠٣

الوسيلة السادسة

الرسل والوفود

تعتبر الرسل والوفود وسيلة من وسائل جمع المعلومات لصالح المسلمين ، فالرسل التي أرسلهم الرسول ﷺ إلى الملوك والذين كان منهم أربعة من غير العرب ، هم قيصر ملك البيزنطيين ، وكسرى ملك الساسانيين ، والمقوقس حاكم مصر ، والنجاشي ملك الحبشة كانوا يتكلمون لغات الدول التي أرسلوا إليها . وهذا ضروريّ جدًّا ، من أجل أن يعرف المرسل تطورات الأوضاع ، التي تسود الدولة التي أرسلوا إليها ، ومن أجل أن يكون الحوار مباشرًا فيما بينهم ، ومنذ زمن الرسول ﷺ ظهرت البدايات التأسيسية ، لما سمي فيما بعد في العهد الأموي بـ(ديوان الرسائل) من خلال محاولة زيد بن ثابت تعلم اللغات الحبشية والقبطية واليونانية والفارسية (١) .

إن إرسال المسلمين الرسل والسفراء إلى حلفائهم وأعدائهم ينتج عنه تيقن المسلمين من مواقف الآخرين ونواياهم ، وكذلك كان النبي ﷺ ، يستقبل رسل الأصدقاء والأعداء ووفود العرب ويعرف منهم أخبار أقوامهم وقبائلهم .

فمن رُسل النبي ﷺ إلى بني قريظة أثناء غزوة الأحزاب ليتيقنوا منهم إن كانوا ملتزمين بعهودهم أم أنهم غدروا ونكثوا ، وكان وفد المسلمين يتكوّن من ثلاثة من الصحابة هم : سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه فتحدثوا إلى زعماء بني قريظة وتأكدوا من غدرهم وسمعوا منهم أسوأ مقالة (٢) .

وقد تبادل المسلمون وقريش السفراء في الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، فبعثت قريش بالحليس بن علقمة الكناني ، وبعث النبي ﷺ بعثمان بن عفان رضي الله

---

(١) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، تحقيق عبد الله الصاوي – القاهرة . د . ت . ص ٢٤٦ ، وابن سعد الطبقات الكبرى ٢ / ٢ / ١١٠ .

(٢) ابن هشام السيرة النبوية ٢ / ٢٢١ .

عنه حتى تيقن من رغبتهم في المسالمة والمواءمة فصالحهم [١] .

كان النبي ﷺ يعرف أخبار القبائل من وفودهم ، جاءه الطفيل بن عمرو الدوسي بخبر قومه ، وقال له : يا رسول الله إن دوسًا قد هلكت وعصت وأبت فادع عليهم ، فلم يفعل ، ودعا لهم بالهداية [٢] . وعن طريق هؤلاء الرسل يعرف النبي ﷺ أخبار المناطق النائية مثل دحية الكلبي رسوله إلى هرقل ملك الروم ، وشجاع بن وهب رسوله إلى ملك الغساسنة وإلى كسرى ملك الفرس ، وحاطب بن أبي بلتعة رسوله إلى المقوقس حاكم مصر ، والعلاء بن الحضرمي رسوله إلى جيفر وعبد ابني الجُلندي بعُمان ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن أمية الضمري رسوليه إلى النجاشي ملك الحبشة [٣] .

كما كانت أخبار النبي ﷺ تصل إلى خيبر من خلال الدور الذي قام به مُحيصة بن مسعود الحارثي ، وذلك إلى يهود فدك للتفاوض معهم ، ونجح مسعود بعد مفاوضات صعبة في إرغامهم على طلب الصلح بشروط المسلمين [٤] .

كما نقل هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الرسول ﷺ إلى الملوك والزعماء داخل الجزيرة وخارجها ، صورة عن المناطق التي أرسلوا إليها [٥] . مثل أخبار الحبشة التي وصلت إلى النبي ﷺ عن طريق رسله إلى النجاشي وعن طريق المهاجرين إلى الحبشة ، وقد عاد بعضهم فرادى أو جماعات في أوقات مختلفة [٦] .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية ٢ / ٣١٢ ، ٣١٥ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٥ / ٦٨ .
(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١ / ١٩٨ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ١٠٢ ، وابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٢٦٢ .
(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٨٤ ، ٧٠٦ .
(٥) حميد الله ، مكاتبات الرسول وردودها ص ٩٩ - ١١٥ ، ١٣٥ ، ١٤٤ .
(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٢٦٨ - ٢٧٠ .

ثانيًا : وسائل جمع المعلومات التي كان العدو يحصل عليها

استطاع أعداء المسلمين أن يحصلوا على المعلومات التي تخدم أهدافهم ، وتكشف أحوال المسلمين أمامهم عن طريق العديد من الوسائل والمصادر ، مثل عيون من قريش ، وعيون من القبائل العربية ، ويهود خيبر والبيزنطيين .

الوسيلة الأولى

عيون من قريش

حاولت قريش أن تجند كافة إمكانياتها في سبيل الحصول على المعلومات التي تتعلق بالرسول ﷺ وبالمسلمين ، فكان لقريش والقبائل العربية واليهود عيون يرصدون ويتحسبون المسلمين يستطلعون أخبارهم ، ويتابعون تحركاتهم ، وبدأت قريش ترصد النبي ﷺ وصحبه قبل الهجرة ، حتى لا يجتمع بأحد من العرب ، أو يكون له حلفاء وأنصار ، وكانت لهم عيون ترصده ﷺ في بيعة العقبة الثانية ، ولكنه استطاع أن يضللهم ، ويفلت من مراقبتهم ، ولم تعلم قريش باجتماعه بالأوس والخزرج إلا مؤخرًا فخرجت في طلب القوم فأدركت نفرًا منهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وغيرهما ثم يئسوا منهم فأطلقوا سراحهم (١) .

وكذلك حاولت قريش أن ترصد النبي ﷺ لتمنعه من الهجرة ، لكن الله أغشى أبصارهم ، وأحبط كيدهم .

كان أبو سفيان بن حرب زعيم قريش وقائد قافلتهم التجارية يتحسس أخبار المسلمين ، ويسأل من يلقى من الركبان ، كما خرج مع اثنين من رفاقه يوم الفتح يتحسسون الأخبار ، وكان لقريش حازرون ذو خبرة يمكنهم بالحدس تقدير عدد

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣ / ١٦٤ .

المسلمين وسلاحهم وقوتهم وإمدادهم ، وقد سبق أن ذكرنا منهم عمير بن وهب الجمحي الذي حرز المسلمين يوم بدر ، وأبا أسامة الجُشمي .

كما كانت قريش تستعين بحلفائها من يهود يثرب مثل سلام بن أبي الحقيق النضري وأخيه كنانة ، وحييّ بن أخطب النضري ، وكان أبو سفيان يأتي المدينة سرًّا ويطرق باب سلام بن مشكم ويسمع منه أخبار النبي ﷺ وصحبه (١) .

واستمر اليهود عيونًا لقريش حتى بعد إجلائهم من المدينة ، ينقلون إليهم أخبار الرسول ﷺ ويؤلبون الأحزاب ضده (٢) .

كما كانت قريش تتحسب أخبار النبي ﷺ في غزوة خيبر وتتمنى أن تأتي هزيمتهُ على أيدي اليهود ، بعد أن فشلت هي في حربه ، وأرسلوا عيونهم إلى ثنية البيضاء (٣) ليسألون الركبان والقادمين إليهم عن أخباره (٤) .

كما قام الرسول ﷺ بعقد سلسلة من الاتفاقات مع القبائل الواقعة في محيط المدينة ، وعلى الطريق التجاري إلى الشام ، سميت الموادعة (٥) .

ورغم ذلك فإن اليهود والمنافقين ظلوا في السنوات الأولى إلى معركة الخندق أبرز قناتين مدت قريشًا بالمعلومات ، وقد عبر اليهود عن ذلك في غزوة السويق (٦) ، عندما استقبل سلام بن مشكم (٧) أحد قادة بني النضير أبا سفيان

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٧٩ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٤٤ .

(٣) ثنية البيضاء : هي ثنية التنعيم ، قرب مكة المكرمة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٨٥ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٣٤٥ .

(٥) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١١ - ١٢ ، والبلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٢٨٧ .

(٦) كانت في السنة الثانية من الهجرة ، انظر الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٨١ .

(٧) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ /٤٨٣ .

في حصونهم وزوده بالمعلومات [١] .

وفي أحد عندما أمدوا أبا سفيان بمعلومات عن نقاط الضعف لدى المسلمين وكذلك فعلوا في غزوة الخندق [٢] . كما وقف المنافقون كعيون لقريش مدفوعين بحقدهم الأعمى على الإسلام ، ولذلك وردت إشارة إلى تعاونهم إخباريًا مع المشركين من خلال تزويدهم بأخبار تحركاته في السنة الأولى من الهجرة ، والتي استهدفت نشاطًا متصاعدًا ضد القوافل التجارية القرشية [٣] .

كما كان لقريش عيون في بعض القبائل العربية ، لاسيما التي تقع على الطريق التجاري كما هو الحال مع الجاسوس الجذامي ، الذي بلغ أبا سفيان في الزرقاء [٤] استعدادات الرسول ﷺ لمطاردة القافلة [٥] وكذلك الجاسوس الذي عمل لحسابه في الروحاء أثناء المطاردة قبل معركة بدر [٦] ، والفرات بن حيان العجلي في ذي القردة [٧] ، ونعيم بن مسعود في بدر الموعد [٨] .

الوسيلة الثانية

عيون من القبائل العربية

حاولت القبائل العربية الحصول على المعلومات التي تكشف عن الجانب

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٨١ ، والبلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٣١٠ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٥٨ - ٤٥٩ ، والطبري ، تاريخ الطبري ، ٢ / ٥٧١ - ٥٧٢ .

(٣) سيف الدين سعد آل يحيى ، الحركات العسكرية للرسول الأعظم . طبعة بيروت ١٩٨٣م . ٢ / ٥٣٤ .

(٤) الزرقاء : موضع بالشام ، تقع شمال الأردن ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ / ١٣٧ .

(٥) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٨ ، وابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٨٢ .

(٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٨٧ .

(٧) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٩٧ - ١٩٨ ، وابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٧ .

(٨) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٨٥ - ٣٨٦ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٦٠ - ٥٦١ .

الإسلامي ، وذلك من خلال مصادر خاصة بها ، بعضها عيون من نفس القبيلة ، يرسلون إلى المدينة أو يرابطون في مفارق الطرق ، أو عبر التعاون مع أصدقاء لهم ينقلون لهم الأخبار [١] .

فقد كان من قبيلة خزاعة الحيسمان بن عبد الله الخزاعي بمثابة عين لقريش وكان أول من حمل إلى أهل مكة خبر مصاب قومهم في بدر [٢] .

وكان لأبي سفيان جواسيس وعيون حاولوا التسلل إلى داخل المدينة واغتيال النبي ﷺ ، ولكن الله عصمه منهم ، واعترف أحدهم بجرمه [٣] .

لقد كان للقبائل المعادية للمسلمين عيون وأرصاد مثل أهل دومة الجندل ، فاستطاعوا أن يعرفوا أن النبي ﷺ خرج لغزوهم سنة خمس من الهجرة ، فتفرقوا في الصحراء ، ولم يجد منهم أحدًا [٤] .

كما كانت بعض بطون غطفان يتجسسون لحساب اليهود لحلف بينهم ، ويبعثون بعيونهم لمراقبة المسلمين في خيبر [٥] .

وكان لبني بدر من فزارة الغطفانية ناطور - أي رقيب - يقف على جبل يشرف على الطريق ، فيمكنه أن يستطلع مسيرة يوم ، فكان يحذرهم من سرايا المسلمين [٦] .

وجاء رجل إلى المدينة من قبيلة فزارى تحت ستار التجارة ، فتحسب الأخبار وعاد ليخبر اليهود أن محمدًا يعبئ أصحابه لحربهم [٧] .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٩٦ - ١٩٧ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٩٣ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣ / ٣٠٨ .
(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٦٧ .
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٩٢ .
(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ١٧٩ .
(٦) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٤ .
(٧) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٤٢ .

وكان للقبائل منذرون يحذرونهم عند وقوع الخطر ، منهم الصارخ أو الصريخ ويطلق اللفظ بمعنى المغيث والمستغيث أيضًا ، وكان يقف على مكان مرتفع صائحًا : « واغوثاه » فيهب الناس لدرء الخطر ، ففي سرية بشير بن سعد إلى بني مرة في فدك في السنة السابعة من الهجرة ، خرج الصريخ على القوم فأخبرهم بهجوم المسلمين على نعمهم وشائهم ، فأدركوا المسلمين بليل واستنقذوها منهم [(١)] .

وفي السنة الثامنة من الهجرة عندما غزا غالب بن عبد الله الليثي بني الملّوح في كديد خرج الصريخ محذرًا القوم صائحا : واغوثاه ، فخرجوا في طلب المسلمين فلم يدركوهم [(٢)] .

وفي سرية أبي العوجاء السّلمي إلى قومه بني سُليم في أواخر السنة السابعة من الهجرة ، كان وسط رجاله عين لبني سُليم ، فلما فصلوا عن المدينة خرج العين إلى قومه فأخبرهم وحذرهم [(٣)] .

الوسيلة الثالثة

يهود خيبر

وفيما يتعلق بيهود خيبر : فقد دخلت هذه المدينة الصراع مع الرسول ﷺ منذ فترة مبكرة لاسيما بعد طرد بن النضير ، ولجوئهم إليها ، وكانت مصادر معلومات خيبر عن المسلمين تأتي عبر بقايا اليهود في المدينة [(٤)] . وعبر المنافقين ، وعبر عيون من أشجع وفزارة والغطفانية ، يرسلون إلى المدينة ، أو يرابطون في الطرق لهذا الغرض [(٥)] .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٢٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٢٨ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٤٣٩ .

(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ٢/٦٦٦ .

(٥) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٩٠ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٩٤ .

الوسيلة الرابعة

البيزنطيون

أما البيزنطيين : فقد حاولوا أن يكون لهم مركز للتجسس داخل صفوف المسلمين وكلفوا بذلك صنيعتهم أبا عامر الراهب الخزرجي ، وشاركه في ذلك جماعة من قومه من أهل النفاق والرّيب ، فشرعوا في بناء مسجد بجوار مسجد قباء في السنة التاسعة من الهجرة ليكون مرصدًا في الباطن يستقبلون فيه من يأتيهم من رسل الروم ، وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه ليخدعوا المسلمين ، فكشف الله سترهم وقال لنبيه : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة : ١٠٨][١] .

لقد اعتمد البيزنطيون على مصادر خاصة بهم للحصول على المعلومات على ما يجري في الجزيرة العربية عامة ، وفي الحجاز خاصة من خلال التجار الأنباط الذين كانوا يترددون بصورة دائمة [٢] .

ومن ثمّ لم تكن مهمة المسلمين الاستخبارية سهلة ميسورة ، وكان عليهم أن يواجهوا عيون العدو ، ويحبطوا وسائله للتجسس وكشف عوراتهم وأخبارهم .

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) انظر : ابن كثير ، مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ١٦٩ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٩٠ .

الفصل الثالث

صفات رجال المخابرات في عصر الرسول ﷺ

يفترض في رجال المخابرات في العهد النبويّ، أن تتوفر فيهم صفات تؤهلهم لأداء المهام الصعبة، والخطرة المكلفين بانجازها من قِبل قائدهم محمد ﷺ، منها :

١ - السمع والطاعة :

إن رجل المخابرات عندما يوجه له الأمر أو التكليف بعمل ما فإنه يجب عليه أن ينفذه مهما كان هذا الأمر صعبًا في تنفيذه، وقد أمرنا بذلك القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء : ٥٩] .

ويقول النبي ﷺ : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » [(١)] . لقد تحلى رجال مخابرات الرسول ﷺ بالطاعة التامة له، وبتنفيذ أوامره أثناء قيامهم بواجبهم الاستخباريّ، ومثل ذلك :

طاعة الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان لرسول الله ﷺ عندما أرسله لاستطلاع أخبار قريش ومنْ معهم أثناء حصارهم المدينة، وفي ذلك يقول حذيفة : « إذْ دعاني باسمي أن أقوم، قال اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ، فلما وليت رأيت أبا سفيان فوضعت سهما في كبد القوس فذكرت قول رسول الله، « ولا تذعرهم عليّ » ولو رميته لأصبته » [(٢)] .

٢ - الذكاء :

حرص النبي ﷺ أن يختار عيونه متصفة بصفة الذكاء، لأنها صفة يجب أن تكون

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ٤ / ٦٠، والإمام مسلم في صحيحه بشرح النووي ١٢ / ٢٢٢ .

(٢) الإمام البخاري، صحيح البخاري طبعة دار الشعب ٤ / ٦٠، والبخاري، صحيح البخاري بشرح عمدة القاري ١٤ / ١٤٢ .

ملازمة للعين بالإضافة إلى الحدس والقدرة على ضم القضايا بعضها إلى بعض والخروج بنتيجة هي مناط عمله ، ولا يمكن أن يكون رجل مخابرات النبي ﷺ فيه شيء من عدم الذكاء لأن ذلك يكون معناه أن ضرر العين أكثر من نفعها (١) .

٣ - القدرة على تحمل الظروف الصعبة :

يجب على رجل المخابرات أن يكون لديه القدرة على تحمل الصعاب ، وتكييف نفسه مع أحوال المعيشة خارج أرض الوطن ، وأن تكون عنده القدرة العالية على تمييز معاني الأشياء وأهميتها ، ومعرفة ما هو مطلوب وما هو الشيء الهام وغير الهام (٢) .

فقد سمع الرسول ﷺ باجتماع هوازن وثقيف لقتاله بقيادة مالك بن عوف ، فبعث ﷺ برجل استخباراته عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي إليهم وأمره أن يدخل فيهم ، ويسمع منهم ويعرف أخبارهم ، ذهب عبد الله ودخل بين القوم ومكث يومين ثم عاد إلى الرسول ﷺ يخبره بخبرهم ، إذ قال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا (وسمى جبلاً) ، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بضلعهم ونعمهم وشبابهم اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم الرسول ﷺ وقال : تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله تعالى (٣) وأخبر الرسول أنه تسلسل إلى مواقع القوم ووصل إلى خباء مالك بن عوف ، فوجده قد جمع رؤساء القوم في مؤتمر يضع فيه لمساته الأخيرة لخطة القتال وسمعه يقول : إن محمدًا لم يقاتل قومًا قط قبل هذه المرة ، وإنما كان يلقى قومًا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم ، فإذا كان السحر فضعوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ثم تكون الحملة منكم واكسروا غماد سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف ، واحملوا حملة رجل واحد واعلموا أن

---

(١) المجلة العسكرية ، تصدرها القوات المسلحة الأردنية عدد ٤٣ لسنة ١٩٦٥ ص ٦٥ .

(٢) صلاح نصر ، حرب العقل والمعرفة الطبعة الثانية - بيروت ١٩٨٢ م . ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) أبو داود ، سنن أبي داود الحديث رقم (٢٥٠ جزء ٣ ص ٩) .

الحملة لمن حمل أولاً [١] .

كما يجب على رجل المخابرات أن يكون صبورًا على ما لعله يصير إليه من عقوبة إن ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال بلده ، ولا يطلع على وهن في بلده ، فإن كان ذلك لا يخلصه من يدعوه ولا يدفع سطوته عنه ، بل ولا يعرف أنه جاسوس أصلاً ، فإن ذلك ما يحتم هلاكه ويفضي إلى حتفه [٢] .

وأن يكون لديه القدرة على تحمل الآلام [٣] والاستعداد لقبول خيار الموت الطوعي [٤] .

٤ - الشجاعة :

هي صفة لازمة لرجل المخابرات عبر التاريخ ، لذلك من الشجاعة أن يتمالك رجل المخابرات أعصابه في الحالات الحرجة ، لاسيما إذا كانت المهمة تتطلب تماسًا مع العدو ، أو الدخول إلى قلب قواعده ، إذا كانت احتمالات النجاح متدنية ، ومع ذلك يجب المغامرة بتنفيذ الخطة ، وقد ضرب رجال مخابرات النبي ﷺ المثل الأعلى في الشجاعة لاسيما في المهمات الخاصة [٥] .

خاصة أن عمل رجل المخابرات قيد المخاطرة الشديدة والمجازفة بالنفس ، وهذا يتطلب الشجاعة المعنوية والمادية ، وأن يتصف بالشعور السامي بأداء الواجب بكل إخلاص وأمانة ووفاء [٦] .

---

(١) محمد فرج ، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٦٨٧ ، ٥٨٩ .
(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٤ ، وحسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ١ / ٤٨٢ .
(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٦١ .
(٤) ابن شبة ، تاريخ بن شبة ٢ / ٤٦٠ - ٤٦١ .
(٥) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٦ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٦ .
(٦) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٧٤ .

لقد كانت هذه صفة الرسول ﷺ وسنته في اختيار مخابراته وطلائعه ، ثم صارت تلك عادة المسلمين دائما جريا على عادتهم من الحذر ومن الاحتراس [١] .

وقد وصف ابن عمر رضي الله عنهما ذلك فقال : « ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ ، لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة إذ سمعوا صوتًا قويًا غير عادي فانطلق بعض الناس نحو الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت وعرف الخبر ، وكان راكبا فرسًا عاريا والسيف في عنقه وهو ينادي أصحابه بأن لا يخافوا ولا يرتاعوا وهكذا كان أسبق القوم إلى النجدة بكل شجاعة وقوة وجسارة[٢] .

لقد ضرب صحابته الكرام أفضل الأمثلة في كونهم عيون شجعان ، قاموا بأداء ما كلفوا به من أعمال استخبارية على أكمل وجه ، وقد سبق عرض هذه الأمثلة في وسائل جمع المعلومات عند رسول الله ﷺ .

٥ - القدرة على الإقناع :

إن امتلاك رجل المخابرات القدرة على الإقناع يتطلب امتلاك قدرات ذكائية جيدة تتغلب على شكوك الخصم ، وتجيب على تساؤلاته بنجاح ، وهذا الذي توفر في رجال مخابرات النبي ﷺ ، فلابد لرجل المخابرات أن يخفي شخصيته الحقيقية تحت قناع يقوم على تغير الملامح ، أو تغير في نبرات الصوت ، والملابس ، أو كلها مجتمعة أو منفردة ، وقدم رجال مخابرات الرسول ﷺ صورًا ناجحة من هذا [٣] .

٦ - التهذيب والأخلاق :

من المعروف أن أخلاقيات الإنسان وأمانته وسلوكه هي العنصر الأساسي الذي

---

(١) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ١ / ٤٨٢ ، وعبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) محمود شيت خطاب وآخرون ، اقتباس النظام العسكري ص ١٢٨ .

(٣) عمر بن شبة ، تاريخ المدينة المنورة ، طبعة جدة ١٣٩٣ هـ ٢ / ٤٦٨ - ٤٦٩ .

يتحكم في باقي العناصر والركائز التي يقوم عليها عمل رجل المخابرات الصعب . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

فلقد علق الله عزَّ وجلَّ الفَلاَح على أخلاق ثلاثة : التقوى ، وابتغاء الوسيلة والجهاد في سبيل الله ، ولاشك أن الأخلاق الأساسية في الإسلام كثيرة ، ولكن عند التتبع يجد الإنسان أن كثيرًا من الأخلاق التي ذكرت في الكتاب والسنة تتفرع عن أصل جامع ، إن أمهات الأخلاق التي تتفرع عنها كل الأخلاق الإسلامية هي التي وصفها الله عزَّ وجلَّ في قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٤ - ٥٦] .

وهذه الآيات ذكرت خمسة أخلاق هي :

١ - ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ .

٢ - ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

٣ - ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

٤ - ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ .

٥ - ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [(١)] .

---

(١) سعيد حوي ، جند الله ثقافة وأخلاقًا ص ١٦٨ - ١٧١ .

٧ – التمكن من معرفة لغة العدو :

إن تعلم لغة العدو أمر ضروريّ لرجل المخابرات ، ولقد عُني النبي ﷺ بتعلم لغة العدو وحث رجاله على إجادتها ، فقد أمر ﷺ بتعلم لغة اليهود ، وفي هذا يقول زيد : أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب اليهود ، وقال : «إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنَ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي» ، ثم يقول زيد : فَوالله مَا مَرَّ بي نِصفُ شَهْرٍ حتى تعلمْتُهُ وجُدْتُ فِيه ، فكنْتُ أكتبُ له إليهم وأقرأ له كتبَهم إليه »[1] . لذلك فإن كل من تعلم لغة قوم أو عرفها أمن شرهم[2] .

٢ – وكذلك استطاع أن يكشف سرهم ، وتمكن من عدم ظهور أمره لأنه يتكلم بلغتهم [3] .

ولا تزال صفة تعلم لغة العدو ضرورية جدًا لرجال المخابرات ، وقد برز من هؤلاء الرجال عيون الرسول ﷺ الذين نفذت بين ربوع القوم أهداف معينة [4] .

كما أشير إلى أن رسل النبي ﷺ كانت تجيد لغات من أُرسلوا إليهم خارج الجزيرة العربية [5] .

٨ – القدرة على الإبداع :

تعتبر هذه الصفات مهمة لرجل المخابرات ، حتى يتثنى له هذا الإبداع من خلال معالجة المشاكل الثانوية أثناء التنفيذ ، والتي لم تأخذها الخطة في خطوطها العريضة بعين الاعتبار ، نتيجة لمتغيرات طرأت على ميدان التنفيذ[6] .

---

(١) أبو داود ، سنن أبي داود ، الحديث رقم ٣٦٤٥ ، ٣ / ٣١٨ .

(٢) محمود شيت خطاب . اقتباس النظام العسكري ص ١٧١ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٤ .

(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ٣ / ١٨ ، ١٩ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٦ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١ / ٢ / ١٥ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٤٥ .

٩ - معرفة الطرق والمسالك :

يجب أن يتصف رجل المخابرات بهذه الصفة خاصة المكان أو البقعة التي ستنفذ العملية في محيطها ، فقد أشير إلى وجود أدلاء في بعض العمليات التي أمر بها النبي ﷺ [(١)] ولم يشر إليهم في عمليات أخرى ، مما يدل على امتلاك الوحدات المنفذة أو الأفراد لمعرفة جيدة بمسالك المنطقة ، وهو ما يعطيها مرونة أكبر في اختيار الطرق في الذهاب والإياب [(٢)].

فكثيرًا ما كان النبيّ ﷺ يختار الأدلاء والعيون من أهل البلاد ومن القبائل التي لها خبرة بالمناطق ، واعتادوا زيارة مناطق العدو في الجاهلية ، وقد استعمل الرسول ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة دليلاً له معرفة بالطرق ، كما استعمل ﷺ في غزوة خيبر « حُسيل بن خارجة » و « عبد الله بن نعيم » ، وكلاهما من قبيلة أشجع النجدية التي يرتاد رجالها دائما في الجاهلية منطقة خيبر [(٣)] .

وهذا هو عبد الله بن أنيس بعثه الرسول ﷺ لاستطلاع أخبار هذيل وبني اللحيان من قبائل الحجاز ، وكان يعرف تلك القبائل لمجاورتها ديار قومه « جهينة » [(٤)] .

١٠ - القدرة على كتمان المعلومات :

لقد كان للنبي ﷺ رجال مخابرات سواء في المدينة أو في مكة أو في غيرهما يتصفون بالعديد من الصفات الحميدة والهامة ومن بينها صفة القدرة على كتمان المعلومات ، ومن بين هؤلاء الرجال حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل ، الذي اختاره

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٨٥ - ٩٨٧ ، ٢ /٧٠٧ - ٧٢٨ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٩ - ٢٠ .

(٣) محمد أحمد باشميل ، غزوة خيبر ، دار الفكر - بيروت ١٩٧١ ، ص ١١١ .

(٤) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، طبعة بيروت ١٩٦٠ م . ص ١٦٥ ، ومحمد فرج ، العقيدة العسكرية ص ٤٨٠ .

النبي ﷺ دون غيره من الصحابة ليكون عينا له في المنافقين في المدينة ، وذلك لتمتعه بمزايا الكتمان السري الشديد ، فلا يفشي سرّه لأحد ولا يرتبك في المواقف الحرجة [١] .

وعندما اختاره النبي ﷺ ليدخل في القوم ويأتيه بخبرهم إلا لما يتمتع به حذيفة من القدرة العالية والكفاءة التي ليس لها نظير في الكتمان .

لقد عرف النبي ﷺ أهمية كتمان المعلومات وحفظ الأسرار فكتمها في معظم حروبه ، وقبل غزوة الخندق التي عبأ فيها المشركون عشرة آلاف مقاتل عدا اليهود لمهاجمة المدينة ، كان النبي ﷺ على علم بنوايا أعدائه من خلال رجال استخباراته في مكة والقبائل العربية ، وحفر المسلمون خندقا حول المدينة ، وكان مفاجأة للمشركين حتى قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها [٢] .

هذه الوقعة لا تدل على نجاح مخابرات النبي ﷺ التي عرفته بنوايا أعدائه مبكرا فحسب ، بل تدل على عجز مخابرات العدو ، على الرغم من أن حفر الخندق استغرق حوالي عشرين يومًا ، إذ كانت كافية جدًّا لمخابرات قريش لكي تكشف هذا العمل ، ولكن نجاح المخابرات الوقائية المسلمة استطاعت أن تحول بين قريش وبين وصول الخبر إليها ، وعلى مدى كتمان المسلمين لسر خطتهم الحربية ، وحرمان العدو من الحصول على معلومات عنها .

١١ - الحدس والفراسة :

يجب على رجل المخابرات أن يكون ذا حدس وفراسة تامة ، ليدرك بفور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو بالمشاهدة ما كتموه من النطق به ، ويستدل فيما هو

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥٢ .

(٢) عبد الله على السلامة ، الاستخبارات العسكرية ص ٢٠٣ .

فيه ببعض الأمور على بعض ، فإذا تفرس في قضية ولاح له أمرًا آخر يعضدها قوى بحثه فيها بانضمام بعض القرائن إلى بعض [١] .

وذلك مثل فراسة حذيفة بن اليمان وقد بعثه الرسول ﷺ عينًا إلى المشركين فجلس بينهم ، فقال أبو سفيان : لينظر كل منكم جليسه ، فبادر حذيفة بفراسة وسرعة وقال لجليسه : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان[٢] .

إنه الذكاء بالإضافة إلى الحدس والفراسة ، فالقدرة على الملاحظة الدقيقة ضرورية لمن يعمل في مجال المخابرات .

١٢ - الوثوق بنصيحته وصدقه :

على رجل المخابرات أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه ، لأن الإنسان الظّنين لا ينتفع بخبره ،وإن كان صادقًا ، لأنه ربما أخبر بالصدق فاتهم فيه ، فتفوت المصلحة ، بل ربما آثر الضرر لمن هو عين له ، إذ المتهم في الحقيقة عين علينا لا عينًا لنا ، وكيف يكون المتهم أمينًا لاسيما فيما يصرف قيد جليل الأحوال من القضايا العظيمة إن سلمت نفسيات الأمور [٣] .

ومن بين العيون الصادقة وكلهم صادقون ، الرجل الذي بعثه النبي ﷺ وهو عبد الله ابن أبي حدرد الأسلمي إلى هوازن وثقيف ودخل فيهم ومكث عدة أيام ثم عاد فأخبر النبي ﷺ بكل صدق ما حدث وما سمعه وأخبر الرسول ﷺ أنه تسلل إلى مواقع القوم ووصل إلى خباء مالك بن عوف [٤] .

١٣ - القدرة على الملاحظة :

هذه الصفة يجب أن تتوفر في نظرة رجل المخابرات إلى الأشخاص والأشياء

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٣ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ٣٧ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٣ .

(٤) عبد الله علي السلامة ، الاستخبارات العسكرية ص ٢٠٨ .

مع القدرة على التعبير عنها نطقًا وكتابة بوضوح ، وهذا يتطلب منه أن يكون ذا ذاكرة تعي الأرقام وتختزن الحقائق والمعلومات ، فالقدرة على الملاحظة الدقيقة ضرورية لرجل المخابرات ، كما أن الدقة في حفظ الضروريّ من المعلومات في الذاكرة له أهمية عظيمة ، فلكي يأخذ رجل المخابرات المعلومات فإنه يسمع أولاً ثم يحفظ ثم يؤديها لفظًا بإرسالها لمصدرها أو أن يدونها ، وهذا كله يتطلب مرانًا ذهنيًا ممتازًا (١) .

وخير مثال على ذلك مخابرات الرسول ﷺ الذين تعلموا وتمرسوا على يديه مثل : بشبَس بن عمرو ، وعدي بن أبي الزّغباء اللذين بعثهما النبي ﷺ كعيون له للحصول على معلومات عن قريش قبل غزوة بدر فسمعا حديثا من بعض الجواري وحفظاه ثم عادا إلى رسول الله ﷺ فأدياه (٢) .

ومثل أنس ومؤنس ابنا فضالة بن عدي الأنصاريان ، حيث بعثهما النبي ﷺ عينين له ليستطلعا خبر قريش ، فدخلا في صفوفها وصارا مع قريش دون أن ينتبه أحد من قريش إليهما ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا من خبر قريش وعددهم ومنازلهم (٣) .

١٤ - القدرة على الدهاء والحيل والخديعة :

من الصفات التي يجب أن يتحلى بها رجل المخابرات أن يكون كثير الدهاء ولديه القدرة على الحيل والخديعة ، لكي يتوصل بدهائه إلى كل موصل ، ويدخل بحيلته إلى كل مدخل ، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه ، فإنه متى كان قاصرًا في هذا الباب أوشك أن يقع ويظفر العدو به ، أو يعود صفر اليدين في طلبته (٤) .

---

(١) أحمد شوقي عبد الرحمن ، الملحق العسكري ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٩م. ص ٧٤ .
(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ ٢٥٢ - ٢٥٧ .
(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ .
(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٣ .

وقد ذكر النبي ﷺ : « أَنَّ الحَرْبَ خدْعَةٌ » [١] فلا بأس لرجل المخابرات أن يخادع قرنه ، وإن ذلك لا يكون غدرًا منه .

وعندما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ، مرّ حتى وقف على شيخ العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين ، فقال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبروني ممن أنتم . فقال رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك ، فقال الشيخ : خبرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا ، فإن كان الذي أخبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا للموضع الذي به قريش ، وخبرت أن محمدًا خرج من المدينة وقت كذا ، فإن كان الذي خبرني صدق ، فهو اليوم بمكان كذا ، للموضع الذي به رسول الله ﷺ ، ثم قال الشيخ : من أنتم ؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء ، ثم انصرف فجعل الشيخ يقول : نحن من ماء ، من ماء العراق أو من ماء كذا أو ماء كذا [٢] .

لقد أجاب النبي ﷺ على الرجل بكل دهاء وذكاء وتمويه دون أن يكذب ، بل استطاع أن يتوصل إلى كل ما يريد .

ومما يؤيد ذلك أيضا موقف نعيم بن مسعود عندما دخل الإسلام وجاء إلى رسول الله ﷺ وقال له مرني بأي شيء أفعله لك ، فقال الرسول ﷺ « خَذِّلْ عَنَّا إن اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ الحَرْبَ خدْعَةٌ » [٣]. فلجأ نعيم بن مسعود إلى حيلة استطاع بها أن يفرق جمع المشركين ، فقد ذهب إلى بني قريظة فدخل عليهم – وهم لا يعلمون بإسلامه – فقال : يا بني قريظة إنكم قد حاربتم محمدًا ، وإن قريشًا إن أصابوا فرصة انتهزوها ، وإلا استمروا إلى بلادهم راجعين وتركوكم ومحمدًا فانتقم منكم ، قالوا : فما العمل يا نعيم ؟ قال : لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن، قالوا : لقد أشرت بالرأي ، ثم مضى

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه ٤ / ٧٧ ، ٧٨ طبعة دار الشعب . (د . ت) .

(٢) ابن قتيبة الدينوري ، عيون الأخبار ٢ / ١٩٤ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه باب الحرب خدعة رقم ٣٠٢٧ ، وفي فتح الباري ٦ / ١٨٢ .

إلى قريش ، وقال لهم : تعلمون ودّي لكم ونصحي لكم ، قالوا : نعم . قال : إنَّ يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه ، وأنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه ثم يوالونه عليكم ، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم ، ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك ، فلما كان ليلة السبت من شوال في السنة الخامسة من الهجرة بعثوا إلى يهود : إنا لسنا بأرض مقام ، وقد هلك الكراع والخف فانهضوا بنا حتى نناجز محمدًا ، فأرسل إليهم اليهود إن اليوم يوم السبت وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه ، ومع هذا فإنا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رهائن ، فلما جاءتهم رسلهم بذلك قالت قريش وغطفان صدقكم والله نعيم ، فبعثوا إلى يهود : إنا والله لا نرسل إليكم أحدًا فاخرجوا معنا حتى نناجز محمدًا ، فقالت قريظة : صدقكم والله نعيم ، فتخاذل الفريقان ، ودبت الفرقة بين صفوفهم وخارت عزائمهم [١] .

١٥ - حبه وتحفزه للعمل :

يجب على رجل المخابرات أن يغمره شعور عميق بأهمية عمله وحبه وتحفزه له وذلك من خلال تفهمه الكامل لطبيعة ما يؤديه من واجبات جليلة هدفها حماية البلاد وصيانة مؤسساتها الفكرية ، عليه أن يكون دائم اليقظة وقد لوحظ ذلك في وصاية النبي ﷺ لعبد الله بن جحش عندما أرسله على سرية يترصد بها عير قريش في السنة الثانية من الهجرة ، ألا يكره أحدًا منهم على السير معه بعد معرفته بوجهته [٢] لأن الرجل قد يحارب وهو مكره ولكنه لا يستطيع وهو مكره ثم يفيد استطلاعه من أرسلوه ، بل لعله يحرف الأخبار أو يتلقاها على غير اكتراث ، أو يطلع الأعداء على أخبار من أرسلوه [٣] .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ٢ / ١٧٢ ، والخضري ، نور اليقين ص ١٦٠ ، والمباركفوري ، الرحيق المختوم ص ٢٨٦ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية بهامش الروض الأنف للسهيلي . دار المعرفة بيروت ١٩٧٨ . م ، ٣ / ١٨ .

(٣) سعيد حوى ، الرسول ، طبعة بيروت ١٩٧٤ م . ، ١ / ٢٥٦ - ٢٥٧ .

فعلى رجل المخابرات أن يكون متحفزًا للعمل المضني أحينا ولو كلفه ذلك السهر طوال الليل ، وعليه أن يعلم أن يد المساعدة لا تمدّ له [(١)] فلا يمكن لرجل المخابرات أن يستطلع على الوجه الأمثل وهو مكره ، فيجب أن يكون من يعمل في هذا المجال يحب عمله [(٢)] .

١٦ - السرعة في إنجاز المهمة :

من صفات رجل المخابرات السرعة في إنجاز المهمة التي توكل إليه ، وإيصال المعلومات في وقتها دون تأخير ، وذلك لأهمية الوقت الذي تصل فيه المعلومات ، فالمعلومات إذا لم تصل في وقتها الملائم تصبح لا قيمة لها ولا انتفاع بها [(٣)] . لذلك وجب أن يتصف رجل المخابرات بالسرعة في توصيل المعلومات والخفة في الحركة وتقدير الموقف .

١٧ - الإلمام بمختلف المعارف :

على رجل المخابرات أن يعرف ويلم بمختلف المعارف والرياضات ، فيكون نجاحه أكثر يسرًا ، حيث أن الظروف تضطره إلى أن يمتطى جوادًا ، أو يسبح في نهر أو بحر ، فرجل المخابرات رجل فن وحرفة ورجل ذكي يتقن مختلف الرياضات [(٤)] وخير مثال على ذلك زيد بن ثابت الذي تزود بمعارف أخرى كتعلمه اليهودية وإجادته فيها حتى أصبح لديه القدرة على الكتابة بها عندما يكلفه الرسول بذلك ، ويقرأها كما كان يقرأ كتب اليهود التي يبعثونها للنبي ﷺ .

---

(١) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢) سعيد حوي ، الرسول ١ / ٢٥٦ .

(٣) أحمد شوقي عبد الرحمن ، الملحق العسكري ص ٢٩ .

(٤) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٧٨ .

١٨ - الإخلاص في العمل :

يجب أن يتصف رجل المخابرات بالإخلاص والتضحية في عمله ، وهو شعور سامٍ بأداء الواجب بكل إخلاص وأمانة ووفاء ، وأن يكون عنده الإحساس بالتضحية في سبيل الغاية التي يعمل من أجلها وتنفيذ ما أمره به قائده [١] ، وقد سُئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله [٢] .

فعندما يكون رجل المخابرات مخلصًا في عمله مبتغيًا به رضوان الله عزّ وجلّ وخدمة دينه ووطنه فلا يضيره الهلاك أو الموت ، ولا تهمه السمعة أو الصيت بل يكون مبتغاه أجلّ وأكبر من ذلك ، والأمثلة على ذلك من عيون النبي ﷺ كثيرة .

١٩ - القدرة على التخفي والتنكر :

على رجل المخابرات يكون لديه القدرة الفائقة على التخفي والتنكر ، وقد وضع الرسول ﷺ منهجًا لمخابراته ، فكان ينهى عيونه عند خروجه أن يحدث أحدهم حدثًا [٣] ينبه إليه أو يقتل أحدًا إلا إذا أجبر على ذلك ، ففي الخندق أرسل حذيفة بن اليمان عينًا على قريش ونهاه أن يحدث شيئا حتى يعود إليه [٤] وأرسل مرة أخرى عبد الله ابن حدرد الأسلمي ليقيم متنكرًا في هوازن حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ففعل [٥] .

واستطاع نعيم بن مسعود الأشجعي أن يكتم انفعالاته دون أن يبدي أي قلق أثناء مهمته التي قام بها في الإيقاع بين قريش وغطفان من جهة ، وبين يهود بني قريظة من

---

(١) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٧٤ .

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه ٤ / ٢٥ ، ورواه مسلم في صحيحه ٣ /١٩٣ .

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه ٤ / ٧٢ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ١٣٨٨ ج ٣ / ١٤١٤ .

(٥) محمود شيت خطاب وآخرون ، اقتباس النظام العسكري ص ١٧٠ ، ١٧١ .

جهة أخرى ، حيث تمكن من خداعهم وخذلهم جميعا ، وكان يلبس لكل حالة لبوسها من الانفعالات المصاحبة ، بحيث لا يظهر في كل حالة إلا الاهتمام لمصلحة القوم فمرة يبدي اهتمامه وغيرته على مصلحة اليهود ، ومرة يبدي حرصه على مصلحة قريش وغطفان دون أن تظهر عليه أية علامة تخالف ما يقول ، هكذا نجح نعيم بن مسعود في الإيقاع بينهم (١) .

٢٠ - استخدام الشفرة :

لقد عُني النبي ﷺ بهذه الصفة وهذا الأسلوب ، وقد علَّمها لكثير من عيونه ، لأن استخدام الشفرة يعتبر أمر حيوي لإخفاء محتويات الرسائل عن الأعداء .

ففي غزوة الخندق علم النبي ﷺ أن يهود بني قريظة قد نكثوا عهدهم الذي كان بينهم وبين المسلمين ، وذلك بعد أن أحاط بالمدينة عشرة آلاف مقاتل من قريش والقبائل العربية الأخرى ، وقد تحرج موقف المسلمين كثيرًا وكان عدد مقاتليهم ثلاثة آلاف مقاتل ، بعد أن نكث بنو قريظة عهدهم وهم داخل المدينة ، فأصبح الخطر يهدد المسلمين من داخل المدينة وخارجها ، فبعث النبي ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير إلى بني قريظة ليقفوا على طبيعة الأمر وأمرهم بأن يلحنوا بالقول حين يعودون ولا يفصحون في حالة تأكدهم من خبر نكث بني قريظة للعهد ، لقد حرص النبي ﷺ على استخدام هذا الأسلوب من أساليب الشفرة خوفًا على معنويات المسلمين من الانهيار (٢) .

٢١ - دقة المعلومات :

أصبحت مسئولية جمع المعلومات وتثبيتها وتصنيفها وإرسالها من أهم العمليات

---

(١) انظر الإمام البخاري في صحيحه ٤ / ٧٧ - ٧٨ .

(٢) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٧١ - ١٧٣ .

اللازمة لوضع أي خطة عمل أيا كانت أهدافها أو أدواتها أو ميادينها ، وهي عملية تتخصص لها رجال المخابرات على كل مستوى ، وسواء كانت هذه الاستخبارات حربية أو أمنية أو استراتيجية فكلها تلتقي على مطلب واحد وهو سرعة الحصول على أكبر قدر من المعلومات بأكبر قدر من الدقة والوضوح [١] .

وخير مثال على دقة المعلومات التي جمعها رجال مخابرات النبي ﷺ ودوريات استطلاعاته ، ففي غزوة بدر أراد الرسول ﷺ أن يعرف من خرج لقتاله من قريش ، وكم عددهم ، وأين بلغوا ، فأرسل دورية من أجل الحصول على معلومات دقيقة عن قريش ، فوجدت غلامين لقريش يستقيان فأتت الدورية بهما إلى النبي ﷺ فتولى هو استجوابهما حتى توصل إلى معلومات دقيقة منهما ، وفي الوقت المناسب ، فعرف أن قريشًا بالعدوة القصوى وأنهم بين التسعمائة والألف ، وعرف أن أشراف قريش جميعًا قد خرجوا للقتال [٢] .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) أكرم ديري ، الوجيز في الحرب طبعة ثانية - بيروت . د . ت ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) انظر الإمام مسلم في صحيحه حديث رقم ١٧٧٩ ص ٣ ، ص ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، وانظر أبا داود في سننه حديث رقم ٢٦٨١ ٣ / ٥٨ . ومحمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٦٨ .

الفصل الرابع

أنواع المخابرات في عهد الرسول ﷺ

عندما نتطرق للحديث عن أنواع المخابرات في عهد الرسول ﷺ نجد أنفسنا أمام أنواع ثلاثة : الأول أنواع المخابرات من حيث النوع والنشاط ، والثاني من حيث الموضوع والمجال ، والثالث من حيث العقيدة .

أولا : من حيث النوع والنشاط

مارست مخابرات النبي ﷺ نوعين من النشاط الاستخباري ، مما جعل هناك مخابرات إيجابية أو هجومية ومخابرات وقائية أو سلبية .

فالمخابرات الإيجابية : هي التي تقوم على جمع المعلومات والحصول عليها عن جميع العناصر المتعلقة بالدول الأخرى أو عن العدو ، حتى يكون القادة على علم بما سيواجههم به العدو قبل وقوع ذلك ، ويشمل نشاطها أيضا أعمال التخريب والأعمال السياسية والمظاهرات ، والدعايات وحرب الشائعات وكل ما يتطلب القيام به من خطط إيجابية ، لتنفيذ أغراض معينة للمساعدة في التغلب على العدو في أي ميدان من ميادين الحياة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية (١) .

أما المخابرات الوقائية : فهي الإجراءات التي تقوم بها الدولة لتحقق أمنها ووقاية أسرارها من نشاط الجواسيس من أجل المحافظة على أسرار الدولة في الداخل والخارج ويطلق عليها أحيانًا المخابرات المضادة (٢) بمعنى أنها هي المعرفة والتنظيم والتحليل والنشاط الذي تستخدمه رجال المخابرات لشل نشاط الاستخبارات المعادية ، ويوجه نشاط مكافحة الاستخبارات ضد جهود الاستخبارات الأجنبية

---

(١) أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ص ١١٦٣ .

(٢) عبد الله علي السلامة : الاستخبارات العسكرية ص ٧٢ - ٧٣ .

المعادية المتمثلة في التجسس ، ومهمتها الأساسية التعرف على نشاط عملاء العدو السريين واستغلاله والسيطرة عليه [١] .

فالقيادة الناجحة هي التي يمتد سمعها وبصرها لكل مواطن من المواطنين بين صفوف الجيش ، لتتصيد عناصر التثبيط والنفاق والخذلان ، حتى لا يكون ذلك سببًا في تثبيط الهمم وتفتيت عضد الجنود ، وتبعث في نفوسهم روح الفتور ، فتكون من عوامل الهزيمة ، وقد بيَّنَ الله في القرآن الكريم صنف المخذلين ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة : ٤٧] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٣] ، وقد يكون للعدو بين صفوف الجيش المسلم عملاء يكاتبونه بأخبار المسلمين ، وقد يكون هؤلاء العملاء من المسلمين ، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة المسلم ، إذْ كتب إلى قريش خبر خروج رسول الله ﷺ لفتح مكة وأرسل هذا الكتاب مع امرأة لدفع الشك عنه .

وقد يكون هؤلاء من الجواسيس الذين يعيشون بين المسلمين كأهل الذمة والمستأمنين ، وقد يكون هؤلاء الجواسيس من العدو نفسه ليندسوا بين صفوف الجيش المسلم لمعرفة أخباره ، ومثال ذلك ما رُوى عن سلمة بن الأكوع قال : أتى النبي ﷺ عين من المشركين وهو في سفر ، فجلس عند أصحابه ثم انسلّ ، فقال النبي ﷺ : « اطْلُبُوهُ فَاقْتُلُوهُ » قال : فَسَبقْتُهُم إليه فَقَتَلْتُهُ وَأَخَذْتُ سَلَبه ، فَنَفَلني إيَّاهُ » [٢] .

لقد اهتم الرسول الكريم ﷺ برجال المخابرات الوقائية ، كما اهتم برجال المخابرات الهجومية ، فقد اتخذ عيونًا يخبرونه بنوايا المنافقين وكان منهم زيد بن

---

(١) أحمد كامل ، الاستخبارات الإسرائيلية ص ٩٣ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه برقم ٢٦٥٣ ج ٣ ص ٤٩ .

أرقم ، الذي أخبر رسول الله ﷺ عن نوايا ابن سلول في غزوة بني المصطلق ، عندما حاول إثارة الفتنة (١) .

فمهمة الاستخبارات تتمثل في منع تسرب المعلومات إلى غير المسئولين ثم إلقاء القبض على العملاء والجواسيس وإيقاع العقوبات التي تراها في ردعهم وردع أمثالهم .

ثانيا : من حيث الموضوع والمجال

تنقسم المخابرات بالنسبة لمستوى الموضوع والمجال إلى مخابرات استراتيجية ومخابرات تكتيكية بلغة العصر ، أما بلغة العصر النبويّ : **فالمخابرات الاستراتيجية :** تعني العيون أو رجال المخابرات الذين يقومون بجمع المعلومات الخاصة بنوايا وإمكانات العدو ، وكذا المعلومات الخاصة بنقاط الضعف عند العدو ، وهذه المعلومات يحتاج إليها واضعوا السياسات والتخطيط لرسم سياسة الأمن اللازمة للدولة وقت السلم كما تكون أساسًا للتخطيط للعمليات العسكرية في وقت الحرب (٢) .

كان للنبي ﷺ رجال وعيون أشداء يرصدون تحركات العدو ، ويجمعون المعلومات الصحيحة المؤكدة ، هؤلاء العيون خارج المدينة ، في مكة - المركز الرئيسي لقريش - مثل عمه العباس وبشير بن سفيان العتكي (٣) .

وفي القبائل العربية الأخرى في أنحاء شبة الجزيرة العربية مثل : عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي في قبيلة هوازن ، وفي بلاد فارس وفي بلاد الروم (٤).

ومن أمثلة نشاط مخابرات النبي الاستراتيجية :

---

(١) عبد الله علي السلامة ، الاستخبارات العسكرية ص ١٨٥ .

(٢) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥٠ ، وعبد الله على السلامة ، الاستخبارات العسكرية ص ٩٣ - ٩٥ ، ومجاهد باغشن ، الاستخبارات العسكرية ص ٤٢ .

(٣) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبرى ٢ / ٢٨ ، والواقدي ، المغازي ١ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٤) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥٣ - ١٥٤ .

كان العباس بن عبد المطلب بمثابة عين للنبي ﷺ في مكة وعلى قريش ، فقبل غزوة أحد أرسل العباس إلى النبي ﷺ رسالة يخبره فيها عن وقت خروج قريش لقتاله ، وعن عدد قوات قريش ، فأسرع حامل الرسالة إلى النبي ﷺ حتى أنه قطع المسافة بين مكة والمدينة في ثلاثة أيام ، فلما قرأ أبيّ بن كعب الرسالة على النبي ﷺ طلب ألا يبوح بمضمونها لأحد (١) .

وعندما عبأ المشركون عشرة آلاف مقاتل قبل غزوة الخندق لمهاجمة المدينة ، كان النبي ﷺ على علم بنوايا أعدائه من خلال رجال مخابراته في مكة وفي القبائل العربية ، وحفر المسلمون خندقا حول المدينة ، وكان هذا الخندق مفاجأة للمشركين عندما رأوه حتى قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » (٢) .

هذا الواقعة لا تدل على نجاح مخابرات النبي ﷺ الاستراتيجية فحسب ، بل تدل على عجز مخابرات العدو سواء على المستوي الاستراتيجي أو المستوى التكتيكي ، كما تدل هذه الواقعة على نجاح المخابرات الوقائية للمسلمين وعلى مدى كتمانهم لسر خططهم الحربية ، وحرمان العدو من الحصول على معلومات منها ، لذلك عندما وصل المكيون إلى المدينة ورأوا الخندق أذهلم ذلك .

أما المخابرات التكتيكية : فإنها تتعلق برجال المخابرات الذين يقومون بجمع المعلومات ذات الطابع المحلي المحدود أو ذات الطابع التخصصي في ناحية محدودة . أو بمعنى آخر هي الخاصة بالقتال فهي تعني عادة بالمعلومات اللازمة بقادة الميدان الذين يشتركون في عمليات تكتيكية . أي جمع المعلومات عن تحضير المعركة من أفراد وعدد وعتاد للعدو التي سوف تستخدم في تنفيذ السطو والاحتلال (٣).

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠٣ - ٢٠٤ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٢٨ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٥٨ - ٤٥٩ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٢ ٥٦٩ .

ومن أمثلة هذا النوع من المخابرات في عهد النبي ﷺ ، أنه كان للنبي ﷺ عيون وأرصاد محلية في المدينة المنورة يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة للمسلمين في السلم والحرب على حد سواء ، فاختار حذيفة بن اليمان ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم . ففي غزوة بدر بعث النبي ﷺ اثنين من أصحابه للحصول على معلومات عن قافلة قريش ، وعند بئر بدر سمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها أنه عندما تأتي العير غدا أو بعد غد سأقوم بخدمتها ثم أقضيك الذي لك فأسرع الرجلان فأخبرا الرسول ﷺ بما سمعا [١] .

كما بعث النبي ﷺ عليًا بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم في نفر من أصحابه إلى قريش للحصول على معلومات عن قافلتها ، وعند ماء بدر وجدوا غلامين لقريش يستقيان فأتوا بهما إلى النبي ﷺ فاستجوبهما ﷺ ، فعلم منهما أن قريشًا وراء الكثيب بالعدوة القصوى ، ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش ، سألهما النبي ﷺ بكل ذكاء وحنكة : كم ينحرون من الجزر أي الإبل كل يوم » فقالا : يومًا تسعة ويومًا عشرة ، فاستنبط النبي ﷺ من ذلك أن عددهم بين التسعمائة والألف [٢] .

ثالثا : من حيث العقيدة

وردت المصادر التي كتبت عن السيرة النبوية أسماء الكثير من رجال المخابرات الإسلامية ، وغير الإسلامية ، مما يجعلنا نصنف العيون من حيث العقيدة إلى نوعين :

---

(١) محمود شيث خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٦٦ ، ومجاهد باغش ، الاستخبارات العسكرية ص ٤٢ .
و محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة ص ١٥١ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٩٥ .

عيون من المسلمين ، وعيون من المشركين ، كلاهما قام بجمع المعلومات وتنفيذ المهام التي أسندت إليه على أكمل وجه وفي أحسن أداء ، وعلى درجة عالية من الدقة والإخلاص .

أما هؤلاء العيون بنوعيهما فالحديث عنهم يتناول ذكر أسمائهم وانتمائهم القبلي والعمليات التي نفذوها ومدى نتيجة هذا التنفيذ ، فمن بين هؤلاء :

علي بن أبي طالب رضي الله عنه : شارك في دورية استطلاعية إلى ماء بدر وعادت الدورية ومعها غلامان أسيران لقريش ، عرف المسلمون من خلالهما عدد رجال قريش وعرفوا أن أشراف قريش جميعا خرجوا للقتال (١) .

كما أرسله النبي ﷺ في دورية استطلاعية بمفرده في أعقاب غزوة أحد في أثر القوات المشركة ، حتى يتأكد من نية المشركين ، هل هم ذاهبون أم عائدون ، وقد شهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن المشركين ذاهبون وأخبر بذلك النبي ﷺ (٢) .

كما بعثه النبي ﷺ مع الزبير بن العوام والمقداد في مهمة استخبارية للقبض على امرأة تحمل كتابًا إلى قريش يضر بأحوال المسلمين ، إذ كشف هذا الكتاب عن خيانة ابن أبي بلتعة الذي يخبر قريش ببعض أمر النبي ﷺ .

والزبير بن العوام القرشي : وقد شارك في عملية استطلاع في غزوة بدر (٣) وفي أخبار غزوة الخندق (٤) ، وكان صاحب عملية خاصة في فتح مكة (٥) وكللت هذه العمليات جميعها بالنجاح والتوفيق .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٩٥ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٥١ .
(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ٣٣ ، و الواقدي ، المغازي ٣ / ٧٩٧ .
(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٥١ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٨ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٧٤ ، و الواقدي ، المغازي ٢ / ٤٥٧ .
(٥) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٩٧ ، والبلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٣٥٤ .

وعبد الله بن أنيس الجهني المسلم : أرسله النبي ﷺ في عملية خاصة وهي القضاء على سفيان بن خالد بن نبيح ، فكان عبد الله بن أنيس سرية وحده ، وقد قام بتنفيذ العملية وقتل سفيان بن خالد الذي جمع الجموع وجيش الجنود ضد النبي ﷺ [١] .

كما تولى عبد الله بن أنيس أمر التفاوض مع أُسير بن زارم أمير اليهود في خيبر ، فقال له عبد الله بن أنيس : إنا آمنون حتى نأتيك فنعرض عليك ما جئنا له ؟ فقال : نعم ولي مثل ذلك منكم ؟ قلنا : نعم . فدخلنا عليه فقلنا : إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك أن تخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك ، فطمع في ذلك ، وشاور اليهود فخالفوه في الخروج ، وقالوا : ما كان محمد يستعمل رجلاً من بني إسرائيل . فقال : بلى ، قد مللنا الحرب ، قال : فخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين . قال : فسرنا حتى إذا كنا بقرقرة ثبار ندم أُسير بن زارم حتى عرفنا الندامة فيه ... » [٢] .

كما بعثه النبيّ ﷺ سرية وحده للقيام بعملية خاصة ضد سفيان بن خالد الهذلي ، وقد قام بقتله وتصفيته كما كان عليه من كفر وتجييش للجيوش وإعداد العدة للمسلمين ومحاربتهم [٣] .

وعمرو بن أمية الضمري : من قبيلة ضمرة ، مسلم ، قام بعملية فدائية عظيمة وهي إنقاذ خبيب بن عدي من يد المشركين [٤] كما قام بعملية خاصة أخرى ضد أبي سفيان [٥] كما قام باستطلاع لجمع المعلومات في بئر معونة [٦] .

وعمرو بن سالم الخزاعي : وقد كان مشركًا ثم أسلم ، وله دور إخباري في غزوة

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٣١ - ٥٣٢ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٦ - ٥٦٨ .

(٣) ابن شبة ، تاريخ المدينة ٢ / ٤٦٨ - ٤٦٩ ، و الواقدي ، المغازي ٢ / ٥٣٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٤١ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ١ / ١٤٠ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٨ ، والبلاذري ، أنساب الأشراف ١ /٣٧٩ .

(٦) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٤٧ .

أحد [١] وفي أخبار الحديبية [٢] وأخبار فتح مكة [٣] .

وعباد بن بشر الأوسي : مسلم قام بعملية استخبارية خاصة ضد كعب بن الأشرف [٤] وقام بعملية استطلاع لصالح المسلمين في الحديبية [٥] .

وخالد بن أبي البُكير الليثي المسلم : الذي قام بعملية استطلاع في نخلة ونخلة وادي بسان ابن عامر ، وكان أمير سرية الاستطلاع عبد الله بن جحش [٦] كما قام بعملية استطلاع في غزوة الرجيع ، فكان ضمن العيون التي بعثها النبي ﷺ إلى مكة ليخبروه خبر قريش [٧] .

وبسبس بن عمرو الجهني المسلم ، بعثه النبي ﷺ إلى ماء بدر ليتحسس الخبر عن قريش وعن موعد وصول قافلتها [٨] وقد بعثه النبي ﷺ عندما نزل وادي بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان لكي يتحسس مع آخرين على الماء [٩] .

ومعبد بن أبي معبد الخزاعي المشرك : والذي أسلم بعد ذلك ، وقد قام بدور عظيم بمثابة حرب نفسية ضد قريش في غزوة حمراء الأسد وهو يومئذ مشرك ، حيث أخبر قريشًا عن النبي محمد ﷺ فقال : تركت محمدًا وأصحابه خلفي يتحرقون عليكم بمثل النيّران ، وقد اجتمع معه من تخلّف عنه بالأمس من الأوس والخزرج ،

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠٥ .
(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٩٤ .
(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ ٢٦ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٨٩ - ٧٩١ .
(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٠ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٢٧ .
(٥) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٧٤ .
(٦) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٣ - ١٩ ، والبلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٣٧٢ .
(٧) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٥٥ .
(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٤٧ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٠ .
(٩) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٥١ .

وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم ، وغضبوا لقومهم غضبًا شديدًا ولمن أصبتم من أشرافهم [١] فكان كلامه بمثابة حرب نفسية وتحطيم وتهبيط لمعنويات قريش وتخذيل لهم .

وفي غزوة بدر الموعد قام بحرب نفسية أيضًا ضد قريش حيث قدم مكة وأخبرهم بكثرة أصحاب محمد ، وأنهم أهل ذلك الموسم [٢] .

وعبد الله بن رواحة : حيث استعمله النبي ﷺ على سرية إلى أُسير بن زارم أمير اليهود في خيبر وعين من عيونه على اليهود [٣] .

كما قام بعملية تفاوض مع أسيْر بن زارم ، أسفر هذا التفاوض عن قبول أُسير لشروط المسلمين ، ولكن اليهود رفضوا [٤] .

وعبد الله بن حدرد الأسلمي المسلم : كلفه النبي ﷺ بالقضاء على رفاعة بن قيس من بني جشم قد نزل بقومه ومن معه بمكان اسمه الغابة يريد أن يجمع قيسًا على حرب رسول الله ﷺ ، فخرج إليه عبد الله بن حدرد وقال : دعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين فقال : « اخرُجُوا إلى هَذَا الرَّجُلِ حَتى تأتُوا مِنْهُ بِخبرٍ وَعِلْمٍ » فخرجوا إليه فقتله عبد الله بن حدرد [٥] .

كما قام عبد الله بن حدرد خلال غزوة حنين بعملية استخبارية دعاه إليها رسول الله ﷺ فقال : « انْطَلِقْ فَادْخُلِ فِي النَّاسِ حَتى تَأْتِيَ بخبرٍ منهم ، وما يقول مالك ابن عوف ، فخرج عبد الله فطاف في عسكرهم ، ثم انتهى إلى مالك بن عوف فوجد

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٨٨ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٤٤ - ٤٥ .
(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .
(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٦ .
(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٧ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ١٩٤ .
(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ٣٠٦ .

عنده رؤساء هوازن ، فسمعه يقول لأصحابه : إن محمدًا لم يقاتل قط قبل هذه المرة ، وإنما كان يلقى قومًا أغمارًا لا علم لهم بالحرب فينصر عليهم ، فإذا كان في السَّحَر فصُفّوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ، ثم صُفّوا صفوفكم ، ثم تكون الحملة منكم ، واكسروا جفون سيفوكم فتلقونه بعشرين ألف سيف مكسور الجفن ، واحملوا حملة رجل واحد واعلموا أن الغلبة لمن حمل أولاً ، فلما وعى ذلك عبد الله بن أبي حدرد رجع إلي النبي ﷺ فأخبره بكل ما سمع (١) .

وسعد بن أبي وقاص القرشي المسلم : الذي خرج في مأمورية استطلاعية ضمن سرية أميرها عبد الله بن جحش عُرفت بسرية نخلة بغرض رصد عير قريش (٢) .

كما بعثه النبي ﷺ على رأس سرية استطلاعية ليعترض عيرًا لقريش وعهد إليه ألا يتجاوز وادي الجحفة (٣) .

والعباس بن عبد المطلب القرشي المسلم : لما علم أن قريشًا أجمعت على المسير إلى النبي ﷺ وخرجت بعدة وسلاح كثير وهم ثلاثة آلاف كتب إلى النبي ﷺ كتابًا وختمه واستأجر رجلاً من بني غفار واشترط عليه أن يسير إلى رسول الله ﷺ في ثلاثة أيام كي يخبره بذلك (٤) .

وطلحة بن عبيد الله القرشي المسلم الذي شارك في جمع الأخبار والمعلومات في بدر (٥) . **وسعيد بن زيد القرشي المسلم** ، الذي كان له دور في جمع الأخبار في غزوة بدر (٦) . **وبسيسة بن عمرو الجهني المسلم** الذي جمع الأخبار في غزوة

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٨٩٣ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ٦٨ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٣ - ١٤ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١١ .

(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٣٥ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٩ - ٢٠ .

بدر[١] . و**عدي بن أبي الزغباء الجهني المسلم** الذي ساعد في أخبار غزوة بدر[٢] **وعمير بن عدي الأوسي المسلم** الذي تم تكليفه بعملية خاصة ضد عصماء بنت مروان [٣] . **والمقداد بن الأسود الكندي المسلم** الذي قام بعملية خاصة في فتح مكة[٤] . و**عبد الله بن مسعود الهذيلي المسلم** الذي شارك في عمليات الاستطلاع في غزوة بدر [٥] . **وعمار بن يسار العنسي المسلم** الذي شارك في عمليات الاستطلاع في غزوة بدر [٦] **والفرات بن حبان البكري المسلم** الذي قام بدور في جمع الأخبار عن حركة مسيلمة الكذاب الذي أدعى النبوة [٧] . **وأنس بن فضالة الخزرجي المسلم** الذي شارك في دوريات استطلاعية في غزوة أحد [٨] . **ومؤنس بن فضالة الخزرجي المسلم** الذي كان له الدور البارز في الاستطلاع في غزوة أحد[٩] . **والحباب بن المنذر الخزرجي المسلم** الذي شارك في دوريات الاستطلاع ضد قريش في غزوة أحد [١٠] . **وأبو تميم الأسلمي المسلم** الذي شارك في جمع الأخبار عن قريش في غزوة أحد [١١] . ونعمان بن سفيان الأسلمي

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٩ - ٢٠ .
(٢) أبو داود ، سنن أبي داود ٣ / ٩٣ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ١ / ٩٧ .
(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٢٨٩ .
(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ١٧٢/١ و البلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٣٧٣ .
(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٩٧ .
(٦) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٥٤ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٥٤ - ٥٥ .
(٧) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٥٤ .
(٨) ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣ / ١٢٥٨ .
(٩) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ .
(١٠) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧ .
(١١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠٧ - ٢٠٨ .

المسلم ، الذي شارك في دورية الاستطلاع في حمراء الأسد [١] . وسليط بن سفيان الأسلمي المسلم الذي شارك في دورية الاستطلاع في حمراء الأسد [٢] . ونعيم بن مسعود الأشجعي المسلم الذي قام بدور استخباري قام من خلاله بشن حرب نفسية على العدو في غزوة الخندق[٣] . وبريدة بن الحصيب الأسلمي المسلم الذي شارك في جمع الأخبار من خلال دورية الاستطلاع في غزوة بني المصطلق [٤] . وكشد الجهني المشرك رغم شركه إلا أنه قدم معلومات عن قريش للمسلمين في غزوة بدر [٥] . وأبو مرثد الغنوي المسلم الذي قام بجمع الأخبار في فتح مكة [٦] . وخوات بن جبير الأوسي المسلم صاحب الأخبار لصالح المسلمين في غزوةالخندق [٧] .

وعبد الله بن عتيك الخزرجي وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، ومسعود بن سنان الخزرجي ، وخزاعي بن أسود الأسلمي قاموا جميعًا بعملية خاصة ضد أبي رافع اليهودي في خيبر فقتلوه [٨] ، وسالم بن عمير الخزرجي المسلم صاحب العملية الخاصة ضد أبي عفك من بني عمرو بن عوف الذي كان يحرض على عداوة النبي ﷺ ولم يدخل في الإسلام [٩] . ومرثد بن أبي مرثد الغنوي المسلم الذي شارك

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤ / ٢ / ٤٢ .
(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٣٣٧ .
(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٣٣٧ .
(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٨٥ - ٤٨٦ .
(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٤٥ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٠٤ - ٤٠٧ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦ .
(٧) البلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٣٥٤ .
(٨) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٦٠ - ٤٦١ .
(٩) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٧١ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٩١ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٦ .

في الاستطلاع وجمع المعلومات والأخبار في بئر الرجيع [١] كما قام بعملية إنقاذ خاصة بأسرى المسلمين ، فكان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة في خفية عن أهل مكة [٢] .

وعبيد الله بن طارق البلوي ، ومعقب بن عبيد البلوي ، وخبيب بن عديّ ، وعاصم ابن ثابت الأوسي جميعهم شارك في دورية استطلاع بئر الرجيع [٣] . وسنان بن أبي سنان الأسلمي الذي شارك في عملية خاصة للتخلص من طليحة الأسدي [٤] . ومخنف بن السليل المسلم الذي شارك في عملية خاصة للتخلص من طليحة الأسدي[٥] . وفيروز الأبنائي ، وداذويه الأبنائي ، وقيس بن المكشوح المرادي ، والمرزبانة الأبنائية ، وبرة بن يحنس الكلبي جميعهم اشترك في عملية خاصة في القضاء على الأسود العنسي [٦] .

وبسر بن سفيان الخزاعي المسلم شارك في جمع الأخبار في الحديبية [٧] وحذيفة ابن اليمان العبسي جمع الأخبار في غزوة الخندق [٨] . وحسيل بن نويرة الأشجعي شارك في جمع الأخبار خاصة في الجناب - وهي أرض من غطفان - وكان دليلاً

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٧٥ ، و البلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٣٧٣ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ١١ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٥٥ .

(٣) ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤ / ١٣٨٤ - ١٣٨٥ .

(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٥٥ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٣٩ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ١٨٧ .

(٦) ابن عساكر ، تهذيب ابن عساكر ٧ / ٩٦ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٨) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٧٣ ، والبخاري ، صحيح البخاري ٣ / ٤٥ .

(٩) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٣٩ - ١٤٠ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٨٩ - ٤٩٠ .

لسرية بشير بن سعد إلى الجناب في خيبر [١] . وخارجة بن حسيل الأشجعي جمع الأخبارفي خيبر [٢] وحسيل بن خارجة الأشجعي قد جمع الأخبار دلالة في خيبر [٣] . والقعقاع بن عمرو التميمي من الذي اشتركوا في دوريات الاستطلاع في حنين [٤] وأنس بن أبي مرثد الغنوي الذي شارك في مراقبة وحراسة في غزوة حنين [٥] وعبد الله ابن نعيم الأشجعي المسلم الذي كان دليلاً في خيبر [٦] . والمنذر بن عمرو الخزرجي ونافع بن بديل الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى قريش ، والحكم بن كيسان مولى قريش ، ومعاذ بن ماعض الخزرجي ، وسليم بن ملحان الخزرجي ، والحارث بن الصمة الخزرجي ، وسهل بن عامر الخزرجي ، وأنس بن معاوية الأوسي ، وأُبيّ بن ثابت الخزرجي ، وعطية بن عبد عمرو الخزرجي ، وعروة بن الصلت السليمي ، ومالك بن ثابت الأوسي ، وسفيان بن ثابت الأوسي ، وكعب بن زيد الخزرجي ، المجموعة كلهم من المسلمين شاركوا في دورية استطلاع في بئر معونة [٧] .

وعبد الله بن جحش الأسدي ، وأبو حذيفة بن عتبة القرشي ، وعامر بن ربيعة وواقد ابن عبد الله التيمي ، وعتبة بن غزوان المازني ، وعكاشة بن محصن الأسدي جميعهم من المسلمين ، وكلهم اشتركوا في استطلاع إلى وادي نخلة [٨] .

ومحمد بن سلمة الأوسي ، وسلكان بن سلامة الأوسي ، والحارث بن أوس الأوسي ،

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٢٧ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٢٣ .
(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٦ .
(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٣٩ .
(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ٧ / ٤١٠ .
(٥) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٤ ، و ابن الأثير ، أسد الغابة ١ / ١٥٩ .
(٦) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٣٩ .
(٧) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٥٢ - ٣٥٣ .
(٨) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٩ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٧٩ .

وأبو عبس بن جبير الأوسي جميعهم من المسلمين وقد اشتركوا في عملية خاصة وهي القضاء على كعب بن الأشرف [١] .

وحريث الأسدي المسلم الذي كان دليلاً في سرية الفلس [٢] وكعب بن عمير الغفاري المسلم الذي اشترك في دوية استطلاع في ذات أطلاح [٣] . وسلمة بن أسلم الأوسي المسلم الذي قام بعملية خاصة وهي ضد أبي سفيان بن حرب [٤] .

وجندب بن مكيث الجهني المسلم الذي اشترك في دورية استطلاع في بني الملوح [٥] وسلمة بن الأكوع الأسلمي المسلم الذي قام بدورية استطلاع في بني لحيان [٦] .

وناجية الأسلمي المسلم الذي شارك في دورية استطلاعية في الحديبية [٧] . وبديل ابن ورقاء الخزاعي المشرك الذي أسلم بعد ذلك وقد قام بجمع أخبار في الحديبية [٨] . وجمع أخبارًا في فتح مكة [٩] . والضحاك بن سفيان العامري المسلم الذي شارك في جمع أخبار في بئر معونة [١٠] . والوليد بن الوليد القرشي المسلم من الذين قاموا بعمليات إنقاذ للمسلمين ضمن العمليات الخاصة [١١] . كما شارك في نقل رسائل

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٧١ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٢١ - ٢٢ .
(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٨٥ .
(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٥٢ ، وابن حبيب ، كتاب المحبر ص ١٢٠ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٥ .
(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٩٠ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٢٧ - ٢٨ .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ٥ / ١٩١ .
(٧) السهيلي ، الروض الأنف ٦ / ٤٧٨ .
(٨) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٩٣ - ٥٩٤ .
(٩) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٥ .
(١٠) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٤٩ .

خاصة [١] . وعلقمة بن مجزر المدلجي المسلم الذي شارك في دورية استطلاع إلى منطقة الداروم [٢] .

نلاحظ مما سبق أن جانبًا من هؤلاء العيون نفذوا عمليات استطلاع ، وجانبًا آخر قام بعمليات خاصة ، وجانب آخر قام بنقل معلومات ، وجانبا قام بواجبات دلالة إلى الأهداف ، وجانبا قام بشن حرب نفسية ، وجانبا قام بعمليات في معركة بدر ، وقام في معركة أحد ، وفي خيبر والحديبية ، وفي فتح مكة ، والتصدّي لحركات التنبؤ ، وعمليات إنقاذ وأخرى لإخلاء شهيد ، وجانبا قام بعمليات تصفية لشخصيات مشركة أهدر النبي ﷺ دمها ، قام بهذا كله العيون المسلمة الموحدة ، وعدد قليل من العيون المشركة .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) مصعب الزبيري ، نسب قريش ص ٣٢٤ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٤٢ .

(٣) ابن الكلبي ، جمهرة النسب ص ١٥٩ .

الفصل الخامس

أساليب الأمن في مواجهة عيون العدو وتحليل المعلومات

يقصد بالأمن كشف التجسس المعادي ، وإلقاء القبض على عناصره ، وتحييد وسائل جمع المعلومات لدى العدو ، وحفظ المعلومات من أن تصل إلى العدو ، وتحقيق أمن الخطط بمنع تسربها إلى العدو ، أو إعطاء صورة مضللة ، وتأمين القيادات من محاولة التصفية التي يقوم بها العدو .

والناظر في كتب السيرة النبوية يجد أمثلة رائدة قدمها الرسول ﷺ هو وعيونه في الحس الأمني المتميز الذي ساهم في تحقيق أهداف الأمة ، حيث طبقت ضروريات الأمن من وحدات العيون .

أما أساليب الأمن النبويّ في مواجهة عيون العدو فهي كالتالي :

١ - كشف التجسس المعادي : يقوم كشف التجسس المعادي على الحس الأمني المتميز ، ورصد عيون العدو ، وتعقب مخبريه وجواسيسه ، وكانت تنجح في كثير من الأحيان في أسر أفراد منهم ، وأحيانًا يستفيد المسلمون منهم وإجبارهم على الإدلاء بمعلومات ضد أقوامهم ، كما حدث في غزوة بني المصطلق حيث ألقى المسلمون القبض على عين للمشركين في منطقة « البقعاء » التي تبعد عن المدينة أربعة وعشرين ميلاً ، فأبى أن يخبر المسلمين بخبر قومه ، فهدده عمر رضي الله عنه بضرب عنقه ، فتراجع وأخبر بأن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق قد جمع لحرب المسلمين وأنه تم إرساله لكي يكون عينًا على المسلمين ، وذلك لحساب المشركين [١] .

وفي غزوة الغابة ، وهي موضع كثير الشجر قرب المدينة من ناحية الشام ، خرج

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٠٦ .

سلمة بن الأكوع في طلب عيينه بن حصين الفزاري الذي اعتدى على لقاح النبي ﷺ فلقي غلامًا يرعى الإبل ، فأخبره بخبر المعتدين وعددهم وقال : إنه رأى لهم مددًا (١) .

وفي غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة تمكن المسلمون من أسر أكثر من عين لليهود ، فأسر على أيدي علي بن أبي طالب عينٌ لبني سعد الغطفانية بفدك ، وكانوا حلفاء لليهود ، وكانوا يستعدون لإمدادهم بالرجال ، فلما اشتد عليّ بن أبي طالب عليه أقر بأنه عين لبني سعد ، ورسوله من قبلهم إلى اليهود ليعرض عليهم العون والمساعدة مقابل أن يتركوا لهم تمر خيبر (٢) .

وتمكنت طليعة المسلمين من أسر أعرابي من أشجع ، وكان أكثرهم حلفاء لليهود وجيرانًا لهم ، فحاول في البداية خداع المسلمين وزعم أنه يبحث عن إبله الضالة ، وأراد تخذيلهم وتخويفهم من بأس اليهود ، وكثرتهم ومناعة حصونهم وقال : ما أرى لأحد بهم طاقة ، لكن المسلمين شكّوا في أمره ، وكشفوا خداعه وضربه عبّاد بن بشر بالسوط ، وقال له : ما أنت إلا عين لهم ، أصدقني القول وإلا ضربت عنقك ، فأقر بالحقيقة ، وأخبرهم بفزع اليهود وخوفهم أن يحل بهم مثلما حلَّ بيهود يثرب من قبل (٣) .

لقد تطلبت ضرورات الأمن أن تتقدم العيون المسلمة أمام الجيش الإسلامي من أجل تتبع آثار العدو ، ومحاولة إلقاء القبض على جواسيس العدو للاستفادة من المعلومات التي يحملها ، ولمنع تسرب أخبار تقدم المسلمين إلى العدو ، وقد تحقق هذا في عمليات عديدة ، ففي سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر ، تم إلقاء القبض على جاسوس للعدوّ ، وكان يترقب جيش وقوة المسلمين ، وبعد الحصول منه على المعلومات المطلوبة التي تخدم المسلمين ، تم استخدامه كدليل للمسلمين ،

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٣٩ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٢ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٤١ .

وقد أمر عكاشة بن محصن أن يرافقه بعض الرجال المسلمين أثناء أداء مهمة الدلالة ، خوفًا من محاولته الهرب أو الغدر [١] .

هكذا كان النبي ﷺ هو وأصحابه حريصين كل الحرص على كشف التجسس المعادي ، ومحاولة الاستفادة منه بعد القبض عليه فيما يعود على المسلمين بالنفع والفوز والنصر .

٢ – حفظ المعلومات عن العدو ومنع تسرب خطط المسلمين : من أهم ركائز المخابرات الإسلامية الوقائية اتخاذ اجراءات السرية التامة والأمن ومقاومة التجسس لحماية أسرار الدولة .

وقد حرص النبي ﷺ على حفظ المعلومات ومنع تسربها للعدو ، والعمل على مقاومة جواسيس قريش ، فالدروس العملية التي يستطيع المسلمون أن يتعلموها من النبي ﷺفي مجال السرية والأمن أكثر من أن تحصى ، ولكن على سبيل المثال نُبيِّن أن من أسباب نجاح الدعوة الإسلامية أنها بدأت سرًا ، ولما أصبحت علنية حرص النبي ﷺ من تسرب الأخبار والخطط إلى العدو .

فقد مرّ بنا كيف خطط رسول الله ﷺ للهجرة ، وكيف نفذها ، وكيف طبقت قواعد السرية والأمن على أكمل الوجوه ، سواء في التخطيط أو في التنفيذ .

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال : ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها » [٢] .

لقد فعل ذلك النبي ﷺ ليجعل الأمر سرًا وليخدع العدو ، ولا يجعل أي خبر أو أي معلومة تتسرب إلى العدو فيفسد عليه خططه .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٥٠ ، وأمثلة أخرى في ٢ / ٥٦٢ ، ٣ / ٩٨٥ .

(٢) البخاري ، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ١٤ / ٢١٧ .

وعندما أراد النبي ﷺ تأديب بني لحيان الذين غدروا بدعاة المسلمين - وكانوا ستة من كبار الصحابة - أظهر أنه يريد الشام باتجاه الشام ، عاد راجعًا باتجاه مكة مسرعًا في حركته حتى بلغ منازل بني لحيان ، ولكن بني لحيان فروا إلى رؤوس الجبال واستطاعوا النجاة بأرواحهم وأموالهم (١) .

وقصة نعيم بن مسعود الغطفاني الذي جاء النبي ﷺ خير دليل على ذلك ، فقال له النبي ﷺ : إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَخَذِّلْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ الحَرْبَ خِدْعَةٌ » (٢) .

فقام نعيم بمهمته خير قيام ونجح في التفريق بين القوى الثلاثة التي تجمعت لقتال المسلمين « قريش والقبائل العربية ومنها غطفان ويهود بني قريظة » ، وكان مما ساعد على نجاح مهمته مراعاة مبدأ السرية والأمن ، حيث كتم رسول الله ﷺ إسلام نعيم ، وكتم نعيم إسلامه فلم يعرف قومه ولا بنو قريظة ولا قريش عن إسلامه شيئًا .

فلو لم يطبق الرسول ﷺ مبدأ السرية والأمن وإخفاء المعلومات والخطط ، ولو لم يطبق نعيم أيضًا ، فهل كان بإمكان نعيم أن يقوم بهذا الدور الحاسم في تفرقة صفوف الأحزاب ونزع الثقة من نفوسهم ؟

لقد بثَّ الرسول ﷺ عيونه ودورياته لتجوس الدروب حول المدينة المنورة ؛ لتحول دون تسرب المعلومات إلى قريش ، كما بث عيونه في الداخل ليقضي على كل خبر يمكن أن يصل أو يتسرب إلى قريش عن طريق عيونها داخل صفوف المسلمين ، وذلك في فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، وذلك ليتمكن ﷺ من السيطرة على الموقف ، وليستفيد من عنصر المبادرة أيضًا (٣) .

لاشك في أن النبي ﷺ قد عرف أهمية علم العدوّ بالمعلومات عن حركة المسلمين

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٢٥ - ٢٦ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ٦ / ١٨٢ .

(٣) علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية ط . القاهرة ١٩٦٤ م ، ٣ / ٩ .

لذلك دعا ﷺ ربه قائلاً : اللَّهُمَّ خُذِ العُيُونَ والأَخْبَارَ عَنْ قُرَيشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلاَدِهَا » (١) .

وقد تجهَّز النبي ﷺ لفتح مكة وأخفى ذلك على الناس ، كما أخفت عائشة رضي الله عنها ذلك ، حيث أمرها الرسول ﷺ بقوله : « جَهِّزِيْنَا وَاخْفِ أَمْرَكِ » ، ولما سألها أبو بكر رضي الله عنه قائلاً : أين تَرَيْنَه يريد ؟ قالت : لا والله ما أدري ، وجاء إلى رسول الله ﷺ وسأله أين يريد ، فقال النبي ﷺ : قريشًا ، واخف ذلك يا أبا بكر ، وأمر الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجهة التي يريدها (٢) .

لذلك لم يستطع أبو سفيان أو غيره الحصول على أي معلومات عن ذلك حتى من أقرب الناس إليه وهي ابنته أم حبيبة .

وقد أشار رسول الله ﷺ على وفد خزاعة الذين جاءوا يخبرونه بأن قريشًا ناصرت بني بكر على خزاعة ، ونقضوا عهدهم ، أشار عليهم رسول الله ﷺ أن يفترقوا أثناء رجوعهم حتى لا تراهم قريش ، فتعرف أن المسلمين قد عرفوا وعلموا بنقضهم للعهد ، وأنه قد يستعد لملاقاتهم فتفرقوا (٣) .

لقد عرف النبي ﷺ أهمية حفظ السّر وإخفاء المعلومات والخطط وعدم تسربها للعدو ، وكان ﷺ يعمّي على العدو تحركاته ولا يظهر للناس الجهة التي يريدها أو القبيلة التي يريد قتالها .

إن حرص الرسول ﷺ على عدم تسرب المعلومات إلى العدو ومنع تسرب خطط المسلمين جعله يستخدم الحراسات ، فعن سهل بن الحنظلة أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا السير حتى كان عشية قال : منْ يحرسنا الليلة ؟ قال

---

(١) الحلبي ، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ ، وابن كثير ، تفسير ابن كثير ٨ / ١٠٨ ط . دار الشعب .

(٢) الحلبي ، السيرة الحلبية ٣ / ٩ .

(٣) الحلبي ، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ .

أنس بن أبي مرثد الغنوي : أنا يا رسول الله ، قال : فاركب ، فركب فرسًا له ، وجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له استقبل هذا الشُّعب حتى تكون أعلاه ، ولا نغَرن من قبلك الليلة ، فلما أصبحنا جاء رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ، ثم قال : هل أحسستم فارسكم الليلة ؟ قالوا : لا ، فثوب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلي وهو يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى رسول الله ﷺ قال : أبشروا قد جاءكم فارسكم ، فإذا هو قد جاء ، حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ فلما أصبحت اطلعتُ الشعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحدًا ، فقال له رسول الله ﷺ : هل نزلت الليلة ؟ قال : لا ، إلا مصليًا أو قاضيًا حاجة ، فقال له رسول الله ﷺ : قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها [(١)] .

والأمثلة على ذلك كثيرة .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال : ليت رجلاً من أصحابي صالحا يحرسني الليلة إذ سمعنا صوت سلاح فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا سعد بن أبي وقاص ، جئت لأحرسك ، فنام النبي ﷺ [(٢)] .

لم يغفل النبي ﷺ عن وضع الحرس لمراقبة من يمرّ من الأعداء أو أعوانهم في داخل المجتمع المسلم ، وإن كان قد حفظه الله سبحانه وتعالى من الناس ، فيما يتعلق بشخصه ﷺ ، ولكن حرصه على مصلحة المسلمين يدعوه إلى الحراسات ، وقد ظفر الحرس بجواسيس العدو في فتح مكة حيث ألقى القبض على أبي سفيان ومن معه وجيء به إلى رسول الله ﷺ .

وفي خيبر ألقى الحرس القبض على يهودي في جوف الليل فجاء به عمر إلى

---

(١) أبو داود ، سنن أبي داود بشرح عون المعبود ٧ / ١٨٢ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ٦ / ١٨١ .

النبي ﷺ وسأله الرسول ﷺ عن يهود فأخبر عن قوتهم وأسلحتهم وأنواعها ، وحصونهم ومداخلها وطريقة دفاعهم واستفادوا من ذلك في فتح خيبر ومعرفة مآتي هذه الحصون [١] .

كما استعمل النبي ﷺ الأوامر المختومة ، حفظًا على كتم الأسرار وغاية في التكتم والحيطة ، فقد وجه عبد الله بن جحش في سرية وذلك في السنة الثانية للهجرة وأمّره على اثني عشر مهاجرًا في مهمة أخفاها عنهم ودفع إليه كتابًا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين في اتجاه معين ، ثم ينظر فيها ، فلما مضى يومان فض الكتاب فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل « نخلة » بين مكة والطائف فترصد لنا عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم ، فلما نظر في الكتاب قال : سمعًا وطاعة ، ثم قال ذلك لأصحابه وقال : قد نهاني رسول الله ﷺ ، أن أستكره أحدًا منكم فمضوا لم يتخلف منهم أحد ، ومضى عبد الله بن جحش وأصحابه حتى نزل « بنخلة » [٢] .

فالكتمان أمر حيوي في العمليات العسكرية حيث تفشل كل حركة بدون تحقيق ذلك وتطبيقه ، ثم إن وصية رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن جحش بألا يستكره أحدًا من أصحابه منها : إنه يريد ﷺ بألا يدفع بفرد إلى عملية يخشاها أو يهابها ، لأن الحرب تحتاج إلى القوة والشجاعة ، وأن من يخرج إليها بنفسه وبإرادته فإنه يقدر على مواجهة الأحداث التي تمر به أثناء القتال ، وأما الذي يخرج مكرهًا على ذلك فإنه لا يصبر على القتال وسرعان ما يهزم أمام العدو فيكون سببًا لهزيمة المسلمين .

٣ - تضليل العدو وعيونه : نجح المسلمون الأوائل في تضليل العدو وعيونه أو بمعنى آخر ، نجحوا في التمويه على العدو وخداعه وتضليل مخابراته ، وقد تعددت

---

(١) الحلبي ، السيرة الحلبية ٢ / ٧٣٣ .

(٢) الهيثمي ، مجمع الزوائد ٦ / ١٩٨ ، وعبد الرؤف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ص ٢١٢ .

وسائل هذا التضليل وهذا الخداع كالسرية والكتمان والتخفي عن العيون ، والسير ليلاً والاختفاء نهارًا ، والسرعة في شن الغارات وعدم البقاء طويلاً في أرض العدو ، وتغيير الطرق والسير في طرق غير معهودة أو متوقعة للعدو .

استطاع النبي ﷺ أن يتفادى عيون قريش والإفلات من رقابتهم ، في بيعة العقبة الثانية ، حيث التقى بزعماء الأنصار في زحام الموسم ، وواعدهم على اللقاء في « منى » وسط أيام التشريق ، إذا هدأت الرِّجْل ، على أن يوافوه في الشِّعب الأيمن إذا انحدروا من منى أسفل العقبة ، وأمرهم ألاّ ينبهوا نائمًا ولا ينتظروا غائبا ، فخرج القوم بعد الهدأة يتسللون الرجل والرجلان ، وقد سبقهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، ليس معه أحد غيره ، فاجتمع بالأنصار وبايعهم دون أن تعلم به قريش ولا عيونها [١] .

ومن أجل التخفي عن عيون العدو كان النبي ﷺ يوصى سراياه بأنهم يكمنون النهار ويسيرون الليل ، وحدث ذلك في أغلب السرايا ، مثل سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وسرية شجاع بن وهب إلى هوازن ، وسرية محمد بن مسلمة الأنصاري إلى بني بكر ابن كلاب ، وسرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح ، وكذلك بعض الغزوات تم فيها التخفي على العدو مثل غزوة دومة الجندل التي سار إليها النبي ﷺ في ألف من أصحابه ، ومعهم دليل من بني عذرة فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار [٢].

كما أوص النبي ﷺ قادته بذلك ، فقال لزيد بن حارثة عندما أرسله إلى بني بدر في السنة السادسة من الهجرة : أكمنوا النهار وسيروا الليل ، وقال لأبي قتادة الأنصاري عندما أرسله إلى غطفان بأرض نجد : سيروا الليل وأكمنوا النهار » [٣] .

ومن وسائل تفادي العيون والتخفي عنهم كان ﷺ يوصي أصحابه بإسراع السير

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١ / ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٠٣ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٤ ، ٧٧٨ .

قبل أن تصل الأخبار للعدو ، واستخدام الطلائع فقال ﷺ لأسامة بن زيد : أسرع السير تسبق الخبر ، وقدم الطلائع ، فإن أظفرك الله فاقلل اللبث فيهم (١) .

ومن وسائل تضليل العدو والإخفاء على عيونه ، أن النبي ﷺ كان يلجأ إلى تغيير الطريق المعهودة ، وفي الهجرة اتجه جنوبًا إلى غار ثور عكس المتوقع تماما ، ولم يتجه شمالاً صوب يثرب ، حتى هدأ الطلب ، وفي مسيره إلى الحديبية في السنة السادسة من الهجرة قال لأصحابه : تيامنوا في هذا العضل - أي المنحنى - فإن عيون قريش بمرّ الظهران ، فأيكم يعرف ثنية الحنظل فأرشده بعض أصحابه إليها فسلكها رغم شدة وعورتها ، وذلك ليتفادي عيون قريش .

كما كان تضليل العدو وخداعه أن يزوّده المسلمون بمعلومات خاطئة ينتج عنها تضليله وخداعه ، وأحيانا يزوّده بمعلومات صحيحة لتخويفه وردعه وبيان بأس المسلمين وحسن استعدادهم لتقع الهيبة والرهبة في نفوس العدو .

فقد استخدم رسول الله ﷺ في الهجرة سراقة بن مالك المدلجي ليصرف قريشًا عن طلب النبي ﷺ وصاحبه ، ودلهم على طريق غير صحيحة ، وكذلك قبل « بدر » نزل عينان للمسلمين هما طلحة بن عبيد الله وسعد بن زيد رضي الله عنهما ضيفين على كشد الجهني بمنطقة النخْبار - على الساحل وراء ذي المروة الواقعة بين خُشْب ووادي القرى من أعمال المدينة - فأخفاهما عن عيون قريش عندما سألوه إن كان قد رأى أحدًا من عيون محمد ، وقال لهم : أعوذ بالله وأنّى عيون محمد بن النخبار ؟ (٢) .

كما تعمد النبي ﷺ أن تصل الأنباء بخروجه إلى حمراء الأسد بعد غزوة أحد ليرهب قريشًا ، قال ابن كثير نقلاً عن ابن اسحاق : إنما خرج رسول الله ﷺ مرهبًا للعدو ليبلغهم

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ١١١٧ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ٥ / ٣٠١ ، وياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ١١٦ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠.

أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصاب المسلمين لم يوهن عزيمتهم (١) .

وكذلك في غزوة بدر الموعد ، مرّ النبي ﷺ ببني ضمرة ، وقال لزعيمهم مخشي بن عمرو : ما أخرجنا إلا موعد أبي سفيان ، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد ، ثم جالدناكم قبل أن نبرح منزلنا هذا ، قال الضمري : بل نكفّ أيدينا ونتمسك بحلفك « أراد النبي ﷺ أن يظهر قوة المسلمين ، ليرفع ذلك إلى عدوّه من قريش » ، وبالفعل وصلت الأنباء بذلك إلى قريش عن طريق معبد بن أبي معبد الخزاعي ، فلم تجرؤ على القتال وتراجعت بعد خروجها (٢) .

وعقب خيبر توجه الحجاج بن خلاط السُّلمي إلى مكة بعد أن استأذن الرسول ﷺ فوجد رجالاً من قريش عند ثنية البيضاء يتحسسون الأخبار فزودهم بمعلومات كاذبة ، وزعم لهم أن محمدًا وصحبه قد هزموا ، وأن الرسول ﷺ وقع في الأسر ، وأنه يريد أن يجمع أمواله التي بمكة ليشتري من فيء خيبر قبل أن يسبقه أحد من التجار ، فسمحوا له بذلك ، ولم يخبر أحدًا بالحقيقة سوى العباس عم الرسول ﷺ (٣) .

وقد يعمد الرسول ﷺ إلى إبلاغ العدو معلومات صحيحة عن نية المسلمين في السلام وتعظيم الحرمات كما حدث في الحديبية ، فقد قال ﷺ للمسلمين عندما رأى رسول قريش الحُليس بن علقمة مقبلاً : ابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الحُليس الهدي في قلائده عاد قبل أن يلتقي بالمسلمين ، وقال لقريش : أيصدّ عن بيت الله من جاء معظمًا له ؟ والذي نفس الحُليس بيده لتخلنّ بين محمد وما جاء له ، أو لأنفرن بالأحبيش نفرة رجل واحد (٤) .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٤٩ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٣٨٩ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٣٤٥ ، الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ١٧ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٤٠٤ .

وفي بيعة الرضوان كانت عيون قريش ، وفيهم عدد من سادتهم مثل سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزي يرصدون المسلمين ، ورأوا عزيمة المسلمين وطاعتهم لنبيهم في بيعة الرضوان ، فقال حويطب : ما رأيت قومًا أشد حبًا لمن دخل معهم من أصحاب محمد لمحمد ، وبعضهم لبعض ، فاشتد فزعهم ، وكان سببًا في إسراعهم إلى القضية أي قبول الصلح (١) .

وفي غزوة الفتح أمر النبي ﷺ المسلمين بالإكثار من إشعال النيران ليلاً حتى ترى عيون قريش كثرتهم ، وعندما خرج أبو سفيان متنطسًا الأخبار - أي متجسسًا الأخبار - تم القبض عليه بواسطة حرس رسول الله ﷺ ، وأذن له الرسول ﷺ أن يرى كتائب المسلمين بعددهم وعدّتهم ثم أطلقه ، فعاد ليقول لقريش إنهم لاقِبَلَ لهم بقتال محمد ﷺ - فكان هذا من باب الترهيب الذي استخدمه رسول الله ﷺ ، ولكي يظهر قوة المسلمين ، ويرعب العدو .

وبعد غزوة حنين قال النبي ﷺ لوفد هوازن : إنْ أتاني مالك بن عوف - سيد هوازن وكان لاجئًا إلى الطائف - مسلمًا رددت إليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فلما بلغ ذلك مالكًا إنسل من ثقيف حتى أتى الرسول ﷺ فأسلم وحسن إسلامه (٢) .

٤ - تأمين وحراسة القيادات المسلمة : إن المطلع على تاريخنا الإسلامي وبخاصة العهد النبوي يجد أن حماية الشخصيات الهامة كان لها وجودها البارز من خلال وقائع وأحداث السيرة ، وسوف نقف على جوانب من تأمين وحماية وحراسة الصحابة رضي الله عنهم لقائدهم وإمامهم النبي ﷺ وقد مارسوا الحماية بكل أنواعها ومن بين هذه الأمثلة ما يلي :

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٠٤ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٤٩١ ، و ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٣٦١ .

حراسة رسول الله ﷺ في الهجرة : قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خرج رسول الله ﷺ ليلاً فتبعه أبو بكر رضي الله عنه فجعل يمشي مرة عن يساره ومرة عن يمينه ، فقال له رسول الله ﷺ يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي ؟ فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك ، قال فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه فحفيت قدماه ، فحمله أبو بكر حتى أتيا فم الغار ، ثم قال : والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخل فلم ير شيئا فحمله فأدخله وكان في الغار خرق - أي شقوق - فخشي أبو بكر أن ينزل منهن شيء يؤذي رسول الله ﷺ ، فألقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه الحيات والأفاعي ، وجعلت دموعه تنحدر ، ورسول الله ﷺ يقول له : يا أبا بكر ، لا تحزن إن الله معنا [1] .

عندما نتأمل هذا النص نجد أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه قام بمهمة حماية قائد الأمة وهي حماية خاصة استخدم فيها أبو بكر الدائرة الكاملة في الحماية فكان يمشي أمام النبي ﷺ وخلفه وعن يمينه وعن يساره ، وقام كذلك بتأمين مكان الإقامة عندما دخل الغار ، وضحى بقدمه وجعله يتعرض للسع الحيات .

كما نلاحظ أن أبا بكر رضي الله عنه قد استخدم الاجراءات الوقائية في حماية رسول الله ﷺ ، قال أبو بكر رضي الله عنه : « .. فضربت بصري هل أرى ظلاً نأوي إليه فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فنظرت فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله ﷺ ، وفرشت له فروة وقلت : اضطجع يا رسول الله فاضطجع ، ثم خرجت انظر هل أرى أحدًا من الطلب فإذا أنا براعي غنم فقلت لمن أنت يا غلام ؟ فقال : أنا لرجل من قريش

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٩٨ - ٩٩ . وابن كثير ، البداية والنهاية ٣ / ١٧٨ .

فسماه فعرفته فقلت : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم . قلت : هل أنت حالب لي ؟ قال : نعم ، ثم أمرته فاعتقل شاة منها ، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ، ومعي إداوة على فمها خرقة فحلب لي كثة من اللبن - أي قليل - فصببت على القدح حتى برد أسفله ، فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب حتى رضيت ثم قلت : هل آن الرحيل فارتحلنا (١) .

عندما ننظر في النّص السابق نجد دقة الإجراءات الوقائية التي اتبعها سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ، مثل فحصه للمكان وتأمينه وتأهيل المكان وتسويته وفرشه بفروة لرسول الله ﷺ ، وعمل مسح للمنطقة ، كما احتاط من ناحية الطعام من حيث فساده حتى لا يؤثر على صحة القائد الأول ، فأمر بتنظيف ضرع الشاه من الغبار ، ووضع خرقة على فم الإداوة .

حراسة الرسول ﷺ في بيته : عقب تلقي الرسول ﷺ الرسالة التي بعثها عمه العباس يحذره من غزو قريش للمدينة عقب ذلك مباشرة فرض الصحابة رضي الله عنهم حراسة مشددة على منزل الرسول ﷺ بناءً على المعلومات التي جاءت وبخاصة بالليل ، فقد كان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، وأسيد بن حضير يبيتون على باب رسول الله ﷺ يحرسونه حتى الصباح (٢) .

حماية الرسول ﷺ أثناء الغزوات : عندما قفل رسول الله ﷺ راجعًا من خيبر بعد أن فتحها الله على يديه ، وفي الطريق بني بأم المؤمنين صفية رضي الله عنها ، فجاء أبو أيوب رضي الله عنه ليحرس رسول الله ﷺ متوشحًا سيفه ويطوف بالقبة حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟

قال : يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣ / ١٨٥ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١ / ٢ / ٢١٧ .

حديثة عهد بكفر فخفت عليك [١] .

نلاحظ من هذا النص السابق الحس الأمني الرفيع لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه في قيامه بهذه الحماية ، وقد برر سبب خوفه على رسول الله ﷺ وحمايته له بمبررات قوية ومنطقية .

حماية وفداء القيادة المسلمة أثناء المعارك : ذكر الربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه ، أن عقبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ ، أي يوم أحد - فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلي ، وأن عبد الله بن شهاب شجه في جبهته ، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل بها أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوي قائمًا ، ومصّ مالك بن سنان الدم عن وجه رسول الله ﷺ [٢] .

وقال ابن إسحاق : « ... وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم مَنْ رجل يشتري لها نفسه ؟ فقال زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار وقيل عمارة بن يزيد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه [٣] .

وقد روى ابن هشام عن أم عمارة رضي الله عنها قالت : « فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ [٤].

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٣٤٠ .
(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٨٠ .
(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٨١ .
(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٨٢ .

وقال ابن إسحاق : وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه ورمي سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ (١) . إنها صور من الحماية والفداء لا يجود الزمان بمثلها .

٥ - استنطاق الجواسيس والأسرى وعابري السبيل :

لقد مارس الرسول ﷺ وعيونه قواعد خاصة ، في استنطاق الجواسيس والأسرى ، وحتى عابري السبيل ، وذلك للاستفادة من المعلومات التي يحملونها ، وتقوم هذه القواعد على محاولة تأمين هؤلاء على حياتهم وتوجيه أسئلة إليهم ، الغرض منها جر الخصم أو الطرف الآخر إلى حالة يفرغ ما لديه من معلومات ، وفي حالة عدم التعاون يلجأ إلى استخدام عنف محدود لإرغامهم على الاعتراف ، ومما يؤيد أن هذا العنف كان محددًا ، هو عدم إشارة المصادر إلى وفاة أي من جواسيس العدو أثناء التحقيق ، وعندما تفشل هذه السبل ، يهدد بإعدامه ، ولم يرد لنا سوى حالتين أشير فيهما إلى قتل الجاسوس نتيجة لرفضه الاستسلام ولجوئه إلى الفرار (٢) .

ونستطيع القول بأن الاستنطاق هنا بمعنى الاستجواب الذي هو أحد وسائل جمع المعلومات ، وهذا الاستجواب يكون مع الجواسيس والأسرى ، أما ما يكون مع عابري السبيل فمن الممكن أن نطلق عليه الاستدراج وهو من الطرق الشفوية للحصول على المعلومات من الأشخاص أثناء المحادثة معهم ، فيكون بذلك عندنا الاستجواب الاستخباري ، والاستدراج الاستخباري .

فمن أمثلة الاستجواب - الاستنطاق - الاستخباري في السيرة النبوية : المثال الأول : الاستجواب الذي قام به النبي ﷺ لغلامين ألقى القبض عليهما حول ماء بدر عندما بعث ﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص رضي الله

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٨٢

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ٤ / ١٧٨ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٢٣

عنهم في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يتلمسون الخبر فأصابوا راوية لقريش [١] ، فيها أسلم غلام لبني الحجاج ، وغلام لبني العاص ، فأتوا بهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فقالوا : لمن أنتما ؟ وظنوا أنهما لأبي سفيان ، فقالا : نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم فتركوهما ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته قال : إِذَا صَدَقُوكُم القَولَ ضَرَبْتُوهُمَا ، وإذا كذبَاكُم تركتموهما ، صَدَقَا والله إنَّهُمَا لِقُرَيشٍ .

قال : أخبراني عن قريش : قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى .

قال : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : وما عدتهم ؟ ، قالا : لا ندري ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ ، قالا : يومًا تسعًا ويوما عشرًا ، قال : القوم فيما بين التسعمائة والألف قال : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأبو البختري ابن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر وطعيمة بن عدي ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود .

قال رسول الله ﷺ : هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ أكبادها [٢] .

من خلال هذا الاستجواب الاستخباري السابق نلاحظ أن النبي ﷺ استخدم فنًا راقيًا وحكمة وحنكة متقدمة في توجيه الأسئلة ، فجاءت أسئلته واضحة وبسيطة ، ولم يطرح أكثر من سؤال في الوقت الواحد ، ولم يستخدم الأسئلة التلقينية التي تكون إجابتها بلا أو نعم ، كما أنه كان يعطي المستجوب الفرصة المناسبة للإجابة ، وأن الأسئلة التي وجهها النبي ﷺ جاءت شاملة عن موضع الجيش وعدد أفراده ونوعية المقاتلين .

---

(١) الراوية : الإبل التي عليها الماء ، ابن منظور ، لسان العرب (روى) .

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ١٢ / ١٢٦ حديث رقم ١٧٧٩ ، والبيهقي ، سنن البيهقي ٩ / ١٤٨ و ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٢٦٩ .

كما نلاحظ من خلال هذا الاستجواب قوة شخصية الرسول ﷺ وخبرته في معرفة أن الغلامين يصدقان وإذا ما اشتد عليهما الضرب قالا ما يروق لمن يضربهما ، وذكاؤه الخارق عندما سأل عن عدد ما ينحرون ليصل إلى عدد الجيش كما نلاحظ الهدوء والصبر في الاستجواب ولم يقلل من شأن منْ يستجوبهم .

المثال الثاني : في الاستجواب الاستخباري : وهو استجواب جاسوس من هوازن عندما تخطى الرسول ﷺ منطقة العرج صوب مكة في غزوة الفتح تقدمت أمامه طليعة فلما كان بين العرج والطلوب جاءوا بعين من هوازن إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، رأيناه حين طلع علينا على راحلته فتغيب عنا في وهْدَة [١] ثم جاء فأوفى على نشز [٢] فقعد عليه فركضنا إليه فأراد أن يهرب منا ، وإذا بعيره قد عقله أسفل من النشز وهو يُغيِّبه ، فقلنا : من أنت ؟ قال : رجل من غفار . فقلنا : هم أهل هذا الظعن قلنا : فأين أهلك ؟ قال : قريبًا ، وأومأ بيده إلى ناحية ، قلنا : على أي ماء ؟ ومن معك هناك ؟ ولكن الجاسوس لم يتكلم ، قلنا : لتصدقنا أو لنضرب عنقك . قال : فإن صدقتكم ينفعني ذلك عندكم ؟ قلنا : نعم . قال : فإني رجل من هوازن من بني نضر ، بعثتني هوازن عينًا ، قالوا : إئت المدينة حتى تلقى محمدًا فتستخبر لنا ما يريد في أمر حلفائه ، أيبعث إلى قريش بعثًا أو يغزوهم بنفسه ولا نراه إلا سيتغورهم فإن خرج سائرًا أو بعث بعثًا فسر معه حتى تنتهي إلى بطن سرف ، فإن كان يريدنا أولاً فيسلك في بطن سرف حتى يخرج إلينا ، وإن كان يريد قريشا فسيلزم الطريق .

فقال رسول الله ﷺ : وأين هوازن ؟ قال الجاسوس : تركتهم بقبعاء وقد جمعوا الجموع وأجلبوا في العرب ، وبعثوا إلى ثقيف فأجابتهم فتركت ثقيفًا على ساق قد

---

(١) الوهدة : الأرض المنخفضة ، ابن منظور ، لسان العرب « وهد » .

(٢) النشز : الموضع المرتفع ، ابن منظور ، لسان العرب « نشز » .

جمعوا الجموع ، وبعثوا إلى جرش في عمل الدبابات والمنجنيق وهم سائرون إلى جمع هوازن فيكونون جميعًا .

قال ﷺ : وإلى من جمعوا أمرهم ؟ قال : إلى فتاهم مالك بن عوف ، قال ﷺ : وكل هوازن قد أجاب إلى ما دعا إليه مالك ؟ قال : قد أبطأ من هوازن أهل الجد والجلد . قال ﷺ : من ؟ قال : كعب وكلاب . قال ﷺ : ما فعلت هلال ؟ قال : ما أقل من ضوى إليه منهم ، ولقد مررت بقومك أمس بمكة ، وقد قدم عليهم أبو سفيان بن حرب فرأيتهم ساخطين لما جاء به وهم خائفون وجلون . قال رسول الله ﷺ : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ وَمَا أَرَاهُ إِلا صَدَقَني [1] .

نلاحظ من خلال هذا الاستجواب مدى الجوانب المتوفرة فيه في فنّ الاستجواب سواء التي قام بها النبي ﷺ أو التي قام بها أصحابه .

وإننا لنخرج من خلال استجواب رسول الله ﷺ للجاسوس أنه ﷺ وقف على وَضْع عدوه ، كما وقف على شخصية قائد المعسكر ، معرفته الدقيقة بهوازن وبطونها الإلمام التام بعلم النفس (وما أراه إلا صدقني) ، إن ما قام به النبي ﷺ جعله يحصل على معلومات في غاية الأهمية عن كل من هوازن وقريش .

أما من خلال استجواب الصحابة للجاسوس ، فإننا نجد قوة الملاحظة عندهم مما جعلهم يتابعون تحركات ذلك الجاسوس ، معرفتهم بالمنطقة وقبائلها ومائها وأفرادها والأسئلة المتعلقة بإجابات بعيدة عن الرد بـ (لا) أو (نعم) ، تحديد الأسئلة ووضوحها ، تحطيم مقاومة الجاسوس وتهديده بالقتل ، الأمر الذي ترتب عليه الاعتراف بمهمة الجاسوسية أو التجسس . وإحالة الجاسوس للرسول للاستفادة من المعلومات التي يمتلكها ذاك الجاسوس .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٨٠٤ - ٨٠٩ .

أما الاستدراج الاستخباري : الذي يُعد أحد أبرز الطرق الشفوية للحصول على المعلومات من الأشخاص أثناء المحادثة معهم ، ويتم عادة لشخص تعلم العيون الاستخبارية أن عنده علم أو إلمام بمعلومات معينة ، وقد قام النبي ﷺ بالاستدراج الاستخباري بنفسه مع أحد عابري السبيل في الأحداث التي سبقت غزوة بدر ، حيث وقف النبي ﷺ ومعه أحد الصحابة على شيخ من العرب هو سفيان الضمري من سكان المنطقة فسأله عن قريش ومحمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، قال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ قال رسول الله ﷺ : « إِذَا أَخبرتَنَا أَخبرنَاكَ » ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا - للمكان الذي به رسول الله ﷺ وصحبه - وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا - للمكان الذي فيه قريش - فلما فرغ من خبره ، قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نَحنُ مِنْ مَاءٍ » ، ثم انصرف عنه قال الشيخ ما من ماء ؟ أمِنْ ماء العراق ؟ [١] .

نلاحظ من خلال هذا الاستدراج النبوي ذكاء النبي الخارق في سؤاله للشيخ عن محمد وأصحابه وعن قريش مما يجعل الشيخ يستبعد تمامًا أن السائل أحد الطرفين ، مما يُسهل على الشيخ في أنه يدلي بالمعلومة المطلوبة .

كيف قاوم الرسول ﷺ السؤال الاستدراجي الذي ألقاه عليه الشيخ حين سأله ، لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ، فتخلص النبي بقوله : « إِذَا أَخبرتَنَا أَخبرنَاكَ » .

كما نلاحظ أن النبي ﷺ جعل الشيخ يتحدث فقط عن الجزء الخاص بالمعلومات التي رغب في الحصول عليها ، لذا عجل النبي ﷺ بالانصراف عقب الحصول على المعلومة المتعلقة بموقع جيش قريش .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٥٠ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٨٨ - ١٨٩ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٥ - ٤٣٦ .

لقد عبّر الرسول ﷺ بعدم إفصاحه عن هويته ، وإجابته بصورة مبهمة وإن كانت صادقة ، على شرعية ما تقوم به العيون ضمن هذا السياق .

٦ - تحليل المعلومات واستخلاص النتائج :

من المعروف أن رجال المخابرات الناجحة هي التي لديها القدرة الفائقة على تحليل المعلومات واستخلاص النتائج ، ثم الاستدلال على نوايا العدو تحركاته ، وتقدير قوته وعددها من خلال معلومات حتى ولو كانت صغيرة وبسيطة أو عابرة قد لا يعيرها البعض اهتماما ، وخير مثال على هؤلاء الرجال الاستخباريين هم عيون النبي ﷺ .

فقبل بدر استطاع المسلمون أن يعرفوا موعد وصول قافلة أبي سفيان من حديث عابر لجاريتين سمعهما عينان من عيون المسلمين ، وكانت إحداهما تطالب الأخرى بدفع ما عليها من نقود ، فقالت التي عليها الدَّين : إنما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك . فعادا عينا المسلمين وأخبرا النبي ﷺ بذلك [١] .

وأيضًا في حادث بئر معونة قتل أهل نجد سبعين من قراء المسلمين غدرًا ، وبعث النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري ، والمنذر بن محمد بن عقبة العوفي الأنصاري ليستبينا الأمر ، فما دلهما على القوم إلا وجود الطير تحوم حول العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا ينظران ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذ الخيل التي أصابتهم واقفة [٢] .

وفي ليلة بدر استطاع المسلمون أن يستدلوا على فزع قريش وخوفها من لقاء المسلمين من إسكاتهم للخيل ومنعها من الصهيل ، فقد أرسل النبي ﷺ عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، فعادا فقالا : « يا رسول الله القوم مذعورون فزعون ، إن الفَرَسَ ليريد أن يصهل فيضرب وجهه » [٣] .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٦١٧ . تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ / ٧٤ .
(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٥٤ .

وكان المسلمون يستدلون على وجود القوم من آثار النعم والشياه ، فقد خرج النبي ﷺ بعد بدر في طلب غطفان وسُليم في غزوة قرقرة الكدر – فلم يجد منهم أحدًا ولكنه رأى آثار النعيم وموارد الماء ، فأرسل نفرًا من أصحابه أعلى الوادي ، فوجدوا النعم والرعاة فساقوها غنيمة للمسلمين (١) .

وكان النبي ﷺ يستدل على نوايا العدو من هيئتهم وتحركاتهم ، فبعد هزيمة أحد ، أراد أن يعرف إن كانت قريش تعتزم مهاجمة المدينة أم لا ، فأرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه – وقيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، يستطلع القوم ، وقال له : « إن ركبوا الإبل وجنبوا الخَيلَ فَهُو الظعْنُ ، وإنْ رَكبُوا الخيلَ وجنبوا الإبل فهي الغارَةُ على المدينة ، وأدركهم سعد بالعقيق ، ورآهم يتشاورون ثم ركبوا الإبل فعاد ، وأخبر النبي ﷺ برحيلهم (٢) .

واستدل الزبير بن العوام رضي الله عنه على غدر بني قريظة من أحوالهم ، وقال للنبي ﷺ : « رأيتهم يصلحون حصونهم ، ويدربون طرقهم ، وقد جمعوا ماشيتهم ، فعلم النبي ﷺ أنهم يستعدون لحربه » (٣) .

وفي السنة الثامنة من الهجرة عرف النبي ﷺ أن هوازن وثقيفًا يستعدون لحربه من قول أحد أسراهم : إنهم جمعوا الجموع ، وعملوا الدبابات والمنجنيق ، وقلدوا أمرهم فتاهم مالك بن عوف (٤) .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٤٨٢ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٩٨ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٥٧ .

(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٨٠٥ .

الفصل السادس

إدارة الرسول ﷺ لعمل المخابرات

الرسول صاحب القيادة السياسية والعسكرية والإدراية والاقتصادية للأمة : جمع النبي ﷺ بين كونه نبيًا يوحى إليه ، من الله عزَّ وجلَّ ، وبين كونه رجل دولة تقع عليه مهمة القيادة السياسية للأمة ، وهي حالة فريدة ، أراد الله عزَّ وجلَّ بها ختم خطابه الإلهي إلى البشر ، وشهد هذا العصر النبوي استنادًا إلى هذه الحقيقة وضع الأطرحة العريضة للتأسيسات السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية للأمة استنادًا إلى القرآن الكريم وأقوال وأفعال الرسول ﷺ ، والتي حولت الخطاب الإلهي إلى حركة فاعلة ، وسرعان ما نمت وتطورت هذه التأسيسات الوليدة فيما بعد خلال التجربة التاريخية للأمة في العهود التالية :

١ - انطلاقًا من هذه الحقيقة فقد ظهرت في هذا العصر البداية التأسيسية لشبه هيكل إداري للإشراف على الشئون السرية للدولة ، ونستطيع تسميتها **الشئون الاستراتيجية** ، وكان هؤلاء الرجال وهؤلاء العيون الذين يقومون بواجبهم نحو وطنهم ودينهم مرتبطين مباشرة بالرسول ﷺ ، فهو الذي يديرهم وهو الذي يحركهم ، فقد أشير إلى أُبي بن كعب رضي الله عنه إلى أنه كان يقرأ ويكتب الرسائل السّرية لرسول الله ﷺ مثل الرسالة السرية التي كتبها وأعطاها النبي ﷺ إلى عبد الله بن جحش في سرية نخلة ، قال عبد الله بن جحش : دعاني رسول الله ﷺ حيث صلى العشاء فقال : وافِ مع الصبح ، معك سلاحك ، أبعثك وجهًا ، قال : فوافيت الصبح وعليّ سيفي وقوسي وجعبتي ومعي ورقتي ، فصلى النبي ﷺ بالناس الصبح ثم انصرف .

فيجدني قد سبقته واقفًا عند بابه ، وأجد نفرًا معي من قريش ، فدعا رسول الله ﷺ أُبيّ بن كعب فدخل عليه ، فأمره رسول الله ﷺ وكتب كتابًا ، ثم دعاني فأعطاني

صحيفة من أديم خولاني [(١)] فقال : قد استعملتك على هؤلاء النفر ، فامض حتى إذا سرت ليلتين فانشر كتابي ، ثم امض لما فيه .. [(٢)] .

ومن الأمثلة التي تدل على الإشراف النبوي على الشئون السرية والاستخباراتية في الدولة ، عندما كتب العباس بن عبد المطلب كتابًا وختمه وأرسله إلى رسول الله ﷺ يخبره فيه أن قريشا قد أجمعت على المسير إليه وعددهم ثلاثة آلاف ، ومائتي فرس وسبعمائه دراع وثلاثة آلاف بعير وأوعبوا من السلاح وعندما وصل الكتاب إلى النبي ﷺ قرأه عليه أبيّ بن كعب واستكتم أبيًا ما فيه ، فدخل منزل سعد بن الربيع فقال : في البيت أحد ؟ فقال سعد الآن فتكلم بحاجتك . فأخبره بكتاب العباس بن عبد المطلب ، وجعل سعد يقول : يا رسول الله ، إني لأرجو أن يكون في ذلك خير [(٣)] .

ثم تولى أمر الكتابة السرية والقراءة السرية إلى النبي ﷺ بعد أُبيّ بن كعب رضي الله عنه ، زيد بن ثابت ، حيث قال له النبي ﷺ : إنها تَأْتِيني كُتُبٌ لاَ أُحبُّ أنْ يَقرَأَهَا كُلُّ أَحَدٍ ، فَهَل تَستطيعُ أَنْ تَتَعَلَّم العِبْرَانِيَّةَ أو قال السُّرْيَانِيَّة ؟ فقلت : نعم [(٤)] .

ويقول زيد بن ثابت رضي الله عنه في هذا الشأن : فقد أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب اليهود ، وقال ﷺ : إني وَاللهِ مَا آمَنُ اليَهُودَ عَلَى كِتَابي « ثم يقول زيد : فوالله ما مر بي نصف شهر حتى تعلمته وجُدت فيه ، فكنت أكتب له إليهم ، وأقرأ له كتبهم إليه [(٥)] .

فالأمر يتعلق هنا بتعلم الكتابة والقراءة كما أشير إلى محاولة زيد بن ثابت تعلم الفارسية

---

(١) الأديم الخولاني لعله منسوب إلى خولان من مخالف اليمن ، أو إلى خولان قرية في دمشق ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٤٠٧ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٣ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٢٠٤ .

(٤) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٤٤٦ .

(٥) أبو داود ، سنن أبي داود ، الحديث رقم ٣٦٤٥ ، ج ٣ / ٣١٨ .

والرومية والقبطية والحبشية من أصحاب هذه اللغات المقيمين في المدينة [١] .

٢ - دور عمر بن الخطاب الأمني تحت إدارة رسول الله ﷺ : مما يُلفت النظر نحو إدارة رسول الله ﷺ للدولة بجميع مؤسساتها الدور الواضح الذي قام بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صعيد الشئون الأمنية ، ومن الوقائع التي توضح ذلك الدور ما قام به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من نقل لأخبار خيانة بني قريظة في الخندق من خلال مصادر يهودية من داخل بني قريظة ، فبينما رسول الله ﷺ في الخندق أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وهو في قبته - وقبة رسول الله ﷺ مضروبة من أديم في أصل الجبل عند المسجد الذي في أسفل الجبل - معه أبو بكر رضي الله عنه والمسلمون على خندقهم يتناوبون ، معهم بضعةٌ وثلاثون فرسًا ، والفرسان يطوفون على الخندق ما بين طرفيه ، يتعاهدون رجالاً وضعوهم في مواضع فيه ، إلى أن جاء عمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وقال : من نبعث يعلم لنا علمهم ؟ فقال عمر : الزبير بن العوام ، فكان أول الناس بعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، فقال : اذْهَبْ إلى بني قُرَيظة ، فذَهَبَ فَنَظَرَ ، ثُمَّ رَجعَ فقال : يَا رَسُولَ الله رَأَيْتُهُم يُصْلِحُونَ حُصُونَهُمْ وَيدربُونَ طُرُقَهُم ، وَقَدْ جَمَعُوا مَاشِيَتَهُم [٢] .

كما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه تحت إدارة رسول الله ﷺ التحقيق مع الجاسوس الذي ألقى القبض عليه في أحداث بني المصطلق ، فعندما نزل رسول الله ﷺ « بيقعاء » على مقربة من المدينة بينهما أربعة وعشرون ميلاً - أصاب عينًا للمشركين فقالوا له : ما وراءك ؟ أين الناس ؟ قال لا علم لي بهم ، قال عمر رضي الله عنه :

---

(١) المسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٢٤٦ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٥٧ .

لتصدقنّ أو لأضربن عنقك ، قال : فأنا رجل من بني المصطلق ، تركت الحارث بن أبي ضرار قد جمع لكم الجموع ، وتجلّب إليه أناس كثير وبعثني إليكم لآتيه بخبركم وهل تحركتم من المدينة ، فأتى عمر بذلك رسول الله ﷺ فأخبره الخبر (١) .

كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي اقترح على رسول الله ﷺ التخلص نهائيًا من زعيم المنافقين عبد الله بن أُبيّ بن سلول ، بعد أن صعّد عملياته التخريبية لإحداث فتن بين الأوس والخزرج في هذه الغزوة ، وقد كان للنبي ﷺ رأي آخر في الموضوع نتيجة الأوضاع القبلية الحساسة في المدينة .

كما تولى أثناء حصار خيبر الإشراف المباشر على عمليات المراقبة الليلية على الحصون المحاصرة ، حيث تمكن من القبض على يهودي تسلل خارجًا من أحد الحصون ، وقد أمر بقتله مما دفع اليهودي إلى إبداء رغبته في لقاء رسول الله ﷺ وقد حضر عمر اللقاء وقد أبدى اليهودي رغبته في التعاون ، لقاء منحه الأمان ، وقد تعهد له رسول الله ﷺ بذلك ، وكانت اعترافاته مذهلة ، حيث نقل الحالة النفسية المتردية للمقاتلين اليهود ، وهروبهم من حصن النّطاة إلى حصن الشقّ ، والذي يحتوي على مخزون ضخم من الطعام ، وفيه أسلحة ثقيلة مدفونة تحت الأرض تضم هذه الأسلحة مجانيق مفككة ودبابتين وسلاح من دروع وسيوف (٢) .

كما أمر الرسول ﷺ عمر رضي الله عنه بالإشراف الأمني على الطرق المتجهة من المدينة إلى مكة ، قبل أن يشرع المسلمون في التوجه إليها لفتحها ، وكانت تعليماته إلى رجاله ، ولا تدعوا أحدًا يمر عليكم تنكرونه ، إلا رددتموه (٣) .

وتدخل أثناء مساءلة الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة عن سبب تراسله مع مكة ، في

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٤٠٦ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٤٥ .
(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٤٧ - ٦٤٨ .
(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٩٦ .

أحداث فتح مكة ، حيث طالب بإعدامه ، لأنه خان الله ورسوله ، وقد رفض الرسول ﷺ اقتراحه لا لشيء إلا لصدق نية حاطب ، وإيمانه ، ثم لأنه من أهل بدر [١] .

كما يلاحظ مشاركة الرسول ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دراسة المعلومات التي قدم بها عينه عبد الله بن أبي حدرد ، عندما أرسله إلى هوازن ، حيث شكك في دقة المعلومات التي قدم بها عينه عبد الله ، وكان على حق في هذا ، وعندما احتج عبد الله على تقييم عمر لمعلوماته واستنجد بالرسول ﷺ للوقوف معه ، كان جواب الرسول ﷺ مؤيدًا لحسن نيّة عبد الله أكثر من تأييده لما جاء به من أخبار [٢] .

٣ - إدارة النبي ﷺ للاستطلاع وعنايته به : بجانب قيادته ﷺ السياسية والإدارية والاقتصادية فإنه ﷺ يدير عمليات الاستطلاع الاستخبارية في السرايا والغزوات ، مما يدل على عنايته ﷺ بالاستطلاع وعلمه بمزاياه ، وضرورته الحيوية سواء للتخطيط في جميع مستوياته الاستراتيجية والتكتيكة ، أو لإدارة المعارك ، مما يدل على مولد نظرية إسلامية في الاستطلاع الحربي وهي : أن الاستطلاع ضرورة حيوية ، وأن الاستطلاع ترصّد وتعلم ، وضرورة مراعاة السّريّة في الاستطلاع ، وأسس اختيار أفراد الاستطلاع كل هذا قام على إدارته رسول الله ﷺ ، مما نتج عنه مبادئ نظرية كاملة في الاستطلاع الحربي [٣] .

٤ - إدارته بنفسه عملية استخبارية وتحقيق مبدأ السرية : كان ﷺ أكثر القادة إدراكًا لأهمية المعلومات وتقديرًا لها ، لذلك عندما يختار مَنْ يُسند إليه مهمة جمع المعلومات لابد وأن يكون مميزًا بصفات خاصة ، ولذلك اهتم النبي ﷺ باختيار الشخص الموثوق به . ولما كانت غزوة بدر هي أول معركة حربية توافرت لها كل

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ٣٠ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٩٨ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٨٩٣ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٧٣ .

(٣) مجاهد باعشن ، الاستخبارات العسكرية ص ٩٩ .

مقومات المعركة فإن الرسول ﷺ قد أعطى للاستطلاع أهمية بالغة ، وكان هو ﷺ صاحب أول عملية استطلاعية أمام القوات ، وقد أدارها بنفسه وكان معه أبو بكر رضي الله عنه حث وقف ﷺ على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، وفي نهاية حواره ﷺ مع هذا الشيخ عرف النبي ﷺ ما يريده عن قريش حتى وصل إلى الحقيقة دون إثارة شك هذا الشيخ (١) .

٥ – دراسته ﷺ وتحليله للمعلومات : إن من إدارة رسول الله ﷺ لهذا العمل الاستخباري دراسته وتحليله للمعلومات في تنظيم الجيش ، وعلى سبيل المثال ما حدث في غزوة بدر الكبرى ، فعندما درس المعلومات الاستخبارية عن العدو والتي أشارت بتفوق المشركين من حيث القدرة القتالية من الناحية المادية ، إلا أنه لأهمية القيادة البالغة ثم التركيز عليها ، نجد أن الرسول القائد ﷺ عندما درس ذلك كله قد انتبه إلى قدرة العدو القتالية من حيث زيادة النسبة لملاك قوات العدو وعتاده عن ملاك وعتاد الجيش الإسلامي ، لذلك لجأ إلى التكتيك الجديد في استخدام أسلوب القتال بالصفوف المتراصة ، وبالعمق ، حيث تم تشكيل الجيش على شكل صفوف ثلاثة أو أربعة بعضها خلف بعض ، بحيث أعطت عمقا وقوة للجيش ، وهو تكتيك دفاعي جديد للتغلب على زيادة حجم القوات المهاجمة ومحاولة القضاء عليها ، وتدميرها من وضع الثبات بأقل خسائر ممكنة على أن يتحول الدفاع إلى هجوم مضاد عندما تحين الفرصة المناسبة لذلك ، وبهذا حقق الرسول ﷺ مبدأ مفاجأة العدو باتباعه أسلوبًا تكتيكياً جديدًا لم يطرق من قبل في جزيرة العرب (٢) .

نلاحظ أن النبي ﷺ بإدارة حكيمة واعية استطاع أن يدير هذا العمل كغيره من

---

(١) مجاهد باعشن ، الاستخبارات العسكرية ص ١١٥ – ١١٧ .

(٢) حمد الحارثي ، أسس عمليات القتال ، طبعة بيروت بدون تاريخ ص ٤٤ – ٤٥ .

الأعمال التي تخدم مصلحة الإسلام والمسلمين ، وأنه ﷺ هو الذي بيّن لنا منهج هذا الجانب من العمل الإسلامي ، والأسس التي يقوم عليها والصفات التي يجب أن تتوفر في هذا النوع من الرجال الذين يعملون عيونًا للمسلمين ، فكان ﷺ بمثابة إدارة كاملة للأمة الإسلامية .

۞ ۞ ۞ ۞

الفصل السابع

الواجبات المنوطة برجل المخابرات في عصر الرسول ﷺ

لاشك أن الواجبات المنوطة برجل المخابرات في العصر النبوي وغيره من العصور متعددة ومتنوعة ، ومثقلة لكواهلهم ، ولكن حب العمل والإخلاص والتفاني فيه ، وحب الدين وحب الوطن قد خفف عنهم ، وجعلهم يبذلون الغالي والرخيص في سبيل تحقيق الأمن والأمان للدولة .

لقد قام رجال المخابرات الإسلامية في عصر الرسول ﷺ بكل ما تم تكليفهم به من واجبات ، من خلال حمايتهم لرسول الله ﷺ من محاولات الغدر ، ومن خلال الاستطلاع العميق ، وإدارة التفاوض مع العدو ، والعمليات الخاصة ، والحرب النفسية والتضليل للعدو ، وعمليات الإنقاذ ، والتأكد من إسلام القبائل ، وإخلاء جثمان الشهداء . فنحن أمام واجبات ترتبط بأجهزة الدولة الإسلامية الإدارية ، والشخصيات الهامة ، من بين هذه الواجبات :

١ - حماية الرسول ﷺ من محاولات الغدر :

عندما نتتبع سيرة الرسول ﷺ نجد أنه قد تعرض في حياته إلى ستة محاولات غادرة لقتله ، الأولى في ليلة الهجرة [١] ، والثانية بعد معركة بدر على يد عمير بن وهب الجمحي [٢] ، والثالثة من قبل بني النضير [٣] . والرابعة على يد دعثور المحاربي من غطفان [٤] . والخامسة على يد أعرابي بتحريض وتخطيط من قبل

---

(١) عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ٥ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٢٥ - ١٢٧ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣) عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ٥ / ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٩٥ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٢٤ .

أبي سفيان [(١)] . والسادسة على يد امرأة من بني النضير في خيبر [(٢)] .

وقد أشارت المصادر إلى دور الوحي الإلهي في نجاته في بعضها ، أما البعض الآخر فنجد أن رجال المخابرات – العيون – لها دور كبير في نجاته ﷺ في واحدة منها على الأقل وهي المحاولة الثالثة ، التي حدثت في ديار بني النضير في المدينة قبل طردهم على أثر هذه المحاولة ، وتتفق المصادر التاريخية على هذه المحاولة إلا أنها تعطي تفاصيل مختلفة لأسباب ذهاب النبي ﷺ مع بعض أصحابه إلى بني النضير ، وأن أنباء هذه المؤامرة وصلت إلى مسامع الرسول ﷺ عبر امرأة من بني النضير ، وقيل عبر مصدر بشري لا يُعرف وبصورة يفهم منها أن مصدر الخبر بشريّ وليس إلهي عن طريق الوحي [(٣)] .

وبذلك يمكن الاطمئنان إلى أن العيون ساهموا ولو مرة واحدة في نجاة الرسول ﷺ من محاولة غادرة لقتله ، وعبّرت سياقات العملية عن نجاح المسلمين في إيجاد قنوات داخل يهود المدينة ، من المتعاطفين مع المسلمين ، وإن ظلّوا يهودًا من ناحية العقيدة ، ومما يدل على أن هذه المرأة التي أخبرت خبر تدبير اليهود لقتل رسول الله ﷺ عين وليست مجرد امرأة نقلت الخبر عن طريق الصدفة ، إنها أرسلت الخبر بسرعة من طريق وسيط إلى الأنصاري ، وتمت العملية بإتقان حيث لم يتم كشف أمر المرأة ولا المرسل من قبل الجانب اليهودي وتمت في سرّية كاملة وتحقق الهدف والمراد من وصول المعلومة في الوقت المناسب وبالدقة الكاملة ، وتم حماية رسول الله ﷺ من محاولة آثمة غادرة خطط لها يهود بني النضير .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٨ ، و البلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٣٧٩ – ٣٨٠ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٦٧٨ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٢ / ٦ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٦٤ – ٣٦٥ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٠٨ ، وعبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ٥ / ٣٥٩ – ٣٦٠ .

٢ - الاستطلاع العميق :

من الواجبات المنوطة برجال المخابرات الإسلامية هي الاستطلاع العميق ، بمعنى القيام بعمليات استطلاعية في مناطق بعيدة عن قواعدهم لغرض جمع معلومات مهمة عن العدو ، وقد نفذت العيون الإسلامية خمس عمليات استطلاعية عميقة وهي :

أ - عملية سرية نخلة [(١)] : كانت هذه السرية أول عملية استطلاعية بعيون استخبارية وكانت بقيادة عبد الله بن جحش ، وتضم ثمانية أفراد وهم : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة [(٢)] ، وواقد بن عبد الله التميمي [(٣)] ، وعكاشة بن محصن ، وخالد بن أبي البكير [(٤)] وسعد بن أبي وقاص [(٥)] ، وعتبة بن غزوان [(٦)] ، وقد كتب الرسول ﷺ تعليماته لقائد العملية ، في أديم خولاني « جلد » وأمره بفتح كتابه المختوم بعد يومين ، وأن يسلك طريقًا يمر بالنجدية ، إلى ركية « بئر » وبعد انقضاء اليومين ، فتح عبد الله ابن جحش الكتاب فإذا فيه « سِرْ حتى تَأْتِي بَطْنِ نخلَة عَلَى اسْم الله وبركتِه ، ولا يُكرهن أحدًا من أصحابك على المسير معك ، واقضِ لأمري ، فيمن تبعك ، حتى تأتي

---

(١) نخلة : وادٍ يبعد عن مكة حوالي ٤٥ كم ، انظر البكري ، معجم ما استعجم مادة (نخل) .

(٢) هو أبو حذيفة بن عتبة من بني عبد شمس ، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد مع رسول الله ﷺ واستشهد في اليمامة . انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤ / ١٦٣١ .

(٣) واقد التميمي حليف لبني عدي ، أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤ / ١٥٥٠ .

(٤) خالد بن أبي البكير من بني ليث ، شهد بدرًا مع إخوته ، انظر ابن الأثير ، أسد الغابة ٢ / ٩١ .

(٥) سعد بن أبي وقاص ، أسلم قديما وشهد بدرًا والمشاهد كلها ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٢ / ٦٠٦ - ٦١٠ .

(٦) عتبة بن غزوان من بني مازن حليف لبني نوفيل هاجر الهجرتين وشهد بدرًا ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣٠ / ١٠٢٦ .

بطن نخلة فترصد بها عير قريش » وقيل : « إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل بطن نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشًا ، وتعلم لنا من أخبارهم [١] .

إن هذا النص يشير إلى أن مهمة هذه السرية هي جمع أخبار عن قريش ، مع عدم استخدام القوة ، لأن استخدام القوة يحرف العملية عن أداء مهمتها الأصلية وهي الحصول على الأخبار .

ب – عملية بئر معونة [٢] : ويتراوح أفراد هذه العملية بين ١٠ – ١٦ رجلاً ، وقد تم إرسال هذه المجموعة إلى منطقة نجد ، والتي تسكنها قبائل مشركة ، وهذه المنطقة بعيدة عن المدينة نسبيًا ، وليس للإسلام فيها إلا قليل من الأنصار ، وكان هدف هذه المجموعة أولاً نشر الإسلام ، ثانيًا التأكد من المعلومات التي وصلت المدينة عن تجمع يقوده عامر بن طفيل أحد زعماء قبيلة عامر ، من بطون رعل وذكوان وعصية [٣] ضد الرسول ﷺ ، ورغم ذلك فإن مصير هذه المجموعة كان مأسويًا على يد عامر بن طفيل وأنصاره نتيجة عداء غير محدود للإسلام [٤] . وذلك بتحريض من قبل بني النضير الذين وصفوا بأنهم حلفاء لبني عامر [٥] .

لقد كانت هذه العملية الاستطلاعية من أشد العمليات التي قام بها عيون النبي ﷺ ، وما بها من مشقة وعنت بسبب بُعد المسافات بينها وبين المدينة .

ج – عملية الرجيع [٦] : إن أفراد هذه العملية كلهم عيون للنبي ﷺ وقد استشهدت

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ١٧٩ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٤١١ .

(٢) بئر معونة : منطقة تقع بين أرض بني عامر ومرة بني سليم ، الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٤٧ .

(٣) وهم من بطون سليم ، انظر ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ٢٦١ – ٢٦٣ .

(٤) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٥٢ – ٣٥٣ .

(٥) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٦٤ .

(٦) الرجيع : منطقة تقع بين عسفان ومكة جنوبي المدينة ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص ١٣٠ .

في بئر الرجيع ، وكان هدفها منطقة مكة لجمع المعلومات عن قريش [١] . وكان أفراد هذه العملية ما بين العشرة والستة والسبعة [٢] . وتتفاوت المصادر رغم اختلاف التفاصيل على أن مائة من بني لحيان هم الذين تتبعوا آثارهم بعد أن أخبروا بوصولهم إلى المنطقة ، وتوصلوا إليهم من خلال نوى التمر في أعلافهم ، وحاول قائد العملية عاصم بن ثابت [٣] إنقاذ الموقف على الرغم من التفوق الساحق للآخرين وذلك بالالتجاء إلى جبل قدْقِد [٤] ، لغرض الحماية ، إلا أنه استشهد معظمهم ، نتيجة لتعرضهم لرمي السهام ، بعد أن رفضوا الاستسلام ووقع في الأسر خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة حيث بِيعُوا لقريش فقامت بقتلهما [٥] .

إن هذه العملية تشبه عملية نخلة ، برغم اختلاف النتائج التي تحققت ، فقد كان هدفها تقريبًا واحد ، وهو جمع المعلومات عن قريش ، وإن استشهاد أفراد هذه العملية يشير إلى الصعوبات الجمة التي كانت تعترض عمل عيون المسلمين في الأراضي المعادية ، وهذا مما يزيدنا إعجابًا بهؤلاء الرجال ، وتفضيلهم للاستشهاد على الاستسلام .

د - عملية عبد الله بن رواحة الأولى في خيبر : أرسل الرسول ﷺ عبد الله بن رواحة مع ثلاثة رجال لغرض الاستطلاع وجمع المعلومات عن زعيم خيبر أسير بن زارم ،

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٤٥ ، وابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨ / ٣٨٢ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٥٥ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٩٣ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٣٨ .

(٣) عاصم بن ثابت من الأوس شهد بدرًا ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٢ / ٧٧٩ - ٧٨١ ، و ابن الأثير ، أسد الغابة ٣ / ١١١ - ١١٢ .

(٤) قِدْقِدْ : اسم الجبل قرب مكة ، وقد قيل قرقَدِ ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ / ٣١١ - ٣١٢ .

(٥) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٥٥ .

الذي تولى قيادة خيبر بعد مقتل سلام بن أبي الحقيق ، ولمعرفة حقيقة نواياه ، بعد أن نقل عين من المخابرات إلى رسول الله ﷺ في المنطقة ، خارجة بن حسيل الأشجعي إن هذا الزعيم اليهودي قد أعلن بأنه يهدف إلى إقامة تحالف قوي بين غطفان وخيبر ، من أجل التصدي لرسول الله ﷺ معنويًا وللإسلام أيضا في المدينة ، وعندما وصل عيون رسول الله ﷺ إلى خيبر توزعوا في حصونها ، الغطاة ، والشق ، والكتيبة ، وبعد جمع المعلومات المطلوبة عن أسير بن زارم وغيره من الزعامات اليهودية عادوا إلى المدينة بعد أن قضوا فيها ثلاثة أيام (١) ، ولقد كانت هذه المجموعة من عيون رسول الله ﷺ موفقة تمامًا ، في أداء مهمتها ، فلم ترتكب أخطاء في التنفيذ ، كما أن المعلومات التي حصلوا عليها وجاءوا بها شكلت مادة موثوقة ، ثم على أساسها تم التعامل مع زعيم خيبر أسير بن زارم .

هـ - عملية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح (٢) : تعد هذه العملية من العيون الأولى التي أرسلت إلى الشام ، فقد أرسل الرسول ﷺ خمسة عشر رجلاً بقيادة كعب بن عمير ، إلى هذه المنطقة النائية عن المدينة ، وبرغم أنَّ العملية اتبعت أساليب الأمن المطلوبة ، فقد سارت ليلاً وكمنت نهارًا ، لكنها كشفت من قبل عين معاد ، حيث نقل إلى القبائل المعادية في المنطقة معلومات عن قلة عددهم فحوصروا واستشهدوا جميعًا باستثناء أحدهم انسحب جريحًا إلى المدينة (٣) .

لم تكن هذه العملية مجرد غزوة بل كانت عملية تقوم بتنفيذ مخطط بعيد المدى ، وهو يشير إلى جمع معلومات جغرافية وبشرية وسياسية تمهيدًا لإرسال قوات في فترات لاحقة ، لقد توغلت هذه المجموعة في عمق الأراضي الواقعة تحت النفوذ

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٦ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٦ .

(٢) ذات أطلاح : منطقة في الشام تبعد عن البلقاء حوالي ٤٥ كم ، و الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٦ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٥٢ - ٧٥٣ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ /١/ ٩٢ .

البيزنطي وحلفائهم من عرب الشام .

٣ - إدارة التفاوض :

حققت رجال المخابرات التي تعد عيون النبي ﷺ في مجال التفاوض أمثلة ناجحة على صعيد التفاوض مع الأعداء ، فعلى سبيل المثال في أحداث غزوة الخندق عندما اشتد الحصار وتجمد الوضع العسكري تقريبًا ، ولم يكن بإمكان المسلمين تحمل المزيد من الضغوط العسكرية والنفسية لحصار طويل الأمد ، فقد لجأ الرسول ﷺ إلى العمل السياسيّ المستند إلى كفاءات رجال العيون ، لتحريك الوضع تمهيدًا لإيجاد ثغرة بين الحلفاء لتفكيك هذا التحالف تمهيدًا لانسحاب الأعداء ، أو القيام بعمل عسكري في حالة إصرار من تبقى من عناصر التحالف على الحرب .

كانت غطفان وأحلافها أكثر الحلقات التي تصلح للعمل ، فهي قد انضمت إلى التحالف لأسباب اقتصادية بحتة ، وهي تمرْ خيبر لمدة سنة ، ولذلك اتصل الرسول ﷺ باثنين من قادة غطفان ، وهما عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف ، ولا يعرف أسماء العيون ، أو العين الذين كلفهم رسول الله ﷺ بالاتصال بهما في منطقة الزغابة بالقرب من جبل أحد (١) . حيث تعسكر القبيلة وأحلافها ، وكان العرض المطروح الذي حوله التفاوض مع غطفان أن تنسحب هي وأحلافها ويخذلا بين أطراف التحالف لقاء أو مقابل إعطائهما ثلث واردات نخل المدينة ، إلا أن غطفان طلبت النصف ، ثم رضوا بالثلث ، وذلك أمام إصرار النبي ﷺ (٢). وسرعان ما وصل أو قدم المدينة عيينة بن حصن والحارث بن عوف مع عشرة من مساعيدهما للوصول إلى اتفاق نهائي ، وفي هذه المرحلة الحساسة والاتفاق جاهز للتوقيع قام الرسول ﷺ

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٤٤ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٣١ .

(٢) ابن عبد البر الأندلسي ، الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٢٥٣ .

بعرض الاتفاق السري على قادة الأنصار أصحاب النخيل ، المتفاوض على ثمره وهم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وقد تساءل قادة الأنصار بعد سماعهم الخطة ، إن كان العرض أمرًا من الله فامض له ، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى طمعوا بهذا منا ؟ فسكت رسول الله ﷺ ودعا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما في ذلك وهو متكئ عليهما ، والقوم جلوس ، فتكلم بكلام يخفيه وأخبرهما بما قد أراد من الصلح ، فقالا : إن كان هذا أمرًا من السماء فامض له ، وإن كان أمرًا لم تؤمر به ولك فيه هوى فامض لما كان لك فيه هوى ، فسمعًا وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف (١) .

وفي الحديبية نجد أن عيون الرسول ﷺ من خزاعة وعلى رأسها بديل بن ورقاء ساهموا في نقل وجهات نظر الرسول ﷺ وأهدافه من قدومه إلى مكة ، في كسر الحاجز النفسي ، الذي كان يشعر به مشركو قريش تجاه النبي ﷺ ، لاسيما بعد أن أحسوا أن القوة العسكرية أصبحت في جانب الرسول ﷺ بشكل متسارع خاصة بعد الخندق ، وفي حث قريش على الوثوق بالرسول ﷺ والوصول معه إلى اتفاق (٢) .

كما حققت العيون إنجازًا كبيرًا في ميدان العلاقات الإسلامية اليهودية ، حيث نجد أن الرسول ﷺ حاول الوصول إلى حل سلمي يتم بمقتضاه التحاق يهود خيبر بسلطة الرسول ﷺ في المدينة ، مع احتفاظهم بحكم أنفسهم ذاتيًا ، أي ضمن نفس بنود الصحيفة أو الدستور ، الذي أقره يهود المدينة ونقضوه تباعًا ، لاسيما بعد وصول أنباء إصرار قيادة خيبر ، والمتمثلة في أسيد بن زارم على إقامة تحالف قوي مع غطفان للوقوف بوجه الإسلام ، وبعد أن نجح عبد الله بن رواحة وصحبه في تقديم صورة عن طبيعة الأوضاع السائدة في خيبر ، وعن المواقف السياسية لقيادتها أمر الرسول ﷺ

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٧٧ - ٤٧٨ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٥٢ - ٥٣ .
(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٩٣ - ٥٩٤ .

عبد الله بن رواحة بالعودة ثانية إلى خيبر مع ثلاثين رجلاً من أجل الوصول مع أسير بن زارم[١] ، وإنما الاتفاق معه وإقناعه بالمجيء إلى المدينة ليأخذ الاتفاق مع أسير بن زارم ، رغم معارضة أطراف من يهود خيبر ، والذين شككوا في نوايا المسلمين ، وغادر أسير بن زارم خيبر مع ثلاثين من رجاله بصحبة عبد الله بن رواحة ورجاله الثلاثين ، إلا أنه غير رأيه عندما وصل قرقرة ثبار – وهي منطقة قرب خيبر – فحاول الغدر بالمسلمين ، فكان جزاؤه القتل مع رجاله ، ولم ينج سوى واحد منهم ، وعادت الوحدة إلى المدينة .

٤ – العمليات الخاصة :

يقصد بالعمليات الخاصة تصفية القيادات المعادية التي فشلت كافة الوسائل السلمية في تحييد نشاطهم السياسي والعسكري ، وباتت تشكل خطرًا جدّيًا على الدولة الإسلامية ، وامتازت بأهدافها الصعبة والمتميزة ، ومسرحها الجغرافي المتنوع ، وهذه العمليات نجد منها من استهدفت قيادات يهودية مثل : كعب بن الأشرف وأبي رافع سلام بن أبي الحقيق ، أو شخصيات عربية متهودة مثل : عصماء بنت مروان من الأوس ، وأبي عفك من الخزرج ، واللذين عملا ضد الإسلام خدمة للمصالح اليهودية وبتحريض منها على الأرجح ، وعمليات استهدفت قيادات عربية مشركة مثل : سفيان ابن خالد الهذلي ، وأبي سفيان بن حرب ، ورفاعة الجشمي والأسود العنسي .

أما على الصعيد الجغرافي ، نجد أن بعض هذه الأهداف تم تنفيذها داخل المدينة وبعضها في خيبر ، وفي مكة ، أو المناطق المجاورة لها ، أو في اليمن ، بهدف التخلص من القيادات المتطرفة في عدائها للإسلام ، ونتيجة لتحريضها على العدوان على المسلمين ، والآن نعرض لنماذج هذه العمليات الخاصة بالقيادات اليهودية ، ثم

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٦٧ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ١٩٦ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٧ .

بالشخصيات العربية المتهودة، ثم بالقيادات العربية المشركة، وذلك على النحو التالي:

عملية التخلص من عصماء بنت مروان: وهي تنتمي إلى بني خطمة من الأوس وقد تأخر إسلامهم مع بطون أخرى إلى ما بعد غزوة الخندق (١)، وكانت عصماء هذه شاعرة سليطة اللسان، ذات نفوذ في قومها بني خطمة، يهودية العقيدة، وقفت موقفًا عدائيًا من المسلمين منذ البداية، فهجت الرسول ﷺ والمسلمين، وكانت تؤذي الرسول ﷺ ولما علم عمير بن عدي (٢) الأنصاري الأوسي بذلك قرر التخلص منها فقتلها داخل بيتها ليلاً (٣).

وبعد أن قتلها عمير بن عدي صلى الصبح مع النبي ﷺ بالمدينة، فقال له: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي، فقال له النبي ﷺ: نَصَرْتَ اللهَ ورسولَه يَا عُميرُ فقال عمير: هَل عليّ في ذلك شيء؟ فقال النبي ﷺ: لاَ يَنْتَطِحُ فِيها عَنْزَانِ (٤).

وكان نتيجة لهذه العملية أن أسلم رجال من بني خطمة لما رأوا من عز الإسلام وجهر بإسلامه من كان يستخفى به (٥).

عملية اغتيال أبي عَفَك من بني عمرو بن عوف، شيخًا كبيرًا، قد بلغ مائة وعشرين سنة حين قدم النبي ﷺ المدينة وكان يحرض على عداوة النبي ﷺ، ولم يدخل في الإسلام، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر رجع وقد ظفرّه الله بما ظفّر به، فحسده أبو عَفَك وبغى بشعره، واستخدم هذا الشعر في التحريض على الرسول ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ لي بِهَذَا الخَبيثِ؟ فقال سالم بن عمير، وهو أحد البكائين وقد

---

(١) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ص ٣٤٥.

(٢) عمير بن عدي، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، ابن عبد البر، الاستيعاب ٣ / ١٢١٨.

(٣) الواقدي، كتاب المغازي ١ / ١٧٣.

(٤) الواقدي، كتاب المغازي ١ / ١٧٣ - ١٧٤.

(٥) الواقدي، كتاب المغازي ١ / ١٧٣ - ١٧٤، و ابن هشام، السيرة النبوية ٤ ٢١٤ - ٢١٥.

شهد بدرًا : عليّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه ، فأمهل يطلب له غرّة حتى كانت ليلة صائفة ، فنام أبو عفك بالفناء ، وعلم به سالم بن عمير ، فأقبل فوضع السيف على كبده حتى دخل في الفراش ، وصاح عبد الله ، فثاب إليه ناس ممن هم على قوله ، فأدخلوه منزله وقبروه ، وقالوا : من قتله ؟ والله لو نعلم من قتله لقتلناه به .

عملية تصفية كعب بن الأشرف : جاءت تصفية كعب بن الأشرف بعد معركة بدر الكبرى ، وكان عربيًا من بني نبهان من طيء ، وأمه من بني النضير وكان شاعرًا هجاءً ماجنًا ، متنفذًا في بني النضير ، يسكن بين أظهرهم [١] وقد أظهر عداوة مبكرة للرسول ﷺ ، وازدادت هذه العداوة بعد انتصار المسلمين في معركة بدر ، فأظهر حزنًا شديدًا على قتلى قريش وذهب إلى مكة يبكيهم ، ويهجو المسلمين ويحرض على أخذ الثأر ، ونزل على أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وقد تصدى له حسان بن ثابت فكان يرد عليه ويثير جوًا من الريبة لمن ينزل عليهم من أهل مكة ، نظرًا لمجونه وخلاعته ، وهذا ما دفع في النهاية من رحبوا به إلى طرده ، فعاد إلى المدينة [٢] .

استمر كعب بن الأشرف بعد عودته إلى المدينة في سلوكه المعادي ، فشبب بنساء المسلمين الطاهرات ، للتشهير بهن بهتانًا ، وزاد الأمر خطورة أنه أعد خطة لقتل الرسول ﷺ غدرًا ، عبر عودته إلى وليمة وواطأ جماعة من بني النضير على ذلك [٣] ثم فشلت هذه المؤامرة نظرًا لعلم الرسول ﷺ بها ، وبعدها كان لابد من التخلص من كعب بن الأشرف لاستحقاقه الموت بسبب أفعاله المشينة كلها .

كلّف الرسول ﷺ محمد بن سلمة [٤] وأمره بمشاورة سيد الأوس سعد بن

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٨٤ - ١٨٥ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٨ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٨٦ - ١٨٧ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٠ ، وابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ٨ / ٣٤٠.

(٤) محمد بن سلمة من الأوس ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات سنة ٤٣ هـ ، انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣ / ١٣٧٧ .

معاذ [١] وقد وضع سعد بن معاذ خطة ناجحة تقوم على الذهاب إليه أولاً ، ومحاولة طمأنته عبر إظهار عدم الرضا بتطور الأوضاع في المدينة ، وأن أحوالهم قد ساءت جميعها بعد مجيء الرسول ﷺ ، ويطلب إليه أن يسلفهم طعامًا ، وقد تم اختيار الفريق المنفذ لعملية التصفية بدقة ، حيث اختيروا ممن لا يشك فيهم كعب فقد كان محمد بن مسلمة ، وأبو نائلة سلكان بن سلامة [٢] أخويه من الرضاعة [٣] وعباد بن بشر [٤] وكان أيضًا أخاه من الرضاعة ، كما عُرف عن أبي نائلة بأنه كان نديم كعب في الجاهلية [٥] وعلى هذا الأساس انشرح صدر كعب بن الأشرف ، وعرض عليه أبو نائلة أن يبيعه وأصحابه طعامًا ، وعرض عليه رهنًا وهو سلاحهم ، فوافق كعب على الصفقة ، وكان غرض أبي نائلة من هذا الطرح ، ألَّا ينكر كعب قدومهم مع سلاحهم عند تنفيذ العملية ، وحدد أبو نائلة معه موعدًا ، وذلك لقدومه مع صحبه ، وهو العِشاء ، حيث صلوا العشاء مع الرسول ﷺ وأطلعوه على الخطة ، وأقرهم عليها ، ودعا لهم ، وانضم إليهم الحارث بن أوس [٦] ، وأبو عبس بن جبير [٧] ، فأصبح عددهم خمسة وودعهم الرسول ﷺ إلى البقيع ، ولما وصلوا إلى حصن كعب ، ناداه أبو نائلة ، فنزل كعب برغم تحذيرات زوجته فتحدثوا ساعة ، يتناشدون الأشعار ، ثم اقترحوا عليه

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٨٧ .

(٢) سلكان بن سلامة من الأوس شهد أحدًا ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤ / ١٧٦٥ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٨٨ .

(٤) عباد بن بشر من الأوس ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٢٠ / ٨٠١ .

(٥) ابن شبة ، تاريخ ابن شبة ٥ / ٤٥٦ ، و البلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٣٧٤ .

(٦) الحارث بن أوس من الأوس شهد بدرًا واستشهد في أحد ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ١ / ٢٨١ .

(٧) أبو عيسى بن جبير من الأوس ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤ / ١٧٠٨ .

أن يتمشوا إلى منطقة شرج العجوز ، وهي قرب المدينة ، وعندما شرعوا في التمشي مدّ أبو نائلة يده إلى رأس كعب وكان مضمّخًا بالطيب ، وأبدى إعجابه الشديد بشعره ، وكرر العملية مرة ثانية بعد ساعة ، وبعد أن اطمأن كعب إلى سلوكه عندئذ سحبه من جدائله ، وسيطر على رأسه وأمر أصحابه بالإجهاز عليه (١) .

لقد حققت هذه العملية أهدافها المرجوة ، إذ ألقت الرعب في قلوب اليهود في المدينة ، وأجبرتهم على استخدام الهمس في حديثهم عن الإسلام بدلاً من التبجح والصخب ، وجعلتهم يوافقون على الصحيفة التي اقترحها الرسول ﷺ كإطار يحكم العلاقة بينهم وبين المسلمين داخل المدينة ، وتحت قيادة الرسول ﷺ .

عملية تصفية أبي رافع سلام بن أبي الحقيق : كان سلاّم هذا من جملة من حرض الأحزاب على رسول الله ﷺ في معركة الخندق(٢) . حيث كان قائدًا يهوديًا ، وكان يموّل التحركات العدوانية التي تقوم بها غطفان وغيرها من مشركي العرب ، ضد الرسول ﷺ ، وقد اختار الرسول ﷺ عبد الله بن عتيك الخزرجي (٣) لقيادة العملية ، والذي امتاز بعدة مؤهلات ترشحه لذلك ، فقد كان يجيد العبرية (٤) وكانت أمه يهودية تسكن خيبر ، ويبدو أنها من بني النضير المرحلين عن المدينة (٥) وكان يصحبه في التنفيذ أربعة رجال ، وهم : مسعود بن سنان (٦) ، وعبد الله بن أنيس

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ١٨٨ - ١٨٩ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٤٨٩ ، وابن حبيب ، المحبر ص ١١٧ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٧٠ .

(٣) عبد الله بن عتيك الخزرجي شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ واستشهد في اليمامة . ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣ / ٩٤٧ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٦ ، والحلبي ، إنسان العيون ٣ / ١٥١ .

(٥) خليفة بن خياط ، الطبقات ص ١٠٣ ، و الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٩١ .

(٦) مسعود بن سنان حليف بني سلمة شهد أحدًا واستشهد في اليمامة ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣ / ١٣٩٢ .

وأبو قتادة [١] الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود حليف لهم [٢] .

وكانت أوامر الرسول ﷺ واضحة في الاهتمام بتنفيذ الهدف فقط ، وهو قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق ، وعدم القيام بأي شيء آخر عرضي ، ونهى ﷺ عن قتل النساء والصبيان أثناء التنفيذ لأنه يتعارض مع قيم الإسلام [٣] .

لقد لعبت أم عبد الله بن عتيك اليهودية دورًا إيجابيًا مساندًا للعملية ، حيث اتصل بها منذ البداية عند وصوله إلى خيبر وقدمت لهم المأوى والطعام والمشورة ، بعد أن اطلعت على طبيعة الهدف القادمين لتنفيذه واقترحت عليهم الدخول ليلاً وأطلعتهم على طبيعة الأوضاع السائدة في خيبر ، وطلبت منهم الإدعاء عند محاولتهم الدخول إلى أبي رافع بأنهم قدموا بهدية ، وكان أبو رافع يسكن في قصره داخل حصنه ، يصعد إليه بسلم من جذوع النخل ، وقد أغلق فريق التنفيذ أبواب دور الحصن من الخارج قبل التنفيذ مباشرة ، ولما طرق عبد الله بن عتيك باب أبي رافع ردت عليه زوجته مستفهمة عما يريده ، فرد بالعبرية أنه جاء لأبى رافع بهدية ، ففتحت ، فلما رأت السلاح معهم حاولت الصراخ لطلب النجدة والإنذار ، إلا أنهم أشاروا إليها بالسيف ، وهدّدوها حتى هدأت ، وأخبرتهم عن موقع أبى رافع ، وأشارت إلى غرفته ، فدخلوا عليه حيث ضربوه بأسيافهم ، فصاحت امرأته ، فهددوها ثانية ، ولولا وصية رسول الله ﷺ لقتلوها ، وبعد أن أجهزوا عليه غادروا المكان ، حيث اختبأوا في منهر من مناهير خيبر [٤] .

---

(١) أبو قتادة ، كان يلقب بفارس رسول الله ﷺ شهد أحدًا والمشاهد كلها ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٥ / ١٧٣١ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٧١ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٦ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٧٣ ، وابن شبة ، تاريخ ابن شبة ٢ / ٤٦٣ - ٤٦٤ .

(٤) المنهر عبارة عن منخفض من الأرض يتكون نتيجة لتجمع مياه العين ، كما يبدو وهو عميق يتدلى فيه كالبئر . انظر الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧١٤ - ٧١٥ ، وانظر ابن منظور ، لسان العرب مادة « نهر » ، ويبدو أن النباتات كانت تنمو حوله وبداخله مما يساعد على الاختباء .

وقد أعطى إغلاق أبواب بيوت الحصن مفعوله ، حيث عانت عملية مطاردة الفريق ، التي قام بها أهل الحصن من عدم فعاليتها ، لأن محاولات فتح هذه الأبواب ، أخذت ساعات طويلة من قبل ساكنيها ، وقد أشعل أهل خيبر سعف النخيل لإنارة المنطقة ، دون جدوى لكشف المنفذين ، وللتأكد التام من موت أبي رافع ، عاد خزاعي بن أسود أحد أعضاء فريق التنفيذ إلى بيت أبي رافع حاملاً سعف النخيل كأي رجل من يهود خيبر ، وبعد أن تأكد من موته من خلال تصريح زوجته بذلك ، عاد إلى صحبه ، ثم رجع ثانية لمزيد من التأكد ، ولقطع الشك باليقين بشكل لا لبس فيه ، وشارك في عملية دفنه ثم عاد إلى أصحابه في المنهر ، فمكثوا يومين حتى هدأ الطلب ثم غادروا خيبر إلى المدينة [1] .

إن أهمية هذه العملية تأتي من خلال قيام وحدة صغيرة من عيون النبي ﷺ ما بين ستة إلى أربعة ، بتنفيذ هذه المهمة الخطرة في منطقة تبعد عن المدينة ما يقرب من (١٩٢ كم) ، كما تم الإعداد لها بعناية عبر قائد يجيد العبرية ، ولديه أم يهودية في خيبر ، أفادت العملية كثيرًا ، ويلاحظ أن رجال العملية لم يصحبوا معهم دليلاً ، مما يدل على معرفتهم المسالك إلى خيبر ، ويدل سير العملية على معرفتهم بخيبر وحصونها .

عملية التخلص من سفيان الهذلي : أرسل الرسول ﷺ عبد الله بن أنيس ، للقضاء على زعيم قبلي من هذيل ، كان يقوم بتجميع الأعراب للإغارة على المدينة ، وقد اتخذ من عرنة [2] في ضواحي مكة مقرًا له ، حيث استطاع أن يجمع حوله أناس من قبائل شتى ، وقد قدَّم الرسول ﷺ لخلق هذا الزعيم القبلي - سفيان الهذلي ، يبدو من خلاله بأنه قبيح الصورة ، مُرْعبًا ، حيث وصفه بالشيطان ، وذكر الرسول ﷺ

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٢) عرنة : مكان بينه وبين الحرم بمكة رمي حجر ، انظر البكري ، معجم ما استعجم ٤ / ١١١٧ .

لعبد الله بن أنيس بأنه سيشعر بقشعريرة عندما يراه ، وأمره أن ينتسب إلى خزاعة ؛ لأن لديه أنصارًا من هذه القبيلة ، وسمح له أن يقول ما يشاء للتمويه والإخفاء على الخصم ، تحت مظلة « الحَرْبُ خدْعَةٌ » ولم يأخذ من السلاح سوى السيف ، وقد أخذ عبد الله بن أنيس يصرح لكل من يراه في الطريق بأنه جاء للانضمام إلى سفيان الهذلي ، وقد التقى به عصرًا في عرنة ، وعرّفه بنفسه ، وأنه جاء للإنضمام إليه ، وكان عبد الله بن أنيس متحدثًا لبقًا شاعرًا ، وقد كسب ثقته فلم تراوده الشكوك عن شخصيته ، حيث صحبه إلى خبائه ، وعندما تفرق أصحابه إلى أخبيتهم المحيطة بخباء قائدهم ، وبعد أن هدأ الناس ، وأخلدوا إلى النوم قام عبد الله بالإجهاز على سفيان الهذلي ، واتجه بعد ذلك إلى جبل مجاور ، ونجا منن مطاردة قوية قام بها أنصار سفيان حيث اختبأ في غار حتى هدأ الطلب ، وأخذ يسير ليلاً ، ويكمن نهارًا حتى جاء المدينة المنورة [١] .

مثل هذه العملية تعطي أهمية كبيرة من الناحية العسكرية والسياسية ، فهي قضت على حشد معاد في مَهْدِهِ ، برغم بعده الجغرافي عن المدينة بحوالي ٤٠٠ كم ، كما لا ينسى أن تنفيذ عملية من هذا القبيل ، هي درس لقادة الأعراب الآخرين ، الذين قد تسوّل لهم أنفسهم القيام بعمل من هذا القبيل ، كما أن القيام بعملية ناجحة في ضواحي مكة سيجعل قيادات المشركين في مكة تعيد النظر في حساباتها لتجنب دعم مثل هذه العمليات التي اتخذت من ضواحي مكة مقرًا لها ، ومما يدل على دعمها لها ما ذكر من تواجد الأحابيش ضمن تجمعه [٢] ، وهم حلفاء قريش .

عملية التخلص من رفاعة بن رافع الجشمي : نزل رفاعة بن رافع بمن معه من أنصاره

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٣٢ – ٥٣٣ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٣٥ – ٣٦ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٣٢ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٣٦ .

منطقة الغابة [١] القريبة من المدينة ، فأرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد ، ومعه رجلان من الأنصار لجلب الأخبار عنه [٢] .

وفي رواية أخرى ، أن الرسول ﷺ أصدر تعليماته بأن اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا به أو تأتونا منه بخبر أو علم ، أي أن الواجب كان إما أسره ، أو قتله ، أو جلب أخبار عنه ، تساعد في القضاء عليه ، وقد استطاع عبد الله بن أبي حدرد القضاء على رفاعة الجشمي وهزيمة أنصاره عبر كمين وضع له ليلاً [٣] .

محاولة التخلص من أبي سفيان بن حرب : وجّه أبو سفيان رجلاً لقتل الرسول ﷺ ، وكان هذا الرجل أحد الأعراب ، وقد أعطاه مالاً وراحلة ، وأمره بالكتمان ، إلا أن الرجل كُشِف أمره من قِبَل الرسول ﷺ ، وألقى القبض عليه ، ثم اعترف بمهمته وأرشد عن أبي سفيان بن حرب ثم أسلم هذا الرجل وعفى عنه رسول الله ﷺ [٤] .

عندئذ أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى مكة لقتل أبي سفيان واختير معه رجل من الأنصار هو سلمة بن أسلم وذلك لمساعدته ، في المهمة ، وعندما وصلا إلى وادي يأجج [٥] ، ربطا جمليهما في الوادي ثم انطلقا إلى مكة ، وقد اقترح عمرو على سلمة بن أسلم في حالة عدم نجاح العملية أن ينسحب بمفرده إلى الوادي ويركب جمله عائدًا إلى المدينة ، وسيتكفل عمرو بنفسه ، وقضى كل منهما أسبوعًا في مكة لتنفيذ العملية إلا أنهما فشلا وتم كشفهما ، والذي كشفهما معاوية بن أبي سفيان

---

(١) الغابة : منطقة أحراش ، تبعد عن المدينة أربعة وعشرين كيلو مترًا على طريق الشام ، انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٥٨ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ٤ / ٢٠٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٤ - ٣٥ ، واليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٧٨ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٨ ، و البلاذري ، أنساب الأشراف ٣ / ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٥) وادي يأجج : وادٍ يبعد عن مكة ستة عشر كيلو مترًا ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ٤٢٤ .

الذي أنذر أهل مكة ، وعندئذ تم تنفيذ خطة الإنسحاب المتفق عليها حيث انسحب الأنصاري سلمة بن أسلم وتكفل عمرو بن أمية الضمري بنفسه ، حيث قتل اثنين ممن يطاردونه ، ثم التقى مع عينين من عيون قريش في الطريق إلى المدينة ، فقتل أحدهما وأسر الثاني ، ووصل المدينة سالمًا (١).

فإن مثل هذه عملية ضرورية من الناحية السياسية لأنها سوف تُفْهِم الخصم بأن سلاحه ذو حدين ، يمكن أن يرتد إليه أيضًا ، فمحاولة أبي سفيان لقتل الرسول ﷺ لا يمكن أن تمر دون عقاب . كما أنها كانت من أغراض الردع بدليل أن النبي ﷺ لم يرسل رجلاً آخر لتصفية أبي سفيان .

عملية التخلص من الأسود العنسي : وهو عبهلة بن كعب ، وكان كاهنًا ، هذا الأسود العنسي صاحب الردة في اليمن ، أخذت هذه الحركة في الاتساع في اليمن ، فعمد رسول الله ﷺ في التصدّي لها ، اعتمادًا على القوى المؤيدة للإسلام في اليمن ، حيث راسل الشخصيات المهمة في القبائل للتخلص منه ، فقد وضع الصحابي وَبرة ابن يحنس خطة للقضاء الأسود سرًا وذلك بأمر من رسول الله ﷺ وبالتعاون مع قيس ابن المكشوح ، وزعماء الأبناء وهم الذين ينتمون إلى العنصر الفارسي في اليمن - كفيروز الديلمي وداذويه وأحد زعماء حمير ، وزوجة الأسود المرزبانة ، التي كانت تمقته وتتمنى الخلاص منه لقتله زوجها السابق ، فتعاونت معهم عن طريق تسهيل دخولهم إلى قصره عبر جدول ماء فجرًا ، وقيل بل قاموا بثقب الجدار باستخدام الخل في تفتيت الصخور ، ثم قتلوه وهو نائم بعد أن أمّنت زوجته التغطية الضرورية للعملية (٢) .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٦٨ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٢٥ - ١٢٦ ، ومطهر بن طاهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، تحقيق كيمان هوار ، ط. باريس ١٩٨٨ م . ٥ /١٥٥ ، وابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٣٩٧ .

لقد كان نجاح هذه العملية سببًا في عدم اتساع الردة في اليمن في هذه الفترة المبكرة على الأقل .

هذه بعض المهام المنوطة برجال المخابرات الإسلامية في عصر الرسول ﷺ تحت قيادته وبتخطيط منه ومن رجاله وبمشورتهم ، حيث قاموا بها بكل كفاءة واقتدار وإخلاص سواء ما تحقق نجاحه أو ما جانبهم الصواب فيه .

٥ - الحرب النفسية :

من الواجبات المنوطة برجل المخابرات الحرب النفسية ، التي تعني مجموعة الأعمال التي تستهدف التأثير على أفراد العدو ، بما في ذلك القادة السياسيين والأفراد المقاتلين ، وذلك بهدف خدمة أغراض مستخدمي هذا النوع من الحرب (١) .

فقد استخدم كثير من الشعوب القديمة هذا النوع من الحرب ، ويلاحظ أن المسلمين والمشركين في العصر النبوي قد مارسوا مثل هذا النوع من الحرب ، بهدف بث اليأس من النصر في نفوس القوات المعادية ، وإضعاف الجبهة الداخلية للعدوّ ، وإحداث ثغرات داخلها ، وإضعاف المعنويات للعدو ، وتفتيت وحدة الأمة وإحداث الفرقة بين صفوفها ، والتشكيك في القيادة وكفايتها وإخلاصها ، وتعزيز وتمكين الصداقة مع الشعوب الحليفة .

لم يستخدم النبي محمد ﷺ هذا النوع من الحرب من فراغ ، ولكن من منطلق كتاب الله عزَّ وجلَّ ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ﴾ [التوبة : ١٢٠] .

فمن خلال هذه الآية الكريمة نجد أن كل ما يقوم به المسلمون في سبيل الله وفي سبيل الواجب القتالي الذي فرضه الله على أعدائه مهما كان شأنه بدنيًا ، أو ماليًا ، أو

(١) أحمد نوفل ، الحرب النفسية ، ط دار الفرقان للنشر ، الطبعة الثالثة الأردن ١٩٨٩ م . ص ٣٤

فكريًا ، أو استعدادًا أو مرابطة ، إنما هو في شمول هذا الواجب ، لأنه يعتبر نيلاً من الأعداء ، فيه ترويع لهم ونكاية بهم ، وإضعاف لقوتهم ، الأمر الذي يؤدي إلى الظفر بهم بأسهل الطرق والوسائل وبأقل الخسائر (١) .

كما نصت السنة النبوية الشريفة على هذا النوع من الحرب ، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُم وَأَنْفُسِكُم وَأَلسِنَتِكُم » (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بحسان بن ثابت وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه ، فقال : قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال : أنشدك الله ، أسمعت رسول الله ﷺ يقول : « أجِبْ عَنّي ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؟ قال : اللَّهُمَّ نَعَم (٣) .

وقال البراء بن عازب : سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت « اهْجُهُم » أو « هاجهم ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ » (٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « اهْجُو قُرَيْشًا فَإِنَّه أَشَدُّ عليها مِنْ رَشقٍ بالنَّبلِ » (٥) .

هذه الأحاديث النبوية الشريفة – وغيرها كثير – تدل على وجوب الجهاد بالنفس والمال واللسان ، فالجهاد بالنفس وهو القتال المباشر ، والجهاد بالمال هو بذل المال

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن مجلد ٤ ج ١١ ص ٣٢٢ . وانظر محمد عزة دروزة ، التفسير الحديث ج ١٢ ص ٢٣٧ – ٢٣٨ ، وانظر محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل مجلده ج ٨ ص ٣٥٧ .

(٢) الحديث رواه أبو داود في سننه برقم ٢٥٠٤ طبعة دار إحياء التراث العربي ج ٣ / ١٠ .

(٣) الحديث رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٤٨٥ .

(٤) الحديث رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٤٨٦ .

(٥) الحديث رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٤٩٠ .

في إتمام ما يحتاج إليه في الجهاد لقوله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٤١] .

أما الجهاد باللسان فهو بإقامة الحجة على الأعداء ودعائهم إلى الله تعالى ، ورفع الأصوات عند اللقاء ، ويزجرهم ترويعًا لهم ونحو ذلك من كل ما فيه نكاية للعدو .

وعندما ننظر في عصر النبوة نجد صورًا للحرب النفسية قد زخرت بها معارك الإسلام ، كالشعارات والهتافات لإثارة انفعالات الغضب والكراهية أو الشجاعة والحماسة ، والكلمة المسموعة أو المقروءة التي من شأنها التأثير على العقول والعواطف والسلوك طبقًا لمقتضيات الموقف ، والإشاعات التي هي بمثابة أخبار مشكوك في صحتها ويتعذر التحقق من أصلها ، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة إليهم ويؤدي تصديقهم أو نسرهم لها إلى إضعاف الروح المعنوية .

فمن هذه الصور :

أ - الشعارات والهتافات : فقد استخدم المسلمون في عصر النبي ﷺ الشعارات والهتافات لتحقيق أهداف معينة ، منها التعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء أو في الظلام ، ومنها إثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوسهم مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف في قلبه ، ومن أمثلة صيحات القتال التي استخدمها المسلمون في عصر النبوة « أحد ، أحد » في غزوة بدر و « أمت أمت » في غزوة أحد ، ومنها أيضًا « يا خيل الله اركبي » في غزوة ذي قرد ، هذا إلى جانب التكبير الذي كان شعار كل مسلم « الله أكبر » (١) .

ب - التفريق بين العدو وحلفائه : هذه صورة من صور الحرب النفسية التي تم استخدامها في غزوة الخندق حينما تجمعت قوى قريش والقبائل الأخرى واليهود

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية ص ١٢٢ - ١٢٣ .

للقضاء على المسلمين ، وحدث أن جاء نعيم بن مسعود الأشجعي والذي حوّل ولاءه من الشرك إلى الإسلام ، في الوقت المناسب ، فعندما اشتد الحصار وتجمع الوضع العسكري بين الطرفين اللذين كانا كلاهما يعانيان من ظروف نفسية ، ومعاشية قاسية ، فقدم نعيم بن مسعود الأشجعي ما بين المغرب والعشاء إلى معسكر النبي ﷺ وأبلغ الرسول ﷺ بإسلامه ، وأن قومه لا يعرفون بذلك ، وأبدى استعداده لقبول أية مهمة تكلفه بها القيادة المسلمة ، فقال له الرسول ﷺ : « إنّما أنتَ رَجُلٌ واحِدٌ » فَخَذِّلْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْت ، فَإنَّ الحَرْبَ خدْعَةٌ »[1] .

فقام نعيم بن مسعود الأشجعي بهذه المهمة بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها في الوقيعة بين المتحالفين وفي إزالة الثقة فيما بينهم .

فقد ذهب نعيم إلى يهود بني قريظة - وكان لهم نديما في الجاهلية - فقال لهم : قد عرفتم ودي إياكم ، وقد ظاهرتم قريشًا وغطفان على حرب محمد ، وليس كأن البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه ، وأن قريشًا وغطفان إن رأوا فرصة وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم حتى تناجزوا محمدًا .

قال بنو قريظة : أشرت بالنصح يا نعيم ، ولست عندنا متهمًا ، ثم خرج نعيم إلى قريش فقال لهم : بلغني أن قريظة ندموا ، وقد أرسلوا إلى محمد : هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم ، فأجابهم أن نعم ، فإن طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم

---

(١) الحديث ذكره البخاري في صحيحه ج ٤ / ٧٧ - ٧٨ ، وذكره مسلم في صحيحه ج ٣ / ١٣٦٢ برقم ١٧٤٠ .

فلا تدفعوا لهم رجلاً واحدًا .

وجاء نعيم إلى غطفان فقال لهم : أنتم أهلي وعشيرتي ... » وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

ثم أرسل أبو سفيان وكذلك سادة غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان في ليلة سبت وطلبوا منهم الاستعداد للهجوم نهار السبت ثم طلبت رهائن من قريش وغطفان قبل أن تشرع بأي هجوم . قالت قريش وغطفان : لقد صدق نعيم ، ولما رفض طلب قريظة بإعطائها رهائن من قريش وغطفان ، قالت : لقد صدق نعيم . وهكذا كانت دعوة نعيم بن مسعود الأشجعي البارعة سببًا في تفريق جمع الأعداء [١] .

ج – تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها : لقد اتبع الرسول ﷺ بعد الهجرة سياسة تقوم على عقد الاتفاقات والمعاهدات مع مختلف القبائل لكفالة حرية الدعوة وحسن الجوار والمعاملة ، وكانت النتيجة المباشرة لتلك المعاهدات حرمان قريش من قوى كان يمكنها أن تتحالف معها وتشد أزرها في صراعها مع المسلمين [٢] .

د – زعزعة ثقة العدو في إحراز النصر : تعتبر غزوة الفتح مثلاً فذًّا في هذا المجال ، فقد أدى التخطيط العبقري الذي وضعه الرسول ﷺ والذي اعتمد فيه إلى أقصى حدّ على العوامل النفسية إلى زعزعة ثقة قريش في إمكان النصر على المسلمين حتى قال زعيمهم أبو سفيان لقومه : « يا معشر قريش » هذا محمدٌ جاءَكم فيما لا قِبَلَ لكم به » [٣] .

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٤٨٠ – ٤٨٤ ، وانظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٤٩ – ٥٠ و ٢ / ٢ / ٢٠ ، ٢١ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ١٣٧ – ١٣٩ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٧٨ – ٥٧٩ .

(٢) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٥٠ ، ومحمد سعيد البوطي ، فقه السيرة ص ٣٢٨ ، وعبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام ٢٢٦ .

(٣) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٥٠ ، و محمد الخضري ، نور اليقين ص ٢٢٨ .

هـ - التخويف والضغط النفسي : كتب أبو سفيان إلى الرسول ﷺ يقول : نريد منك نصف ثمار المدينة ، فإن أجبتنا إلى ذلك ، وإلا أبشر بخراب الديار وقلع الآثار . فأجابه الرسول ﷺ بكتاب جاء في مضمونه أنه قد وصل كتاب أهل الشرك والنفاق والكفر والشقاق وفهمت مقالتكم ، فوالله مالكم عندي جواب إلا أطراف الرماح وأشفار الصفاح ، فارجعوا ويلكم عن عبادة الأصنام ، وابشروا بضرب الحسام ، وبفلق الهام ، وخراب الديار وقلع الآثار (١) .

كما مارس المسلمون الحرب النفسية ضد يهود خيبر قبل الشروع بالحركة نحوهم حيث بلغت مسامعهم أنباء احتمال تعرض المسلمين لهؤلاء اليهود ، فأخذوا في الاستعداد للأمر ، ويبدو أن الأنباء التي وصلت عن قرب الهجوم ، كانت أخبارًا مبالغًا فيها ، حيث أرهقت أعصابهم ، وعندما تأخر الرسول ﷺ في الحركة نحوهم فترت حماستهم ، وتراخت حالة الاستنفار لديهم ، وهذا ما أدى إلى مفاجأتهم عندما لاحظوا طلائع القوات الإسلامية صبحًا ، كما ظهر تأثير الحرب النفسية في نفس الغزوة ، عندما سرب المسلمون عبر عيونهم ، إلى قوات غطفان المرابطة في خيبر ، أخبارًا عن تعريض منازلهم في حيفاء إلى الهجوم من قبَلِ قوات المسلمين (٢) . وكان لهذه الإشاعة أثرها الفاعل في انسحاب غطفان على عجل إلى مواطنها وتركها يهود خيبر وحدهم في الميدان .

٦ - تضليل العدو :

يقصد بالتضليل قيام أحد الأطراف المتصارعة ، بإيجاد أجواء ضبابية ، تحول دون اتخاذ الطرف الآخر ، لقرارات تستند على رؤية منطقية للأحداث وتطوراتها ، وكان

---

(١) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكري ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٢٧٦ .

رسول الله ﷺ يستخدم هذا الأسلوب عند تحركه نحو العدو ، فكان كما يقول الواقدي : « لاَ يَغْزُو غَزْوَةً إِلاَّ ورَّى بِغَيرِهَا لِئَلاَّ تَذْهَبَ الأَخْبَارُ بِأَنَّهُ يُرِيد كَذَا وَكَذَا » (١) .

فكان الذي يقوم بهذا التضليل وهذه المواراة هم رجال المخابرات ، ففي غزوة بني لحيان نجد أن الرسول ﷺ أشاع أنه يريد الشام ، وقام بسلك طريق يدعم ذلك ، ثم اتجه نحو الهدف مسرعًا (٢) .

كما أرسل الرسول ﷺ عندما أكمل استعداداته لفتح مكة أبا قتادة ربعي بن الحارث في ثمانية رجال إلى أضم ، ليظن جواسيس وعيون العدو أنه يقصد هذه المنطقة وذلك للتعتيم على الهدف الأصلي ، وأشاع أنه سيتجه إلى هوازن أو ثقيف أو الشام ضمن نفس السياق (٣) .

وبذلك سوف ينشغل جواسيس العدو بمراقبة ثلاثة أهداف ، بدلاً من هدف واحد وهذا مما يقلل من فعاليتهم ، ويشتت جهودهم ، بدلاً من حصرها في هدف واحد .

٧ - عمليات الإنقاذ :

من الواجبات المنوطة برجال المخابرات القيام بعمليات إنقاذ داخل مكة ، فقد قام الرسول ﷺ ضمن خطته لدعم المستضعفين داخل مكة بإرسال عيون قاموا بتنفيذ عمليات إنقاذ جسورة داخل مكة ، بالتعاون مع تنظيم مكة السرى ، تستهدف تحرير بعض المستضعفين ونقلهم بأسلوب الخطف من مكة إلى المدينة ، فقد قام مرثد بن أبي مرثد الغنوي (٤) بعمليات تحرير لبعض المستضعفين برغم أن مصادرنا تصف

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٩٠ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٥٣٦ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ /١٧٤ - ١٧٥ ، و ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ١ / ٥٧ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٩٥ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ٢ / ٧٩٦ - ٧٩٧ ، وانظر البلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٣٨١ .

(٤) هو مرثد بن أبي مرثد ، كان حليفًا لحمزة بن عبد المطلب ، وقد شهد بدرًا وأحد . انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣ / ١٣٨٣ - ١٣٩٠ .

عمليات مرثد بأنها تحرير لأسرى ، وبما أن سجلات الحملات التي حدثت خلال هذه الفترة لا تشير إلى وقوع أسرى باستثناء خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة في بئر الرجيع اللذين باعتهما بنو لحيان إلى قريش (١) .

بل هي عملية تحرير للمستضعفين داخل مكة ، الذين يعانون من التعذيب الوحشي ، ولا نتوقع أن يقوم مرثد بهذه العمليات بصورة متكررة وناجحة إذا لم يلق مساعدة هامة من داخل مكة ، عبر توفير المخبأ المؤقت والمأكل والمعلومات الثمينة لإنجاز عمليات بهذه الجرأة (٢) .

ومن عمليات الإنقاذ التي نفذها رجال المخابرات للرسول ﷺ أن الوليد بن الوليد ابن المغيرة قام بأمر من رسول الله ﷺ بتحرير عياش بن أبي ربيعة ، وسلمة بن هاشم ، حيث أمره الرسول ﷺ بالاتصال برجل يدعى « القين » وأن ينزل عنده ليؤمن نفسه ، ثم يعمل على الوصول إلى عياض وسلمة ، وفعلاً نجحت عملية تحريرهما ونقلهما إلى المدينة ، رغم المطاردة التي قام بها خالد بن الوليد ، والذي وصل فيها إلى عسفان (٣) .

٨ - التأكد من إسلام القبائل :

من بين الواجبات المنوطة برجل المخابرات أنه يقوم بالتأكد من إسلام القبائل ، فقد بعث الرسول ﷺ الوليد بن عقبة (٤) إلى بني المصطلق ليشرف على جمع الصدقات ، وعندما خرج القوم لاستقباله ولى مذعورًا راجعًا إلى المدينة ، معتقدًا سوءًا بهم ، وأخبر الرسول ﷺ أنهم لقوه بالسلاح ، وحالوا بينه ، وبين الصدقة ، وقد أمر الرسول ﷺ في

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٥٧ .

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣ / ١٣٨٣ - ١٣٨٥ . ، ١٥٧ . و الحلبي ، السيرة الحلبية ٣ / ١٥٧ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤ / ١ / ٩٨ .

(٤) الوليد بن عقبة من بني أمية ، مات بالرقة من الشام ، انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤ / ١٥٥٢ - ١٥٥٨ .

أعقاب ذلك خالد بن الوليد ، بالتوجه إليهم مع قوة ، وأمره بالتثبت وعدم العجلة ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عيونه ، فلما عادوا أخبروه أنهم مستمسكون بالإسلام ، وأنهم سمعوا آذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم ، فرأى خالد الذي يعجبه من إسلامهم[١] .

نلاحظ أنه لولا استخدام خالد بن الوليد للعيون حتى يتأكد من إسلام بني المصطلق ، لارتكب خطأ كبير بحق مسلمين .

٩ - إخلاء جثمان الشهداء :

كان النبي ﷺ يكلف أحد العيون بعملية إخلاء جثمان بعض الشهداء كما حدث مع عمرو بن أمية الضمري ، حيث أرسله الرسول ﷺ إلى مكة لإخلاء جثة خبيب بن عدي المصلوبة في مكة ، وقد استطاع عمرو بن أمية التسلل بنجاح إلى مكة ، ووصل إلى خشبة صلبه ، وصعد عليها ، وحل الجسد المصلوب ، فسقط على الأرض ، ثم ابتعد لكي يؤمن عملية نقله ويبدو أن الجثة التي جفت على الأرجح نتيجة الشمس والرياح ، قد تفككت وتحطمت ، فلم يمكنه حمل شيء منها »[٢] .

أراد الرسول ﷺ أن يثبت للعدو على الأرجح بإرسال عمرو بن أمية ، أنه قادر على حرمانهم من لذة مرضية وهي تمتعهم بجسد مصلوب لا حول له ولا قوة .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٨٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٤١ - ٥٤٢ ، وابن الأثير ، أسعد الغابة ١ / ١٤٠ والهيثمي ، مجمع الزوائد ٥ / ٣٢١ .

الباب الثالث

المخابرات الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين

الفصل الأول

اهتمام الخلفاء الراشدين بالعيون
« رجال المخابرات »

عندما صارت الخلافة الإسلامية بيد الخلفاء الراشدين اهتموا بأمر العيون ونظام المخابرات في شتى مناحي الدولة الإسلامية ، فقد كان الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي قادته باتخاذ العيون ليأتوهم بالأخبار ، وطلب منهم بأن يحذروا من عيون الأعداء أن تندس في صفوفهم [١] .

وكان مما قاله رضي الله عنه موصيًا به قادة حروب الردة : « وَأَلاَّ يدخل فيهم حشو حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، لئلا يكونوا عيونا ، ولئلا يؤتى المسلمون من قِبلهم » [٢] .

وقال رضي الله عنه للقائد عمرو بن العاص في ذلك حين وجهه إلى فلسطين : « واسلك طريق « أيلة » [٣] حتى تنتهي إلى أرض فلسطين ، وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبي عبيدة ، فإن كان ظافرًا بعدوّه ، فكن أنت لقتال من في فلسطين ، وإن كان يريد عسكرًا فأنفذ إليه جيشًا في أثر جيش »[٤] .

كما أمره أن يقدّم أمامه في سيره الطلائع التي تعتبر عيون الجيش حيث قال له : وتعاهد عسكرك في سيرك ، وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك » [٥] .

ومن وصاياه حول الحيطة والحذر من عيون الأعداء ، والتأكد من أخبار العيون ما

---

(١) الواقدي ، فتوح الشام ، طبعة دار الجيل ، بيروت بدون تاريخ ، ١ / ١٥ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ١٠ / ١٩٣ .

(٣) أَيلة : مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ / ٢٩٢ .

(٤) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ١٥ .

(٥) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ١٦ .

قاله للقائد يزيد بن أبي سفيان : « وإذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها ، واستر في عسكرك الأخبار » (١) .

وكذلك سلك قادة الخليفة أبي بكر رضي الله عنه نهجه في اهتمامهم بالعيون واستخدامهم لمعرفة أحوال وأخبار ونوايا الأعداء ، ففي حروب الردة عندما دنا القائد خالد بن الوليد من أرض بني أسد ، دعا بثلاثة من عيونه وقال لهم : « انطلقوا وتحسسوا الخبر عن طليحة بن خويلد وأصحابه ولا تبطئوا عليّ » ، فسارت العيون لما كلفوا به فأخذوا يتجسسون ويسألون عن طليحة بن خويلد وعن موضع عسكره ، وعن كل ما يهمهم معرفته لنقلها إلى القائد (٢) . وفعل مثل ذلك بقية قادة حروب الردة زمن الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٣) .

وفي عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أثناء فتوح العراق كان القائد خالد ابن الوليد في إدارته العسكرية يبث بالعيون نحو العدو ولتأتيه بالأخبار ، وعندما يبرم معاهدات الصلح مع العدو كان من ضمن الشروط التي يشترطها ويكتبها على المعاهدين أن يكونوا عيونًا له على الفرس ، وألا يعينوا كافرًا على مسلم من العرب ولا من العجم ، ولا يدلوهم على عورة للمسلمين ، وهذا ما صلح عليه أهل الحيرة وأليس ، وبانقيا وأهل باروسما (٤) ، وأهل عين التمر (٥) ، وغيرها من القرى (٦) .

وأثناء فتح الشام كان القائد أبو عبيدة بن الجراح في إدارته يبث بالعيون ضد الروم ،

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ / ٣٠٩ .

(٢) الذين سيرهم خالد بن الوليد في عملية التجسس هم عكاشة بن محصن وثابت بن أرقم وسعيد بن عمرو ، انظر ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٦ ، ج ١ / ١٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٨ .

(٤) بانقيا وباروسما : ناحيتان من سواد بغداد ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ / ٣٢٠ .

(٥) عين التمرة : بلدة تقع غرب مدينة الكوفة بالعراق ، ياقوت الحموي . معجم البلدان ٤ / ١٧٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٧٥ .

فبواسطتهم يترصد أخبارهم وتحركاتهم وكانوا من أنباط الشام ، فقد استطاع أن يستعين بهم في ذلك ويجندهم لهذه المهمة بعد الرضخ لهم من العطاء واستمالتهم إلى جانبه ، فنراه يكتب إلى الخليفة أبي بكر رضي الله عنه مخبرًا إياه بتحركات الروم قائلاً : « إن عيوني من أنباط الشام أخبروني أن أوائل إمداد ملك الروم قد وقعوا عليه ، وأن أهل مدائن الشام بعثوا رسلهم إليه يستمدونه »(١) .

لقد استخدم القائد أبو عبيدة بن الجراح أنباط الشام بالإضافة إلى المهمة السابقة يستخدمهم لنقل الرسائل بين كافة أمراء أجناد الشام (٢) .

واستمر هذا الاهتمام بالعيون في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث نجده يوصي قادته باتخاذ العيون وبث الطلائع عند بلوغ أرض العدو ، حتى يكونوا على علم ودراية بحالهم وبنواياهم .

فقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القائد سعد بن أبي وقاص قائلا : « وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخفى عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تثق به وتطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره ، وإن صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك ليس عينًا لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع عوراتهم وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل فإن لقوا عدوًا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك » (٣) .

---

(١) الأزدي يزيد بن محمد بن إياس ، تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عامر ، طبعة القاهرة ١٩٧٠ ص ٤٤ .

(٢) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٨٧ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٣ . ١ / ١٣١ ، والنويري ، نهاية الأرب ٦ / ١٦٩ ، وابن الأزرق محمد بن علي بن محمد ، بدائع السلك في طبائع الملك طبعة العراق (د . ت) ٢ / ٦٣ .

من خلال هذه الوصية نلاحظ أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مهتمًا أشد الاهتمام بأمر العيون ، وأنه على علم ودراية بمختلف شئون الدولة خاصة الأمور العسكرية مما جعله يوجه قادته في إدارتهم للمعارك الحربية ولم تقتصر عنايته باتخاذ العيون على الأعداء بل اتخذها أيضًا في الجيوش الإسلامية في الرقابة على شئون الإدارة على الولاة والعمال والقادة والجند ، ليتعرف أحوالهم وسيرتهم ومعاملتهم وسير أعمالهم العسكرية ، فقد كانت له عيون في كل جيش ومعسكر ترفع إليه تقارير عما يدور فيه (١) .

وحينما قدم الخليفة عمر رضي الله عنه الشام ورأى معاوية بن أبي سفيان في أبهة الإمارة والسلطان سأله عن ذلك فأجابه معاوية قائلاً : « يا أمير المؤمنين إن العدو بها قريب منّا ولهم عيون وجواسيس ، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزًّا » (٢) فسكت عمر ولم يخطئه ، وهذا دليل على ضرورة حرص وحذر القادة من عيون وجواسيس الأعداء حتى في المظهر العام لينقل عنهم قوة وعزة ورفعة الإسلام ، وهذا ما وجه به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه القائد أبا عبيدة بن الجراح (٣) .

وشكا القائد عمير بن سعد الأنصاري (٤) إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم عليه وكان على طائفة من أهل الشام قائلا : « يا أمير المؤمنين إن بيننا وبين

---

(١) ابن قتيبة عيون الأخبار ١ / ٢٠٠ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٦ ، والطرطوسي محمد بن الوليد الأندلسي ، سراج الملوك ، طبعة الاسكندرية ١٨٧٢ م . ص ٢٤٢ ، وابن الجوزي ، مناقب عمر بن الخطاب ص ١٣٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٣٣١ ، وابن خلدون ، المقدمة ١ / ٣٥٤ ، والقلقشندي ، صبح الأعشى ٣ / ٢٦٧ .

(٣) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ٢٦١ .

(٤) عمير بن سعد بن عبيد الأوسي الأنصاري صحابي شهد فتوح الشام واستعمله عمر على حمص إلى أن مات ، انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٢ / ٤٧٩ ، وابن حجر ، الإصابة ٣ / ٣٢ .

الروم مدينة يقال لها عرب سوس [(١)] ، وإنهم لا يخفون على عدونا من عوراتنا شيئًا ، ولا يظهروننا على عوراتهم ، فقال له عمر : فإذا قدمت فخيرهم بين أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ، ومكان كل بعير بعيرين ، ومكان كل شيء شيئين فإن رضوا بذلك فأعطهم وخربها فإن أبوا فأنبذ إليهم وأجلهم سنة ثم خربها » فلما عرض عليهم القائد عمير بن سعد أبوا فأجلهم سنة ثم خربها [(٢)].

وقد نفذ قادة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوامره في إذكاء العيون ضد الأعداء ، بحيث لا يخفى عليهم شيء من أمورهم [(٣)] .

فكان القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالعراق يبث الطلائع والعيون ، ويأمرهم بأن يصيبوا الأخبار عن حال أهل فارس ، وما هم عليه من التعبئة والعدّة وأخذ لا يسير إلى موقع حربي ولا يقدم إلى معركة في فتوحاته بالعراق إلا بعد أن تأتيه الأخبار من قِبَل عيونه عن حال الأعداء وما هم عليه من الاستعداد والعدة ، ثم يكتب للقيادة العليا ليعلمها بما حصل عليه من معلومات لأخذ توجيهاتها ورأيها [(٤)] .

وحين وجه الخليفة عمر رضي الله عنه القائد النعمان بن مقرن إلى نهاوند لمحاربة الفرس سار القائد النعمان للمهمة التي أسندت إليه ومن حرصه على سلامة عسكر المسلمين بعث من قبله عيونًا ليستطلعوا حال العدو وما هم عليه وليتأكد من سلامة الطريق فاكتشفت العيون أن الأعداء نصبوا لهم الحسك فرجعوا مسرعين وأخبروا القيادة بذلك فاتخذت التدابير اللازمة لسلامة الطريق ، وهذا ما كان عليه سائر القادة في فتوحاتهم بالعراق ضد الفرس [(٥)] .

(١) عرب سوس وهي مدينة بالثغر من ناحية الحدث ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٩٦ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ١ / ١٨٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٣٩ ، ٥٠٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٤ / ٣٥ ، ٣٧ ، ٨٣ ، ٨٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١١٥ .

كما احتاط قادة فتوح الشام مع الروم ، وفعلوا مثل ما فعل إخوانهم قادة فتوح العراق مع الأعداء باتخاذ العيون ضدهم ليتمكنوا من التعرف على ما يدور في معسكرهم ، وما استقر عليه رأيهم لمحاربة المسلمين ، ومدى قوة استعدادهم وتجهيزهم لذلك ، ومن ثمّ يكتب للقيادة العليا بما وصلهم من الأخبار لترى رأيها (١) .

ففي معركة اليرموك لما نزلت الروم منزلهم الذي نزلوا به دسّ إليهم المسلمون رجالاً من أهل البلد من العرب كانوا نصارى فأسلموا وحسن إسلامهم وأمروهم بأن يدخلوا في معسكرهم ويكتموا إسلامهم ، ثم يأتوا بأخبارهم ، وكان الذي أمرهم بذلك القائد أبو عبيدة بن الجراح ، والقائد خالد بن الوليد ، فقد بينوا لهم أن لهذا العمل أجرًا لهم والله حاسبه لهم جهادًا ، فإنهم بعملهم هذا يدافعون عن حرمة الإسلام ، ويدلون على عورة المشركين ففعلوا ما أمروا به ، فدخلوا عسكر الروم ثم جاءوا معسكر المسلمين بعدما مضى من الليل نصفه ، فأتوا أبا عبيدة بن الجراح وقالوا له : إن القوم قد أوقدوا النيران وهم يتعبئون لكم ويتهيئونَ لقتالكم وهم مصبحوكم بالغداة ، فما كنتم صانعين فاصنعوه الآن ، فخرج أبو عبيدة ومعه بقية القادة حيث أخذوا في تعبئة الجيش وصفهم وتهيئتهم للقتال حتى لا يؤخذوا على غرة يظفر بها العدو (٢) .

كما نلاحظ عيون القائد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حين جمع الروم للمسلمين بعد إخراجهم من الشام قدموا إليه وأخبروه بتجمعهم ومسيرهم نحوه فكتب بذلك للقيادة العليا بالمدينة المنورة قائلاً : « بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عامر بن الجراح ، السلام عليك ، أما بعد : فإن عيوني قدموا عليّ من أرض أنطاكية فخبروني بأن هرقل عدو الله قد أمر بعساكر فصرفت إلى ناحيتنا وقد توجهوا

---

(١) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ٢٠٠ ، والأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٥٣ ، ١٥٧ ، وابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ١ / ١٧٦ .

(٢) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٧٤ ، ٢١٢ .

إلينا ، وزحفوا إلى ما قبلنا ، وأنهم قد جمعوا من الجموع ما لم يجمعه أحد قط لأمة من الأمم إلا ذو القرنين فيما مضى من الدهر الأول ، وقد بعثت إليك رجلاً خبيرًا بما نحن فيه فسله عن ذلك يخبرك الخبر عن جهته والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »(١) .

كما كان القائد أبو عبيد بن الجراح يوصي من معه من القادة باتخاذ العيون في بعوثهم والمهام التي يكلفهم بها ، فقد قال للقائد خالد بن الوليد رضي الله عنه : « يا أبا سليمان شن الغارة بهذه الكتيبة ، وأقصد بها المعرة ، وأقرب من معرة حلب ، وشن بها الغارة على بلدة العواصم ، وارجع على أثرك وانفذ عيونك وانظر إن كان للقوم نجدة أو ناصر من قومهم أم لا ؟ »(٢) .

وكان بعض قادة فتوح الشام يتولى عملية التجسس بنفسه فيدخل إلى أرض العدو بصفة أنه رسول ، وهذا ما فعله القائد عمرو بن العاص ، عندما دخل على أرطبون الروم حيث تأمل حصونه وعرف مكامن الضعف فيها ومخارجها ومداخلها وأخذ بغيته ومراده ثم رجع إلى معسكره(٣) .

وفي فتح « قيسارية » اكتشف عسكر القائد عمرو بن العاص جاسوسًا متنصرًا يعمل لحساب الروم فوثبوا إليه وقتلوه ، ووقع الصائح في العسكر فسمع القائد عمرو بن العاص الضجة فاستفسر عنها فأخبروه الخبر ، فغضب القائد عمرو عليهم وطلبهم وقال لهم : « ما حملكم على قتل الجاسوس ؟ وهلاّ أتيتموني به لأستخبره ؟ فكم من عين تكون علينا ثم إنها ترجع فتصير لنا ، لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ، ثم إنه نادي في جيشه من وقع بغريب أو جاسوس فليأت به إليّ »(٤) .

هذا التصرف الذي قام به القائد عمرو بن العاص يدل على مدى حنكته وسياسته

---

(١) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ١ / ١٧٦ ، والأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٥٣ ، ١٥٧ .

(٢) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ١١١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

(٤) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ١٧ .

وفهمه في معاملة الجواسيس واستحالتهم ، واستخراج ما في صدورهم من معلومات وتَهْيِئتهم بأن يكونوا عيونا للمسلمين .

كما استفاد بعض القادة المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعض المعاهدين باستخدامهم جواسيس للمسلمين ضد الأعداء يبحثون ويتعرفون له على أخبارهم ويبلغونهم إياها حيث كان ذلك شرطًا من ضمن شروط الصلح معهم ، كما كانوا يشترطون أيضا بألاّ يأووا في كنائسهم أو منازلهم جاسوسًا ، وأن يكونوا مناصحين للمسلمين غير غاشين لهم سواء كان ذلك في العراق أو الشام أو مصر (١) .

واستمرت الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان رضي الله عنه يهتم بأمر العيون وبالأخبار ويتقصاها بنفسه (٢) . وسار قادته على منوال من سبقهم من القادة بالاعتناء بأمر العيون وتقصي أخبار العدوّ (٣) .

كما أنهم جعلوها شرطًا من شروط المعاهدات بينهم وبين المعاهدين حيث طلبوا منهم بأن ينصحوا وينذروا المسلمين بسير عدوهم إليه ومعاونتهم بأن يكونوا عليهم جواسيس وإبلاغ المسلمين بتحركاتهم (٤) .

وحين صارت الخلافة بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه اتخذ في إدارته العيون واهتم بها (٥) ، فعندما خرج الخريت بن راشد الخارجي وجماعته كتب إلى عماله

---

(١) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ١٦٣ ، ٢ / ٦ ، وابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ١٧٣ ، والبلاذري فتوح البلدان ٣ / ١٧٧ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ٥٩ ، وعبد الحي الكتاني ، نظام الحكومة النبوية نسخة مصورة بدون تاريخ طبع أو مكان نشر ١ / ٣٦٥ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ١ / ٣٦٦ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ١ / ١٨١ ، ٢٣٧ ، ٣ / ٥٠١ ، وقدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة تحقيق محمد الزبيدي ، طبعة بغداد ١٩٨١ ص ٣٠٦ ، ٣٢٧ ، ٤٠٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٥٢ ، ٥ / ١٠٨ ، ١١٦ . والكندي ، الولاة ص ٢١ .

كتابًا من نسخة واحدة نصه : « أما بعد فإن رجالاً خرجوا هربًا ونظنهم توجهوا من أرضك واكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم والسلام » [١] .

وفي موقعة صفين دعا الخليفة عليّ رضي الله عنه بالقائد زياد بن النضر والقائد شريح بن هانئ ، وعقد لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس وأمرهما أن يسير كل واحد منهما منفردًا عن صاحبه وأوصاهما ، فمما قاله لهما : « وأعلما أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم »[٢] ، وذلك لأن الطلائع نياط بها جمع المعلومات التي بها يتعرف القائد على أخبار العدو وقوته حتى لا يقع في كمين له ، أو يؤخذ على غرة فيكون بذلك مستعدًا له ولتحركاته ، وعلى ضوء ذلك يضع الخطط المناسبة [٣] .

كما كان للخليفة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في إدارته عيون على قادته لمعرفة أحوالهم وتصرفاته ، ومدى تحملهم للأمانة فيما كلفوا به من واجبات [٤] .

مما سبق يتبين لنا مدى اهتمام الخلفاء الراشدين وقادتهم بالعيون والأخبار ، وذلك لما تلعبه من دور مهمّ في إدارتهم للدولة الإسلامية ، وفيما توفره هذه العيون من معلومات ، كانت توضع على ضوئها الخطط العسكرية الناجحة ، سواء كانت هذه المعلومات تَرِدُ من قِبَل من يبعث بها إلى أرض العدو من الجواسيس ، أو من قِبَلِ المعاهدين الذين اشترط عليهم إخلاص النصيحة للمسلمين ، بإنذارهم وإعلامهم بسير العدو إليهم حتى لا يفاجئهم .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١١٦ .

(٢) الدينوري أحمد بن داود ، الأخبار الطوال تحقيق عبد المنعم عامر . طبعة القاهرة ١٩٦٠ ص ١٦٦ . ومحمد كرد علي ، خطط الشام طبعة دارالعلم للملايين - بيروت ١٩٨٣ ، ٥ / ٩ .

(٣) ابن جماعة محمد بن إبراهيم ، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ، طبعة قطر ١٩٨٧ ، ص ١٥٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١٤١ .

الفصل الثاني

وسائل جمع المعلومات في عصر الخلفاء الراشدين

أولاً : وسائل المسلمين لجمع المعلومات في عصر الراشدين

واجهت الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين تحديًا واسعًا خاصة بعد القضاء على حركة الردة ، والانطلاق نحو تحرير الأراضي المحتلة من قِبَلِ الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين سواء في العراق أو الشام أو الجزيرة أو مصر أو شمال أفريقيا ، وفي فتح بلاد فارس وخراسان وسجستان وكرمان وأرمينية وأذربيجان ، وشمال القوقاز ، مما أدى إلى تطوير وتنويع مصادر المعلومات لديها وذلك لمواجهة المشاكل الكبيرة المستجدة .

فنجاح الجهد العسكري ضد الأعداء في الخارج ، وضبط الأجهزة الإدارية في الداخل ، مع المحافظة على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي مرتبط بكفاءة وفعالية نظم قنوات المعلومات وإدارتها ، أما الانتكاسات الاستثنائية ، التي تعرضت لها الأمة الإسلامية على ثغورها أحيانًا [١] ، والأخطاء الإدارية التي وقع بها صانعو القرار في الأمصار ، وعدم وصولها بصورة أمينة إلى العاصمة مركز الخلافة والقيادة ، وما نتج عن ذلك من ظهور عناصر الشغب ، والتمرد والفوضى خلال أحداث الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه واستمرت طيلة خلافة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كل ذلك ما هو إلا نتيجة حتمية لسوء أداء نظم قنوات المعلومات أحيانا ، وعدم الاعتماد على

---

(١) الثغر هو ما يلي دار الحرب ، وهو موضع المخافة من البلدان انظر ابن منظور ، لسان العرب مادة « ثغر » أي أنها نقطة التقاء حدود الدولة الإسلامية مع حدود الدول المعادية .

تقاريرها واقتراحاتها من قِبَلِ أولياء الأمور من جهة أخرى .

كما حدث خلال عصر الخلفاء الراشدين تطوير فكرة التعامل مع غير المسلمين وغير العرب في وحدات العيون واستخدامهم كعيون للمسلمين ، وكان هذا تعبيرًا عن الواقعية والإبداع الذي امتازت به القيادة الإسلامية ، نظرًا للإمكانيات الكبيرة والخبرات المتراكمة التي تمتع بها هؤلاء على مختلف الأصعدة ، مثل معرفتهم بالعادات والتقاليد واللغة والتضاريس والمناخ ، وأساليب الخصوم في القتال والسياسة .

وعليه جاءت وسائل جمع المعلومات خلال عصر الراشدين متعددة من المسلمين العرب وغير العرب ، ومن غير المسلمين أيضًا ، من هذه المصادر : العيون العربية الإسلامية وسكان الشام المحليين ، وسكان العراق المحليين ، وعرب الشام ، وعرب العراق ، والفرس وسكان القوقاز ، والروم البيزنطيين ، والأقباط والجراجمة واليهود والتجار والرسل .

١ - العيون العربية الإسلامية :

شكلت العيون الإسلامية الجانب الأكبر والثقل الأساسي في وحدات العيون في عصر الخلفاء الراشدين ، كما أن العيون التي هي من أصل عربي إسلامي كانت على رأس إدارة هذه الوحدات بشكل عام ، وذلك على الرغم من تعدد التحديات التي جابهتهم على مختلف الأصعدة ، ففي معارك القضاء على الردة كانت العيون كلهم من العرب ، وفي معارك التحرير والفتح لعبوا أدوارًا متعددة لاسيما على صعيد الاستطلاع العميق ، وفي مقاومة التجسس المضاد ، وفي العمليات الخاصة فضلاً عن تربعهم إلى رأس إدارة هذه الوحدات ، كما أنهم لعبوا الدور الأساسي في تغطية أحداث الفتنة ، وفي مراقبة الجهاز الإداري .

فنجاح هذه العيون كان من خلال التنسيق مع القنوات المتعددة ، وفي التأكد من ولائها ، ومن صدق المعلومات والأخبار المجلوبة ، فضلاً عن تطوير العمل

بشكل مستمر ، من خلال التعامل مع التحديات المستجدة ، والتي أصبحت حالة متكررة وسريعة ، وهو ما سوف يظهر من خلال الأحداث التالية ، فعلى سبيل المثال :

من بين هذه العيون العربية الإسلامية : **حريث العذري** : الذي كان عينا للقائد أسامة ابن زيد في غزوة مؤتة ، عندما خرج أسامة بن زيد في جيشه الإسلامي مسرعًا فوطئ بلادًا هادئة لم يرجعوا عن الإسلام – جهينة وغيرها من قضاعة – فلما نزل وادي القُري قدّم عينًا له من بني عُذرة يقال له « حريث » فخرج على صدر راحلته أمامه مغذًّا حتى انتهى إلى « أبْنَى » فنظر إلى ما هناك وارتاد الطريق ثم رجع سريعًا حتى لقي أسامة على مسيرة ليلتين من أُبْنَى ، فأخبره أن الناس غارّون ولا جموع لهم ، وأمره أن يُسرع السير قبل أن تجتمع الجموع وأن يشنها غارة (١) .

وثابت بن أقرم : وهو أحد بني العجلان وحليفًا للأنصار ، وكان طليعة لخالد بن الوليد رضي الله عنه عند خروجه لمحاربة طليحة بن جويلد الأسدي المرتد ، وسار خالد بن الوليد حتى إذا دنا من القوم بعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم طليعة ، حتى إذا دنوا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة ينظران ويسألان ، فأما سلمة فلم يمهل ثابتًا أن قتله (٢) ونال ثابت بن أقرم الشهادة في هذه المهمة التي كلفه بها القائد خالد بن الوليد .

ورافع بن عمير : كان دليلاً لخالد بن الوليد في تقدمه نحو العراق عندما جاءه كتاب الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بتأمير العراق ، أي أمره على حرب العراق وأن يدخلها من أسفلها ، ففرق خالد جنده إلى ثلاث فرق في خروجه من

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ١١٢٢ ، وابن حجر العسقلاني ، الإصابة ٢ / ٥٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٤ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٦٤ – ٦٥ .

اليمامة إلى العراق ، ولم يحملهم إلى طريق واحدة فسرّح المثنى بن حارثة قبله بيومين ودليله ظفر ، وسرح عديّ بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر ، أحدهما قبل صاحبه بيوم ، وخرج خالد بن الوليد ودليله رافع بن عمير ، فواعدهم جميعًا « الحفير » ليجتمعوا به وليصادموا به عدوهم [١] .

وعبد الله بن حَذَف : وهو من قبيلة بكر بن وائل ، استعمله العلاء بن الحضرمي في مواجهة ردة البحرين في عملية استخبارية لصالح المسلمين ، حينما توجه العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وكانوا ارتدوا إلا نفرًا منهم ، وخندق المسلمون وخندق كذلك المشركون ، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهرًا ، فبينما الناس ليلة إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة ، كأنها ضوضاء هزيمة أو قتال ، فقال العلاء بن الحضرمي : مَنْ يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حذف : أنا آتيكم بخبر القوم ، فخرج حتى إذا دَنا من خندقهم ، فأخذوه ، فقالوا : من أنت ؟ فانتسب وجعل ينادي يا أبجراه فعرفه أبجر ، فمنّ عليه ، فرجع عبد الله بن حذف إلى أصحابه والعلاء بن الحضرمي فأخبرهم أن القوم سكاري ، فبيتهم العلاء فيمن معه فقتلوهم قتلا شديدًا [٢] .

وقيس بن هبيرة الأسدي : أرسله سعد بن أبي وقاص في عملية استطلاعية ضمن عمليات تحرير العراق في معركة القادسية ، قال سعد لقيس بن هبيرة الأسدي : أخرج يا عاقل فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تحنو عليه حتى تأتيني بعلم القوم [٣] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٤٨ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ١١٦ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥١٤ .

وعمرو بن معدي كرب : قام بعملية استطلاعية في عمليات تحرير العراق ، وقام بعملية خاصة من خلال مراقبة في عمليات تحرير العراق ، وقام بعملية خاصة في خطف أسير في عمليات تحرير العراق ، وقام بعملية استطلاعية في معركة نهاوند [(١)] .

٢ - سكان الشام المحليين .. أنباط الشام :

أطلق العرب المسلمون على السكان المحليين في بلاد الشام ، هذه التسمية « أنباط الشام » [(٢)] وقد جاءت هذه التسمية من خلال ممارسة هؤلاء السكان للزراعة [(٣)] ، كما أطلق عليهم أيضًا أهل البلد [(٤)] ومسالمة الشام [(٥)] ، وأطلق عليهم أيضا « المعاهدين » [(٦)] .

وقد تعاون القسم الأكبر من أنباط الشام بشكل جيد مع المسلمين ، على صعيد العمل الاستخباراتي وجمع المعلومات والأخبار ، وقد تم التأكيد على أهمية هذا التعاون من خلال إدراجه ضمن معاهدات الصلح [(٧)] ، وكان لهؤلاء الأنباط أسبابهم الخاصة بهم في التعاون ، يعود قسم منها إلى المعاملة الحسنة ، التي تلقوها من القوات الإسلامية ، برغم اختلافهم معهم ، على صعيد العقيدة ، والتي ضمنها لهم المسلمون [(٨)] ، على عكس معاملة المحتلين البيزنطيين لهم [(٩)] ، يضاف إلى ذلك محاولة بعض قيادات

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥١٤ ، ٥١٥ ن ٥٥٧ - ٥٥٩ ، ٥١٢ - ٥١٤ ، ٤ / ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٨٧ ، وابن منظور ، لسان العرب ٧ / ٤١٢ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ٧ / ٤١١ .

(٤) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٨٤ .

(٥) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٣١ .

(٦) الواقدي ، فتوح الشام ٢ / ١٢٢ .

(٧) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٤٦ ، والأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٣٢٥ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ص ١٧٧ .

(٨) أبو يوسف ، الخراج ص ٢٩٩ ، وابن أعثم الكوفي ، الفتوح ١ / ١٤٣ - ١٤٤ .

(٩) الواقدي ، فتوح الشام ٢ / ٢٢٨ - ٢٣٠ ، والأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٧٥ .

الأنباط الدينية ، إيجاد إطار من العلاقات الثابتة مع المحررين [١] ، كما قام العرب المسلمون بتقديم مغريات مادية ، لعيونهم وجواسيسهم من الأنباط ؛ لأنها من أهم الأسباب وأكثرها واقعية ، في استمرار التعاون بإخلاص ، فقد كانوا يعطون من الغنائم فضلاً عن مساعدات مالية أخرى لتشجيعهم [٢] ، مع إعفائهم من الجزية [٣] وهو أسلوب تكرر فيما بعد مع أقوام آخرين .

كما أن من أهم أسباب نجاح الأنباط في أداء مهامهم عيونًا للعرب المسلمين هو أن البيزنطيين لم يكونوا يشكون في ولائهم لهم ، نظرًا لاتفاقهم معهم على صعيد العقيدة فالطرفين نصارى [٤] .

كان هؤلاء الأنباط يلبسون الزّي البيزنطي ، ويتكلمون اليونانية بطلاقة ، ومن الجدير بالذكر أن قسمًا من هؤلاء العيون والجواسيس ، قد اعتنقوا الإسلام من خلال تعاماهم مع القيادات الإسلامية ، التي جسدت تعاليم الإسلام بحق [٥] .

ولقد أثبتت الأحداث أن ما قام به الأنباط كان كبيرًا سواء على صعيد الأخبار كعيون لخدمة المسلمين [٦] ، أو كسعاة حاملين للرسائل السرية في جبهات القتال [٧] ، أو من الجبهة إلى المدينة المنورة [٨] ، كما قاموا بدور الترجمة من اليونانية إلى العربية وبالعكس

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٢) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٨٧ ، والواقدي ، فتوح الشام ٣ / ١٤٢ .
(٣) الواقدي ، فتوح الشام ٣ / ١٤٢ .
(٤) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٣ / ١٤٢ ، ١٥٣ .
(٥) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ١ / ١٥٠ ، ٢ / ١١٥ ، ويحيى بن آدم ، كتاب الخراج تحقيق أحمد محمد شاكر ، طبعة القاهرة – المكتبة السلفية ١٣٤٧ هـ ص ٦٠ .
(٦) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٧٤ .
(٧) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٤٤ ، ٨٤ ، ١٥٣ ، وابن أعثم الكوفي ، الفتوح ١ / ١٤٣ ، ١٤٤ .
(٨) ابن أعثم الكوفي الفتوح ١ / ١٨٧ .

لاسيما أثناء إجراء المفاوضات مع قيادات العدو [١] ، ويتوقع الشيء نفسه أثناء استنطاق الأسرى ، كما قاموا بدور الأدلاء [٢] . ومن بين هؤلاء الأنباط على سبيل المثال :

الأسقف منصور : وهو نبطي نصراني قام بعملية استخبارية في عمليات تحرير الشام [٣] وكانت عملية ناجحة ، كان فيها على مستوى المسئولية التي أسندت إليه والتي حملها ، فأخلص في الأداء ، وأنجز العمل والمهمة .

إن المصادر العربية لم تشر إلى حالة خيانة واحدة من ناحية هؤلاء ، مما يدل على كفاءة التقويم الأمني ، وعلى فاعلية أساليب التعامل التي مارسها العرب المسلمون تجاه هؤلاء الأنباط .

٣ - سكان العراق المحليين « أنباط العراق » :

تعود تسمية العرب المسلمين لهم ، حالهم حال إخوانهم أنباط الشام ، إلى ممارستهم للزراعة في منطقة السواد [٤] ، وقد تم تسميتهم أيضا بالعلوج [٥] وكانت العقيدة الدينية لهؤلاء هي النصرانية ، وبذلك اختلفوا عن أنباط الشام ، في انعدام العقيدة الدينية المشتركة مع الحكام ، فقد اعتبر الفرس الساسانيون مجوسًا ، ولا يمكن تصور إمكانية تحقيق ما أنجز من انتصارات باهرة ، في نحو أربع سنين من خلال تحرير العراق ، ودحر الإمبراطورية الساسانية من غير دعم معلوماتي ، من قِبَلِ هؤلاء الأنباط وقياداتهم ، لاسيما وأن جغرافية المنطقة « السواد » تتصف بالتعقيد ،

---

(١) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ١ / ١٥٠ .

(٢) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٢٤٢ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٠٦ .

(٣) فليب حتى ، تاريخ العرب ١ / ٢٠٣ ، وهاتمان ، مادة دمشق ، دائرة المعارف الإسلامية ٩ / ٢٦٧ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢٢ ، ومحمد بن أحمد البيروني ، الآثار الباقية ، تحقيق إدوارد سيكو طبعة بغداد ، والقاهرة ١٩٢٣ . ص ٥٩ .

(٥) العلج : يقال للرجل القوي الضخم من الكفار علج ، انظر ابن منظور ، لسان العرب « ع - ل - ج » .

حيث تغطيها شبكات لا حصر لها من القنوات والأنهار ، التي تأخذ مياهها من دجلة والفرات ، فضلاً عن الأهواء التي تغطي مساحات شاسعة ، بما فيها من قصب وبردي وغابات النخيل الكثيفة ، وكل ذلك يعد معوقات ، لا يقلل من مخاطرها سوى علم المسلمين بها بصورة مفصلة ، ولذلك أشير إلى دور الأنباط بصورة مبكرة في الدلالة على مخاضات الأنهار (١) .

وكان الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، قد أكد منذ بداية عمليات تحرير العراق لقادته على ضرورة معاملتهم معاملة حسنة (٢) ، من أجل الاستفادة منهم على شتى المستويات ، بما يخدم الجهد العسكري للأمة .

لقد أكد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهمية المعرفة الجغرافية التفصيلية لميادين العمليات في وصيته إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عندما وجهه إلى جبهته العراق بقوله : « ... ثم لا تعاجلهم المناجزة ، ما لم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ... » (٣) .

كما أكد على ضرورة إيجاد متعاونين من أهل الأرض (٤) فلم تكن المعلومات التي يحصل عليها الأنباط معلومات عسكرية فقط ، وإنما كانت أحيانًا تتعلق بتطورات الأوضاع في البلاط الساساني ، وما يمكن أن يترتب على ذلك ، على صعيد المواجهة مع العرب المسلمين .

ومن القيادات النبطية العراقية التي تعاونت مع المسلمين المحررين تعاونًا يخدم مصلحة المسلمين ، وكان عينًا للمسلمين على قومه هو وغيره من الأنباط .

---

(١) أبو يوسف ، الخراج ص ١١٨ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٩٧ ، ٣٢٣ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٤ .

(٢) انظر الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٠ .

(٣) النويري ، نهاية الأرب ٦ / ١٧٠ .

(٤) النويري ، نهاية الأرب ٦ / ١٦٩ .

صلوبا بن نسطونا بن بصبهرى ، كان صلوبا دهقان - أي زعيم فلاحي العجم - بانقيا [(١)] وأليس [(٢)] ،وباروسما [(٣)] وكانت معاهدة الصلح المعقودة معه تؤكد على أن يعمل مع سكان المنطقة عيونًا للمسلمين [(٤)] وقد تعاون مع أبي عبيد الثقفي الذي قدم العراق قائدًا للجيش الإسلامي بعد مغادرة خالد بن الوليد إلى الشام [(٥)] .

كما تعاون مع المثنى بن حارثة بعد معركة الجسر [(٦)] ، وكان آخر الدهاقين الذين أعلنوا التمرد بتحريض من القائد الساساني رستم [(٧)] ، وقد اختار قسم من هؤلاء بصورة مبكرة الوقوف مع العرب المسلمين ، خدمة لاستمرار مصالحهم ، وهو الموقف الذي أجمعوا عليه بعد القادسية بصورة طوعية ، فقد أشير إلى أن خالد بن الوليد عقد معاهدة صلح مع دهاقين الملطاطين [(٨)] ، وزاد ابن بهيش دهقان فرات سريا [(٩)] .

وعقد عروة بن زيد الطائي معاهدة صلح مع دهقان الزوابي [(١٠)] ، أثناء تولى أبي

---

(١) بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة تقع على الفرات ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ / ٣٣١ .

(٢) أليس : قرية من قرى الأنبار ، جنوب غرب الفلوجة ، ياقوت ، معجم البلدان ١ / ٢٤٨ .

(٣) باروسما : ناحيتان في السواد يقال لهما باروسما العليا وباروسما السفلى ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ / ٣٢٠ ، ولسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، طبعة بغداد ١٩٥٤ ، ص ٩٦ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٩٧ .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ص ١٢٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ /٤٦٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٣ .

(٨) الملطاطين : الملطاط هو الطريق على الساحل ، وكان يقال لظهر الكوفة اللسان وما ولي منه الملطاط ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ١٩٢ .

(٩) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٨ ، ولسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٣ .

(١٠) الزوابي يقصد بها الأنهار الثلاثة الزاب الأعلى والأوسط والأسفل ، ياقوت ، معجم البلدان ٣ / ١٥٥ .

عبيد الثقفي جبهة العراق [١] ، وكذلك الحال مع الأندزغر ودهقان باروسما [٢] ، وعقد سعد بن أبي وقاص معاهدة صلح مع شيرزاد ودهقان ساباط [٣] .

وقد عُرف عن دهقان كلواذي [٤] موقفه الإيجابي قبل القادسية ، حيث أصبح مع سكان منطقته عيونا للمسلمين فيما وراء نهر دجلة شرقًا [٥] ، وتعاون نسطام بن نرسى مع القائد زهرة بن الحوية التميمي [٦].

وتعاون دهقان مهروذ مع القائد هاشم بن عتبة المرقال [٧] ، وأصبح التعاون بين الدهاقين الفرس ، والعرب المسلمين تامًا بعد القادسية بل وأسلم كثير منهم مثل دهقان الفلاليج [٨] والنهرين ، ودهقان خطرنية [٩] بسطام بن نرسى ، ودهقان العال [١٠] الرفيل ، وفيروز دهقان نهر الملك [١١] وكوثى [١٢] وغيرهم من الدهاقين ، وظلت الأراضي بأيديهم [١٣] ، وبقي قسم منهم على الجزية [١٤] .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٠٧ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ١٢٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٥ ، ولسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٢ .

(٤) كلواذي : إحدى المناطق التي تقع جنوب بغداد ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٤٧٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٧٥ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٦١٩ - ٦٢٠ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢٤ .

(٨) الفلاليج : يطلق على مجموعة قرى ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٢٧٥ .

(٩) خطرنية : ناحية من نواحي بابل ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٣٧٨ .

(١٠) العال : يقال للأنبار وبادوريا وقطربل ومسكن ، العال ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٧٠ .

(١١) نهر الملك : سمي نهر صرصر ، يأخذ مياهه من الفرات ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٢٤١ .

(١٢) كوثى : نهر يأخذ مياهه من الفرات ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٤٨٧ .

(١٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٢٥ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٥ .

وزاذ بن بهيش ، نبطي نصراني قام بعملية استخبارية في عمليات تحرير العراق ، فكان الدّهاقين يتربصون بخالد وينظرون ما يصنع أهل الحيرة فلما استقام ما بين أهل الحيرة وخالد ، واستقاموا له أتته دهاقين الملطاطين ، وأتاه زاذ بن بهيش دهقان فرات سِرْيَا ، وصلوبا بن نسطونا بن بصبهرى (١) .

٤ - عرب الشام :

تعاون عرب الشام في أن يكونوا عيونا للمسلمين ، رغم انقسام هؤلاء العرب بعد بدء عمليات تحرير الشام إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : اعتنق الإسلام ، وشارك إخوانه في عمليات الجهاد والتحرير ، في حين ظل القسم الثاني على النصرانية ، ودفعهم إيمانهم بها إلى القتال في صفوف المحتلين البيزنطيين ضد المسلمين ، ووقف القسم الثالث على الحياد ، على الرغم من بقائهم على النصرانية ، وقالوا : « نكره أن نقاتل أهل ديننا ، ونكره أن ننصر العجم على قومنا » ، ومع هذا الموقف فقد أشير إلى تعاون على صعيد الأخبار مع نصارى عرب الشام في معركة فحل (٢) وفي اليرموك (٣) .

٥ - عرب العراق :

استطاع المسلمون أن يجعلوا عيونًا من عرب العراق كما كان لهم عيون من عرب الشام على مستوى المعلومات والأخبار ، حيث كان العرب في العراق ينقسمون على صعيد الاستيطان إلى قسمين فقد كان أكثرهم من البدو والرعاة ، في أقسام من السواد والجزيرة مثل تغلب ، وإياد والنمر في حين كان هناك قسم صغير متحضر ، يستقر في

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٨ .

(٢) معركة الفحل : وقعت هذه المعركة في الأردن ، حيث انتصرت القوات الإسلامية ، على القوات البيزنطية ، بعد خمسة أشهر من تولى عمر بن الخطاب الخلافة ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٣٧ .

(٣) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١١١ .

المدن مثل أهل الحيرة ، وعلى الصعيد العقدي ، فقد كان قسم من هذه القبائل على النصرانية ، وقسم آخر على الشرك وفي كلتا الحالتين لم تكن لهم عقيدة مشتركة ، مع الحكام الساسانيين في العراق ، الذين كانوا يعتنقون المجوسية ، وكان يتوقع من عرب العراق ، استنادًا إلى هذه الحقائق ، إما التعاون مع إخوانهم العرب المسلمون أو في أضعف الإيمان الوقوف على الحياد ، وهو ما لم يحدث إلا في نهاية حروب تحرير العراق ، لاسيما أثناء تحرير تكريت ، حيث تعاونوا مع عبد الله بن المعتم العبسي (١) ، وذلك بعد أن يئسوا من النصر ، وحاول حلفاؤهم البيزنطيين مغادرة المدينة نهرًا عبر دجلة ، كما تعاونوا في تحرير الموصل (٢).

وعلى صعيد آخر وقف نصارى الحيرة بصورة مبكرة ، إلى جانب المحررين ، على مستوى المعلومات ، مع احتفاظهم بعقيدتهم الدينية ، حيث وقع زعماء الحيرة ، عبد المسيح بن عمرو الأزدي ، وهانئ بن قبيصة الشيباني ، وإياس بن قبيصة الطائي ، معاهدة صلح شملت فضلاً عن بنودها السياسية والدينية والاقتصادية ، بندًا نص على أن يعملوا عيونًا وأدلاء للمسلمين على الفرس (٣) .

وأتى خالد بن الوليد « أليس » وهي قرية من قرى الأنبار ، فخرج إليه جابان عظيم العجم ، فقدم إليه المثنى بن حارثة الشيباني فلقيه بنهر الدم ، وصالح خالد أهل أُلّيس على أن يكونوا عيونًا للمسلمين على الفرس وأدلاء وأعوانًا (٤) .

وقيل أن عبد المسيح بن عمرو الأزدي استقبل خالدًا بن الوليد ثم تذاكر الصلحَ

---

(١) عبدالله بن المعتم ، قيل إنه من الصحابة ، وكان على مقدمة سعد بن أبي وقاص من القادسية إلى المدائن مع زهرة بن الحوية التميمي ، وقد حرر تكريت وأرسل ربعي بن الأفكل إلى الموصل فحررها ، ابن الأثير ، أسد الغابة ٣ / ٣٩٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٩٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٥ ، و البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٩٧ .

فاصطلحا على مئة ألف يؤدونها الفرس كل سنة ، فكان الذي أخذ منهم أول مال حُمل إلى المدينة من العراق ، واشترط عليهم أن لا يبغوا المسلمين غائلة ، وأن يكونوا عيونا على أهل فارس [١] .

ولقد عبّر القائد الساساني رستم ، عن امتعاضه وغضبه من الدور الذي لعبه أهل الحيرة مثل عمليات القادسية [٢] . وقيل عن موقف عرب الحيرة وتعاونهم مع العرب المسلمين أن ظهور المسلمين أحب إليهم من الفرس [٣] .

٦ - مصادر فارسية :

استطاعت بعض المصادر الفارسية أن تقف بجانب العرب المسلمين بصورة طوعية مبكرة ، فقد أسلم « الحمراء » قبل « القادسية » واستفاد منهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على صعيد المعلومات والخبرة [٤] .

كما انضم الحرس الخاص برستم المسمى جند شاهنشاه وقائدهم ديلم إلى الإسلام بعد القادسية ، وحالفوا تميمًا وأعطوا شرف العطاء ، وتسموا باسم نقيبهم ديلم ، فأصبحوا حمراء ديلم[٥] .

كما انضم أساورة البصرة [٦] ، وأساورة الديلم المرابطين في قزوين [٧] إلى القوات

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥٠٨ ، وشكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول طبعة بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٠ ص ٨٥ - ٩٤ .

(٣) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٦٥ .

(٤) الحمراء يقصد بها القوات الساسانية التي اعتنقت الإسلام وعملت في صفوف المسلمين ، البلاذري فتوح البلدان ص ٣٩٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥١٢ ، ٥٥٥ .

(٦) الأساورة : يقصد بها صنف الخيالة الدارعين وقد اعتنقوا الإسلام ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٤٤ ، ٣٩٥ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٩٠ - ٩١ .

(٧) قزوين : مدينة مشهورة قرب الري شمال غرب طهران ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٣٤٢ .

الإسلامية ، وكذلك الحال مع قوات سياه الأسواري ، والذي كان قائد مقدمة القوات الساسانية ، حيث أسلم وانضم مع قواته بعد معركة السوس [١] وشهد حصار تستر [٢] بعد أن وافق عمر بن الخطاب رضي الله عنه على شروطهم للانضمام إلى الإسلام ، والعمل مقاتلين في صفوف القوات الإسلامية [٣] وانضمت كذلك السيابجة والزط [٤] إلى الإسلام ، وعملت في القوات الإسلامية ، وحالفوا تميم [٥] .

إن قيمة هذه الوحدات ، أنها كانت تمتلك رصيدًا وخبرة مهمة ، عن أوضاع البلاد سياسيًا ، وعسكريًا ، أفادت القوات الإسلامية ، وعززت موقفها في مواجهة عدو شرس ، استمر في المقاومة لفترة ليست بالقصيرة [٦] ، فبعد معركة جلولاء [٧] ، نجد أن قياذ قائد الحمراء يتولى الإشراف على حدود الجبهة المتحركة ، والتي كانت قد وصلت إلى حافات جبال زاجروس ، المطلة على منطقة السواد ، وكان مقره في حلوان [٨] كما تعاون الزينبي [٩] ، وهو من القيادات الفارسية ، ومن أهل مدينة الري [١٠]

---

(١) السوس : ومن المدن التاريخية المهمة ، تقع قرب نهر الكرخة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٨٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٩١ ، تستر : قاعدة إقليم الأحواز . ياقوت ، معجم البلدان ٢ /٢٩ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٥٩ .

(٤) السيابجة والزطة : فالزط الوحدات البحرية الساسانية التي اعتنقت الإسلام وخالفت تميما وظلت في البصرة ، والسيابجة من سلالة مهاجرين من أهل سومطرة نزحوا إلى الهند ثم إلى العراق ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٦٠ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٤٦٨ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٦٠ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٣ - ٣٠٠ .

(٧) معركة جلولاء : هي المعركة التي انتصر فيها القائد العربي المسلم هاشم بن عتبة على القوات الساسانية بعد معركة القادسية ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٤ ، ٣٨ .

(٩) سماه الطبري في تاريخه ٤ / ١٥١ « أبو الفرخان » .

(١٠) الري : مدينة تبعد عن قزوين ١٠٢ كم ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ١٥٩ .

مع نعيم بن مقرن المزني [١] على صعيد المعلومات في فتح مدينة الري [٢] .

ولقد ساعد تعاون هؤلاء على تحقيق الأهداف السياسية والعسكرية الإسلامية في عمق الدولة الساسانية ، لاسيما تحركات الملك الفارسي يزدجرد ، وعن طريقهم تمّ نقل أنباء تحشدات يزدجرد من الباب إلى السند وخراسان وحلوان ، والتي أدت إلى معركة نهاوند [٣] ، وكذلك تحشدات الفرس في رامهرمز [٤] وتستر [٥] ، وقد مارس العيون والجواسيس الفرس دورهم في الترجمة لاسيما أثناء المفاوضات [٦] .

ويلاحظ أن استمرار العمليات في عمق الأراضي الساسانية في خراسان ، وجرجان وقزوين وغيرها ، دفعت القوات الإسلامية إلى تضمين معاهدات الصلح بنودًا خاصة ، تعفي من بقي منهم على المجوسية من الجزية لقاء تعاونهم العسكري والإخباريّ ، فقد صالح القائد عبد الله بن عامر [٧] مرزبان مروزوذ عام (٣٢ هـ) على : « ... نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة ، إن أحب المسلمون ذلك ، وأرادوه وإن لك على ذلك نصرة المسلمين ، ولا خراج عليك ... »[٨] وشمل رفع الجزية أيضًا الأساورة ، الذين ظلوا على المجوسية ، بأمر

---

(١) نعيم بن مقرن : من صحابة رسول الله ﷺ ، كان من وجوه مزينة ، وكانت له ولأخيه النعمان منزلة كبيرة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٤ / ١٥٩.

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٥٠ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٩١ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٢٠ .

(٤) رامهرمز : إحدى المدن الشهيرة في إقليم الأحواز ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ / ١٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٨٤ .

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٧٥ .

(٧) عبد الله بن عامر هو عامل الخليفة عثمان بن عفان على البصرة ، انظر الزبيري ، نسب قريش ص ١٤٧ .

(٨) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣١٤ .

من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [١] .

كما أسقطت الجزية عمن تعاون مع المسلمين من أهل جرجان حيث جاء في صلحهم « ... ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته ، عوضا عن جزائه ... » [٢] .

إن حاجة المسلمين إلى السكان المحليين عيونا وأدلاء وللخدمات الإدارية كانت أكثر من حاجتهم إليهم مقاتلين ، ومن هذا المنطق تفسر فقرات التعاون هذه .

من هذه المصادر الفارسية نسيبة بن دارنة الفارسي المجوسي : كان نسيبة هذا من العيون الفارسية التي قدمت أخبارًا هامة في عمليات تحرير العراق خاصة في وقعة تستر وقد سأل نسيبة هذا أبا موسى الأشعري قائد المسلمين في تستر الأمان في مقابل من يدلهم على المدخل ، حتى دخل المسلمون المدينة ليلاً وانهزم الهرمزان [٣] .

والفرخان بن الزنبدي : وهو الفارسي المجوسي ، الذي قدّم أخبارًا في عمليات تحرير الري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قالوا : فلما انصرف عروة بعث حذيفة على جيشه سلمة بن عمرو بن ضرار الضبي ، ويقال البراء بن عازب وقد كانت وقعة عروة كسرت الديلم وأهل الري ، فأناخ على حصن الفرخان بن الزنبدي أو الزينبدي والعرب يسّمونه الزينبي ، وكان يدعى عارين ، فصالحه ابن الزينبي بعد قتال على أن يكونوا ذمة يؤدون الجزية والخراج ، وأعطاه عن أهل الري وقومس خمسمائة ألف على أن لا يقتل فيهم أحدًا ولا يسبيه ولا يهدم لهم بيت نار ، وأن يكونوا أسوة أهل نهاوند في خراجهم [٤] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٤٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٥٢ ، وحمزة بن يوسف السهمي ، تاريخ جرجان طبعة دائرة المعارف العثمانية – الهند ١٩٥٠ ، ص ٤٥ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٢ / ٢٠ ، وخليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ١٤٥ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٩٠ .

٧ - مصادر قوقازية :

استطاع المسلمون أن يجعلوا من السكان القوقازيين عيونًا لهم ، تقدم لهم المعلومات والأخبار ، والتعاون في مختلف المجالات لاسيما المجالات الإخبارية فضلاً عن الدلالة والخبرة .

فقد جاء في صلح القائد سراقة بن عمرو [١] مع شهربزار وسكان أرمينية : « ... وعلى أهل أرمينية والأبواب [٢] والطراء منهم والتناء ، ومن حولهم فدخل معهم أن ينصروا لكل غارة ، وينفذ لكل أمر ناب ، أو لم يَنُبْ رآه الوالي صلاحًا ، على أن توضع الجِزاء عمن أجاب إلى ذلك ... » [٣] .

وعندما قام سلمان بن ربيعة[٤] بتحرير بلنجر[٥] ، تعاون معه بعض القوقازيين وعبر هو عن ذلك بقوله : « يحمل أعداء الله على أعداء الله »[٦] .

---

(١) سراقة بن عمرو : من أصحاب رسول الله ﷺ أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الباب ، حيث فتح المنطقة وعقد صلحًا مع أهلها ومات هناك ، انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ٢ / ٥٨٠ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ٢ / ٣٣٠ .

(٢) الأبواب : هي أفواه شعاب في جبل القبق منها باب صول وباب اللان وباب الشابران وباب لاذقة وباب بارقة وباب لمسخى وباب صاحب السرير ، وباب فيلان شاه وباب كارونان وغيرها من الأبواب ، انظر الإدريسي ، نزهة المشتاق ، طبعة روما ١٩٧٨ ، ٧ / ٨٢٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٥٧ .

(٤) سلمان بن ربيعة أول من قضى بالكوفة وقد شهد تحرير الشام واستشهد في بلنجر في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٢ / ٦٣٢ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ٢ / ٤١٥ .

(٥) بلنجر : موضع هذه المدينة في الوقت الحاضر مدينة استرخان على نهر الفولغا في اتحاد روسيا .
The Encyclopedia American K habd , Zar 1967 . Vol . 16 , p 391 .

(٦) انظر سعيد بن منصور الخراساني ، سنن بن منصور ، تحقيق حبيب الأعظمي ، ط . بيروت ١٣٨٧ هـ ٢ / ٣٣١ .

وفي ضوء هذه المعاهدات يفسر الاندفاع الباسل لعبد الرحمن بن ربيعة [١] إلى البيضاء [٢] والتي تبعد ١٣٠٠ كم عن بلنجر [٣] ، فلولا الدلالة والمساعدات الإخبارية التي قدمها هؤلاء ، لما أمكن تحقيق ما أنجز ، مما يدل دلالة واضحة على أن المسلمين قد استخدموا مصادر قوقازية أمدتهم بالمعلومات والأخبار ، وكانت عيونًا لهم .

٨ - مصادر من الروم البيزنطيين :

كما نجح العرب المسلمون في أن يزرعوا جواسيس وعيون لهم عند الفرس والقوقاز فقد نجحوا أيضًا في زرع جواسيس في بعض المراكز الحساسة في الإدارة البيزنطية ، فقد ساعد انضمام بعض الإداريين والعسكريين البيزنطيين أثناء عمليات التحرير إلى القوات الإسلامية ، بصورة مبكرة مثل حاكم بصري « روماس » في الحصول على معلومات جيدة ، سواء على صعيد العمليات العسكرية ، أو متابعة التطورات السياسية البيزنطية ، كما حدث في معركة اليرموك ، عندما قدّم « رومانس » إلى القيادة الإسلامية تقريرًا أشار فيه إلى الحرب النفسية ، التي يمارسها البيزنطيون على العيون والجواسيس الذين يعملون لمصلحة العرب والمسلمين ، في محاولة واضحة تهدف إلى تضليلهم عبر حمل أخبار كاذبة [٤] .

---

(١) عبد الرحمن بن ربيعة : كان على القضاء في معركة القادسية مات شهيدًا في بلنجر في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٢ / ٨٣٢ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ٣ / ٤٤٦ .

(٢) البيضاء : من مدن الخزر المهمة ، التي تقع على الجانب الغربي لمدينة أتل ، انظر . الإدريسي ، نزهة المشتاق ٢ / ٩١٨ ، وانظر بارتولو ، مادة الخزر دائرة المعارف الإسلامية ترجمة أحمد الشنتاوي - طبعة طهران ١٩٣٣ ، ٨ / ٣٠٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٥٥ - ١٥٦ .

(٤) الواقدي ، فتوح الشام ٢ / ١١٥ .

كما أن استمرار وصول الأنباء عن التحركات العسكرية البيزنطية طيلة حروب التحرير دليل لا لبس فيه على وجود جواسيس يعملون لمصلحة الدولة الإسلامية ، داخل المراكز القيادية البيزنطية [١] .

مما يدل على أن بعض هؤلاء قدموا معلومات قيمة تتعلق بتكوين القوات البيزنطية ، وقياداتها وتحصيناتها ، ومعلومات أخرى [٢] .

٩ - مصادر قبطية :

تنتمي هذه المصادر القبطية إلى سلالة المصريين القدماء الذين عرفهم العرب باسم القبط [٣] وقد بدأت علاقة هؤلاء بالدولة الإسلامية من خلال مراسلة الرسول ﷺ للمقوقس [٤] ، ولم تكن علاقة هؤلاء بالمحتلين البيزنطيين جيدة ، بل كان يسودها العداء الذي كان ينطلق من خلافات مذهبية ، داخل الكنيسة النصرانية [٥] ، ولذلك نجد أن موقف الأقباط ، بعد مناوشات بسيطة مع المسلمين كان إيجابيًا [٦] ، وسرعان ما تعاون هؤلاء مع القوات الإسلامية في مجال المعلومات ، خاصة بعد نزول المسلمين في منطقة الفرما [٧] .

ازداد تعاون هؤلاء مع المسلمين بعد أن ظهر لهم عدل المسلمين وعاشوا في ظله ،

---

(١) ابن أعثم ، كتاب الفتوح ٢ / ١٤٤ .

(٢) الواقدي ، فتوح الشام ٣ / ٥٨ - ٥٩ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب « قبط » .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٢ / ١٦ - ١٧ ، و البلاذري ، أنساب الأشراف ١ / ٥٣١ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٢١ .

(٥) إبراهيم العدوي ، مصر الإسلامية ، طبعة القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٤ - ٨ .

(٦) سعيد بن البطريق ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، طبعة بيروت ١٩٥٥ ، ص ٢٤ .

(٧) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٥٨ - ٥٩ والفرما : مدينة شرق تنيس تبعد عن البحر المتوسط ثلاث كيلومترات . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٢٥٦ .

وأحسوا بحسن سياسة المسلمين قولاً وعملاً [١] .

ويعود الفضل لأحد هؤلاء الأقباط في الاتصال بالشخصيات المسئولة أثناء حصار الإسكندرية ، حيث وافق ابن بسامة - وكان أحد مسؤولي أبواب المدينة - على فتح أحد أبواب المدينة لقاء تأمينه على نفسه وأهله وماله [٢] .

كما رافق الأقباط حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أفريقية ، وقدموا له معلومات قيمة عن المنطقة وأهلها وقيادتها [٣] ، كما لا ينسى دورهم في دعم عمليات الأسطول الإسلامي [٤] .

١٠ - مصادر جراجمية :

ينسب هؤلاء الجراجمة إلى مدينة بجبل اللكام يُقال لها جرجومة [٥] ، وقيل : إنهم شعب مجهول الأصل ، اعتنق النصرانية وتمتع بقسط وافر من الحرية في معاقله الجبلية في جبال أمانوس « اللكام » [٦] وبعد تحرير أنطاكية حاولوا الالتحاق بالأراضي البيزنطية ، ثم غيروا رأيهم وتفاوضوا مع العرب المسلمين ، حيث توجت هذه المفاوضات في النهاية باتفاقية نصت ضمن بنودها على أن يعملوا مع القوات

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٨٠ ، والفريد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد طبعة القاهرة دار الكتب المصرية ١٩٣٣ ، ص ٢٥٢ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٨٠ .

(٣) عبد الله بن أبي عبد الله المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية ، تحقيق حسين مؤنس ، طبعة القاهرة مكتبة النهضة المصرية بدون تاريخ ص ١١ - ١٢ ، وانظر عبد الرحمن بن محمد الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق إبراهيم شبوح طبعة القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٦٨ ، ص ٣٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٢٩١ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٨٩ .

(٦) فليب حتّى ، تاريخ العرب ١ / ٢٦٩ .

الإسلامية عيونا يمدونهم بالأخبار والمعلومات ، فضلاً عن عملهم في الحجابات الأمامية ، وهي المسالح التي كانت تمارس عملها في جبال اللكام ، كما نصت أيضًا على مشاركتهم في القتال إلى جانب القوات الإسلامية ، ويعفوا نتيجة لذلك من الجزية ، وينفلوا من أسلاب القتلى (١) .

١١ - مصادر يهودية :

من المعروف أن اليهود دائمًا يضعون مصالحهم أولاً نصب أعينهم ، ومقدار ما يمكن أن يأخذوه مقابل الخدمات التي يمكن أن يقدموها إلى غيرهم ، فقد كانوا يحملون كرهًا شديدًا للبيزنطيين ، نظرًا للمعاملة السيئة التي كانوا يتلقونها منهم (٢) ، فاستبدال المسلمين بالبيزنطيين هو حالة صحية من وجهة نظرهم ، فضلاً عن أن هذا يعطيهم فرصة للانتقام من أعدائهم وقد أشير إليهم باليهود السامرة ، الذين كانوا يسكنون في الأردن وفلسطين وقد نصت معاهدات الصلح المبكرة معهم على أن يكونوا عيونًا وأدلاء للمسلمين ومقابل ذلك أعفوا من الجزية على أراضيهم ، وعندما توقفوا عن أداء هذا الدور في عهد يزيد بن معاوية فرضت عليهم الجزية (٣) .

كان لهم دور إيجابي في فتح « قيسارية » وكان سبب فتحها أن يهوديًا يُقال له يوسف أتى المسلمين ليلاً فدلّهم على طريق في سِرْب فيه الماء إلى حِقو الرجل ، على أن أمّنوه وأهله ، وأنفذ معاوية بن أبي سفيان كقائد للمسلمين ذلك ، ودخلها المسلمون في الليل (٤) .

كما كان لليهود موقف إيجابي أيضًا في فتح حمص ، فعندما جمع هرقل للمسلمين

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ص ١٨٩ .

(٢) عارف العارف ، تاريخ القدس ، طبعة دار المعارف - مصر ، بدون تاريخ ، ص ٤٠ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٨٩ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٦٨ ، وابن قدامة ، الخراج ص ٣٠١ .

الجموع ، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ، ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا : شغلنا عن نصُرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نُغلب ونجهد ، فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهالي المدن التي صولحت من النصارى واليهود [(١)] .

كما وردت معلومات تبين أن اليهود تم إسكانهم في مدينة طرابلس بعد تحريرها ، فعندما استخلف سيدنا عثمان وولي معاوية بن أبي سفيان الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلى طرابلس ، وهي ثلاث مدن مجتمعة ، فبنى في مرج على أميال منها حصنًا سُمّي حصن سفيان ، وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم ، فلما اشتدّ عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة ، وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى ما قبله ، فوجّه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا ، فلما أصبح سفيان وجد الحصن الذي كانوا فيه خاليا فدخله ، وكتب بالفتح إلى معاوية ، فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود [(٢)] .

ويبدو أن الغرض من ذلك كله الحصول على المعلومات والأخبار التي تخدم المسلمين ضد عدوهم .

١٢ - التجار :

يعد التجار إحدى المصادر والقنوات التي تخدم الإسلام والمسلمين في توفير الأخبار والمعلومات ، وتقديم الجهد الكبير في هذا الأمر ، وإن حرية الحركة التي تضمنتها الأنظمة السياسية المختلفة للتجار خلال عصر الراشدين ، جعلت منهم

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٦٢ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٥٠ - ١٥١ .

إحدى القنوات المهمة على صعيد التجسس ، وحتى على صعيد الكلفة الاقتصادية اللازمة لتمويل العمليات ، ولذلك كانت الأطراف المتصارعة تتعاون بصورة غير مباشرة في تأمين سهولة حركتهم ، وفي تقديم التسهيلات لهم ، حيث يطمح كل طرف لكي يكون أكثر فائدة من غريمه من خلال الكفاءة الفنية لجواسيسه التجار ، وحسن تدريبهم ، وإعدادهم ، ولذلك نجد أن الفقهاء قد عالجوا بصورة مبكرة ، مسألة دخول تجار دار الحرب ، إلى دار الإسلام ، بما أنهم كانوا يعرفون بطبيعة الحال حجم الأخطار الناجمة عن دخولهم ، فقد حاولوا إيجاد حلول واقعية لمشاكل حقيقية ضمن الضوابط الشرعية (١) . وحاولت معاهدات الصلح أن تنظم عملهم ، فقد جاء في معاهدة صلح عمرو بن العاص مع أهل مصر والنوبة « ... وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة أو واردة ... » (٢) .

وجاء في معاهدة صلح سويد بن مقرن المزني مع أصهبذخراسان » .. سبيلنا عليكم بالإذن آمنة ، وكذلك سبيلكم ... » (٣) .

وإذا كان الفقهاء أكدوا على دخول تجار دار الحرب ضمن الحدود المعدة لذلك ، وتعشيرهم هناك ، فإن الحدود الواسعة والمعقدة تضاريسيًا ، وغير المحمية بالمسالح والمناظر (٤) مع المهام التجسسية المكلف بها معظم هؤلاء التجار ، كل ذلك يرجع

---

(١) أبو يوسف ، الخراج ص ٣٧٤ - ٣٧٧ ، ومالك بن أنس ، المدونة الكبرى ، طبعة بغداد ١٣٢٣ هـ ٢ / ١١ ، وأبو عبيد ، الأموال ص ١٤٧ ، والطبري ، اختلاف الفقهاء ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٠٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٥٣ .

(٤) المسالح : مقرات للعيون ومهمتها جمع المعلومات ، وإرسال الإنذار عن أي تحرك مضاد ، انظر الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١١٩ ، وياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ١٢٨ - ١٢٩ ، والمناظر : هي أبراج عالية يوقد فيها لأغراض الإنذار ويقوم عليها رجال متخصصون لذلك . انظر ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ١٣٠ .

عدم التزامهم بهذه النقاط ، وإنما سيسلكون على الأرجح طرقًا خاصة ، يتسللون من خلالها إلى دار الإسلام ، التي يستهدفونها ، وهذا مما يزيد من صعوبة تعقبهم ومعرفتهم ، وإلقاء القبض عليهم ، لاسيما إذا كانت لديهم قواعد تستقبلهم لأسباب دينية ، أو لمغريات مادية ، ولا يزال التجار حتى الآن يستخدمون الأساليب نفسها برغم التقدم التقنى الهائل ، حيث أن التهريب يمارس على مستوى العالمين المتقدم والمتخلف ، على السواء لأهداف متعددة .

وإن مما يسهل عمل التجار كعيون أو جواسيس أنهم يعرفون الطرق وطبيعة التضاريس والمناخ ، وطبيعة السكان ، وعقائدهم ، ولغاتهم وميولهم ، وإمكانياتهم الاقتصادية ، وكل هذه الأمور في غاية الأهمية .

١٣ - الرسل :

استخدم الخلفاء الراشدون الرسل الذين يجيدون استخدام لغة العدو ، وذلك لجمع أكبر ما يمكن من معلومات أثناء الوصول إلى مقر قيادة العدو ، ابتداء من الحوار مع القائد المعادي ومرورًا بما يحصل عليه عبر السماع والمشاهدة ، والحديث مع الخدم والحرس وغيرهم ، حيث يجب عدم إهمال أية معلومة ، يتم الحصول عليها من هؤلاء ومما يزيد في قيمة وفائدة إرسال رسول يجيد لغة العدو هو جهل العدو بمعرفة الرسول للغته ، وإدارة التفاوض عبر مترجم (١) .

وقد أشير إلى سفارات قليلة في هذا العصر ، كما هو الحال مع سفارات أرسلت إلى البيزنطيين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تتعلق بإعادة من لجأ من قبيلتي إياد وتغلب ، إلى دار الإسلام (٢).

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٦٠٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٠٥ .

كما أن هناك اتصالات دائمة من خلال بريد ينقل الرسائل ، ما بين الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه والبيزنطيين [١] ، كما أشير إلى سفارتين ذهبتا إلى الصين في الأعوام (٣٠ هـ / ٦٥٥ م) ، (٣٥ هـ - ٦٥٥. م) [٢] .

وكان يتم اختيار الرسل ضمن مواصفات معينة ، يراعي فيها النواحي الشكلية ، فمن له هَيْئة ورأي ومهابة ، وذلك لإيجاد أكبر تأثير ممكن على القيادات المعادية [٣] .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) سعيد بن منصور ، مسند سعيد بن منصور ٢ / ١٨٦ .

(٢) فيصل السامر ، السفارات العربية إلى الصين في العصور الإسلامية الأولى ، مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الثاني ، السنة الثانية ، بغداد ١٣٩١ هـ . ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٦٥ ، وانظر الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٩٦ - ٤٩٨ .

ثانيا : وسائل العدو في جمع المعلومات ضد المسلمين

تعددت وسائل العدو في جمع المعلومات ضد المسلمين ، شأنها شأن القيادة الإسلامية في السعي الحثيث في جمع المعلومات ومعرفة الأخبار ، سواء على المستوى البيزنطي أو المستوى الفارسي .

فمن حيث الجانب البيزنطي عملت الدولة البيزنطية على استغلال نصارى العرب الذي حملوا أسماء كثيرة في التاريخ منها : روم العرب ، وعرب الضاحية ، والمستعربة ، كما استعملوا بطونًا من بعض القبائل العربية الرحل لاسيما من إياد ، كما استفادوا أيضًا من الجراجمة ، واستفادوا كذلك من القبط حيث تعاون أفراد منهم مع البيزنطيين .

هذا على مستوى الدولة البيزنطية ، أما من حيث الدولة الساسانية فقد اعتمدت على العديد من وسائل المعلومات ومصادرها ، حيث اعتمدت على الجواسيس الذين ينتمون إلى العنصر الفارسي ، وكذلك على قيادات نصارى العرب ليس كلهم فحسب بل على قسم منهم .

١ - نصارى العرب :

استغلت الدولة البيزنطية الروابط العقدية مع نصارى العرب في القيام بالتجسس لصالحهم ، بالرغم من إجراءات الأمن المتخذة في المعسكرات الإسلامية ، والذي ساعدهم على القيام بهذه المهام أن هَيْئَتَهم ولغتهم وعاداتهم وملابسهم تتفق مع مثيلاتها في الجانب الإسلامي [1] فضلاً عن إسلام إخوان لهم من نفس قبائلهم ، وتواجد بطون مشتركة النسب ، قادمة من الجزيرة العربية مع القوات الإسلامية ، مع إخوانهم عرب الشام ، وكانت دوافعهم للتعاون مع العدو يختلط فيها الجانب العقدي

(١) الواقدي ، فتوح الشام ٢ / ١٨٤ - ١٨٥ .

والمصالح الشخصية لقياداتهم .

ففي وقعة أجنادين قال عروة بن الزبير : لما تدانى العسكران بعث القُبُقْلار قائد الروم رجلاً عربيًا من قضاعة يقال له ابن هزارف ، فقال : ادخل في هؤلاء القوم - المسلمين - فأقم فيهم يوما وليلة ، ثم ائتني بخبرهم ، قال : فدخل في الناس رجل عربي لا ينكر ، فأقام فيهم يومًا وليلة ، ثم أتاه فقال له : ما وراءك ؟ قال : بالليل رهبان وبالنهار فرسان ، ولو سَرَق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رُجم ، لإقامة الحق فيهم ، فقال له القُبُقْلار : لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم ، فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي ، قال : ثم تزاحف الناس فاقتتلوا ، فلما رأى القُبُقْلار ما رأى من قتال المسلمين قال للروم : لفُّوا رأسي بثوب ، قالوا له : لم ؟ قال : يوم البئيس ، لا أحب أن أراه ، ما رأيت في الدنيا يوما أشد من هذا ، قال : فاحتز المسلمون رأسه ، وإنه لملفف » [(١)] .

كما لقي خالدًا بن الوليد عند مقدمة الشام في موقعة اليرموك ومغيثًا لأهل اليرموك رجلٌ من روم العرب فقال : يا خالد ، إن الروم في جمع كثير ، مائتي ألف أو يزيدون ، فإن رأيت أن ترجع على حاميتك فافعل ، فقال خالد : أبالروم تخوفني ! والله لوددت أن الأشقر براءٌ من توجيه ، وأنهم أضعفوا ضعفهم ، فهزمهم الله على يديه [(٢)] .

كما أمر أبو بكر رضي الله عنه خالدًا بن الوليد بأن ينزل تيماء ، ففصَّل رداءً حتى ينزل تيماء ، وقد أمره أبو بكر ألاّ يبرحها ، وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه ، وألاّ يقبل إلا ممن لم يرتد ، ولا يقاتل إلا من قاتله ، حتى يأتيه أمره ، فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة ، وبلغ الروم عظم ذلك العسكر ، فضربوا على العرب

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤١٧ - ٤١٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٢ .

الضاحية البعوث بالشام إليهم ... » [(١)] .

وفي عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، دخل أبو عبيدة بن الجراح دمشق في السنة الرابعة عشرة من الهجرة فشتا بها ، فلما أصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجزام وبَلْقين وبَلِيّ وعاملة ، وملك القبائل من قضاعة ، غسان بشر كثير ، ومعه من أهل أرمينية مثل ذلك ، فلما نزلها أقام بها وبعث الصَّقَلار خصيًّا له ، فسار بمثابة الف مقاتل معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألف عليهم جرجة ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاعة اثنا عشر ألفا عليهم جبلة بن الأيهم الغساني ، وسائرهم من الروم ، وعلى جماعة من الناس الصَّقَلار خصي هرقل ... » [(٢)] .

مما سبق نجد أن مجموعة الروايات والأحداث التي مرت اشتملت على مسميات وسائل جمع المعلومات ومصادرها ضد المسلمين لصالح الدولة البيزنطية سواء تحت مسمى نصارى العرب أو روم العرب أو عرب الضاحية أو المستعربة .

٢ - بطون من بعض القبائل العربية :

مما ساعد على استمرار مصادر البيزنطيين بين المسلمين يجمعون الأخبار رحيل بطون من بعض القبائل العربية لاسيما من أياد . وقد اختلف في عددهم ، فقول يصرح بأنهم قليلون من غير تحديد لعددهم ، وقول يقول بأن رحيلهم كان جماعيًا ، وقد دفع ذلك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى إرسال إنذار إلى البيزنطيين ، بضرورة إعادتهم وإلا سوف يتخذ إجراءات مضادة فأعيد منهم أربعة آلاف ، وظل البقية مستقرين في حدود الشام والجزيرة ، داخل الأراضي البيزنطية [(٣)] .

كما أشير أيضًا إلى رحيل ثلاثين ألفًا من نصارى العرب ، مع جبلة بن الأيهم

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٨٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥٧٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٤ ، ٥٥ .

الغساني [١] ، لاسيما من غسان ، والذين غادر منهم بعد ذلك بقيادة أبي النمس يزيد بن الأسود الغساني إلى الشام [٢] . ومن الطبيعي أن يعمد البيزنطيون إلى الاستفادة من هؤلاء اللاجئين مستغلين حاجتهم إلى الاستقرار والأمن وتوفير وسائل العيش ، سواء على صعيد المعلومات التي يحملونها ، أو عبر تجنيدهم وإعادتهم إلى دار الإسلام من غير امتناع ، أو من ضعاف الإيمان ممن أقيم عليه الحد الشرعي لارتكابهم جرائم معينة ، فدفعتهم العزة بالإثم إلى مغادرة الأراضي الإسلامية ، ودخول الأراضي البيزنطية ، والعيش في كنفها ، وقد أشارت مصادرنا إلى المعروفين منهم فقط على صعيد النسب [٣] .

٣ – مصادر جراجمية :

استفاد البيزنطيون من الجراجمة ، هؤلاء قد عُرف عنهم وعن مواقفهم بأنهم متذبذبون ومواقفهم متذبذبة ، وقد حاول البيزنطيون الإبقاء على فتح قناة معلوماتية معهم للاستفادة من موقعهم الجغرافي الحساس [٤] .

٤ – مصادر قبطية :

استافد البيزنيطون من القبط استفادتهم من غيرهم من المصادر في جانب المعلومات والأخبار التي تخدمهم وتخدم مصالحهم جند المسلمين ، حيث وردت إشارات إلى تعاون أفراد منهم مع البيزنطيين في أثناء تحرير القوات الإسلامية لفلسطين [٥] .

كما عمل أفراد منهم مع البيزنطيين بعد تحرير مصر في ولاية عمرو بن العاص ، وقد كشف أمرهم وتمت معاقبتهم [٦] .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٦١ ، واليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٧ .

(٢) ابن الكلبي ، جمهرة النسب ص ٤١٩ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٢٠٢ ، وابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ص ١٥٩ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٨٩ .

(٥) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ٣٧ – ٣٨ .

(٦) جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة – طبعة القاهرة ١٩٦٧ م ١ / ٥٧٩ .

كما ورد أن مجموعة من الجواسيس القبط عملوا لصالح البيزنطيين في حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أفريقية [١] .

٥ - مصادر فارسية :

استخدمت الدولة الساسانية عيونها وجواسيسها ضد المسلمين من المنتمين إلى العنصر الفارسيّ ، الذين اكتسبوا من خلال احتلالهم العراق والأراضي العربية الأخرى ، في اليمن ، وشرق الجزيرة العربية ، والعادات والتقاليد العربية ، وهو ما ظهر واضحًا في « العذيب » إحدى المسالح الفارسية المتقدمة على حدود العراق مع جزيرة العرب قبل الاشتباك في القادسية [٢] .

كما ظهرت كفاءة جواسيس الفرس في كشفهم نبأ تقدم خالد بن الوليد إلى « الحفير » عند قدومه إلى العراق ، برغم لجوئه إلى تشتيت قواته ، لكي تلتقي عند الهدف [٣] .

كما نجحوا في كشف نبأ انتقال خالد بن الوليد إلى الشام ، فحاولوا استغلال الموقف [٤] وظهر دورهم أيضًا عند نزول رستم في النجف [٥] .

كما حاولوا الاعتماد على بعض دهاقين السواد ، وهو ما يفسر تمرد السواد مرتين قبل القادسية [٦] وقد أشير في هذا الصدد إلى تجسس دهقان الدسكرة ، والذي قتل بعد أن كُشف أمره من جهة هاشم بن عتبة المرقال [٧] .

---

(١) محمد بن فرج المالكي ، أقضية رسول الله ﷺ ص ١٧ ، وشكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي ١٣٩ - ١٤٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٩٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤١١ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥٣٢ - ٥٣٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤١١ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٢٤ .

٦- بعض قيادات نصارى العرب :

اعتمد الساسانيون على تعاون قسم ليس بالقليل من قيادات نصارى العرب في منطقة السواد والجزيرة ، لاسيما من تغلب وإياد ، والتمر ، فعلى الرغم من وقوف قسم منهم إلى جانب أبي عبيدة الثقفي في معركة الجسر (١) .

فقد وقف قسم منهم مع الفرس المجوس في الأنبار (٢) ، وفي عين التمر (٣) ، وفي الحصيد وفي الخنافس (٤) ، وقد حاول البعض إيجاد تفسير مقبول لمواقف هؤلاء ، حيث أن قبائل ربيعة وقفت هذا الموقف نتيجة لعدائهم لبكر بن وائل ، والذي كان يمثلهم المثنى وصحبه ، وإذا كان هذا جانبا من الحقيقة ، فإن الجانب الآخر يتمثل في عدائهم للإسلام الذي أساءوا فهمه (٥) .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) معركة الجسر : هي المعركة التي حدثت في أول خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٣ هجرية / ٦٣٢ ميلادية ، بين العرب والمسلمين بقيادة أبي عبيدة الثقفي ، والفرس بقيادة ذي الحاجب مردانشاه واستشهد فيها أبو عبيدة الثقفي ، انظر البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٠٨ .

(٢) أبو حنيفة الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١١٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٧٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٧٦ .

(٥) طه الهاشمي ، خالد بن الوليد في العراق ، دراسة تاريخية - مجلة عسكرية - مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٥٤ ، مجلد ٤ جزء ١ / ٦٦ - ٦٧ .

الفصل الثالث

صفات رجال المخابرات في عصر الراشدين

يفترض في رجال المخابرات الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين أن تتوفر فيهم صفات تؤهّلهم للقيام بعملهم الصعب والمكلفين بإنجازه من قِبَلِ قادتهم وخلفائهم ، ونظرًا إلى أن الخلفاء الراشدين يتخذون الرسول ﷺ أسوة وقدوة لهم ، فإن صفات العيون في عصرهم لم تختلف عن صفات العيون في عصر الرسول ﷺ ، غير أن المساحة الجغرافية للدولة الإسلامية ولعملهم الاستخباراتي قد زادت ، وتنوعت وتعقدت الأهداف التي تم تكليفهم بها وبإنجازها ، وعلى هذا الأساس يفسر أزدياد غير العرب وغير المسلمين ضمن من يعملون في وحدات العيون استنادًا إلى الواقع الجديد وتحدياته ، وكانت عملياتهم تستهدف عمق أراضي العدو ، وأنشطته السياسية والعسكرية ، فضلاً عن الاتصال بالسكان المحليين ومحاولة تجنيدهم أوكسبهم أو لتغيير ولائهم للعمل في خدمة الدولة الإسلامية .

أما من حيث الصفات التي يتصف بها رجل المخابرات في عصر الراشدين فهي :

١ – السمع والطاعة :

تحلى رجال المخابرات في هذا العصر بالسمع والطاعة تنفيذًا لأمر الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] .

وتنفيذًا لأمر النبي ﷺ : « السمع والطاعة حق مالم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[١] .

فالسمع والطاعة والضبط أساس النظام العسكري وغير العسكري ، ولا ينجح

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه مجلد ٢ ج ٤ ص ٦٠ .

الجيش الذي لا يتحلى بالضبط في أية معركة مهما يكن عدده كثيرًا ، وسلاحه مؤثرًا ، وإذا كان هناك فرق واضح بين العسكريين والمدنيين فهو الضبط الذي يتمسك به العسكريون أو من ينطوى تحت قيادة عسكرية في كل شيء [١] .

لقد تحلى رجال المخابرات في عصر الراشدين بالطاعة التامة وبتنفيذ الأوامر أثناء قيامهم بواجبهم الاستخباري كما مرّ من قَبْل .

٢ - الذكاء :

حرص الخلفاء الراشدين على أن تتميز عيونهم وجواسيسهم بالذكاء ، حتى تكون لديها القدرة على ضم القضايا بعضها إلى بعض ، والقدرة تحليل المواقف ، والخروج بنتيجة هي مناط عمله الاستخباري ، ولا يمكن أن يكون في العين عدم ذكاء ، لأن ذلك معناه أن ضرر العين يكون أكثر من نفعه [٢] .

٣ - القدرة على تحمل الظروف الصعبة :

يتحمل رجل المخابرات الظروف الصعبة التي تقابله أو تحيط به في مهمته ، وأن يكون لديه القدرة على تكييف نفسه مع أحوال المعيشة خارج أرض الوطن ، ولديه القدرة على تمييز معاني الأشياء وإدراك أهميتها ، ومعرفة ما هو مطلوب وما هو الشيء المهم وغير المهم [٣] . وأن يكون لديه القدرة على تحمل ما ينزل به من عقوبة إن ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال بلده ، ولا يصرح بأي شيء عن وطنه وجيشه ؛ لأن تصريحه بالأخبار لن يجعل العدو يتركه ، ولن يدفع عنه سطوة العدو ، بل عليه ألا يصرح بأنه عين أو جاسوس فإن ذلك يؤدي إلى حتفه [٤] .

---

(١) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ص ٢٨٣ .

(٢) المجلة العسكرية تصدرها القوات المسلحة الأردنية عدد ٤٣ لسنة ١٩٦٥ ، ص ٦٥ .

(٣) صلاح نصر ، حرب العقل والمعرفة ص ٣٣ - ٣٤ .

(٤) انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٤ ، وانظر حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ١ / ٤٨٢ .

كما يجب على رجل المخابرات أن يكون لديه القدرة على تحمل الآلام [١] ، ولديه الاستعداد لقبول خيار الموت الطوعي [٢] .

فهذا عبد الله بن حَذَف الذي استخدمه العلاء بن الحضرمي في مواجهة ردة البحرين في عملية استخبارية لصالح المسلمين ، وذلك عندما سمع المسلمون ضوضاء في نفس معسكر المشركين ، فأرسلوا العلاء بن الحضرمي لمعرفة الخبر ، فكانت مخاطرة عظيمة لا يقدر عليها إلا عين لديه القدرة على تحمل الصعاب - فأخذوه ولم يستطيعوا معرفة أنه عين أو جاسوس للمسلمين ، وقدر على التخلص منهم والعودة إلى معسكر المسلمين وأخبارهم بسبب الضوضاء [٣] .

٤ - الشجاعة :

عُرف عن القيادة الإسلامية أنها تختار عيونها من الذين عُرفُوا بالشجاعة والنجدة ، يحملونهم على سوابق الخيل ويرسلونهم متخففين من كل ثقل يعوق حركتهم لتحقيق خفة الحركة المطلوبة ، وكانت هذه صفة الرسول ﷺ وسنته في اختيار طلائعه ، ثم صارت تلك عادة المسلمين دائما جريًا على عادتهم من الحذر والاحتراس [٤] .

وقد أوصى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده سعد بن أبي وقاص قائلاً : اختر الطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدوًا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك . وقد قال في ذلك أبو بكر الصيرفي :

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي ١ / ٣٦١ .

(٢) ابن شبة ، تاريخ ابن شبة ٢ / ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٣) انظر الخبر كاملا في الفصل الثاني من هذا الباب وانظر خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ص ١١٦ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠١ .

(٤) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ١ / ٤٨٢ ، وعبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

واجعل من الطلائع أهل شهامة للصدق فيهم شيمة لا تخدع .[١]

٥ – القدرة على الإقناع :

يجب على رجل المخابرات أن يكون لديه القدرة على الإقناع ، وهذا يتطلب قدرات ذكائية عالية ، كي يتغلب على شكوك الخصم ، ويجيب على تساؤلاته بنجاح ، وهذا الذي توفر في رجال مخابرات الخلفاء الراشدين ، ولابد أن يخفى العين شخصيته الحقيقية تحت قناع يقوم على تغير الملامح ، أو تغير في نبرات الصوت والملابس ، أو كلها مجتمعة أو منفردة ، وقد قدم عيون الخلفاء الراشدين صورًا رائعة من هذا ، فهذا عبد الله بن حذف عندما وقع في يد الأعداء من أصحاب ردة البحرين ، وكان عينًا للمسلمين ، فأخذوه ، فقالوا : منْ أنت ؟ فانتسب ، ونادى على أحدهم وكان يعرفه فمنّ عليه ورجع عبد الله إلى المسلمين دون أن يعرفوا عنه شيئًا [٢] .

٦ – الأخلاق الحسنة :

تعتبر الأخلاق الحسنة هي العنصر الأساسي الذي يتحكم في باقي العناصر والركائز التي يقوم عليها العمل الصعب في أمر الاستخبارات [٣] . والأمثلة على التحلي بالخلق كثيرة ؛ لأنه لاشك أن الأخلاق الأساسية في الإسلام كثيرة ، ولكن عند التتبع يجد الإنسان أن كثيرًا من الأخلاق التي ذكرت في الكتاب والسنة تتفرع عن أصل جامع .

٧ – تعلم لغة العدو :

إن معرفة لغة العدو وإجادتها من الضرورات الحيوية في مجال المخابرات ، سواء من

---

(١) بسام العسلي ، فن الحرب ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) عمر بن شبة ، تاريخ المدينة المنورة ٢ / ٤٦٨ – ٤٦٩ .

(٣) خالد الخب ، كفاية الاستخبارات ، المجلة العسكرية في ٢٧ / ١١ / ١٩٨٤ العدد ١٩٨ ص ١٢٨ ، ١٣١ ، طبعة مديرية المطابع العسكرية – عمان .

حيث التحدث بها أو الكتابة [١] ولقد عني النبي ﷺ بذلك فأمر أصحابه بتعلم لغة اليهود ، واتبع المسلمون والخلفاء الراشدون سنة النبي ﷺ في ذلك ، فكان القائد عمرو بن العاص أثناء حروبه مع الروم يحتفظ بمجموعة من عيونه الاستخبارية من الذين يتكلمون اللغة الرومية ، وكان يرسلهم إلى الروم متنكرين ليعودوا إليه بأخبارهم [٢] .

٨ - القدرة على الإبداع :

تعتبر هذه الصفة مهمة لرجل المخابرات ، حتى يتثنى له هذا الإبداع من خلال معالجة المشاكل الثانوية أثناء القيام بالمهام المكلف بها ، والتي لم تأخذها الخطة في خطوطها العريضة بعين الاعتبار نتيجة لمتغيرات طرأت على ميدان التنفيذ [٣] .

٩ - معرفة الطرق والمسالك :

من الصفات الضرورية للعيون والجواسيس أن يكون لهم دراية بالأسفار والطرق والمسالك ، ومعرفة البلاد التي يتوجه إليها ، فربما كان في السؤال تنبه له ، وتيقظ لأمره ، فيكون ذلك سببا لهلاكه بل ربما وقع في العقوبة ، وسئل عن حال ملكه فدل عليه ، وكان عينًا عليه لا له [٤] .

فمعرفة الطرق والمداخل ضرورية للعين والجاسوس والدليل ؛ لأنه لا يعقل أن يسأل عن الطريق فيعرف أنه غريب ، وعندما يتنبه له ، فيقع في قبضة العدو وهو لا يدري [٥] .

١٠ - كتمان المعلومات :

إن القائد الناجح يكتم عن الناس أخبار المعارك ويكتم عن الناس سرّها ، ويحاول

---

(١) انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٤ .

(٢) عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في الإسلام ص ٢١٣ - ٢١٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ٥٤٥ .

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ م ١٢٤ .

(٥) منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، كشف القناع من متن الإقناع ، نشر مكتبة النصر الحديثة - الرياض بدون تاريخ ٣ / ٦٥ .

معرفة الكثير من أسرار عدوه ، فبقدر معرفة القائد قوات عدوه ومدى استعدادها ، وستر أسرار قواته عنه يكون ظفره به أو هزيمته أمامه .

وقد عرف الرسول ﷺ أهمية كتمان المعلومات وأهمية حفظ الأسرار فكتمها في حروبه وتحركاته . وتبعه في ذلك الخلفاء الراشدون فقد ملئت وصاياهم إلى قادتهم بنصائح كثيرة تحض على كتمان السر ومعرفة الأسرار عن الأعداء ، وأهمها وصية الخليفة أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان حين أرسله إلى الشام ووصيته إلى خالد بن الوليد في قتال أهل الردة ، ووصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم جميعًا [(١)] .

١١ - الحدس الصائب والفراسة التامة :

من الصفات التي يجب أن تتوفر في رجل المخابرات أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة ، وذلك لكي يدرك بوفور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو بالمشاهدة ما كتموه من النطق به ، ويستدل فيما هو فيه يبعض الأمور على بعض ، فإذا تفرس في قضية ولاح له أمر آخر يعضدها قوى بحثه فيها بانضمام بعض القرائن إلى بعض [(٢)] .

١٢ - الثقة في نصيحته وصدقه :

يجب أن يكون رجل المخابرات ممن يوثق بنصيحته وصدقه ، [(٣)] وبهذا يوصي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بضرورة توافر هذه الصفة في رسالته إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إذ يقول : « إذا وطئت أرض عدوك فأذك العيون

---

(١) عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ص ٢١٢ ، وبسام العسلي ، فن الحرب ص ٥٣ - ٥٥ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٣ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٣ ، ٢١٤/١٠ .

بينك وبينهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره ، وإن صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك وليس عينًا لك (١) .

١٣ - الملاحظة الدقيقة :

الملاحظة الدقيقة وقوتها صفة ضرورية لرجل المخابرات فمهما كانت الملاحظة صغيرة إلا أنها من الممكن أن تكون سببًا في توجيه الأمور وتغيير مسار جيش أو تعديل خطة ، لذلك يجب أن تتوافر في العيون القدرة على الملاحظة في نظرتها إلى الأشخاص والأشياء ، مع القدرة على التعبير عنها نطقا وكتابة بوضوح ، وهذا يعني ويتطلب منه أن يكون ذا ذاكرة تعي الأرقام وتختزن الحقائق والمعلومات ، فإنه يسمع ثم يحفظ ثم يؤديها إلى الجهة التي كلفته بذلك (٢) .

١٤ - القدرة على الدهاء والحيلة :

من الصفات التي يجب أن يتحلى بها العيون الإسلامية القدرة على الدهاء والحيلة ، وكذلك الخديعة والتمويه (٣) ليتوصل بدهائه إلى كل موصل ، ويدخل بحيلته في كل مدخل ، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه ، فإنه متى كان قاصرًا في هذا الباب أو

---

(١) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ١ / ٤٨١ ، ٤٨٢ ، وبسام العسلي ، فن الحرب ص ٤٣ ، وصلاح نصر ، حرب العقل والمعرفة ص ٥٥ .

(٢) أحمد شوقي عبد الرحمن ، الملحق العسكري ص ٧٤ .

(٣) الخديعة : هي مجمل التدابير الرامية إلى إخفاء العمليات الحقيقية عن العدو ، ودفعه إلى الانتباه نحو عمليات موهومة وتشتيت قواه بشكل يسمح للعمليات الحقيقية بتحقيق القسط الأكبر من الفاعلية والمفاجأة ، وقلب توازن قواته المادية والمعنوية ، والتمويه : هي مجموعة التدابير الخاصة التي يتخذها الأفراد أو القوات ، للاختفاء عن رصد العدو البري والجوي بكل أشكاله دون أن يعطل هذا الاختفاء المهمة القتالية .

انظر الهيثم الأيوبي ورفقاءه ، الموسوعة العسكرية طبعة بيروت ١٩٧٧ م ٢ / ٥٣ ، ١ / ٣٠٩ .

شك أن يقع ظفر العروبة أو يعود صفر اليدين من طلبته [١] .

فقد قام القائد عمرو بن العاص بعملية استخبارية متحليًا فيها بالدهاء والحيلة حتى دخل أرض العدو على أنه رسول للمسلمين مبعوث إلى أرطبون الروم ، فدخل عليه ولم يعرفه ولم يكتشف أمر القائد عمرو بن العاص ، حيث تأمل حصون أرطبون الروم ، وعرف مكامن الضعف فيها وعرف مخارجها ومداخلها ، وأخذ بغيته وحقق هدفه ثم رجع إلى معسكره [٢] .

فاستطاع القائد المسلم أن يخدع عدوه بالحيلة والدهاء والتمويه حتى يصل إلى مراده ويحصل على المعلومات المطلوبة التي تخدمهم في الحرب ضد العدو .

١٥ - حب العمل والتحفز له :

يتحلى رجل المخابرات بحب العمل والتحفز له دائمًا ، ويجب أن يغمره شعور عميق بأهمية عمله وحبه له ، وذلك من خلال فهمه الكامل لطبيعة ما يؤديه من واجبات جليلة هدفها الأسمى حماية الوطن وصيانة مؤسساته الفكرية وغير الفكرية ، عليه أن يكون دائم اليقظة ، دائم الحب ؛ لأن الرجل لا يقدر على الاستطلاع ورصد المعلومات وهو مكره ، فإذا لم يحب عمله فمن الممكن أن يحرف الأخبار أو يتلقاها على غير اكتراث [٣] . فعلى رجل المخابرات أن يكون متحفزًا للعمل ولو كلفه ذلك السهر طوال الليل ، وعليه أن يعلم أن يد المساعدة لا تمد له [٤] ، فلا يمكن له أن يستطلع على الوجه الأمثل وهو مكره ، فيجب أن يكون محبًا لعمله متحفزًا له [٥] .

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

(٣) سعيد حوى ، الرسول ١ / ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٤) أحمد هاني ، الجاسوسية ص ٧٤ - ٧٥ .

(٥) سعيد حوى ، الرسول ١ / ٢٥٦ .

١٦ – السرعة في انجاز المهمة :

هذه الصفة من الصفات المهمة لرجل المخابرات وذلك لأهمية الوقت الذي تصل فيه المعلومات ، فالمعلومات إذا لم تصل في وقتها الملائم تصبح لا قيمة لها ، ولا انتفاع بها [١] .

لذلك وجب أن تتصف العيون بالسرعة في توصيل المعلومات والخفة في الحركة وتقدير الموقف .

١٧ – الإلمام بمختلف المعارف :

وهذا يعني أن رجل المخابرات عليه معرفة جانب كبير من المعارف والرياضيات واللغات خاصة لغة العدو ، ومثله في ذلك مثل تعلمه السباحة وركوب الخيل والرمي والمبارزة إذا اضطرته الظروف إلى ذلك لأنه يعتبر مع ذلك رجل فن وحرفة ، ورجل ذكي يتقن الكثير من الرياضات [٢] .

كما كان القائد عمرو بن العاص يختار عيونه خاصة من الذين يتكلمون لغة العدو كالرومية ، حيث يرسلهم إلى الروم متنكرين ليعودوا إليه بأخبارهم [٣] .

١٨ – الإخلاص في العمل :

صفة الإخلاص في العمل والتضحية ، تجعل الإنسان يشعر بأداء الواجب بكل إخلاص وأمانة ووفاء ، وأن يكون عنده الإحساس بالتضحية في سبيل الغاية التي يعمل من أجلها ، وتنفيذ ما أمره به قائده [٤] .

وذلك تحت مظلة سنة النبي ﷺ حيث قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا

---

(١) أحمد شوقي عبد الرحمن ، الملحق العسكري ص ٢٩ .

(٢) أحمد هاني ، الجاسوسية ص ٧٨ .

(٣) عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ص ٢١٣ – ٢١٥ .

(٤) أحمد هاني ، الجاسوسية ص ٧٤ .

فهو في سبيل الله [١] .

١٩ - القدرة على التخفي والتنكر :

إن العين أو الجاسوس لا يحتاج فقط إلى وسيلة اختفاء متجددة ، بل يحتاج إلى مهارة ليلعب دور الشخصية التي يختارها لاختفائه ، فمن الضروري أن يكون ممثلاً ماهرًا ، وعلى الأخص أن يكون سريع التحول من حال إلى حال ، قادرًا على أن يواجه في ثبات واتزان أخطر المواقف وأعقدها [٢] . وخير مثال على ذلك القائد عمرو بن العاص الذي اختفى وتنكر في شخصية رسول إلى امبراطور الروم واستطاع الحصول على كل ما يريد تحت ستار التخفي والتنكر ، وحقق هدفه ومراده ، ثم عاد إلى معسكر المسلمين [٣] .

٢٠ - استخدام الشفرة :

استخدام الشفرة [٤] في العصر الراشدي ليس بجديد ، فقد عني بها النبي ﷺ في العصر النبويّ ، وكان استخدامها واضحًا جليًا في غزوة الجندق ، ، وكان ﷺ حريصًا على استخدام هذا الأسلوب خوفًا على معنويات المسلمين من الانهيار [٥] .

وقد سار الخلفاء الراشدون على نهجه ﷺ في مجال العيون لاستخدام الشفرة بحيث لا يستطيع فَهم مضمونها سوى مرسلها والمرسلة إليه . فاستخدامها أمر حيوي لإخفاء محتويات الرسائل عن الأعداء ، ومن المعروف أن كل طرف من الأطراف

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه ٤ / ٢٥ ، والإمام مسلم في صحيحه ٣ / ١٩٣ .

(٢) أحمد هاني ، الجاسوسية ص ٧٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

(٤) الشفرة : لغة اصطلاحية تستخدم في نقل الرسائل في نطاق من السرية ، وذلك لمنع تسرب محتوياتها إلى الغير ، والشفرة السرية تستخدم غالبا في ثلاثة ميادين مهمّة ، الأولى في الرسائل الدبلوماسية ، والثاني في الرسائل العسكرية أبان الحروب ، والثالث يشمل أعمال الجاسوسية . انظر أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، الطبعة الثالثة دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٨ ص ٦٨٧ - ٦٨٨ .

(٥) محمود شيت خطاب ، اقتباس النظام العسكريّ ص ١٧١ - ١٧٣ .

المتحاربة يضع لنفسه شفرة خاصة [١] .

٢١ - دقة المعلومات :

أصبحت مسئولية جمع الأخبار وتثبيتها وتصنيفها وإرسالها من أهم العمليات اللازمة لوضع أي خطة عمل ، أيًا كانت أهدافها أو أدواتها أو ميادينها ، وهي عملية تتخصص لها رجال المخابرات على كل مستوى وسواء كانت هذه الاستخبارات حربية أو أمنية أو استراتيجية فكلها تلتقي على مطلب واحد وهو سرعة الحصول على أكبر قدر من المعلومات بأكبر قدر من الدقة والوضوح [٢] .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) عبد الله على السّلامة ، الاستخبارات العسكرية ص ٢١٤ .

(٢) أكرم ديري ، الوجيز في الحرب ، الطبعة الثانية - بيروت بدون تاريخ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

الفصل الرابع

انواع المخابرات في عصر الراشدين

الحديث عن أنواع المخابرات أو أنواع العيون في عصر الراشدين يتطرق بنا إلى أنواع عديدة من العيون والجواسيس ، منها ما هو معروف بالاسم ، ومنها ما ظلت مجهولة ، يخبر عنها عملها العظيم الذي قامت به ، من بين هذه العيون المعروفة عيون تنتمي إلى العرب ، وعيون نبطية ، وعيون فارسية ، وعيون بيزنطية ، وعيون يهودية ، وهذا على المسار القومي ، أما من حيث المسار الديني ، فنستطيع أن نقسم العيون إلى عيون مسلمة ، وعيون نصرانية وعيون مجوسية ، وعيون يهودية .

هذه العيون بشتى انتماءاتها تقدم العديد من العمليات الاستخبارية فمنها من يقوم بعمليات جمع أخبار ، وعمليات استطلاع ، وعمليات للتفاوض ، وعمليات تضليل .

ونعرض أنواع هذه المخابرات أو هذه العيون على أساس قومي ، وهي :

١ - عيون عربية :

هذه العيون قد تم استخدامها في العديد من العمليات الاستخبارية ، في جمع الأخبار ونقلها ، وعمليات الاستطلاع ، وعمليات خاصة وعمليات مراقبة الجهاز الإداري في الدولة ، وعمليات حرب نفسية والقيام بعمليات تفاوض مع الأعداء ، وعمليات تضليل للعدو ، من بين هذه العيون :

عبد الرحمن بن مطرح الحنفي : أدرك الجاهلية ، ولما ارتد أهل اليمامة أنكر على مسيلمة الكذاب وقومه إدعاءه النبوّة ، وأراد أن يخدم الإسلام فقام بكتابة الأخبار إلى الخليفة أبي بكر في المدينة يخبر بعورة أهل اليمامة [١] .

بكير بن وشاح الليثي : قام بعملية إخبار لصالح النعمان بن مقرن في موقعه نهاوند ،

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة طبعة دار الغد العربي - القاهرة (د . ت) ، ٥ / ٣٣٥ .

عندما انتهى النعمان بن المقرن في جنده إلى نهاوند ، طرحوا له حسك الحديد ، فبعث عيونًا ، من بينهم بكير بن وشاح ، فساروا وعلموا أخبارًا عن العدو فأبلغوا بها النعمان بن مقرن وبني عليها خطة هجومه ... »[١] .

الصَّدَىٰ بن عجلان الباهلي : شارك في عمليات استطلع في تحرير الشام تحت قيادة أبي عبيدة الجراح ، قال الصدى بن عجلان : بعثت طليعة من مرج الصُّفَّر ، معي فارسان ، حتى دخلت الغوطة فجستها بين أبياتها وشجراتها ... »[٢] .

عمرو بن معدي يكرب الزبيدي : حيث شارك في عمليات استطلاع في تحرير العراق ومعه قيس بن هبيرة الأسدي وطليحة بن خويلد ، قال سعد بن أبي وقاص لقيس بن هبيرة الأسدي : اخرج يا عاقل ، فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تحنوا عليه حتى تأتيني بعلم القوم ، فخرج وسرّح عمرو بن معد يكرب وطليحة ... »[٣] .

مجزأة بن ثور السدوسي : قام هذا الرجل بعملية خاصة في تحرير تستر ، وذلك عندما جاء رجل من أهل تستر لأبي موسى الأشعري قائد المسلمين المقيمين حول تستر وقال له : أسألك أن تحقن دمي ودماء أهل بيتي وتخلي لنا أموالنا ومساكننا على أن أدلك على المدخل لهذه المدينة ، قال أبو موسى : فذلك لك ، قال : فابغني إنسانًا سابحًا ذا عقل يأتيك بأمر بيّن ، فأرسل أبو موسى إلى مجزأة بن ثور السدوسي فقال : ابغني رجلاً من قومك سابحًا ذا عقل ، فقال مجزأة : اجعلني ذلك الرجل ، فانطلق به فأدخله من مدخل الماء ، مدخلاً يضيق أحيانا حتى ينبطح على بطنه ، ويتسع أحيانا فيمشي قائمًا ويحبو في بعض ذلك ، حتى دخل المدينة ، وقد أمره أبو موسى أن يحفظ طريق الباب ، وطريق السور ، ومنزل الهرمزان ، وقال : لا تسبقني بأمر ، فانطلق به

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١١٥ ، وابن أعثم ، الفتوح ٢ / ١٢٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٤ ، و البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٧٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥١٤ – ٥١٥ .

العلج حتى أتى الهرمزان فهمّ بقتله ، ثم ذكر قول أبي موسى لا تسبقني بأمر ، فرجع إلى أبي موسى ، فندب أبو موسى الناس معه ومضى بطائفة منهم إلى الباب فوضعهم عليه ، ومضى بطائفة إلى السور ، ومضى بمن معه حتى صعد السور فانحدر عليه علج معه نيزك فطعنه مجزأة فأثبته وأصابه ، وكبر المسلمون على السور وعلى الباب ، وفتحوا الباب ، وأقبل المسلمون حتى دخلوا المدينة ، وتحصن الهرمزان في قصبة له (١) .

حمران بن أبان وأبو الأسود ظالم بن عمرو : كلاهما قام بعملية مراقبة الجهاز الإداري في الدولة ، وهذا يعد دور حاسم على الصعيد الداخلي في المراقبة الإدارية (٢) .

عمير بن ضابئ : قام عمير بعملية حرب نفسية في عمليات اليمامة ضد مسيلمة الكذاب (٣) .

عمرو بن العاص : قام كعين من عيون المسلمين بمفاوضات في إجنادين ، ومفاوضات في بابليون (٤) .

عبد الله بن حذف : قام بعملية تضليل في حرب البحرين ضد المرتدين ، عندما حاصر العلاء بن الحضرمي البحرين عندما ارتدوا ، وكاد المسلمون أن يهلكوا من الجهد ، فسمعوا أصواتا كثيرة شديدة ، فقال عبد الله بن حذف : « دعوني أهبط من الحصن فآتيكم بالخبر ، فنزل من الحصن فأخذوه فقالوا : من أنت ؟ فانتسب وجعل ينادي يا أبجراه فعرفه أبجر فمنّ عليه ، واستطاع بهذا النداء أن يضلل القوم ، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم أن القوم سكارى ، فبيّتهم العلاء بن الحضرمي فيمن معه فقتلوهم قتلاً شديدًا (٥) .

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ١٤٦ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ٥ / ٥٧ - ٥٨ .

(٣) سلمان بن موسى الكلاعي ، تاريخ الردة ، طبعة دلهي الجديدة ١٩٧٠ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٦٠٥ - ٦٠٦ ، وابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٦٢ .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ١١٦ ، وسلمان الكلاعي ، تاريخ الردة ص ١٣٩ - ١٤٠ .

٢ - عيون نبطية :

هذه العيون النصرانية تم استخدامها في عمليات إخبارية سواء في تحرير الشام أو تحرير العراق من بين هذه العيون :

صلوبًا بن نسطونا : قام بعملية استخبارية في تحرير العراق ، فقد تعاون مع أبي عبيد الثقفي الذي قدم العراق قائدًا للجيش الإسلامي بعد مغادرة خالد بن الوليد إلى الشام (١) . خاصة أنه كان دهقانا - أي زعيم فلاحي العجم .

كما تعاون صلوبًا مع المثنى بن حارثة بعد معركة الجسر (٢) .

شيرزاد دهقان ساباط : قام شيرزاد بعملية إخبارية في عمليات تحرير العراق ، فعندما دخل المسلمون مدينة بهرسير ، ونزل سعد بن أبي وقاص عليها بث الخيول ، فأغارت على ما بين دجلة إلى من له عهد من أهل الفرات ، فأصابوا فئة ألف فلاح ، فحسبوا ، فأصاب كل منهم فلاحًا ، وذلك أن كلهم فارس ببهرسير ، فخندق لهم ، فقال له شيرراد دهقان ساباط : إنك لا تضع بهؤلاء شيئًا ، إنما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجروا إليك ، فدعهم إليّ حتى يفرق لكم الرأي - أي يبدو ويظهر - فكتب عليه بأسمائهم ، ودفعوا إليه ، فقال شيرزاد : انصرفوا إلى قراكم (٣) .

بسطام دهقان بُرْس : قام بسطام بإخبار القائد المسلم زهرة بن الحوية التميمي ، وذلك يوم أن طعن زهرة قائد العدو بُصْبُهرى في يوم بُرْس فوقع في النهر فمات من طعنته بعدما لحق ببابل ، ولما هُزم بُصْبُهرى أقبل بسطام دهقان برس ، فاعتقد من زهرة وعقد له الجسور ، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل (٤) .

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٩٥ ، وخليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ١٢٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٦٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٢٠ .

زاذ بن بهيش : قام زاذ بعملية استخبارية في عمليات تحرير العراق ، فكان الدّهاقين يتربصون بالقائد المسلم خالد بن الوليد ، وينظرون ما يضع أهل الحيرة ، فلما استقام ما بين أهل الحيرة وخالد بن الوليد ، واستقاموا له ، أتته دهاقين الملطاطين ، وأتاه زاذ بن بهيش دهقان فرات سِرْيا ، وصلوبا بن نسطونا بن بصبهرى (١) .

٣ - عيون فارسية :

من هذه العيون الفارسية التي عملت لصالح المسلمين وقدمت الأخبار والمعلومات التي تساعد في تحرير العراق ما يلي :

نسيبة بن دارنة الفارسي المجوسي : قدم نسيبة هذا معلومات استخبارية في عمليات تحرير العراق في وقعة « تستر » ، وذلك عندما سأل نسيبة هذا القائد المسلم أبا موسى الأشعري في « تستر » الأمان في مقابل أن يدلهم على المدخل إلى هذه المدينة ، فأعطاه القائد المسلح الأمان وقدم نسيبة الأخبار التي تساعد المسلمين على دخول المدينة حتى دخلوها ليلاً وانهزم الهرمزان (٢) .

الفرخان بن الزنبدي الفارسي المجوسي : قدم أخبارًا للقيادة الإسلامية حول تحرير الرّي ، وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما انصرف عروة بن زيد بعد فتح الري بعث حذيفة على جيشه سلمة بن عمرو بن ضرار الضبي ، ويُقال البراء بن عازب ، وقد كانت وقعة عروة كسرت الديلم وأهل الري ، فأناخ على حصن الفرخان بن الزينبدي والعرب يسمونه الزينبي ، وكان يُدعى عارين ، فصالحه ابن الزينبي بعد قتال على أن يكونوا ذمة يؤدون الجزية والخراج ، وأعطاه عن أهل الرّي

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٨ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ١٤٥ - ١٤٦ .

وقومس خمسمائة ألف على أن لا يقتل منهم أحدًا ، ولا يسبيه ، ولا يهدم لهم بيت نار ، وأن يكونوا أسوة أهل نهاوند في خراجهم (١) .

٤ – عيون بيزنطية :

من أنواع العيون التي استعملها المسلمون وأمدتهم بالأخبار والمعلومات رغم اختلاف قوميتهم ، ثم اعتناق بعضهم للإسلام ، العيون البيزنطية من بين هؤلاء :

روماس حاكم بصري : قام بعملية استطلاع تخدم تحرير الشام عن طريق تقديم المعلومات والأخبار التي تخدم القوات الإسلامية ، رغم انتمائه القومي البيزنطي إلا أنه مسلم (٢) .

٥ – عيون يهودية :

من بين أنواع المخابرات التي عملت لصالح المسلمين هي العيون اليهودية ، ومن بين هذه العيون ما يلي :

يوسف اليهودي : قدم معلومات مهمة للمسلمين في فتح قيسارية ، فعندما حاصر معاوية بن أبي سفيان قيسارية حتى يئس من فتحها ، وكان عمرو بن العاص وابنه حاصراها ففتحها معاوية قسرًا ، فوجد بها من المرتزقة سبع مئة ألف ، ومن السامرة ثلاثين ألفًا ، ومن اليهود مائتي ألف ، ووجد بها ثلاث مئة سوق قائمة كلها ، وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مئة ألف ، وكان سبب فتحها أن يوسف اليهودي أتى المسلمين ليلاً فدلهم على طريق في سرب فيه الماء إلى حقو الرجل على أن أمّنوه وأهله ، وأنفذ معاوية ذلك ، ودخلها المسلمون في الليل ، وكبروا فيها ، ودخلها معاوية ومن معه (٣) .

ما سبق أن أوضحناه بالدليل فهو من أنواع العيون المعروفة ، ورغم ذلك فإن العيون

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٩٠ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٥١٢ – ٥١٤ .

(٢) الواقدي ، فتوح الشام ٢ / ١١٥ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٦٧ – ١٦٨ .

التي لم تعلم بعد ولم تُعرف أكثر من التي عُرفت سواء التي قامت بتقديم المعلومات المهمة في حركات الردة ، أو العيون التي قدمت معلومات في عمليات تحرير الشام ، أو العيون التي قدمت معلومات في تحرير العراق وفارس ، أو العيون التي قدمت معلومات في تحرير مصر وأفريقية ، أو العيون التي قامت بمراقبة الجهاز الإداري للدولة أو التي قامت بمراقبة شخصيات مهمة ، أو العيون التي قامت بتقديم معلومات وأخبار عن أحداث الفتنة الكبرى بين سيدنا علي بن أبي طالب وسيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ، فعلى سبيل المثال :

١ - عيون حركات الردة :

عين غير معروفة قامت بتقديم معلومات عن مصدر المياه الذي يزود مدينة الزارة [١] إحدى مدن البحرين المشهورة قبل الإسلام [٢] .

وعين أخرى قدمت معلومات وأخبار أفادت زياد بن لبيد [٣] ، في اقتحام حصن النحير في حضرموت [٤] .

٢ - عيون عمليات تحرير الشام :

هناك العديد من العيون غير المعروفة قامت بدور عظيم في تحرير الشام حتى قدمت معلومات وأخبار عن عدد القوات البيزنطية في الشام [٥] . وقدمت أخبارًا عن تحشدات بيزنطية في أنطاكية [٦] وعن حشود بيزنطية في أجنادين [٧] ، وعن حشود

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ١٢٥ ، و البلاذري ، أنساب الأشراف ص ١٠٤ .

(٢) انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ / ١٢٦ .

(٣) زياد بن بعيد ، من بني بياضة من الأنصار ، شهد العقبة والمشاهد كلها ابن عبد البر ، الاستيعاب ٢/٥٣٣

(٤) البلاذي ، أنساب الأشراف ٢/٣٩٩ ، والكلاعي ، تاريخ الردة ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٥) الواقدي ، فتوح الشام ٢ / ١٢٢ .

(٦) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٣٠ ، وابن أعثم ، الفتوح ١ / ١٣٢ .

(٧) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٨٤ ، وابن أعثم ، الفتوح ١ / ١٤٣ - ١٤٤ .

بلغت عشرين ألفًا من البيزنطيين في بعلبك [١] ، وعن حشود بيزنطية أثناء حصار حمص [٢] وعيون قدمت أخبارًا عن تنديد القائد البيزنطي ماهان بأهل حمص بعد استعادتها [٣] ، وعيون قدمت معلومات وصلت إلى خالد بن الوليد عن وجود حشود معادية من نصارى العرب في زيزاء أثناء تقدمه من العراق إلى الشام [٤] .

وعيون قدمت معلومات عن وجود حشود بيزنطية قبل معركة اليرموك [٥] .

وعيون قدمت أخبارًا وصلت ليلة معركة اليرموك عن إكمال البيزنطيين حشد قواتهم [٦] ، وعيون قدمت أخبارًا ومعلومات عن خيانة سكان عربسوس [٧] ، وتعاملهم مع البيزنطيين [٨] . وعيون قدمت معلومات عن حشود بحرية بيزنطية في البحر المتوسط في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه [٩] . وعيون قدمت معلومات عن تحرك حملة بحرية بيزنطية إلى جزيرة صقلية ، أثناء حملة معاوية بن أبي سفيان إليها [١٠] .

٣ – عيون عمليات تحرير العراق وفارس :

يوجد العديد من العيون التي قدمت معلومات ساعدت في تحرير العراق وفارس من بين هذه العيون ، عيون قدمت معلومات إلى خالد بن الوليد أثناء تحركه إلى

---

(١) ابن أعثم ، الفتوح ١ / ١٥٧ .

(٢) ابن أعثم ، الفتوح ١ / ٢١٥ – ٢١٦ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ١ / ٢٢٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٨٨ – ٣٨٩ .

(٥) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٥٣ .

(٦) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٢١٢ .

(٧) عربسوس : مدينة من مدن الثغور الشامية ، البكري ، معجم ما استعجم ٣ / ٩٢٩ .

(٨) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٨٥ – ١٨٦ .

(٩) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ٢ / ١٢٨ .

(١٠) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ٢ / ١٤٤ .

الحفير [١] عن معرفة القوات الساسانية لهدفه المباشر [٢] وعيون قدمت معلومات عن حشود ساسانية في المذار [٣] بقيادة قباذ وأنوشجان [٤] وعيون قدمت معلومات عن حشود ساسانية مع نصارى العرب في أليس [٥] . وعيون قدمت معلومات عن وصول أنباء تقدم القوات الساسانية بقيادة هرمز ماذويه ، بعد رحيل خالد بن الوليد إلى الشام [٦] . وعيون قدمت معلومات نقلت إلى المثنى بن حارثة عن انشقاقات في صفوف القيادات الفارسية في السواد [٧] . وعيون قدمت معلومات وأخبار وصلت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن خلافات بين قيادة جبهة العراق المتمثلة في المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله البجليّ [٨] وعيون قدمت معلومات تتعلق بتطورات الأوضاع السياسية في البلاط الساساني [٩] ، وعيون قدمت معلومات وأخبار عن خطة يزدجرد لمغادرة المدائن خلال ثلاثة أيام بعد القادسية [١٠] .

وعيون قدمت معلومات عن حشود ساسانية في جلولاء وبيزنطية في تكريت [١١] .

---

(١) الحفير : أول منزل من البصرة لمن يريد مكة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٢٧٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٣) المذار : منطقة تقع بين البصرة وواسط ، تبعد عن البصرة حوالي ٢٤٠ كم . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ٨٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥١ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤١٢ .

(٧) المصدر نفسه ٣ / ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٨) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ١ / ١٧٢ .

(٩) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٩٥ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٠ .

(١١) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ١ / ١٧١ .

وعيون قدمت معلومات عن محاولة البيزنطيين الانسحاب من تكريت عن طريق نهر دجلة [(١)] . وغيرها الكثير والكثير .

٤ - عيون عمليات تحرير مصر وأفريقية :

يوجد من هذه العيون الكثير ، حيث قدمت الأخبار والمعلومات التي تخدم القيادة الإسلامية في قراراتها وشئون حياة الدولة ، من بين هذه العيون ، عيون قدمت معلومات وصلت إلى عمرو بن العاص ، وساعدت في إدارة المفاوضات ، مع أحد مسؤولي أبواب الإسكندرية [(٢)] . وعين قدمت أخبارًا أفادت في معركة عين شمس [(٣)] ، وعيون رافقت حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أفريقية [(٤)] وعيون تعاونت مع عمرو بن العاص في حصار الفرما [(٥)] .

٥ - عيون لمراقبة الجهاز الإداري :

من بين العيون مَنْ كان يقوم بتقديم الأخبار والمعلومات عن سير هذا الجهاز ومدى صلاحيته وضبطه من بين هذه العيون ، عيون قدمت معلومات عن شراء جرير بن عبد الله أرض في السواد هذه المعلومات وصلت إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [(٦)] . وعيون قدمت معلومات عن تصرفات مالية لخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وصلت كلها إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [(٧)] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٥ - ٣٦ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٨٠ .

(٣) جمال الدين الشيال ، مصر الإسلامية ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ١ / ١٦

(٤) المالكي ، رياض النفوس ص ١١ - ١٢ .

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٥٨ - ٥٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٣ .

(٧) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٦٧ ، وابن عبدربه ، العقد الفريد ١ / ٣٥ .

وعيون قدمت معلومات عن ظهور أموال لكل من الحارث بن وهب أحد عمال عمر رضي الله عنه ، وأبي هريرة والي البحرين لعمر رضي الله عنه[1] كلها وصلت إلى عمر .

وعيون قدمت معلومات عن تصرفات مالية لعبد الله بن عباس عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2] وتصرفات مالية للمنذر بن الجارود عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على اصطخر [3] كلها وصلت إلى الإمام علي رضي الله عنه .

٦ - عيون لمراقبة شخصيات مهمة :

قامت هذه العيون بتقديم معلومات مهمة عن شخصيات مهمة داخل الدولة ، من بين هذه العيون ، عيون قدمت معلومات عن شكوى عيينة بن حصن من معاملة عمر بن الخطاب رضي الله عنه له [4] .

٧ - عيون عمليات أحداث الفتنة :

هناك العديد من العيون التي راقبت أحداث الفتنة بين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، واستطاعت هذه العيون تقديم معلومات عن أحداث هذه الفتنة ، من بين هذه العيون ، عيون قدمت معلومات وأخبار وصلت إلى معاوية بن أبي سفيان ، عن أضرار واليه على الجزيرة ، إلى التراجع أمام الأشتر ابن مالك ، قائد الخليفة علي بن أبي طالب [5] . وعيون قدمت معلومات وأخبار وصلت إلى الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن إرغام قواته على التراجع في إحدى معارك صفين [6] . ، وعيون قدمت معلومات إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عن

---

(١) ابن عبدربه ، العقد الفريد ١ / ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١٤١ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٤) ابن شبة ، تاريخ ابن شبة ٢ / ٦٨٩ - ٦٩٠ .

(٥) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ص ١٢ - ١٣ .

(٦) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ص ٣٦٠ .

استعدادات يقوم بها الخليفة علي بن أبي طالب للعودة إلى الشام بعد فشل التحكيم [١] .

وعيون قدمت معلومات وأخبار وتم نقلها إلى معاوية عن الانشقاقات التي حدثت في صفوف أنصار الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٢] كما وُجدت عيون من قِبَلِ معاوية اتصلت بقيادات تابعة للإمام علي رضي الله عنه لتغير ولاءها [٣] . وعيون لمعاوية أشاعت مقتل قيس بن سعد أثناء تقدم الحسن بن علي إلى الشام بعد بيعته [٤] .

---

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ / ١١٣ .
(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ / ١١٤ .
(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ٢ / ٣٨٣ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٥ .

الفصل الخامس

أساليب الأمن في مواجهة عيون العدو

إن توفير الأمن ومستلزماته يعتمد على الأداء الجيد للعيون والجواسيس ، كما يؤدي إلى عدم كشفهم في الوقت نفسه ، فضلاً عن مقاومة التجسس المضاد ، وتأمين الخطط والأهداف والقيادات ، ومن هذا المنطلق نجد أن المسلمين في عصر الخلفاء الراشدين اتبعوا ما يحقق ذلك كله ، ورغم ذلك لم تخل عملياتهم من خروقات محدودة يقوم به الأعداء ، فتحقيق الأمن التام حالة مستحيلة ، ولكن الحالة المقبولة هي الوصول إلى أفضل ما يمكن من تحقيق الأمن ، وتقليل الأخطاء إلى أقل حد ممكن وهذا ما قد سعى إليه الخلفاء الراشدون في عصرهم ، فقد عملوا على توفير أكبر قدر من الحماية والسِّرية والكتمان ، وتحقيق أمن القيادة ، ومنع إدخال الأعاجم من غير المسلمين إلى المدينة ، ومنع تسرب الأخبار من معسكرات المسلمين إلى قادة العدو ، وعدم تمكين العدو من الاستفادة من أي مصدر عربي ، كما ضمنوا مقاومة التجسس المضاد ، والاستفادة من جواسيس العدو ، وحرصهم على اصطياد جواسيس الأعداء أحياء من أجل الاستفادة من المعلومات الموجودة عندهم .

ونستطيع بعد ذكر مجمل الحديث عن أساليب الأمن في مواجهة عيون العدو أن نتكلم بشيء من التفصيل وذلك على النحو التالي :

١ - توفير الحماية والسِّرية والكتمان :

تقوم القيادة الإسلامية بتوفير الحماية والسِّريَّة والكتمان ، لذلك كانت العمليات الاستخبارية التي تقوم بها العيون والجواسيس تتم ليلاً بشكل عام ، كما حدث في فتح رامهرمز وتستر في السنة السابعة عشرة ، عندما خرج إلى النعمان بن مقرن قائد المسلمين رجل من أهل مدينة تستر وهم يحاصرونها ، فاستأمنه النعمان على أن يدلّ على مدخل يُؤْتَوْن منه ، ورمى في ناحية أبي موسى بسهم فقال : قد وثقت بكم

وأمنتكم واستأمنتكم على أن دللتكم على ما تأتون منه المدينة ويكون منه فتحها ، فآمنوه في نشابة فرمى إليهم بآخر ، وقال : انهدوا من قِبَلِ مخرج الماء ، فإنكم ستفتحونها ، فاستشار في ذلك وندب إليه ، فانتدب له مجموعة من العيون هم : عامر بن عبد قيس ، وكعب بن سُور ، ومجزأة بن ثور وحسكة الحبطيّ وغيرهم ، فنهدوا لذلك المكان ليلاً ، وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرّجل ، فانتدب له سويد بن المثعبة ، وورقاء بن الحارث ، وبشر بن ربيعة الخثعمي ، ونافع بن زيد الحميري ، وعبد الله بن بشر الهلالي ، فنهدوا في كثير ، فالتقوا هم وأهل البصرة على هذا المكان أو هذا المخرج ، وقد انسرب سويد وعبد الله بن بشر ، فأتبعهم هؤلاء وهؤلاء ، حتى إذا اجتمعوا فيها - والناس على رجْل من خارج - كبروا فيها وكبر المسلمون من خارج ، وفتحت الأبواب ، فاجتلدوا فيها ، فأناموا كل مقاتل ، وأرز الهُرمزان إلى القلعة ، وأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء ، فلما عاينوه وأقبلوا قِبَلَهُ قال لهم : ماشئتم ، قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم ، ومعي في جيشي مائة نشابة ، والله ما تصلون إليّ مادام معي منها نشابة ، وما يقع لي سهم ، وما خير إسادى إذا أصبتُ منكم مئة بين قتيل أو جريح ، قالوا : فتريد ماذا ؟ قال : أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما شاء ، قالوا : فلك ذلك [١] .

لقد لاحظنا من خلال هذا الأحداث أن العيون الإسلامية كانت تقوم بهذه العمليات الاستخبارية ليلاً حفاظًا على السّريّة والكتمان .

كما كانت القيادة تجتمع سرًا مع هؤلاء العيون عند عودتهم وعلى أضيق نطاق ، وتلجأ العيون إلى ارتداء أزياء العدو للتمويه ، ففي فتح السوس عندما خشي كبراء السوس من المسلمون وأجمعوا على أن يدخلوا في دين المسلمين ، فوجهوا شيرويه

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٨٥ - ٨٦ .

في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى فقال : إنا قد رغبنا في دينكم ، فنسلم على أن نقاتل معكم العجم ، ولا نقاتل معكم العرب ، وإن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منه ، وننزل حيث شئنا ، ونكون فيمن شئنا منكم ، وتلحقونا بأشراف العطاء ، ويعقد لنا الأمير الذي هو فوقك بذلك ، فقال أبو موسى : بل لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، قالوا : لا نرضى .

وكتب أبو موسى إلى عمر رضي الله عنه ، فكتب إلى أبي موسى : أعطهم ما سألوك ، فكتب أبو موسى لهم ، فأسلموا ، وشهدوا معه حصار تستر ، فلم يكن أبو موسى يرى منهم جدًّا ولا نكاية ، فقال لسياه : يا أعور ما أنت وأصحابك كما كنا نرى ، قال : لسنا مثلكم في هذا الدين ولا بصائرنا كبصائركم ، وليس لنا فيكم حرم نحامي عنهم ، ولم تلحقنا بأشراف العطاء ولنا سلاح وكراع وأنتم حسر ، فكتب أبو موسى إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه عمر : أن ألحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذه أحد من العرب ، ففرض لمئة منهم في ألفين ألفين ، ولستة منهم في ألفين وخمسمائة لسياه وخسرو - ولقبه مِقْلاص - وشهريار ، وشهرويه وأفروذين . قال : فحاصروا حصنا بفارس فانسل سياه في آخر الليل في زي العجم ، حتى رمى بنفسه إلى جنب الحصن ، ونضح ثيابه بالدم ، وأصبح أهل الحصن ، فرأوا رجلاً في زيّهم صريعًا ، فظنوا أنه رجل منهم أصيبوا به ، ففتحوا باب الحصن ليدخلوه ، فثار وقاتلهم حتى خلوْا عن باب الحصن وهربوا ففتح الحصن وحده ، ودخله المسلمون [١] .

لقد استطاع سياه أن يتنكر في زيّ العجم ونجح في التمويه على الأعداء سواء عن طريق الثياب أو نضح الثياب بالدماء ، حتى استطاع أن يصل إلى هدفه .

كما لجأ العيون إلى تمثيل أداء يعبر عن الحاجة والجوع الشديد ، والاستنجاد

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٩١ .

بالقرابة ، مثل ما حدث مع عبد الله بن حذف كعين من عيون المسلمين استخدمه العلاء بن الحضرميّ أثناء حصاره للبحرين أثناء ردتهم ، كاد المسلمون أن يهلكوا من التعب ، فسمعوا أصواتا كثيرة شديدة ، فقال عبد الله بن حذف : دعوني أهبط من الحصن فآتيكم بالخبر ، فنزل من الحصن فأخذوه فقالوا : من أنت ؟ فانتسب وجعل ينادي يا أبجراه ، فعرفه أبجر فمنّ عليه ، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم أن القوم سكارى فبيتهم العلاء فيمن معه فقتلوهم قتلاً شديدًا (١) .

كما لجأ المسلمون كذلك إلى استخدام العيون والجواسيس من سكان البلاد المحررة والمفتوحة بكثرة من أجل توفير أكبر قدر ممكن من الأمن ، أثناء العمل على شتى الميادين .

٢ – تحقيق أمن القيادة :

يعد تحقيق أمن القيادة من أساليب الأمن في مواجهة العدو ، فقد كان الحس الأمني عند الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سبيل المثال عال جدًّا ، وهو الذي جعله لا يأذن للصبيان الذين بلغوا من أسرى العدو بدخول المدينة لأنها عاصمة الدولة الإسلامية وفيها الخليفة وتضم بين جنباتها قيادات الدولة وكبار قادة الأمة من أهل الحلّ والعقد والشورى . فعن ابن شهاب قال : كان عمر لا يأذن لِسَبْي قد احتلم في دخول المدينة (٢) .

وكانت رسائله رضي الله عنه إلى قادته « ... لا تجلبوا علينا من العلوج أحدًا جرت عليه المواسى » (٣) .

ويبدو أن السماح فيما بعد بدخول هؤلاء الأسرى من الأعاجم البالغين ، جاء نتيجة

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ص ١١٦ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٢٥٠

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٢٥٠ ، ٢٥٣ .

لضغوط قوى كثيرة ، كانت تضغط على الخليفة عمر رضي الله عنه من أجل إدخال هؤلاء إلى المدينة للاستفادة من خدماتهم المهنية ، كالصناعة والنجارة والحدادة والنقاشة ، مثل ما كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة إلى عمر بن الخطاب يذكر له غلامًا عنده صنعًا ، ويستأذنه أن يُدخله المدينة ، ويقول : إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس ، إنه حداد نقاش نجار ، فكتب إليه عمر فأذن له أن يرسل به إلى المدينة [١] .

ومن هذه الثغرة نفذ أبو لؤلؤة فيروز المجوسي [٢] وآخرون ، وهو ما أثار انتباه عيينة بن حصن الفزاري ، سيد غطفان ، والذي اقترح على الخليفة منع إدخال الأعاجم من غير المسلمين إلى المدينة ، وحذره من أن تكون نهايته على أيديهم [٣] .

كما اتخذ عمر ضمن أساليب أمن القيادة رفضه زواج الإداريين من كبار الصحابة من النساء الكتابيات ، خوفًا على حياة القادة ، وخوفًا على تسرب أسرار الدولة عن طريق زوجاتهم الكتابيات ، من خلال احتمال تعاطف هؤلاء الزوجات مع بني جنسهن ، هو السبب في موقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أكثر مما يتعلق الأمر بالأبعاد الاجتماعية المعروفة ، كما حدث مع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عامله على الخراج في الكوفة ، وعندما سأله حذيفة : « أحرام هي ؟ قال : لا ، ولكنك سيد المسلمين » ففارقهما حذيفة [٤] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٢٥٠ ، والبكري ، معجم ما استعجم ١ / ٤١٧ .

(٢) أبو لؤلؤة فيروز المجوسي : كان فارسيًا من نهاوند ، وأسَرتْه القوات البيزنطية في إحدى معاركها ضد الفرس الساسانيين ، فاعتنق النصرانية وتنصر هناك ، ثم عاد فأسَرتْه القوات الإسلامية ، انظر الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٣٦ ، ويقول عنه ابن أعثم بأنه كان مجوسيًا ، انظر ابن أعثم ، الفتوح ٢ / ٨٣ .

(٣) البكري ، معجم ما استعجم ١ / ٤١٧ .

(٤) سعيد بن منصور ، مسند سعيد بن منصور ١ / ١٩٣ - ١٩٤ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥٨٨ .

٣ مقاومة التجسس المضاد :

تعد مقاومة جواسيس العدو من الأساليب الأمنية في مواجهة العدو ، وفي عهد الخلفاء الراشدين نجد صورًا كثيرة ومتنوعة من هذه المقاومة ، وإنجازات عديدة ، تكمن أهميتها في أن الأعداء لاسيما من البيزنطيين والفرس كانوا يملكون خبرة جيدة ، اكتسبوها من خلال تجاربهم العسكرية ، عبر مئات السنين وعبر أعداء مختلفين ، ففي أثناء تحرير الشام نجد أن أبا عبيدة رضي الله عنه عندما نزلت قوات التحرير في اليرموك [١] أقام الحراس والطلائع ووجه العيون والجواسيس من المعاهدين وأمرهم أن يدخلوا عساكر الروم يجسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم ، كما وجه عيونه أيضا على كافة الطرق التي تقود إلى أرض المعركة ، وذلك لمنع تسرب الأخبار من معسكرات المسلمين إلى قادة العدو ، سواء عبر من قد تسلل من جواسيسهم في صفوف القوات العربية ، أو من سوف يحاول التسلل [٢] .

ففي أثناء حصار مدينة حلب دفعت دواعي الأمن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أن يطلب من خالد بن الوليد أن يجول في معسكر المسلمين الذي هو معسكرهم ليختبر أمر الناس لعله يقع على أحد من جواسيس العدو مندسًا بين معسكر المسلمين ، نتيجة لتسلل الجواسيس البيزنطيين داخل القوات الإسلامية ، لكي يرفعوا الأخبار والتقارير إلى البيزنطيين ، فركب خالد بن الوليد فرسه وأمر الناس أن يدوروا في عسكرهم وأن يقبضوا على كل مَنْ أنكروه ، فبينما خالد بن الوليد في طوافه إذ نظر إلى رجل من العرب المتنصرة وبين يديه عباءة يقلبها ، فجعل خالد يرقبه فاستراب الرجل

---

(١) اليرموك : التقى فيه جمع الروم الأعظم والمسلمين وأميرهم أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد ، انظر عبد الله بن عبد العزيز البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، طبعة عالم الكتب - بيروت ١٩٤٥ م. ٢ / ١٣٩٢ .

(٢) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ١٦٦ .

منه فناداه ، وقال : من أي الناس أنت يا أخا العرب ؟ قال : أنا رجل من اليمن . قال مِنْ أيّها ؟ فأراد الرجل أن يقول وينتمي إلى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه ، فقال : أنا من غسان ، فلما سمع خالد كلامه قبض عليه ، وقال : يا عدوّ الله أنت عين علينا لعدونا . قال : ما أنا متنصر ، وأنا مسلم ، فأتى به خالد إلى أبي عبيدة ، وقال : أيها الأمير قد رابني أمر هذا الرجل ، لأنني ما رأيته قط إلا هذا اليوم ، وقد ذكر أنه من غسان ، ولاشك أنه من عُبّاد الصليب . فقال أبو عبيدة : اختبره يا أبا سليمان ، قال : وكيف أختبره ؟ قال : اختبره بالقرآن والصلاة ، فإن أجابك وإلا فهو كافر ، فقال له خالد : فصل ركعتين واجهر بالقراءة فيهما فلم يدر ما يقول ، فقال له خالد : أنت يا عدوّ الله عين علينا ، ثم استخبره عن شأنه فأخبره وأقرّ أنه عين عليهم ، فقال له خالد : أنت وحدك ؟ قال : لا ، ولكنا ثلاثة أنا أحدهم والاثنان قد ذهبا إلى القلعة ليخبرا قائد الروم بخبركم ، وأنا قد تخلفت لأنظر ما يكون من أمركم ، فقال أبو عبيدة : أخبرني أيما أحب إليك : القتل أو الإسلام فليس بعدهما شيء ، فقال الغساني أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله (١) .

٤ - ترحيل سكان مدينة عربسوس لإجراءات أمنية :

إحدى مدن الثغور وهذه المدينة ، قد تحولت إلى قاعدة للتجسس البيزنطي ، برغم أن معاهدة الصلح تلزمها أن تقدم خدمات تجسسية إلى المسلمين وليس العكس ، ونظرًا لعدم استجابتهم للتحذيرات الموجهة إليهم ، فقد فاتحت قيادة الشام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشأن طبيعة الإجراءات التي يجب أن تتخذ بحقهم ، فأمر عمر رضي الله عنه بترحيلهم إلى داخل الأراضي البيزنطية مع تعويضهم عن أراضيهم وممتلكاتهم تعويضًا سخيًا ، عبر مضاعفة ما يدفع لهم بقدر ما يساوي أموالهم مع

---

(١) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ٢٥٩ .

إعطائهم مهلة لمدة سنة ، وفي حالة رفضهم الإنذار تعلن الحرب عليهم ، وقد رحل سكان هذه المدينة في نهاية المطاف ودمرت مدينتهم [١] .

إن ترحيل سكان مدينة عربسوس يعتبر خطوة أمنية متقدمة من أجل تجفيف ينابيع العدوّ التجسسية ، والتي تحتل مرتبة متقدمة في إجراءات الأمن ، وضمن السياق نفسه يمكن فهم قرار الخليفة عمر رضي الله عنه بترحيل نصارى نجران والذي كانت له أبعاد أمنية ، فضلاً عن الأبعاد العقدية ، من خلال قول النبي ﷺ : « لاَ يَجْتَمِعُ دِيْنَانِ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ » [٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم « لأُخْرِجَنّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ حَتَّى لاَ أَدَعُ إِلاَّ مُسْلِمًا » [٣] .

فنصارى نجران عبروا عن خطرهم المبكر على الدولة الإسلامية ، من خلال تعاونهم مع الأسود العنسي [٤] ، ومن خلال عودتهم إلى التسلح واقتناء الخيول ، والتي كان محظورًا عليهم امتلاكها ، ضمن معاهدتهم مع المسلمين [٥] زاد الأمر خطورة علاقتهم مع الحبشة والدولة البيزنطية ، حيث يجمع الثلاثة كنيسة واحدة ، كما هو معروف ، فالولاء العقدي قد ينعكس في معظم الأحيان إلى مواقف سياسية ، وإلا فبماذا يفسر مهاجمة الأحباش لسواحل مكة في الشعبية في نهاية عصر الرسول ﷺ [٦] ، وعودتهم إلى الهجوم البحري ثانية ، على سواحل اليمن بعد ترحيل نصارى نجران في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه [٧] وتكرارهم

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ١٨٥ – ١٨٦ .
(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٢ / ٤٤ ، وقد روى هذا الحديث الطبراني .
(٣) الحديث رواه مسلم في صحيحه ٥ / ١٦٠ .
(٤) صالح أحمد العلي ، الدولة في عهد الرسول ، طبعة بغداد ١٩٨٨ م . ص ٣٧٢ .
(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٧٨ .
(٦) الواقدي ، كتاب المغازي ٣ / ٩٨٣ .
(٧) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١١٢ .

الهجوم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه [١] .

فعندما ننظر إلى نصارى نجران ونعاين موقفهم نجدهم قنبلة موقوتة بلغة العصر قد تنفجر في أي وقت قرب مكة ، ومن ثم المدينة من خلال الموقع الجغرافي ، في ظل وجود حليف خارجي قوي ، يمتلك إمكانيات كبيرة كالدولة البيزنطية .

لقد وجد التهديد الحبشي صداه زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حوار بينه وبين علي رضي الله عنه [٢] .

ويمكن كذلك تفسير موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إصراره على الحيلولة دون رحيل إياد وتغلب إلى الأراضي البيزنطية ، والوصول إلى حلّ مقبول ومؤقت ، مع تغلب ضمن الإجراءات المتعلقة بمحاولة عدم تمكين العدو من الاستفادة من أي مصدر عربي على صعيد المعلومات [٣] .

٥ - حماية المسلمين لخططهم والاستفادة من جواسيس العدو :

لقد عمل المسلمون على حماية خططهم من أن تقع في أيدي العدو ، وعملوا أيضًا على الاستفادة من جواسيس العدو الذين يتم القبض عليهم ، والمنبثين أحيانا في المناطق المحررة حديثًا من خلال تقديم طعم كاذب ، يخدم أمن الخطط ويضلل قيادة العدو [٤] .

كما كانت القيادة الإسلامية تحرص أشد الحرص على اصطياد جواسيس الأعداء أحياء للاستفادة من المعلومات الموجودة في حوزتهم ، أكثر مما يتعلق الأمر بقتلهم وهو إجراء أخير يلجأ إليه ، عند رفض الجواسيس الاستسلام بعد كشف أمرهم .

---

(١) ابن أعثم ، كتاب الفتوح ٢ / ١١٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٢٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٤ - ٥٥ ، و البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٤) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٦٥ - ١٦٦ .

ففي فتح قيسارية الشام بساحل البحر قد ارتحل عمرو بن العاص فنزل بموضع يقال له « محلّ » وبلغ الخبر ابن هرقل ، وكان قد أتاه المنهزمون من عسكر أبيه ، ولجئوا إليه واكتمل جيشه في ثمانين ألفًا ، ثم إنه دعا برجل من المتنصرة وقال له : امض واحزر لي عسكر العرب واكشف لي أخبارهم ، فوصل إليهم ولجأ إلى قوم من اليمن وهم يصطلون حول النار ، فجلس بينهم يسمع حديثهم ، فلما أراد القيام عثر في ذيله ، فقال : باسم الصليب كلمة أجراها الله على لسانه ، فلما سمعوا قوله علموا أنه متنصر جاسوس للروم فوثبوا إليه وقتلوه ووقع الصائح في العسكر فسمع عمرو الضجة ، فقال ما الخبر ؟ قيل : إن قومًا من اليمن وقعوا بجاسوس من الروم فقتلوه ، قال : فغضب عمرو وطلبهم ، وقال : ما حملكم على قتل الجاسوس ؟ وهلا أتيتموني به لاستخبره ؟ فكم من عين تكون علينا ثم إنها ترجع فتصير لنا ؛ لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف شاء ، ثم إنه نادي في جيشه : من وقع بغريب أو جاسوس فليأت به إليّ [١] .

لقد لاحظنا أساليب الأمن التي حرص على أدائها المسلمون تجاه العدو ، ولاحظنا الانضباط والحرص الذي كان سائدًا في المعسكرات الإسلامية ، ولاحظنا مدى تفهم المجاهدين لأهمية الأمن ، ورغم ذلك فقد كان العدو ينجح أحيانًا في اختراق المواقع الإسلامية ، وكانوا يكشفون أحيانا كما حدث مع جاسوس البيزنطيين الذي ضبطه خالد بن الوليد في معسكر المسلمين وتم تسليمه إلى القائد أبي عبيدة بن الجراح واستفاد منه [٢] .

وقد يعود هؤلاء الجواسيس من غير الحصول على معلومات ذات أهمية عسكرية ، مثل تأثرهم بسلوك المسلمين وأخلاقهم ، وذلك عندما نزل رستم « النجف » بعث

---

(١) الواقدي ، فتوح الشام ٢ / ١٧ .

(٢) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ٢٥٩ .

منها عينا إلى عسكر المسلمين ، فانغمس فيهم بالقادسية كبعض من ندّ منهم ، فرآهم يستاكون عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى مواقفهم ، فرجع إليه فأخبره بخبرهم ، وسيرتهم ، حتى سأله : ما طعامهم ؟ فقال : مكثت فيهم ليلة ، لا والله ما رأيت أحدًا منهم يأكل شيئًا إلا أن يمصوّا عيدانًا لهم حين ينامون ، وقبيل أن يصبحوا ، فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة ، فرآهم يتحشحشون أي يتحركون للنهوض ، فنادى في أهل فارس أن يركبوا ، فقيل له : ولم ؟ قال : أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم فتحشحشوا لكم ، قال عينه : ذلك إنما تحشحشهم هذا للصلاة ، فقال : أتاني صوت عند الغداة ، وإنما هو عمر الذي يكلم الكلام فيعلمهم العقل ، فلما عبروا وتوافقوا ، وأذن مؤذن سعد للصلاة ، فصلى سعد ، وقال رستم : أكل عمر كبدي [١] .

كما يسجل العدو الساساني نجاحه في إثارة التمرد في السواد مرتين بعد تحريره ، وقبل معركة القادسية ، من خلال استخدامه الترغيب والترهيب ، مع الدهاقنة الفرس ، والسكان المحليين [٢] ، وعرف عن البيزنطيين استخدامهم الكثيف للجواسيس أثناء حروب تحرير الشام [٣] .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥٣٢ - ٥٣٣ .

(٢) ابن أعثم ، كتاب الفتوح ٢٤٧١ .

(٣) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ١ / ٢٤١ .

الفصل السادس

إدارة الخلفاء الراشدين لعمل المخابرات

عند الحديث عن إدارة الخلفاء الراشدين لعمل المخابرات نجد أنفسنا بين مرحلتين مرحلة مضت وهي مرحلة العصر النبوي وأدار هذه المرحلة الرسول ﷺ ومرحلة آتية هي مرحلة العصر الأموي كانت عملية الإشراف على عمل المخابرات غير منحصرة في هيكل إداري واحد على الأرجح ، أما هذا العصر - عصر الراشدين فإنه يتميز بأن يعالج مشاكل كبيرة نتيجة للتحولات العسكرية والسياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة الإسلامية ، هذه التحولات قد حدثت في أعقاب عمليات التحرير والفتح الإسلامي ، فضلاً عن وجود دولتين كبيرتين لهما سمات حضارية متراكمة كالفرس الساسانيين والروم البيزنطيين وجب على الدولة الإسلامية التعامل معهما ، مع وجود قوى أخرى محلية ، لديها خبرات ميدانية ونظرية في آن واحد ، وهذا كله من أجل أن تستطيع الدولة الإسلامية مجاراته في محيط العيون والتجسس كان عليها أن ترتقي بمستوى الأداء الاستخباراتي وتطويره بصورة مستمرة ، حتى تستطيع النجاح والتفوق على العدو الفارسي وكذلك العدو الرومي ، سواء عبر اختراق جواسيس هذا العدو وتوظيفهم ، أو عبر ذرع العيون العائدة للدولة الإسلامية ، في أراضى الخصم ، والعمل في نفس الوقت على مقاومة التجسس المضاد والاستفادة منه .

إن ما يذل على صعيد العمل الاستخباري في عصر الراشدين ليس بالبسيط ، وليس متروكاً للظروف والجهود الشخصية ولكنه كان عملاً يسير في إطار إسلامي ينظم عمل العيون والجواسيس والأخبار وجمع المعلومات وتحليلها داخل الدولة الإسلامية .

ولم يأت هذا الإطار من فراغ بل قد استفاد المسلمون في هذا العصر مما سبقوهم من المسلمين في عصر الرسول ﷺ فتكونت لديهم الخبرة ، وقد استفادوا من جهاد ستة وعشرين عامًا من الجهاد المتواصل في هذا العصر عل جبهات طويلة ، وضد قوى

كبرى ومحلية ، ولم تقبل الهزيمة بسهولة ، واستشهاد الكثير مما صنعوا الأحداث .

لقد تطورت إدارة عمل المخابرات في هذا العصر خاصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قد تطورت ملامحها عما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ وبصورة متداخلة ، مع صلاحيات العمال والقادة الميدانيين ، وكانت خيوطها تتجمع في النهاية في المدينة المنورة في يد الخليفة حيث مقرّ الخلافة .

فإذا أردنا أن نوضح هذا الهيكل الإداري لعمل المخابرات في عصر الخلفاء الراشدين فسوف يكون على النحو التالي :

١ - مخابرات الخليفة الخاصة :

كان للخليفة عيونه الخاصة به ، وهي عيون مرتبطة به شخصيًا ، وقد أوكل لهم مراقبة أداء القيادات ، والقوات العسكرية ، حتى قيل عنها : « وكان لعمر رضي الله عنه العيون في كل جيش » [(١)] .

وكذلك الحال مع الجهاز الإداري فقد كان عمر رضي الله عنه لا يخفى عليه شيء في عمله فكانت له عيونه في كل الأمصار تكتب له عما يحدث ، فقد كُتِبَ إليه من العراق بخروج من خرج ، ومن الشام بجائزة من أجيز فيها - » [(٢)] وغيره الكثير والكثير .

وإن حجم الإنجازات المتحققة على هذا الصعيد لاسيما في عهد الخليفتين عمر وعلي رضي الله عنهما ، يشير بوضوح إلى أعمال منظمة وفق سياقات خاصة ، تدل على تطور في العمل وجدة في الأداء .

لقد كان الخليفة بنفسه يشرف على هذا النوع من العمل خاصة أن هذه العيون تتبعه وترتبط به ارتباطًا مباشرًا .

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٦٧ .

٢ - إشراف القادة العسكريين وعمال الأمصار :

حمّل الخليفة الراشدي القادة العسكريين وعمال الأمصار مهمة الإشراف على التجسس الخارجي ، وفي مقاومة التجسس المضاد ، وقد ذكر البلاذري أن مدينة « قورس » كانت كالمسلحة لأنطاكية يأتيها في كل عام طالعة من جند أنطاكية ومقاتلتها ، ثم حوّل إليها ربع من أرباع أنطاكية ، وقطعت الطوالع عنها ، ويقال : إن سلمان بن ربيعة الباهلي كان في جيش أبي عبيدة مع أبي أمامة الصُديّ بن عجلان ، فنزل حصنا بقورس فنسب إليه وهو يُعرف بحصن سلمان [١] .

وذكر البلاذري أيضًا : عندما أتى أبو عبيدة حلب الساجور وقدّم عياضًا إلى منبج ثم لحقه وقد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية ، فأنفذ أبو عبيدة ذلك ، وبعث عياض بن غنم إلى ناحية دلوك ورعبان ، فصالحه أهلها على مثل صلح منبج ، واشترط عليهم أن يبحثوا عن أخبار ويكاتبوا بها المسلمين [٢] .

ويؤيد ذلك أن طبيعة بعض الأخبار القادمة من المدن الخاضعة للعدو ، أو من عمق أراضيه ، يشير بشكل واضح إلى أن هناك سلسلة من الأيدي التي تعاونت في الحصول على الخبر ، وتأمين عملية إيصاله إلى المسؤولين في دار الإسلام [٣] . وبالمقابل فإن هذه الوحدات التجسسية ، تحتاج إلى تمويل سخي يضمن استمرار تدفق الأخبار ، وهذه النقطة بالذات كانت بدورها تحتاج إلى ضبط يوازي عملية ضبط العيون وتأمينهم .

٣ - المسالح مقرات خلفية لوحدات العيون :

إن تطور إدارة عمل المخابرات في عصر الراشدين قد أسفر عن جعْل المسالح التي استقرت على حافات الثغور المقابلة للعدو ، وفي مفارق الطرق المهمة ، شكلت هذه

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٧٦ ، ١٧٧ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٧٧ .
(٣) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ٣١ .

المسالح المقرات الخلفية لوحدات العيون ، والتي تعمل في مناطق الحدود ، وداخل أراضي العدو ، حيث كانوا يرسلون التقارير الأولية إلى هذه المقرات ، ومنها إلى قائد المنطقة ، ثم القيادة العامة ، مثلما حدث في فتح رامهرمز وتستر في السنة السابعة عشرة من الهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما جاءت الأخبار عن يزدجرد وأهل فارس حرقوص بن زهير وجاءت جزءًا وسُلمى وحرْملة عن خبر غالب وكليب ، فكتب سلمى وحرْملة إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة ، فسبق كتاب سُلمى حرْملة ، فكتب عمر إلى سعد : أن ابعث إلى الأهواز بعثًا كثيفًا مع النعمان بن مقرن ، وعجِّل وابعث سويد بن مقرن ، وعبد الله بن ذي السهمين ، وجرير بن عبد الله الحميري ، وجرير بن عبد الله البجلي ، فلينزلوا بإزاء الهرمزان حتى يتبينوا أمره وكتب إلى أبي موسى أن ابعث إلى الأهواز جندًا كثيفًا وأمّر عليهم سهل بن عدي - أخا سهيل بن عدي - وابعث معه البراء بن مالك ، وعاصم بن عمرو ومجزأة بن ثور ، وكعب بن سور ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن بن سهل ، والحصين بن معبد ، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعًا أبو سبرة بن أبي رهم ، وكل منْ أتاه فمدد له [١] .

وفي سنة إحدى وعشرين من الهجرة أثناء وقعة المسلمين والفرس بنهاوند كُتِب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفتح مع رجل من المسلمين ، فلما أتاه قال له : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح أعزّ الله به الإسلام وأهله ، قال : فحمد الله عزَّ وجلَّ ، ثم قال : آلنعمان بعثك ؟ قال : احتسب النعمان يا أمير المؤمنين ، قال : فبكى عمر واسترجع ، قال : ومَنْ ويحك ! قال : فلان وفلان ، حتى عدّ له ناسًا كثيرًا ، ثم قال : وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم ، فقال عمر وهو يبكي : لا يضرهم ألاّ يعرفهم عمر ، ولكن الله يعرفهم [٢] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٨٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٢ / ١٢٠ .

وفي سنة اثنتين وعشرين من الهجرة أثناء فتح همذان اقتتل المسلمون والفرس قتالاً شديدًا ، وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ، ولم تكن دونها ، وقتل من القوم مقتلة عظيمة لا يحصَوْن ولا تقصر ملحمتهم من الملاحم الكبار ، وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجتماعهم ، ففزع منها عمر ، واهتم بحربها ، وتوقع ما يأتيه عنهم ، فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة (١) .

من خلال الروايات السابقة نلاحظ مهمة وحدات العيون ومدى مواصلة إخبارهم الخليفة بكل ما يحدث وما يدور بأرض المعارك وأرض العدو وصفوفه .

فهذه المقرات الخلفية لوحدات العيون تشبه في الوقت الحاضر نقاط السيطرة على المراكز الحدودية التي يتم العبور من خلالها ، وكذلك تلك المقامة على الطرق الرئيسية ومفارقها .

٤ - قيام مشرفي العيون بتنسيق المعلومات ودراستها وتمحيصها :

فمن أهم واجبات مشرفي العيون تنسيق المعلومات ودراستها وتمحيصها ، والعمل على إكمال المعلومات الناقصة من خلال التقارير المتعددة والتي تصل تباعًا (٢) .

كما كان على هؤلاء المشرفين العمل على إيصال نسخ من التقارير إلى قائد المنطقة ، وإلى القائد العام وهو الخليفة ، حيث كان الخليفة يعتمد على هذه التقارير في اتخاذ القرارات النهائية ، بخطوطها العريضة ، تاركًا التفاصيل لقادته الميدانيين ، كما حدث في وقعة « المذار » بين المسلمين والفرس في سنة اثنتي عشرة عندما انهزم الفرس أمام المسلمين أسرع المثنّى والمعنّى إلى خالد بن الوليد بالخبر ، ولما انتهى الخبر إلى خالد عن الفرس قسم الفيء على من أفاءه الله عليه ونفّل من

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٤٨ .

(٢) أ. أكرم ، سيف الله خالد بن الوليد ، ترجمة صبحي الجابي ، بيروت ١٣٩٩ هـ ، ص ٣١٧ ، ٣٢٣ .

الخمس ما شاء الله ، وبعث بقيته وبالفتح إلى أبي بكر وبالخبر عن القوم [١] .

نلاحظ أن الخبر وصل أولا إلى قائد المنطقة خالد بن الوليد ، ثم وصل ثانية من خالد إلى القائد العام وهو الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وكما يلاحظ في فتح « ماسَبَذان » في السنة السادسة عشرة من الهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما رجع هاشم بن عُتبة من جَلُولاء إلى المدائن ، بلغ سعدًا أن آذين بن الهرمزان قد جمع جمعًا ، فخرج بهم إلى السهل ، فكتب بذلك إلى عمر رضي الله عنه ، فكتب إليه عمر : ابعث إليه ضرار بن الخطاب في جند واجعل على مقدمته ابن الهذيل الأسدي وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي حليف بجيلة ، والمضارب بن فلان العجلي [٢] .

نلاحظ أن الخبر وصل أولا إلى سعد بن أبي وقاص ، ثم أرسله سعد إلى القائد العام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وكذلك في وقعة « قرقيسياء » في رجب في السنة السادسة عشرة من الهجرة ، لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة فأمدوا هرقل على أهل حمص ، وبعثوا جندًا إلى أهل « هيت » فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [٣] .

وكذلك عندما انتصر الوليد بن عقبة على الروم في غزوة أرمينية سنة أربع وعشرين من الهجرة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان على جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري فبلغه أن الموريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين ألفًا من الروم والترك ، فكتب إلى معاوية يُخْبِرُهُ بذلك ، فكتب معاوية به إلى القائد العام

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ٤ / ٣٨ .

عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكتب عثمان رضي الله عنه إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب بن سلمة » (١) .

نلاحظ هنا أن حبيب بن سلمة عندما وصله الخبر ، أسرع في إرساله إلى قائد المنطقة معاوية بن أبي سفيان ، ثم أسرع معاوية في إرساله إلى القائد العام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وخلال هذه المراسلات كان يتم تنسيق المعلومات ودراستها وتمحيصها ، والقيام بكتابة التقارير إلى القيادة العليا ومنها إلى القائد العام وهو الخليفة .

وكان الخليفة عمر رضي الله عنه يحث قادته الميدانيين دائمًا على إطلاعه بصورة مستمرة على ما يستجد لديهم من معلومات لكي ترتسم في ذهنه صورة واضحة ، عما يجري ، وطبيعة المشكلات التي يجب حلها ، فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قائلا : « فصف لنا منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها ، واجعلني من أمركم على الجلية ... » (٢) .

وفي كتاب آخر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « واستعن بالله وتوكل عليه ... واكتب إليَّ في كل يوم » (٣) .

فلم يتوانى القادة العسكريون في أن يكتبوا إلى القائد العام في كل يوم ما يدور حولهم ، لكي يضعونه في الصورة تمامًا ، ويضعون الصورة كاملة أمامه كأنه يراها رأي عين .

٥ – طبيعة العاملين في وحدات العيون :

من المعروف أن العرب المسلمين هم المقدمون في العمل بهذه الوحدات المهمة ، ورغم ذلك فقد استخدمت مجموعات من السكان المحليين في الأراضي المفتوحة للعمل ضمن وحدات العيون ، ومربط هؤلاء العاملين مع عامل المنطقة أو قائد المنطقة

---

(١) المصدر نفسه ٤ / ٣٤٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٩١ .

(٣) المصدر نفسه ٣ / ٤٩٥ .

التي يعمل هؤلاء ضمن حدودها الجغرافية والإدارية ، مثل ما صنع أبو عبيدة بن الجراح عندما ولي على كل كورة فتحها عاملاً ، وضم إليه جماعة من المسلمين ، وشحن النواحي المخوفة (١) .

إن التحديات الملقاة على عاتق العيون في الثغور الشرقية ، والشمالية الشرقية ، ابتداءً من سجستان ، وما وراء النهر ، وأرمينية ، وأذربيجان والقوفاز ، وثغور الجزيرة والشام والثغور البحرية في السواحل الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط ، وجزره وجنوبًا في ثغور النوبة ، والصحراء وغربًا باتجاه أفريقيا كان كبيرًا ، ولا يمكن تصور العمليات الاستخبارية التي نفذتها العيون الإسلامية منذ عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، من غير دعم ولا إسناد تام من قِبَلِ وحدات العيون المحلية ، التي استكشفت الأرض والطرقات ، وأعطت تصورًا دقيقًا عن طبيعة العدو ، سياسيًا وعسكريًا وبشريًا ، واقتصاديًا ، ويمكن وصف رجال البريد (٢) من حاملي الرسائل والأدلاء والتراجمة ، كقوى عاملة ومساندة في وحدات العيون والجواسيس ، وإن اختلف حجم إنجازاتها بين فترة وأخرى ، وتكمن أهمية هؤلاء في خطورة الأخبار التي كانوا يحملونها ، والتي كان قسم منها تحريريًا ، كما كان معظمهم مكلفً بالإجابة على الأسئلة ، التي تطرح عليهم بعد تسليم الرسائل التي يحملونها ، وكان معظمها يتسم بالخطورة والأهمية البالغة ، مما يدل على اطلاعهم الواسع على مجريات الأمور ، رغم سريتها (٣) .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٧٧ .

(٢) البريد : أطلق هذا المصطلح في البداية على الرسل وعلى دواب البريد ، وقيل لدابة البريد بريد ، وأطلق أيضا على من ينقل الأخبار ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ٣ / ٨٥ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٦٧ .

(٣) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٥٧ .

كما منح الخلفاء الراشدون الثقة لعدد من العيون غير العرب وبعضهم من غير المسلمين لأن مثل هذه العيون كان أهلاً للثقة [(١)] .

وكذلك الحال مع الأدلاء الذين تكمن خطورتهم ، في أنهم كانوا أشبه بالملاح الذي يقود السفينة ، حيث يتبع الجيش إرشادات الأدلاء . وذلك كما حدث في فتوح الجزيرة عندما سار عياض بن غنم إلى حرّان فنزل بأجُدّي ، وبعث مقدمته أي أدلاءه فأغلق أهل حرّان أبوابها دونهم ، ثم أتبعهم ... » . وكما حدث أيضًا مع خالد بن الوليد في فتوح السّواد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عندما وجه خالد بن الوليد جيشًا بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني وحنظلة بن الربيع بن رباح الأسدي من بني تميم إلى تستر عندما بلغه أن القائد جابان الفارسي توجه إلى تستر بجيش عظيم ، فلما انتهى القائدان المسلمان إلى تستر هرب القائد الفارسي ، وسار خالد إلى الأنبار ، فتحصن أهلها ، ثم أتاه الدليل الذي دلّه على سوق بغداد ، فبعث خالد المثنى بن حارثة فأغار عليه ... » .

وفي فتح المدائن وجه سعد بن أبي وقاص خالد بن عَرفُطة على مقدمته ، فلم يرد سعد حتى فتح خالد ساباط ، ثم قدم فأقام على الرومية حتى صالح أهلها على أن يجلو منْ أحب منهم ويقيم من أقام على الطاعة والمناصحة وأداء الخراج ودلالة المسلمين ... » [(٢)] .

كما كان في بنود الصلح مع الأعداء يؤكدون على الأدلاء ، كما حدث في كتاب صلح أصبهان في سنة إحدى وعشرين من الهجرة مع المسلمين ، فقد كتب وشهد عبد الله بن قيس وعبد الله بن ورقاء وعصمة بن عبد الله كتاب الصلح « بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبد الله للفاذوسفان وأهل أصبهان وحواليها ، إنكم آمنون ما

---

(١) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٨٧ ، وابن أعثم ، كتاب الفتوح ١ / ٢٢٥ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٠٦ ، ٣٠١ ، ٣٢٣ .

أديتم الجزية ، وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم في كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كل حالم ، ودلالة المسلم وإصلاح طريقه وقراه يومًا وليلة ، وحُملان الراجل إلى مرحلة ... »[(١)] .

ولأهمية البريد والدليل والرسول ، فقد كان يسهم لهم من الغنائم ، حالهم حال المقاتلين الآخرين[(٢)] وكذلك كان دور المترجمين خطيرًا أثناء إجراء جدلات التفاوض مع قادة العدو[(٣)] ، لاسيما عندما يجهل المفاوض العربي المسلم تمامًا ، لغة الطرف الآخر .

كما شهد عصر الخلفاء الراشدين تجنيد بعض موظفي الخراج ، ضمن العيون ، وذلك منذ بدء الفتح الإسلامي ، فموظفو الخراج المنبثون في أنحاء الريف وقراه في سبيل متابعة شئون الزراعة عبر مسح الأراضي ، ومتابعة شئون الري والحصاد وجمع الخراج ، وهذه العمليات تستمر على مدار السنة ، مكّنت هؤلاء الموظفين من الاطلاع على أوضاع المنطقة ورصد كافة التطورات التي تظهر على السطح ، سواء كانت سياسية أو عسكرية أو عقدية أو إدارية ، وإيصالها إلى الأشخاص المرتبطين بهم ، وهذا ما يفسر لنا أن أسماء لامعة ذات كفاءة عسكرية وإدارية ، كلفت الإشراف على الخراج ، بعد تحرير السواد والشام ، ومصر ، على الرغم من أن العمليات لم تكن قد انتهت بعد ، والجبهات ملتهبة ، فمن عمال الخراج الذين عينهم خالد بن الوليد بعد تحرير السواد ، والذين كان واجبهم المنعة ، وقبض الجزية ، جرير بن عبد الله البجلي[(٤)] . على « بانقيا » و « سما » وبشير بن

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٤١ .

(٢) سعيد بن منصور ، مسند سعيد بن منصور ٢ / ٢٨٧ ، وانظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ / ٣٦٠ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٧٠ .

(٤) جرير بن عبد الله البجلي : صحابي أسلم قبل وفاة الرسول ﷺ ، كان له دور بارز في تحرير العراق انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ١ / ٢٣٧ - ٢٤٠ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ١ / ٣٣٣ - ٣٣٤ .

الخصاصية [١] ، على النهرين ، وسويد بن مقرن على « نستر » [٢] ، وأط بن أبي أط على « روذمستان » [٣] ، عيّن عمر بن الخطاب رضي الله عنه النعمان بن مقرن على خراج « كسكر » [٤] ، وهرثمة بن عرفجة البارقي [٥] على خراج الموصل [٦] .

كما كان عمرو بن العاص رضي الله عنه على خراج مصر في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[٧] .

ومن الأعمال التي أنجزها العيون العاملون ضمن عمال الخراج في عصر الراشدين متابعتهم لتحركات الخوارج في عهد الإمام علي رضي الله عنه ، حيث كتب أحدهم إليه قائلاً :

« بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أن خيلاً مرت بنا من قِبَلِ الكوفة متوجهة نحو « نفّر » وإن رجلاً من دهاقين أسفل الفرات قد صلّى يقال له زاذان فرّوخ ، أقبل من قِبَلِ أخواله بناحية نِفرّ ، فعرضوا له ، فقالوا : أمسلم أنت أم كافر ؟ فقال : بل أنا مسلم ، قالوا : فما قولك في علي ؟ قال : أقول فيه خيرًا ، أقول : إنه أمير المؤمنين وسيد البشر ، فقالوا له : كفرت يا عدوّ الله ، ثم حملت عليه عصابة منهم فقطّعوه ، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمة ، فقالوا : ما أنت ؟ قال : رجل من أهل

---

(١) بشير بن الخصاصية : صحابي ، قيل من بكر بن وائل سكن البصرة ، انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ١٧٣/١ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ٢٢٩/١ - ٢٣٠ .

(٢) نستر : اسم لموضع في السواد ، من نواحي بغداد ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ٢٨٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٩١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١١٤ ، وكسكر : هي منطقة ميسان الحالية ، ومركزها واسط وهي من أغني مناطق السواد ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٤٦١ .

(٥) هرثمة بن عرفجة البارقي : ينتمي إلى الأزد من بارق ، ابن الأثير ، أسد الغابة ١ / ٣٣٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٧ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٦٢ .

الذمة ، قالوا : أما هذا فلا سبيل عليه ، فأقبل إلينا ذلك الذمّي فأخبرنا هذا الخبر ، وقد سألتُ عنهم فلم يخبرني أحد عنهم بشيء ، فليكتب إليّ أمير المؤمنين برأيه فيهم أنته إليه ، والسلام » .

فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أما بعد ، فقد فهمت ما ذكرت من العصابة التي مرت بك فقتلت المبرّ المسلم ، وأمِن عندهم المخالف الكافر وإن أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلّوا وكانوا كالذين حسبوا ألاّ تكون فتنة فعموا وصَمُّوا فأسمع بهم وأبصر يوم تخبر أعمالهم ، والزم عملك وأقبل على خراجك فإنك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك . والسلام »[١] .

كما كانت القيادة تكلف أحد عمال الخراج كعين من عيونها لكي تقوم بعملية خاصة وهي التخلص من بعض الشخصيات المعادية للإسلام والمسلمين ، مثل ما حدث مع أحد عمال الخراج في مصر حيث تم تكليفه بالتخلص من مالك بن الأشتر لمصلحة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه . فقد كلف معاوية بن أبي سفيان رجلاً من أهل الخراج يسمى الجايستار بأن يحتال لمالك بن الأشتر حتى يتخلص منه وقد كان عن طريق وضع السم له في شربة من عسل قد أعدها له[٢] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١١٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٩٥ - ٩٦ .

الفصل السابع

الواجبات المنوطة برجل المخابرات في عصر الراشدين

إن الواجبات المنوطة برجل المخابرات في أي عصر من العصور متعددة ومتنوعة ومثقلة لكواهل العيون ، والذي يخفف عنهم هذا الثقل هو حبهم للعمل وتفانيهم فيه ، وحبهم للوطن ، وحبهم للإسلام ، كل هذا الحب جعلهم يبذلون كل ما في وسعهم من أجل تحقيق الأمن والأمان للدولة ، وتأدية ما عليهم من واجبات خلال العصر الراشدي متمثلة هذه الواجبات في الاستطلاع العميق ، وتضليل العدو وعيونه ، والقيام بمجموعة أعمال بقصد التأثير على الروح المعنوية وعواطف وأفكار وسلوك العدو ، وإدارة التفاوض مع العدو ، والقيام بعمليات الردع الخاصة تجاه العدو ، ومراقبة الجهاز الإداري . فنحن أمام واجبات تمس الجبهة الداخلية أي ترتبط بالجهاز الإداري ، وهذه الواجبات هي :

١ - الاستطلاع العميق :

ضربت العيون في عصر الراشدين أروع الأمثلة في الاستطلاع العميق ، من بين هذه العمليات الاستخبارية التي تخدم الإسلام والمسلمين :

عملية عبد الله بن حذف الحقيقي : أثناء مواجهة ردة البحرين بقيادة العلاء بن الحضرمي سمع المسلمون في إحدى الليالي ضوضاء في معسكر العدو ، كأنها ضوضاء هزيمة أو قتال ، فأراد العلاء بن الحضرمي معرفة سبب ذلك فأرسل العلاء أحد عيونه وهو عبد الله بن حذف ، والذي تدلّى بحبل من الحصن ، وسار إلى خندق العدو حيث ألقى القبض عليه ، فاستغاث بأحد قيادي المرتدين من أخواله بني عجل ، وهو أبجر من بجير فأجاره ، وادعى عبد الله أن سبب مقدمه إلى معسكر المرتدين هو الجوع والضر ، وأنه يريد العودة إلى قومه ، ولذلك غادر معسكر المرتدين وقد قدم إليه أبجر الطعام برغم شكوكه في صحة ادعاءاته ، واستطاع عبد الله أثناء مكوثه في

معسكر المرتدين أن يرصد سبب الضوضاء وهو قدوم تجار بخمر فباعوه للمرتدين فشربوا حتى أصبحوا سكارى لا يعقلون ، ثم قرر عبد الله بعد معرفة هذه الأخبار مغادرة المعسكر بسرعة وبمساعدة أبجر بن بجير الذي قدم له راحلة ، وزيادة في الحيطة وعدم إثارة الشبهات حوْل أنه عين للمسلمين أو إلقاء القبض عليه ، ركب الراحلة وبَعُدَ بها عن الحصن ، ثم عاد وتسلق الجبل عن طريق الحبل صاعدًا إلى حصن المسلمين حيث أخبر العلاء بن الحضرمي بما حصل عليه من معلومات ، فقرر العلاء الخروج إلى المشركين وهاجمهم وقتل الكثير من المرتدين ، وفر من بقي منهم [(١)] .

إن عملية الاستطلاع هذه التي تعد بحق استطلاعًا عميقًا داخل معسكر الأعداء واستطاع عبد الله بن حذف بكل دهاء وذكاء أن يستغل قرابته من رجل ينتمي إلى معسكر الأعداء هو أبجر بن بجير ، كما استطاع هذا العين تمثيل دور الجائع والراغب في النجاة بأي ثمن ، والعودة إلى قومه ، واستطاع أن يتسلق الجبل ذهابًا وإيابًا من أجل أن يصل إلى الهدف الذي أراده قائده ، وبالفعل أنجز المهمّة وأتى بالأخبار اليقينية للعلاء ابن الحضرمي ، وبناءً عليه قرر العلاء مهاجمة العدو مستغلاً حالة سكره الشديد .

عملية قيس بن هبيرة الأسدي : أثناء معركة القادسية أرسل سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين وحدة استطلاعية مكونة من قيس بن هبيرة الأسدي وعمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد لكي يأتوا بآخر الأخبار والمعلومات الخاصة بتوزيع الفرس لقواتهم وللاطلاع على آخر مواقف الجبهة الفارسية ، وكانت هذه العملية الاستطلاعية عميقة داخل صفوف العدو ، وقد نجحت المجموعة الاستطلاعية في الوصول إلى الهدف والحصول على المعلومات المطلوبة وعلموا أن العدو – القوات الفارسية – قد تبادلت المواقع فيما بينها ، حيث نزل رستم في النجف بدل ذي الحاجب ، ونزل الأخير في

---

(١) الكلاعي ، تاريخ الردة ص ١٣٩ – ١٤٠ ، و البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٠١ ، ١٠٢ ، وابن أعثم ، كتاب الفتوح ١ / ٥١ – ٥٢ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٣ – ٣٠٤ .

مكان الجالينوس ، ونزل الجالينوس في طيزناباد [١] ، ونقلوا أيضًا قيام الخيالة الساسانية بالانفتاح [٢] .

عملية عمرو بن معدي كرب : في معركة نهاوند بين القوات الإسلامية بقيادة النعمان بن مقرن قائد قوات الكوفة[٣] ، والقوات الفارسية الساسانية أرسل القائد النعمان بن مقرن وحدة استطلاعية مكونة من ثلاثة عيون هم : عمرو بن معدي كرب وعمرو بن سلمة العنزي ، وطليحة بن خويلد الأسدي إلى مقر القوات الفارسية في الطزر [٤] فعاد عمرو بن معدي كرب وعمرو بن سلمة دون جدوى ، أما طليحة بن خويلد توغل في عمق أراضي العدو أكثر من مئة وعشرين كيلو مترًا حتى ساءت ظنون المسلمين به [٥] وقد استطاع أن يصل إلى قرب مدينة نهاوند ، فعلم أخبار العدو ، وجمع المعلومات عن القوات الساسانية ، ثم رجع وأعلم القيادة الإسلامية أنه ليس بينها وبين نهاوند شيء يخشى منه ، حيث لا قوات ولا موانع [٦] .

ومن الملفت للنظر أن طلحة لاشك أنه كان يعلم اللغة الفارسية ، إذ لا يعقل أن يصل إلى عمق معسكر العدو ويدخل بينهم ويسمعهم ويفهمهم دون أن يكون على معرفة بلغتهم ، وليس هذا فحسب فلابد أن يكون قد تنكر في زي مثل زيّهم وأصبح كأنه واحد منهم ، لدرجة أنه استطاع إنجاز المهمة بنجاح وعاد إلى معسكر المسلمين دون أن يعرفوه أو يقبضوا عليه .

---

(١) طيزناباد : موضع بين الكوفة والقادسية ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٧٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥١٤ - ٥١٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٨٥ - ٨٦ .

(٤) الطزر : مدينة في مرج القلعة بينها وبين سابلة خراسان مرحلة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٣٤ .

(٥) ابن أعثم ، كتاب الفتوح ٢ / ٤٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٢٧ - ١٢٨ ، وانظر إسماعيل بن القاسم القالي ، ذيل الأماني ، طبعة بيروت (د . ت) ص ١٤٤ ، وابن أعثم ، كتاب الفتوح ٢ / ٤٤ .

عملية حكيم بن جبلة العبدي : أمر الخليفة عثمان بن عفان واليه على البصرة عبد الله بن عامر بإرسال أحد رجاله إلى هذه المنطقة وسماها ثغر الهند قبل القيام بأي عملية عسكرية في هذه المنطقة ، فأرسل عبد الله بن عامر عينًا له إلى ثغر الهند هو حكيم بن جبلة العبدي ، لكي يأتي بمعلومات كاملة عن هذا الثغر وأن يقدم بها تقريرًا مفصلاً للخليفة عثمان بن عفان ، وعندما عاد حكيم بن جبلة من عمليته الاستطلاعية أوفده عبد الله بن عامر إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فسأله عن طبيعة المهمة التي أنجزها وعن الأقاليم فقال : يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها ، فقال : صفها لي ، فقال : ماؤها وشل(١) وتمرها دقل(٢) ولصها بطل ، إن قلّ فيها الجيش ضاعوا وإن كثروا جاعوا » فأمر بعدم القيام بأي عملية في الإقليم (٣) .

لقد حرص القادة العرب المسلمون على توجيه العمليات الاستطلاعية سواء مجموعة تمثل وحدة استطلاعية أو فرادى من فرد واحد ، وذلك قبل الشروع بالتحرك العسكري تجاه هذه المنطقة أو الإقليم الموجه إليه العملية الاستطلاعية .

٢ - تضليل العدو وعيونه :

من الواجبات المنوطة برجال المخابرات أي العيون القيام بتضليل عيون العدو ، مما يؤدي إلى تضليل العدو ذاته في خططه .

عملية عمرو بن العاص في تضليل العدو : ففي عمليات تحرير الشام قدم القائد العربي المسلم عمرو بن العاص صورة من صور التضليل للعدو ، عندما أراد الانسحاب لكي يلتحق بالقوات الإسلامية المرابطة في منطقة الجابية ، حيث قام باتخاذ

---

(١) الوشل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً لا يتصل قطره ، انظر ابن منظور ، لسان العرب « وشل » .

(٢) الدقل : أردأ أنواع التمر ، انظر ابن منظور ، لسان العرب « دقل » .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٥٣٠ ، وابن قدامة ، الخراج ص ٤١٣ - ٤١٤ .

الإجراءات أو الخطوات اللازمة لتضليل جواسيس العدو البيزنطي ، الذين كانوا يراقبون تحركاته ، والحيلولة دون معرفتهم للهدف الأصلي الذي يرمي إليه عمرو بن العاص ، فأصدر أمرًا إلى أهل الذمة ضم المنطقة الواقعة تحت سيطرته في الأردن بالقبض على الأشخاص العائدين إلى مدينة إيلياء ، التي هي القدس ، والمتواجدين في الأردن ، خوفًا من تسرب أمر حركته مما قد يدفع البيزنطيين الموجودين في القدس إلى مطاردته ، كما أمر قواته بالاستعداد للتوجه إلى القدس ومحاصرتها ، لكي يكون زمام المبادرة بيده من الناحية النفسية ، والحيلولة دون حدوث الإرجاف في صفوف قواته سواء من قِبَلِ ضعفاء النفوس داخل قواته ، أو من قِبَلِ العدو .

فالإشاعات تنمو في وسط تلجأ فيه القيادة إلى الصمت ، وعدم توضيح أمور مهمة تحتاج إلى إجابات مقنعة ، وفي نفس الوقت قام عمرو بن العاص بالتراخي في تنفيذ أوامر اعتقال أهل القدس متعمدًا فهرب هؤلاء إلى مدينتهم ، وتسلل بعض تجار الأردن إلى القدس لإبلاغ أهلها بتقدم عمرو بن العاص لمحاصرتهم ، وأكمل عمرو عملية التضليل بإرسال كتاب مع أحد الأنباط إلى القدس يتضمن أمرًا باستسلام المدينة ، ثم شرع بالتحرك شمالاً وليس غربًا نحو هدفه المرسوم وهو اليرموك (١) .

عندما ننظر في هذه العملية نجد أن عمرو بن العاص حسب لكل شيء حسابه ، واستطاع تضليل عيون العدو واستخدامهم طعمًا في شل تفكير وحركة القوات البيزنطية المرابطة في القدس وحلفائها المحليين ، وذلك من خلال أوامره بالقبض على الأشخاص العائدين إلى مدينة القدس بين صفوف قواته ، وكذلك في إرساله أمر استسلام المدينة .

عملية قادة تغلب والنَّمِر وإياد في تضلل العدو : اعتنق هؤلاء القادة الإسلام مع

(١) الأزدي ، تاريخ فتوح الشام ص ١٦٤ - ١٦٦ .

قواتهم أثناء حصار المسلمين لتكريت ، ولكي يعبروا عن ولائهم لإسلامهم ولأمتهم قاموا بعملية تضليل ناجحة ضد العدو خاصة ضد قيادة القوات البيزنطية الموجودة في الموصل ، هذه القيادة كانت تجهل تطورات الأحداث ، وتحرير تكريت وإسلام هؤلاء القادة ، فقد سبقوا القوات العربية الإسلامية نحو الموصل ، وادعوا عند وصولهم إليها بأن القائد البيزنطي قد انتصر على المسلمين في تكريت ، مما دفع البيزنطيين في الموصل إلى الاسترخاء ووضع السلاح ، عندها استغل هؤلاء القادة المسلمين هذا الاسترخاء في السيطرة على الأبواب ، بطريقة لا تدعو إلى الريبة فوجدت القوات العربية الإسلامية عند وصولها الأبواب مشرعة لهم ، فدخلوها بقيادة ربعي بن الأفكل العنزي [١] .

عملية أبي موسى الأشعري في تضليل العدو : في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، نفذ أبو موسى الأشعري أثناء حصار مدينة نهاوند خطة لتضليل العدو ، بناء على اقتراح من عمرو بن معدي كرب ، كانت قوات العدو متحصنة بخنادق حصنية وترفض الخروج منها ، ولم تستطيع القوات الإسلامية حسم الموقف فقام أبو موسى الأشعري بتسريب إشاعة إلى العدو مفادها أن عمر بن الخطاب قد توفي ، ثم أصدر أمرًا في الوقت نفسه بالانسحاب الموهوم المتفق عليه ، وذلك عندما علم أبو موسى بوصول الشائعة إلى العدو ، مما جعل قيادة العدو تأمر قواتها بالخروج من خنادقها المحصنة لمطاردة المسلمين ، وعندما أصبح العدو خارج خنادقه ، عادت القوات الإسلامية للاشتباك مع العدو الذي صعق لهول الصدمة ، حيث استمر القتال شرسًا إلى أن اضطر العدو إلى الانسحاب إلى داخل أسوار نهاوند [٢]

فلاحظ مدى براعة القائد المسلم أبي موسى الأشعري في كيفية استخراج قوات العدو من داخل خنادقهم ومن داخل حصونهم ، كما تظهر براعته في جعل العدو

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٦ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٣٦ .

يصدق شائعة مقتل الخليفة المسلم ، واستطاع هذا القائد المسلم أن يخدع عيون العدو عن طريق تحرك بعض قواته بالانسحاب مما جعل هذه العيون تخبر قادتها في نهاوند بصحة خبر موت عمر وانسحاب القوات الإسلامية ، إنه الإخلاص في العمل والتوفيق من الله لهم ، وحرصهم الشديد على الإسلام وتحقيق الأهداف التي تخدم المسلمين .

٣ - التأثير على الروح المعنوية وسلوك العدو :

القيام بمجموعة أعمال بقصد التأثير على الروح المعنوية وعواطف وأفكار وسلوك العدو ، هي حرب هجومية يخوضها عيون بأسلحة فكرية وعاطفية من أجل تحطيم قوة المقاومة المعنوية بين صفوف العدو وبين أفراد شعبه بما يحقق للدولة الإسلامية وقيادتها أهدافها [١] .

يُعد طليحة بن خويلد في مقدمة العيون التي قامت بأعمال ذات تأثير نفسي على سلوك العدو ، ففي أحداث تحرير العراق قبل معركة القادسية ، كلف سعد بن أبي وقاص طليحة ابن خويلد وعمرو بن معدي كرب بمراقبة إحدى المخاضات ، خوفًا من استغلال الفرس لها ، إلا أن طليحة لم يكتف بما كلف به ، بل عبر باتجاه ضفة العدو ، وكبّر ثلاثًا لإرهابهم ثم عبر إلى الضفة الأخرى ، بعد أن نجح في الخلاص من أيدي الفرس ، الذين طردوه بإصرار ، وقد نال إعجاب المسلمين الذين كانوا بحاجة إلى أي جهد مهما كان ، يعمل على رفع المعنويات المتوترة ، وهي حالة بشرية تنتاب المقاتلين قبل الاشتباك ، وأدت عمليته في الوقت نفسه ، لاسيما بعد المطاردة الفاشلة التي قام بها الفرس ضده ، إلى تثبيط معنوياتهم ، التي كانت تعاني أصلاً من الضعف والخور [٢] .

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة الاستراتيجية العسكرية ص ١٢١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥٥٧ - ٥٥٩ .

وفي أثناء الفتنة بين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسيدنا معاوية بن أبي سفيان التي أدت في النهاية إلى حرب شديدة سُمِّيت بموقعة صفين ، استخدم فيها معاوية بدوره العيون في نشر الدعاية لشرعية معاوية في التصدّي للخلافة ، وذلك من خلال اتهامها بالتواطؤ في استشهاد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (١) .

كما كان لعيون معاوية بن أبي سفيان دور في نشر الإشاعة القائلة بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجل حرب ، وليس رجل سياسة (٢) ، كما عمد عيون معاوية بعد انتهاء التحكيم بين عليّ ومعاوية إلى نشر الشائعات في اليمن ، وقد كانت خاضعة للخلافة الشرعية ، بأن معاوية قد شيد أمره واتسق له أكثر الناس ، وكانت هذه الشائعات هي التي ساهمت فضلاً عن ضعف الجند وضعف وانعدام كفاءة عاملي عليّ ، في صنعاء ، عبيد الله ابن عباس ، وسعيد بن نمران ، إلى سقوط اليمن بأيدي أنصار معاوية (٣) ولقد عبر معاوية عن ثقته بنتائج هذه العمليات بقوله : لقد حاربت عليًا بعد صفين بغير جيش ولا عتاد (٤) .

إن كسب بعض القيادات الموالية أو تثبيط همتها على الأقل أو إثارة الشكوك حول ولائها كان يتم عن طريق مثل هذه الأعمال وهذه التصرفات ، وذلك في حالة عدم تجاوبها ، مع أساليب الترغيب والترهيب .

كما أن هناك من العمليات الاستخبارية التي جمعت بين أساليب الحرب النفسية والتضليل مثل عملية عزل قيس بن سعد بن عبادة (٥) ، وهو عامل الإمام علي رضي الله

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، تحقيق طه الزيني ، طبعة القاهرة مؤسسة الحلبي ١ / ٨٨ - ٩٠ .

(٢) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ص ٦٣ .

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ / ٤ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ٢ / ١٨٣ .

(٥) هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي أحد كبار الصحابة وسيد الخزرج ، الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١٦٤ .

عنه على مصر ، وذلك بعد فشل أسلوب الاتصال المباشر لأغراض تغيير الولاء [١] ، ومما ساعد معاوية في نجاح خطته ، أن أساليب قيس بن سعد الذكية لاحتواء مناورات معاوية ومؤيديه في مصر لم تلق تفهمًا من قِبَلِ الخليفة ، وذلك بسبب وجود معاوية لقيس ضمن مستشاري الإمام علي رضي الله عنه [٢] .

لقد استفاد معاوية من كل هذه الأوراق التي قدمها له خصومه مجانًا ، حيث أشاع في أهل الشام أن قيس بن سعد من المؤيدين له ، وأنه نتيجة لذلك ليس من الممكن إرسال قوات للسيطرة عليها ، وقدم أدلة على تأييد قيس له ، من خلال علاقته الطيبة مع أنصاره المرابطين في خربتا ، وأرسل رسائل بهذا المعنى إلى أنصاره في العراق متعمدًا أن تقع هذه الرسائل في يد عيون الإمام علي رضي الله عنه ، حتى بلغت عليًا فشك في ولاء قيس بن سعد ، لاسيما بعد أن اعتذر عن تنفيذ أوامره بحسم الموقف ، مع أهل خربتا عسكريًا ، وقد أكدت الأحداث فيما بعد صواب سياسة قيس بن سعد في التعامل مع المعارضة في خربتا[٣] .

بالنظر فيما سبق نلاحظ أن خطة معاوية من البداية إلى النهاية تكونت من أربع مراحل متتالية الأولى منها تتسم بالاتصال المباشر ، والتعبير عن الأهداف بوضوح بالترغيب والترهيب ، وعندما باءت هذه المرحلة بالفشل لجأ إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة الإشاعة للتأثير على الخصم حتى قبلها ، ثم انتقل إلى المرحلة الثالثة وهي مرحلة الادعاء بوصول كتاب قيس وقراءته على أنصاره ، بهدف رفع معنويات أنصاره من جهة وكطعم لجواسيس الإمام عليّ من جهة ، ثم جاءت المرحلة الرابعة بإرسال رسالة بهذا المعنى إلى أنصاره في العراق ، لكي يكون الأمر أكثر تأثيرًا على متخذي القرار في

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٤٥٩ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ٢ / ٣٩١ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٥٥٠ - ٥٥٣ .

الكوفة وهو ما حدث فعلاً [١] .

٤ - إدارة التفاوض مع العدو :

من الواجبات المنوطة بالعيون أنها تقوم بالتفاوض مع العدو ، وهي التي تنقل الرسائل المتضمنة لعروض الطرفين المتفاوضين ، فمن بين هذه العمليات التي أدارتها العيون ، أنه عندما حاصرت القوات العربية الإسلامية بقيادة عبد الله بن المعتم القوات البيزنطية وخلفاءها من نصارى العرب من تغلب والنمر وإياد في مدينة تكريت بقيادة الإنطاق البيزنطي ، والذي استمر أربعين يومًا ، لجأ القائد عبد الله بن المعتم إلى إقامة اتصال مع بعض قادة العرب المتحالفين مع البيزنطيين داخل المدينة ، فكانوا يمدونه بمعلومات وأخبار وأسرار القيادة البيزنطيين ، وبتطور الأمور في معسكرهم ، وعندما يئس البيزنطيون من النصر تمردوا على قيادتهم وقرروا الانسحاب عبر النهر ، ونقلوا حوائجهم إلى ضفة النهر ، فقامت العيون العربية بنقل هذه الأخبار وهذا التطور إلى قائدهم عبد الله بن المعتم ، ونقلوا أيضًا استعداد القوات العربية في تكريت للتعاون ، إلا أن ابن المعتم اشترط إسلامهم دليلاً على صدقهم ، فوافقوا على اعتناق الإسلام ، ونقلت العيون تعليمات القائد في كيفية اقتحام المدينة ، والتي تقوم على سيطرة تغلب وإياد والنمر على الأبواب التي تشرف على نهر دجلة ، لمنع المنسحبين من تنفيذ خطة هربهم وفي الوقت نفسه سيهاجم ابن المعتم بقواته من الخارج الأبواب ، التي يشرفون عليها ، واتفق على أن يقوم العرب في الداخل بالتكبير أثناء الهجوم فيحسب البيزنطيون أن المسلمين قد هاجموهم من ذلك الاتجاه ، فيتجهون إلى الأبواب التي يشرف عليها القائد ابن المعتم ، وقد نجحت الخطة وتم تحرير تكريت بعد أن قضى على القوات

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٥٥٣ - ٥٥٤ ، وعباس محمود العقاد ، عبقرية علي رضي الله عنه طبعة بيروت ، دار الفكر العربي ١٩٦٧ . ص ١٢٩ - ١٣١ .

البيزنطية قضاء مبرمًا (١) .

نلاحظ أن التفاوض الذي حدث قامت به العيون الإسلامية خاصة في انضمام نصارى العرب إلى إخوانهم سواء عبر إسلامهم ، وكذلك عبر اشتراكهم في العمل العسكري ، للقضاء على العدو وتحرير المدينة .

كما قامت العيون الإسلامية بعملية تفاوض أيضًا مع قيادات العدو بكل نجاح وتعاون ، وذلك عندما حاصرت القوات العربية الإسلامية مدينة أصبهان عمد القائد العربي المسلم عمر بن بديل الخزاعي بعد أن فشل في إقناع قائد أصبهان بالاستسلام إلى الاتصال من خلال عيونه وجواسيسه بالقيادات الأصبهانية التي تلي القائد العام ، حيث نجح في إقناعهم بالتعاون معه ، وفتحوا أبواب مدينتهم ، ويبدو أن القائد الأصبهاني بعد أن أحس بطبيعة هذه الاتصالات ، ووصولها إلى مراحلها النهائية غادر المدينة هاربًا (٢) .

نلاحظ أن عمل العيون قد أثمر في تقريب وجهات النظر بين الطرفين ، زيادة في أن هذه العيون زودت المسلمين بما يعزز موقف الطرف المسلم .

٥ - القيام بعمليات الردع الخاصة تجاه العدو :

من المهام المنوطة برجال المخابرات في عصر الراشدين ، تلك العمليات التي تهدف إلى تصفية القيادات المعادية ، التي فشلت كافة الوسائل السلمية في تحييد أنشطتهم السياسية والعسكرية التي باتت تشكل خطرًا على الدولة الإسلامية ، وامتازت بأهدافها الصعبة والمتميزة ، ومسرحها الجغرافي المتنوع خلال عصر الخلفاء الراشدين ، من بين عمليات الردع هذه ما يلي :

عملية تحرير حلب : في السنة السادسة عشرة من الهجرة في عهد الخليفة عمر بن

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٥ - ٣٦ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ٢ / ٣٨٤ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٤٠ .

الخطاب رضي الله عنه ، في فتح مدينة حلب بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، وفي أثناء حصار هذه المدينة أراد أبو عبيدة الإسراع في فتحها رغم تحصينها بشكل جيد ، فأوعذ أبو عبيدة إلى وحدة من العيون مكونة من ثمانية وعشرين رجلاً لكي يقوموا بعملية فدائية وهي النفوذ إلى داخل القلعة ومحاولة فتح أبوابها من أجل إسقاطها وتحريرها ، فاكتشف هؤلاء العيون الأبراج المحيطة بهذه القلعة ليلاً والوصول إلى أقلّها ارتفاعًا وحماية ، وقد تنكر قائد هذه المجموعة في ارتداء جلد ماعز وحمل معه كمية من الكعك المجفف - وأخذ في الاقتراب من الأبراج على أطرافه الأربعة بهدوء ، وكلما لفتت انتباه حراس الأبراج حركة المجموعة الاستخبارية ، يلجأ القائد إلى قضم الكعك بقوة بين أسنانه للإيهام بأنه كلب يعالج عظمًا ، وعندما وصلوا إلى أحد الأبراج الأقل ارتفاعًا وحماية ، كما تبين لهم ، قام سبعة من رجال الوحدة للصعود واحدًا إثر الآخر ، على مناكب بعضهم البعض ، إلى أن أصبح السابع قريبًا من حافة البرج النهائية ، فقذف نفسه إلى الأعلى ، حيث أصبح داخل البرج ، وقام فورًا بالتخلص من رجلين كنا يقومان بالحراسة ، ولم يلق صعوبة تذكر مع الأول ، لأنه كان مخمورًا ، بينما استطاع القضاء على الثاني بعد معركة قصيرة ، ثم قام بحل عمامته ومدها لصعود رجال المجموعة ، ثم اندفعوا إلى أحد الأبواب ففتحوه ، ودخلت فورًا الوحدات من الخارج فتم تحرير مدينة حلب ، وكان أبو عبيدة خلال تنفيذ الوحدة لعملها يراقب سير التنفيذ ، وقد استشهد ثمانية من رجال المجموعة أثناء تنفيذ العملية [١] .

عملية تحرير مدينة تستر : في السنة العشرين من الهجرة حاصر أبو موسى الأشعري أهل تستر سنتين ، وقيل ثمانية عشر شهرًا [٢] ، مما أدى إلى انعدام الأمل في النصر

---

(١) الواقدي ، فتوح الشام ١ / ٢٧٠ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ١ / ١٤٦ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٦٨ ، والطبري تاريخ الطبري ٤ / ٨٥ ، وابن أعثم الكوفي ، الفتوح ٢ / ٢٠ - ٢١ .

وطول مدة الحصار ، هذا كله دفع أحد الدهاقين الفرس إلى التعاون مع المسلمين ضد الفرس ، وأبدى استعداده في أن يدل المسلمين على منفذ سرّي يتسرب منه الماء داخل مدينة تستر [١] ، وفي مقابل أن يحفظ المسلمون له حياته مع أهله وماله ومسكنه ، فأرسل القائد أبو موسى الأشعري معه مجزأة بن ثور السدوسي ، حيث خاضا عبر مضيق ضيق أحيانا ، ويتسع أخرى ، إلى أن وصل إلى داخل المدينة ، وكانت التعليمات المعطاة لابن ثور أن يحفظ الباب ، وطريق السور ، ومنزل الهرمزان ، وقال : « لا تستبقني بأمر » وبالفعل ذهب ابن ثور مع الجاسوس الفارسي الذي اصطحبه أولاً إلى منزله وألبسه طيلسانًا وغطى به رأسه ، وطلب منه أن يتبعه كخادم له ، ومعه قوسه تحت ملابسه ، وطاف به في المدينة طولاً وعرضًا حتى أوصله إلى الحرس على أبواب المدينة ثم قاده إلى قصر الهرمزان ، والذي كان واقفًا على باب قصره ، ثم أعاده إلى داره ثم إلى السرب حيث عاد إلى مقر القوات الإسلامية [٢] .

لقد امتاز العين الذي قام بهذه العملية بالانضباط الشديد ، والذكاء والتركيز والوعي الكامل في كونه حقق ثلاثة أهداف الأول أنه عرف طبيعة الممر ، والثاني طبيعة الأسوار ومراكزها الدفاعية والثالث قصر الهرمزان .

ومما يدل على الدقة والسمع والطاعة في التنفيذ أنه كان بإمكانه قتل الهرمزان إلا أنه أقلع عن هذه الفكرة ، بعد أن تذكّر التعليمات التي أعطيت له من القيادة [٣] .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٦٨ ، وابن أعثم ، الفتوح ٢ / ٢٠ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٦٨ ، وابن أعثم ، الفتوح ٢ / ٢٠ ، والدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٣١ .

(٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ١٤٦ ، و البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٦٨ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٨٥ - ٨٦ ، والذهبي ، تاريخ الإسلام تحقيق عمر عبد السلام - ط . بيروت ١٩٨٧ ص ١٩٩ .

عملية اختطاف مقاتلي العدو للحصول على المعلومات : من المهام المنوطة بالعيون أنهم يقومون بعملية توغل في أرض العدو بهدف القبض أو خطف بعض المقاتلين من الأعداء لكي يحصلون منهم على معلومات وأخبار تخدم خطط المسلمين – فعلى سبيل المثال قبل اللقاء الحاسم في معركة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص وقبل الاشتباك ، أمر سعد بن أبي وقاص كلاً من طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب أن يصطحب كل منهما خمسة رجال بغرض القيام بعملية استطلاعية من أجل اصطياد أحد المقاتلين الفرس للحصول منه على المعلومات ، وما أن توغل عمرو بن معدي كرب ورجاله تجاه الفرس نحو ستة كيلو مترات حتى رأوا مقدمة القوات الساسانية الفارسية الزاحفة من النجف ، وتسلل ليلاً إلى داخل مقرّ القيادة ، وقضى الليل هناك وهو يستطلع المعسكر ويحفظ التفاصيل المهمة التي تستلفت نظره ، وقبل أن يبزغ الفجر شرع في تنفيذ الهدف فسيطر على أحد الأفراس [(١)] ، وعندما طورد من قِبَلِ ثلاثة من الحراس الفرس ، قضى على اثنين منهم وأسر الثالث ، وقدم به إلى مقر قيادة سعد بن أبي وقاص ، وعندما تم استنطاق الأسير عَبْرَ أحد المترجمين ، أثنى الأسير الفارسي على شجاعة طليحة الأسدي ، وأدلى باعترافات مهمة تضمنت أن عدد القوات الساسانية هو مئة وعشرون ألفًا ولهم أتباع ، وكادر خدمي ، بقدرهم أي المجموع هو نحو مائتين وأربعين ألفًا [(٢)] .

نلاحظ مدى الكفاءة الكبيرة التي تمتع بها طليحة الأسدي في تغطية تقدمه وعدم لفته الأنظار إليه ، كما تظهر براعته في اختيار الليل للدخول إلى مقر قيادة العدو وقضى الليل يستطلع ، وعمد إلى التنفيذ وتحقيق الأهداف ، ثم الانسحاب قبل أن يبزغ الفجر ، مستفيدًا من الظلام في تشتيت أي عملية مطاردة من أفراد العدو له .

---

(١) النويري ، نهاية الأرب ٩ / ٣٦٥ – ٣٦٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥١٢ – ٥١٤ .

عملية التخلص من مالك الأشتر : من الأعمال المنوطة برجل المخابرات أن يقوم بعمليات الهدف منها التخلص من بعض أفراد العدو ، من بين هذه العمليات عملية التخلص من مالك الأشتر ، وذلك بأمر من الأمير معاوية بن أبي سفيان ، وكان التخلص منه عن طريق وضع السم في العسل ، كان ذلك أثناء أحداث الفتنة المؤلمة بين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين معاوية بن أبي سفيان [١] .

عندما تم تعيين مالك الأشتر من قِبَلِ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظرًا لكفاءته وقوة شخصيته وحزمه على مصر ، فاعتبر معاوية هذا التعيين بمثابة كارثة لأنصاره في مصر ، حيث أربكهم وكان لابد من التحرك سريعًا للتخلص منه بأية وسيلة ، فكلف معاوية أحد عيونه وكان مسئول الخراج بالتخلص منه قبل دخوله مصر ، وذلك عن طريق استقباله في إحدى المحطات التي سيسلكها عند دخوله ، وأهم محطتين لابد أن يسلك إحداهما هي القلزم [٢] ، أو العريش [٣] ، وقد قُدمت لعامل الخراج الذي هو صاحب العملية مغريات مادية ، وهي إعفاؤه من الخراج ، فوضع له السم في العسل ، بعد أن استقبله وعرض عليه الضيافة [٤] .

إن ما سبق عرضه من أمثلة يوضح لنا الدور الذي قام به بعض العيون الإسلامية ، الذي هو بمثابة عمليات ردع للعدو .

---

(١) ابن حجر ، الإصابة ٦ / ٢٦٨ - ٢٦٩ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٩٥ - ٩٦ ، وابن الأثير الكامل ٣ / ٣٥٣ .

(٢) القلزم : تقع على خليج السويس الحالي ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٣٨٧ .

(٣) العريش : مدينة أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل البحر المتوسط ، ياقوت ، معجم البلدان ٤ / ١١٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٩٥ - ٩٦ ، واليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٤ ، وابن الأثير ، الكامل ٣ / ٣٥٣ .

٦ - مراقبة الجهاز الإداري :

من المهام المنوطة برجال المخابرات في زمن الخلفاء الراشدين تخصيص وحدة من العيون لمراقبة الجهاز الإداري في الدولة وقد عُرف عن عصر الراشدين أنه قدم إطارًا إسلاميًا يوضح كيفية مراقبة الخليفة بصفته القائد العام للدولة لعماله وقادته ، وقد بين ذلك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خلال إحساسه بالمسئولية الملقاه على عاتقه بقوله : « لو مات جمل ضياعًا على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه » (١) .

وهذا الذي دفعه إلى أن يتحسس أخبار الناس ، والاطلاع على شئونهم اليومية ومشاكلهم وعواطفهم بصورة تفصيلية ، من خلال جهده الشخصي أو من المقربين إليه (٢) . وذلك داخل المدينة ومركز الخلافة . أما خارج المدينة وفي الأمصار فقد كان لديه العيون المراقبة لعماله وقادته وأوضاع الأمة كلها (٣) .

وبناء عليه يتضح لنا علاقة الولاة بالخليفة ، من حيث مدى استمرارهم أو إقالتهم ، أو استقالتهم من مناصبهم ، أما الأخبار التي تصل من عيون عمر مثلاً عن عماله تتراوح بين أخبار عن سلوك شخصي ، وأخبار عن أساليب إدارية ، وأخبار عن ممارسات مالية ، تتعلق بالتصرف في المال العام ، أو إساءة استخدامه ، أو وضع الحدود بين المال الخاص والعام فقد بلغته عيونه عن قصيدة قالها عامله على ميسان النعمان بن عدي (٤) يتغزل فيها بالخمر ، وقد عزله وقال : « والله إنه ليسوؤني » (٥) .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٢٢٠ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٣ / ١ / ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ابن شبة ، تاريخ المدينة ٢ / ٧٢٢ .

(٣) الجاحظ ، كتاب التاج ص ١٦٨ ، وابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ١١١ .

(٤) النعمان بن عدي : من قريش رهط عمر بن الخطاب ، هاجر مع أبيه إلى الحبشة . انظر ابن الأثير ، أسد الغابة ٥ / ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٤ / ١ / ١٠٣ - ١٠٤ .

ومن بين هذه العمليات في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الأخبار التي وصلته من عامله على دمشق ، بأنه يهتم بأطايب الطعام وهو يزيد بن أبي سفيان فبعث إليه محذرًا ومنبهًا .

كما بلغه أن خالد بن الوليد عامله على قنسرين يستخدم صابونًا ممزوجًا بخمر قد تم غليانه ، فأرسل إليه محذرًا من مغبة استخدامه ثانية [١] .

كما وصلته أخبار عن أن خالد بن الوليد يغدق على زواره الهدايا ، فأصر عمر على التحقيق في مصدر هذه الأخبار وعزله [٢] .

كما وصلت معلومات إلى الخليفة عمر عن تصرفات غير مسئولة لعياض بن غنم [٣] ، فاستدعاه وحاسبه بشدة [٤] .

كما بلغه خبر زواج حذيفة بن اليمان ، عامله على الخراج في الكوفة ، من امرأة كتابية ، فأمره عمر رضي الله عنه بطلاقها ، لأنه سيد المسلمين [٥] .

وذلك خوفًا عليه من أنْ تغلبه العاطفة ، فتخرج منه بعض المعلومات ، فتعرفها زوجته الكتابية ، ولغلبة الناحية العقدية بينها وبين أهلها من المشركين ، فتوصلها إليهم فيكون ضررًا بالمسلمين . لذلك منعه عمر رضي الله عنه .

كما وصلته معلومات عن أبي موسى الأشعري وعن طريقته في استقبال أهل الكوفة ، فأرسل إليه الخليفة مبينًا الطريقة المثلى لاستقبال مراجعيه حسب الشرف والقرآن [٦] فإذا

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ٦ / ٦٥٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٦٦ .

(٣) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ١١١ .

(٤) ابن شبة ، تاريخ المدينة ٣ / ٨١٧ - ٨١٨ .

(٥) سعد بن منصور ، مسند سعيد بن منصور ٢ / ١٩٣ - ١٩٤ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٣ / ٥٨٨ .

(٦) يقصد بالشرف زعماء القبائل والقرآن هم القراء من الحفاظ والفقهاء .

أخذوا مجالسهم فليأذن للعامة [١] ،

إن ما قام به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه استمرار للنهج الذي سار عليه الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

كما شهدت خلافة الإمام علي رضي الله عنه استمرارًا للنهج الذي سار عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث كان يراقب سيرة ولاته على الأمصار من خلال عيونه ، ويلجأ إلى التحذير والإنذار ثم المقاسمة ، وإن لم ترد عنهم هذه الأساليب يلجأ إلى عزلهم فهاهو يبلغه تصرف واليه على البحرين ، النعمان بن عجلان ، بمال ولايته فأرسل إليه متسائلا ، وكتب إلى عامله على أردشيرخره « فقد بلغني عنك أكبرت أن أصدقه ، أنك تقسم مال المسلمين في قومك ، ومن اعتراك من المسألة ، والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء ، كما تقاسم الجوز ، فوالذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لأفتشن عن ذلك تفتيشا شافيًا [٢].

كما كتب الإمام علي رضي الله عنه إلى عامله على البصرة عبد الله بن عباس ، متسائلا عن أخبار وصلت إليه عن تصرفه بمال بيت مال البصرة ، ويطلب تفسيرًا لذلك [٣] .

كما لجأ رضي الله عنه إلى عزل عامله على مدينة اصطخر ، المنذر بن الجارود ، نتيجة انشغاله باللهو والصيد تاركًا شئون ولايته [٤] .

نلاحظ أن جميع مثل هذه الأخبار ، والمعلومات التي وصلت إلى الخلفاء عن تصرفات عمالهم ، سواء كانت هذه التصرفات إدارية أو شخصية أو مالية وصلت عن

---

(١) وكيع بن خلف بن حيان ، أخبار القضاة ، طبعة بيروت . عالم الكتب (د . ت) ، ١ / ٢٨٦ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف الورقة ٥٨٧ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ٢ / ١٦٩ . و الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١٤١ ، وابن عبد ربه ، العقد الفريد ٥ / ٩٧ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

طريق عيون لهم مجهولة ، كان من الواجب ألا تعرف حتى يستمر الأمر وتستمر الرقابة وتضبط الأمور ، وتتمكن الخلافة من تحديد الخلل وتعمل جاهدة على معالجته ، وحتى يعلم العمال في كل الإدارات أن عيون الخليفة في كل مكان ، وأن ما يصدر عنه تصرفات حسنة أو غير حسنة سوف تصل إلى الخليفة .

❖ ❖ ❖ ❖

الباب الرابع

المخابرات الإسلامية في العصر الأموي

الفصل الأول : اهتمام الخلفاء الأمويين بالعيون « رجال المخابرات »

الفصل الثاني : وسائل جمع المعلومات في العصر الأموي

الفصل الثالث : صفات رجال المخابرات في العصر الأمويّ

الفصل الرابع : أنواع رجال المخابرات في العصر الأموي

الفصل الخامس : تطور أساليب العمل الأمني لرجال المخابرات

الفصل السادس : الهيكل الإداري والتنظيمي لرجال المخابرات في العصر الأموي

الفصل السابع : الواجبات المنوطة برجل المخابرات في العصر الأموي

الفصل الأول

اهتمام الخلفاء الأمويين بالعيون
« رجال المخابرات »

إن اهتمام الخلفاء الأمويين بأمر العيون ، وتطور نظام المخابرات الإسلامية يظهر جليًّا منذ انتقلت الخلافة إلى بني أمية ، فكان الخليفة معاوية بن أبي سفان رضي الله عنه مهتمًا بأمر العيون من قبل أن يلي الخلافة ، منذ كان أميرًا على الشام ، وحين ولي الخلافة ازداد اهتمامه بها [(١)] .

ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أسر رجل من المسلمين بالقسطنطينية وأهين ببلاطهم ، فاستغاث وامعاوياه ! لقد أغفلت أمورنا وأضعتنا ، فوصل الخبر إلى معاوية بالشام عن طريق عيونه المتواجدين بأرض الروم ، فقام بفدائه وبأسر من أهانه ، وجعل المسلم يقتص منه بمثل ما أهانه ، وأن لا يزيد ، وهذا دليل على مدى دقة نظام العيون في إدارته ، ومدى اهتمامه بهذا النظام [(٢)] .

كما قام الخليفة معاوية رضي الله عنه بفرض رقابة دقيقة ومحكمة على أفراد الحاميات وأسرهم وعيّن موظفًا في كل حامية ليتحرى عن الداخلين والخارجين حتى لا يتسلل عين للعدو إلى أرض المسلمين فيتعرفوا على مواقع معسكراتهم ، ومدى قوة استعدادهم العسكرية ، ونقاط ضعفهم [(٣)] .

كما أظهر اهتمامه بأمر العيون من خلال ديوان البريد واعتنائه به لكي تسرع إليه أخبار

---

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ١٨٩ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ١ / ١٨١ .

(٢) النويري ، نهاية الأرب ٦ / ١٨٥ .

انظر تفاصيل هذه العملية في عمليات الردع الخاصة فيما يلي ص ٤٢٣ - ٤٢٥ .

(٣) وفيق الدقدوقي ، الجندية في عهد الدولة الأموية ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥ ، ص ١٧٧ .

البلاد من جميع أطرافها ، بما في ذلك أخبار الثغور ، ولم يكن للبريد ديوان قبل ذلك [١] .

وكان صاحب البريد عبارة عن عين الخليفة الباصرة وأذنه السامعة ينقل إليه أخبار عماله وقادته وسائر رجال دولته ، فكان له عيون يوافونه بكل جديد ، كما كان البريد واسطة بين الخلفاء والولاة والقادة لنقل الأوامر ، وكان أصحاب البريد رقباء ومفتشين من قِبَلِ الدولة يرفعون التقارير عن أحوال الجند في مختلف حالات القتال ، وفي كل الظروف والأوقات ، ويخبرونه بحال المال والعطاء ، وذلك باعتبار أن البريد كما يقال عليه جناح المسلمين [٢].

وحين انتقلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان اهتم بأمر العيون ، فلا نرى جيشًا له يسير إلا وقد سبقته العيون لترصد أخبار العدو ، واستطاع قادته استمالة بعض أبناء البلاد المفتوحة ليكونوا عيونًا لهم يقدّمون لهم المعلومات الصحيحة عن تحركات العدو ، واستعانوا أيضًا بالتجار في هذه المهمة [٣] .

فقد كان المهلب بن أبي صفره قائدًا لعبد الملك بن مروان ، وكان شديد الحرص لدى محاربته للخوارج ، فقد كان يدس الجواسيس في عسكرهم ليزودوه بأخبارهم ومن بعسكرهم من جموعهم ، بالإضافة إلى إذكائه العيون في الصحاري والأمصار ، حتى يأمن من بياتهم ويتعرف على تحركاتهم حتى يسلم من هجوم لهم مباغت عليه ، فيكون بذلك متحرزًا منهم ، وكان يستعين في عملية التجسس على الخوارج وتسقط

---

(١) العسكري أبو هلال عبيد الله بن سهل ، كتاب الأوائل تحقيق وليد قصاب طبعة الرياض ١٩٨٠ ، ١ / ٣٣١ ، وابن طباطبا ، الآداب السلطانية ص ١٠٦ ، والقلقشندي ، صبح الأعشى ١٤ / ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ومحمد كرد علي ، خطط الشام ٥ / ١٩ .

(٢) قدامة بن جعفر ، الخراج ص ٥١ ، ٧٨ ، وابن الأزرق ، بدائع السلك ٢ / ٥٢٠ ، والتنوخي ، الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي ، طبعة دار صادر - بيروت ١٩٧٨ م ، ١ / ٣٠٢ .

(٣) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ٢ ٥٤ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٣٨٦ .

أخبارهم بابنه [١] . واتخذ القائد المهلب بن أبي صفرة القتل كوسيلة عقاب لجواسيس الأعداء الذين يعثر عليهم مندسين بين صفوف المسلمين ، وذلك بعد استجوابهم والحصول منهم على الأخبار والمعلومات التي تفيد المسلمين [٢] .

أما الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قِبَلِ عبد الملك بن مروان فقد اهتم برقابة القادة والعسكر عن طريق عيونه وجواسيسه ، حيث يرسلهم نحو القائد المهلب ابن أبي صفرة لتأتيه بأخباره وسير حروبه مع الخوارج [٣] .

ومما يدل على اهتمام الخليفة عبد الملك بن مروان بالعيون والجواسيس ، فقد اعتنى بالبريد وطوره وأدخل عليه تحسينات وإضافات وكان يُشرف عليه بنفسه [٤] ، وجعل في كل ثغر صاحب بريد كعين له يخبره بكل ما يحدث ويجرى في ذلك الثغر من أحداث ، وبخاصة فيما يتعلق بتحركات الأعداء ونواياهم ، ثم يرفعها للإدارة العليا لترى فيها رأيها وأمرها [٥] .

وحين صارت الخلافة بيد الوليد بن عبد الملك اعتنى بأمر العيون ، حيث كانوا يدسون العيون بين صفوف الأعداء لاستقاء المعلومات عنهم وهذا ما كان يقوم بعمله القائد قتيبة بن مسلم وسواه من القادة [٦].

---

(١) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ٢ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، والطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٦١٧ .

(٢) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ٢ / ٢٩٤ ، وعبد الرؤوف عون ، الفن الحربي ص ٢١٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٣٠١ .

(٤) أبو هلال العسكري ، الأوائل ١ / ٣٣١ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ١٤ / ٣٨٦ .

(٥) التنوخي أبو علي المحسن بن علي ، الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي . ط . دار صادر بيروت ١٩٧٨ ، ٢ / ١٩١ .

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣ / ٥٣٥ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٣ ، وابن أعثم ، الفتوح ٤ / ١٦٠ .

بفضل الله وبفضل العيون الإسلامية ودقة استخدامها استطاع القائد المسلم قتيبة أن يطل فعل بيان العدو لجيشه ، وأن يلحق بهم الهزيمة المنكرة ، وذلك حينما انتخب أهل السغد والشاش [١] وأخشاد [٢] ، وفرغانة [٣] فرسانًا من أبناء المرازبة والأساورة الأشداء الأبطال فوجهوهم وأمروهم أن يبيتوا عسكر المسلمين ، فجاء القائد قتيبة عيونه بالخبر ، فانتخب لهم فوارس وعيّن عليهم أخاه صالح بن مسلم ووجههم ليكنوا لهم بالطريق وأخذ القائد صالح بن مسلم يوجه بالعيون إليهم ليترصدوا تحركاتهم وموعد وصولهم ، فاستطاع أن يقضي عليهم جميعا فلم ينج منهم أحد مما كسر أهل السغد وأضعفهم وزاد المسلمين منعة وعزة وغنموا ما كان بحوزتهم من سلاح ومتاع وكان الفتح [٤] .

وكان القائد قتيبة متيقظًا لعيون العدو المندسة بين صفوف عسكره ، وعندما يتمكن من التعرف عليهم والتثبت منهم يستجوبهم ثم يأمر بقتلهم [٥] .

واتخذ الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش القائد قتيبة بن مسلم صاحب خبر [٦] ينقل له الأخبار على صحتها وبهذا يبرز دور الرقابة الإدارية في الجيش [٧] .

---

(١) الشاش مدينة وراء النهر ، ثم وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك . ياقوت ، معجم البلدان ٣ / ٣٠٨ .

(٢) أخشان / وقيل أخسيكث مدينة بما وراء النهر ناحية فرغانة ، ياقوت ، معجم البلدان ١ / ١٢١ .

(٣) فرغانة : مدينة كورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان ، ياقوت ، معجم البلدان ٤ / ٢٥٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٣ ، وابن أعثم ، الفتوح ٤ / ١٧٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٣٠ ، وابن أعثم ، الفتوح ٤ / ١٦١ .

(٦) صاحب الخبر : هو شخص ينيط به الحاكم أن يرفع إليه جميع ما تقع عليه عينه أو يصل إلى سمعه ، وهو للحاكم بمنزلة العين الباصرة والأذن السامعة . انظر العباسي أبو علي الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ط بولاق القاهرة ١٨٧٨ م . ص ٨٣ .

(٧) الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٤٤ .

وعندما تولى الخلافة هشام بن عبد الملك ازدادت العناية بأمر العيون والأخبار سواء في محاربة الأعداء والخارجين على الدولة أو في الرقابة الإدارية على الولاة والعمال والقادة [١] . ويقول ابن قتيبة في هذا : « وقد وضع العيون والجواسيس من خيار الناس ، وفضلاء العباد في سائر الأمصار والبلدان ، يحصون أقوال الولاة والعمال ، ويحفظون أعمال الأخيار والأشرار ، وقد صار هؤلاء أعقابا يتعاقبون ، ينهض قوم بأخبار ما بلوا في المصر الذي كانوا فيه ، ويقبل آخرون يدخلون مسترقين ، ويخرجون متفرقين لا يعلم منهم واحد ، ولا يرى لهم عابر ، فلا خبر يكون ولا قصة تحدث من مشرق الأرض ولا مغربها إلا وهو يتحدث به في الشام وينظر فيه هشام وقد قصر نفسه على هذه الحال ... » [٢] .

لقد اعتنى قادة الخليفة هشام بن عبد الملك بأمر العيون في إدارتهم للدولة تأسيًا به ، ومن هؤلاء القادة الجراح بن عبد الله الحكمي ، فإنه عند إزماعه السير لمحاربة الخزر سمع بأن معه عيونا متخفية بين صفوف جنده قد كاتبوا ملك الخزر بخبر مسيره إليه ، فبحنكة منه قام بخداعهم بحيلة ذكية حيث أمر مناديه أن ينادي في العسكر بأنه مقيم ، وطلب منهم أن يستكثروا من الميرة والعلف فكتب العيون بخبره هذا فباغتهم وتمكن من التغلب عليهم [٣] .

وحين تمكن القائد الجراح من فتح « بلنجر » [٤] أسر أولاً صاحبها وأهله وأخذ أمواله ثم ساومه على رد أولاده وأهله وأمواله وحصنه إليه بشرط أن يكون عينًا لهم يخبره بما يفعله الكفار من الترك ، فوافق صاحب بلنجر على ذلك ، وحينما اجتمع أهل

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١٧٥ .

(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ٢ / ١٠٨ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٤ / ١٨٧ .

(٤) بَلَنْجر : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ / ٤٩٠ .

تلك البلاد وأخذوا الطرق على المسلمين كتب صاحب بلنجر إلى القائد الجراح يعلمه الخبر وهذا يدلنا على ما كان عليه هذا القائد من الحكمة والخبرة الإدارية التي جعلته يحول الأعداء إلى عيون له يستعين بهم في عملية التجسس لصالحه (١) .

كما كان قادة الخليفة هشام بن عبد الملك يضعون العيون على عسكرهم لمعرفة أحوالهم وأخبارهم ، فمن ذلك أن القائد الجنيد بن عبد الرحمن المرّي والي خراسان أثناء محاربته لخاقان ملك الترك أحب أن يستطلع أخبار جنده فكلف أحد رجاله بأن يسير في المعسكر ليتعرف على روحهم المعنوية فقال له « امش في الصفوف والدراجة وتسمع ما يقول الناس وكيف حالهم » (٢) .

وفي خلافة آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد ، نرى في إدارته وصية قيمة في العيون لابنه حيث قال : « أذك عيونك على عدوك متطلعًا لعلم أحوالهم التي يتقلبون فيها ومنازلهم ، التي هم بها ومطامعهم التي قدموا أعناقهم نحوها ... واحفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك ، وليكن منزلهم على كاتب رسائلك ، وأمين سرك ، ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم ... واعلم أن لعدوك في عسكرك عيونًا راصدة وجواسيس متجسسة ... » (٣) .

مما سبق يتبين لنا مدى اهتمام الخلفاء الأمويين وقادتهم بالعيون والجواسيس والأخبار ، وذلك لما لهذا الأمر من دور مهم في الدولة وخاصة في الإدارة العسكرية ، ولما توفره هذه العيون من معلومات هامة على أساسها تضع القيادة المسلمة الخطط التي تؤدي إلى النصر والتصدّي للعدو .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٤ / ١٨٧ .
(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٨٠ ، ٨١ .
(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ١٠ / ٢١٢ - ٢٢١ .

الفصل الثاني

وسائل جمع المعلومات في العصر الأمويّ

أولا : وسائل المسامين لجمع المعلومات في العصر الأموي

من المعروف أن العمل الممتاز لرجال المخابرات يتطلب إيجاد وتطوير قنوات متعددة للمعلومات ، حتى تصل إلى تقييم متوازن للتحديات التي تواجهها ، سواء على المستوى الداخلي أو المستوى الخارجي ، وهذا ما كان عليه عيون وجواسيس القيادة الأموية ، فقد حدث تطور نوعي وكميّ في الإدارة ، وكذلك في أساليب العمل مما يتناسب مع مقتضيات العصر وإشكالاته ، واتجاه نحو العمل المهني المنظم حتى ظهرت انعكاساته الإيجابية بصورة واضحة .

فالحالة التي كانت عليها الدولة الأموية من التحديات الداخلية التي لا تقل بأي حال من الأحوال عن التحديات الخارجية ، مما جعل العدو يتحول من الدفاع إلى الهجوم بسبب الحالة الداخلية وما بها من تجزئة وحروب أهلية ، وكذلك جعلت حركات المعارضة المسلحة تلجأ إلى تكوين العيون والجواسيس الخاصة بها ، لمقاومة السلطة الأموية (١) . وكان على العيون والجواسيس الخاصة بالدولة الأموية أن تراقب كل هذه الحركات السياسية التي لجأت للعمل سرًا ، فمنذ عام (٤٦ هـ / ٦٦٣ م) كان للخوارج سراديب يجتمعون فيها ويجعلون على بابها رجلاً ينذرهم عند اللزوم (٢) ، وقد حسّنت هذه الحركات السرية من وسائل حفظ خططها (٣) ، ولجأت إلى وسائل

---

(١) البلاذري ، كتاب أنساب الأشراف : ج ٤ قسم ٢ ص ٩١ ، ومحمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٦١ .

(٢) المبرد ، الكامل في اللغة : ٣ / ٢٥٨ ، و البلاذري ، كتاب أنساب الأشراف ج ٤ قسم ٢ ص ٨٧ – ٨٨ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٧ .

ذكية ، منها تغيير معالم الملاحقين من رجالها [١] ، ووصل بها الأمر إلى خرق وحدات العيون الأموية وزرع أنصارها فيها ، فضلاً عن التخفي عند الانتقال من مكان إلى مكان في صورة تجار [٢] ، أو حجاج [٣] ، كما لجأ بعضهم إلى تغيير أسماء القيادة بأسماء غير معروفة [٤] ، مما ألقى أعباء كبيرة على عيون وجواسيس القيادة الأموية في هذا العصر ، ومما جعل القيادة الأموية تطور عيونها وجواسيسها تطورًا يتناسب مع تلك المتغيرات في النوع والكم ، فمن حيث النوع زادت القيادة الأموية في هذا العصر أنواعًا من العيون كالعرفاء الذين هم سادة القوم ، وعناصر تركية ، وعناصر من القبائل المغربية ، وعناصر أسبانية وإفرنجية ، وسندية ، بخلاف الأنواع الأخرى التي كانت موجودة من قبل مثل العيون العربية الإسلامية ، والتجار والرسل وعناصر قوقازية وفارسية وبيزنطية ، وعناصر يهودية ومصادر أخرى متنوعة ، فمن المصادر الأموية ما يلي :

١ - العيون الإسلامية :

وهم الذين ينتمون إلى أصل عربي ، أو ارتبطوا بقبائل عربية ، وحملوا لقبها عن طريق رابطة الولاء [٥] ، وتدرج من حيث المكانة والأهمية في المقدمة ، سواء كانت عيونًا على صعيد الإدارة وتنفيذ العمليات أو مصدرًا من مصادر المعلومات ، فمن العيون التي

---

(١) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، طبعة مكتبة المثنى ، بغداد ١٨٦٩ م . ٣ / ١٥ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٤ / ١٢٨ - ١٣١ ، شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب ٦ / ١٨٥ - ١٨٧ .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٦١٦ - ٦١٧ ، ومؤلف مجهول ، نبذة من كتاب التاريخ ص ١٥٩ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١٠٩ ، وابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٩١ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب « و . ل . ى » ، وانظر عبد العزيز الدوري تاريخ صدر الإسلام ، طبعة بغداد ١٩٤٩ م ، ص ٤٣ ، ٧٧ ، ٨٢ .

تم استخدامها في نقل الأخبار ورصد المعلومات لصالح المسلمين : شمر بن جعونة الكلابي الذي استطاع نقل الأخبار إلى المغيرة بن شعبة عن فرقة الخوارج في الكوفة (١) .

وعمارة بن عقبة وهو من قريش ، استطاع أن ينقل الأخبار إلى الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ وعن التنظيم العلوي في الكوفة (٢) . كما نقل أيضًا أخبارًا إلى زياد بن أبيه عن التنظيم العلوي في الكوفة (٣) .

ولأْيّ بن شقيق بن ثور السدوسي الذي نقل الأخبار عن ابن الأشعث لصالح الحجاج الثقفي ، عندما خلع ابن الأشعث بسجستان ، وأقبل يريد الحجاج بالعراق ، فقدم لأْيّ بن شقيق السدوسي على الحجاج فأخبره ، فحمله من ساعته إلى الخليفة عبد الملك بن مروان ، فردّه عبد الملك إلى الحجاج يأمرُهُ بالتشمير والجد حتى تأتيه الجنود (٤) .

وثبيت البهراني ، قد استطلع لصالح الحرشي ضد الخزر ، قال : قدم علينا الحرشي برذعة (٥) على دواب البريد ، فسرنا معهم إلى البيلقان ومضوا نحو أذربيجان وأقبل عسكر للخزر معهم عَجَلٌ كثير عليها سبايا المسلمين والغنائم من أهل أدربيل ، قال ثبيت البهراني : فوجهني الحرشي طليعة فأتيت العسكر وهم نيام فانصرفت فأخبرته فحضض أصحابه وصار إليهم (٦) .

والأشهب بن عبيد ، الذي نقل الأخبار للجنيد المرّي في معركة الشّعب ، عندما خرج الجنيد المرّي ومعه الناس وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسي وزياد بن خيران

---

(١) أبو جعفر الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١٨١ .

(٢) أبو جعفر الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٣٥٦ .

(٣) أبو جعفر الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٢٣٦ .

(٤) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري – طبعة الرياض الطبعة الثانية ١٩٨٥ م ، ص ٢٨١ .

(٥) برذعة : بلد في أقصى أذربيجان ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ / ٣٧٩ .

(٦) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

الطائي ، فسرح الجنيد الأشهب بن عبيد الحنظلي ومعه عشرة من طلائع الجند كعيون له ، وقال للأشهب : كلما مضيت مرحلة فسرّح إليّ رجلاً يعلمني الخبر [١] .

٢ - العرفاء :

والعريف يلي رئيس القوم من حيث المنزلة ويعتبر سيد القوم ، وعن طريقه تتعرف السلطات على أحوال القوم أو القبيلة [٢] . فهم حركة الوصل بين القبائل العربية في المصر وبين السلطات الإدارية للدولة ، وقد حل هؤلاء العرفاء محل رؤساء القبائل في القوة والنفوذ [٣] .

فالعريف مسئول عن أفراد قبيلته ، وعليه التحري عن اتجاهاتهم وخططهم ، وتبليغ الجهات المسئولة عن أي خطر يظهر من أفراد القبيلة كعين لتلك الجهات ، كما كان عليه أن يقدم أحيانًا للقائد العسكري ، تقريرًا عن الشجعان والجبناء في قبيلته ، وعلى الرغم من المسئوليات الأمنية التي وقعت عليه ، فقد ظلت تقع على عاتقهم مهمة تقسيم العطاء على أفراد قبائلهم أيضًا [٤] وكما فعل ذلك زياد بن أبيه في عهد الدولة الأموية ، إذ جعل من مهمة العرفاء حفظ النظام ومراقبة مثيري الفتن داخل القبائل [٥] .

٣ - التجار :

لقد ازدادت أهمية التجار في العصر الأموي ، وذلك بفضل ازدياد مساحة الدولة ، وبفضل سيطرة الدولة على أهم الطرق التجارية البرية والبحرية ، وبفضل مجاورة الدولة الأموية لكثير من الشعوب والدول ، فضلاً عن حرية العمل التي سمح بها النظام الدولى

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٨٢ - ٨٣ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب « عرف » .

(٣) مجموعة من المؤلفين ، حضارة العراق ، طبعة دار الحرية - بغداد ١٩٨٥ م ، ٦ / ٢٩٠ وما بعدها .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٤ .

(٥) مجموعة من المؤلفين ، حضارة العراق ٦/٢٩٠ وما بعدها .

القائم آنذاك للتجار ، التي ظلت بموجبها الاتصالات التجارية قائمة بالرغم من العلاقات العدائية التي كانت سائدة في معظم الأحيان .

من هذا المنطلق حرص المسلمون في العصر الأموي على مسالحهم التي كانوا يقيمونها على منافذ الحدود المشتركة مع دار الحرب ، فكان المسلمون يحاولون التأكد من أن التجار الذين يمرون بهذه المسالح لا يحملون معهم مواد تجارية تضر بالإسلام ودار الإسلام ، وسلامته (١) ، وفي نفس الوقت كانت الدولة تعمل على حماية حقوق التجار ، ودعمهم بصورة مستمرة ، ليس من أجل المصالح التجارية فحسب ، بل والمصالح السياسية والعسكرية والأمنية (٢) .

لقد اتخذ القادة الأمويون التجار عيونًا وجواسيس في الدول والمناطق التي يتاجرون فيها ، صعوبة الفصل أو التمييز بين من يمارس المهنة بشفافية وبين أولئك الذين يعملون في التجسس ، متخفين بثياب التجار ، بل وأن بعض العمليات الخاصة ، التي نفذت ضد العدو البيزنطي ، في هذا العصر ، نفذت من خلال عيون تخفوا بثياب التجار حتى استطاعوا القيام بمهامهم بكل دقة واتقان (٣) . والذي جعل الدولة تعتمد على هذه القناة لاستخدام العيون والجواسيس ، لجوء كثير من التنظيمات السياسية المعارضة ، إلى العمل من خلال مهنة التجارة ، فضلاً عن أهميتها ، لأغراض التمويل الضرورية جدًا (٤) . وكان لابد من متابعة هذه التنظيمات السياسية المعارضة من خلال الأسلوب نفسه (٥) .

---

(١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، الخراج ، طبعة دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٥٣٤ .

(٣) شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب ٦ / ١٨٥ - ١٨٧ .

(٤) مؤلف مجهول ، نبذة من كتاب التاريخ ص ٥٨ .

(٥) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٠ ، ٤٠٦ .

٤ - الرسل :

تعتبر الرسل مصدرًا من مصادر التجسس ، وذلك بسبب طبيعة مهمتهم ، حيث يسمح لهم بالاتصال بقيادة الدولة المرسلين إليها ، وبحاشيتها ، وما يرونه بأعينهم خلال رحلة الذهاب والإياب من مشاهد ومدن ومنشآت كل ذلك جعل منهم مصدرًا هامًا من مصادر الحصول على المعلومات ، لاسيما وأن العصر الأموي كانت فيه العلاقات العدائية السائدة بين دول الجوار ، والاستثناء هي العلاقات السليمة ، ويرجع ذلك إلى اعتناقهم لعقائد دينية مختلفة ، فضلاً عن المصالح السياسية والاقتصادية المتباينة .

ومن المعروف أن استخدام الرسل بين الدولة الأموية والدول الأخرى الهدف منها في الغالب هو افتداء الأسري [١] ، أو لإدارة مفاوضات للوصول إلى هدنة [٢] ، أو لأغراض نشر الإسلام [٣] وقد شهد العصر الأموي إرسال سفارات كثيرة إلى القسطنطينية [٤] وإلى الصين [٥] ، وإلى سجستان [٦] .

وكانت القيادة الأموية تختار رسلها بعناية فائقة ، وقدرة عالية ، وكفاءة لا مثيل لها ، فضلاً عن إجادته لغة الدول المرسل إليها في معظم الأحيان ، ولديه الحكمة السياسية

---

(١) المبرد ، الكامل في اللغة : ٢ / ١١٢ ، والأصفهاني ، كتاب الأغاني ٦ / ١١٧ ، ١١٨ ، ٩ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) اليعقوبي ، كتاب البلدان ص ٢٨٣ ، وابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، طبعة بغداد ١٩٨١ ص ٣٥٥ .

(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٠ ، و المبرد ، الكامل في اللغة : ٢ / ١١٢ ، و المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١١٧ .

(٥) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٥٠١ ، ٥٠٢ .

(٦) اليعقوبي ، كتاب البلدان ص ٢٨٣ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

والكياسة واللباقة وقوة الشخصية وجمال الهيئة (١) ، وأن يكون لدى هذا الرسول المعلومات الكافية عن الدول المرسل إليها وعن أوضاعها ، تلك المعلومات التي تساعده أثناء التفاوض (٢) . وقد تمت في عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك في عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م ، سفارة مكونة من رجلين هما مجاهد بن يزيد وخالد البريدي ، وقد وصفا طريقة حماية السكان المدنيين من قِبَلِ البيزنطيين أثناء دخول القوات الإسلامية إلى داخل الأراضي البيزنطية ، وذلك من خلال ملاجئ تقام تحت الأرض تسمى « المطامير » كما نشير إلى التقاء إحدى السفارات ربما بطريقة متعمدة من قبل السلطات البيزنطية ، بأحد الأسرى العرب المرتدين عن الإسلام (٣) .

ولما علم البيزنطيون بالمهام التجسسية للرسل التي تصل بلادهم ، فقد كانوا يسمحون لهم بالإقامة الطويلة ، وذلك للحيلولة دون اطلاعهم على أي أسرار (٤) .

٥ - مصادر قوقازية :

منذ أن وطئت أقدام المجاهدين المسلمين منطقة القوقاز في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهذه المنطقة تعرف بثغور أرمينية وأذربيجان وقد شهدت في العصر الأموي اندفاعًا باسلاً حيث وصلت جحافل الفتح الإسلامي إلى السواحل الشرقية للبحر الأسود بقيادة مروان بن محمد الأموي ، في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، وكانت المعاملة الحسنة هي التي تسود مع تعاليم الإسلام ، والتي كان المسلمون يتعاملون بها مع سكان هذه المنطقة وقادتها ، مما جعلها السبب الأول في تعاون أهل هذه المنطقة مع الدولة الإسلامية (٥) .

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٥٠١ ، و المسعودي ، مروج الذهب ١ / ٣٦٣ .

(٢) ابن الأثير كتاب الكامل في التاريخ ٥ / ١٧٨ .

(٣) الأصفهاني ، كتاب الأغاني ٥ / ١٧٨ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١١٧ - ١١٨ .

(٥) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٣٤ .

فلم يمكن تحقيق مثل هذا الفتح العظيم وهذا الإنتشار للإسلام والمسلمين من غير تعاون عيون وجواسيس قوقازية من أهل المنطقة مع الدولة الإسلامية ، وكان هذا التعاون الاستخباراتي يأتي في أعقاب معاملة كريمة للقيادات التي كانت تقع في الأسر ، وإعطائها فرصة للعمل بصورة مشرفة وبكرامة ، كما حدث مع ملك « بلنجر » في عهد القائد الجراح الحكمي (١) . والذين عيّن عيونا وجواسيس من منطقته خدمة للعمل في خدمة القوات الإسلامية (٢) . وأشير أيضًا في عهد الجراح ، إلى عيون محلية ، تعاونت معه أثناء التصدّي لملك الكُرّ (٣) . المتحالف مع ملك الخزر (٤) .

كما سجلت ولاية سعيد بن عمرو الحرشي (٥) لثغور أرمينية وأذربيجان تعاونًا مع عيون بن البلقان ، في العمليات التي شنها لدحر الخزر ، بعد استشهاد الجراح عام ١١٢ هـ / ٧٣٠ م) (٦) .

وكذلك الحال في عهد مسلمة بن عبد الملك ، وقد بلغ التعاون ذروته في ولاية مروان بن محمد الأموي (٧) .

---

(١) الجراح الحكمي من القادة الأكفاء الذين برزوا في العصر الأموي ، وقد استشهد أثناء إحدى معاركه أمام الخزر ، في نواحي الموصل عام ١١٢ هـ / ٧٣٠ م ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥ / ١٥٩ .

(٢) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٣٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥ / ١١٢ - ١١٥ .

(٣) الكُرّ : مملكة تقع على نهر يحمل الاسم نفسه ، ينبع من جبال القوقاز ، يجري بين أرمينية وأران ، تقع عليه مدينة تفليس ، ويصب في نهر الرس . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٤٥١ .

(٤) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٢٩ - ٣٠ .

(٥) سعيد الحرشي هو أحد القادة العسكريين الأفذاذ الذين ظهروا في العصر الأموي ، تولى خراسان ثم أرمينية وأذربيجان ، وأبلى بلاء حسن في التصدّي للخزر والترك ، محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٥٧٧ ، ٦١٩ ، ٧ / ٧ - ٩ ، ١٢ ، ٧٠ ، ٧١ .

(٦) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٤٧ ، ٤٨ .

(٧) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ٣٤٨ ، و ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٦١ ، ٦٢ .

٦ - مصادر تركية :

وجب على القيادات الإسلامية في الدولة الأموية أن تتخذ العيون والجواسيس التركية نظرًا لاتساع جبهة الترك في وسط آسيا ، حيث امتدت من شمال القوقاز إلى إقليم ما وراء النهر ، حتى تعمل بالتعاون مع العيون العربية ، لصالح القوات الإسلامية والجهاز الإداري ، بما يحتاج إليه من معلومات على الصعيدين العسكري والأمني سواء في الداخل أو الخارج [١] .

ومن الملاحظ أن العمل مع العيون الأتراك ، لم يكن مضمونا دائماً ، حالهم حال أي جاسوس ، قد لا تكون القواسم المشتركة كثيرة ، مع من يعمل لمصلحتهم ، فقد عرفت القيادة الإسلامية كيف تكشف الخلل ، وتعالج أي مشكلة في هذا الاتجاه [٢] .

والذي ساعد على توسيع آفاق التعاون الأمني بين الإدارة الإسلامية والقيادات المحلية من ملوك وقادة ودهاقين ، ما كان يتم من معاهدات الصلح [٣] وربط القيادات من ملوك وقادة وغيرهم مصلحيًا بالإدارة الإسلامية ، وذلك من خلال الممثلين الشخصيين لعامل خراسان ، والذين كانوا يقيمون في مدن الصلح [٤] ، وإن شهدت هذه الجبهة تغيرات في الولاء بين فترة وأخرى [٥] وقد عُرف عن القائد قتيبة بن مسلم الباهلي نجاحه في أن جعل له عيونًا وجواسيس داخل القيادة التركية تمده بالمعلومات وتتعاون معه بما يخدم أمور الدولة الإسلامية [٦] .

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٣٨٦ ، ٥٠٣ ، ٧ / ٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٢٣ ، وابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح ٧ / ٢١٨ .

(٢) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٧ / ٢١٨ - ٢١٩ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٤ / ١٩١ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٤٦ - ٤٥٩ .

(٥) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٣٠ ، ٤٥٥ - ٤٤٧ .

(٦) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٣ - ٤٧٤ .

٧ - مصادر فارسية :

ظهر التعاون الأمني من جهة بعض العناصر الفارسية خلال العصر الأموي ، وكان هذا التعاون بصورة متفاوتة بين تلك العناصر ، ويختلف بين منطقة وأخرى ، ففي منطقة العراق على سبيل المثال تعاون دهقان بابل مهروذ ، ماذرواسب ، مع الحجاج ابن يوسف الثقفي في تقديم معلومات هامة عن تنظيم الخوارج من خلال رسالة أو تقرير أرسله قائلاً : « أما بعد فإني أخبر الأمير أجله الله ، أن شبيبًا بن يزيد الخارجي قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة ، ولا أدري أين يريد »[(١)] .

كما ظهر هذا التعاون الفارسي أيضًا مع المهلب بن أبي صفرة في بلاد فارس ، أثناء مطاردته للخوارج ، وهو ما دفع قطَرِيّ بن الفجاءة إلى معاقبة سكان مدينة « اصطخر » بعنف لتعاونهم مع المهلب بن أبي صفرة على مستوى المعلومات ، وحاول معاقبة سكان مدينة « فسا »[(٢)] لنفس السبب لولا قيام أحد الزعماء الفرس ، هو « آذاد مرد بن الهربذ » ، بدفع فدية كبيرة له[(٣)] .

كما ظهر أثر هذا التعاون في « طبرستان » من خلال التعاون الأمني ، الذي قا به « الأصبهذ » مع القائد الأموي سفيان بن الأبرد الكلبي ، الذي أرسله الحجاج بن يوسف الثقفي ، للقضاء النهائي على قطري من الفجاءة[(٤)] .

٨ - مصادر مغربية « بربرية » :

كما كان للقادة الأمويين عيون في الشرق تساعدهم وتقدم لهم المعلومات ، كان لهم في الغرب عيون يعتمدون عليها كمصدر من مصادر وكعيون تقدم لهم ما يخدم

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٨ .

(٢) نسا : إحدى مدن إقليم فارس ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٢٦١ .

(٣) المبرد ، الكامل في اللغة : ٣ / ٣٩٠ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٧٦ .

الجانب العسكري والجانب الإداري ، لاسيما إذا عرفنا أن المنطقة معقدة تضاريسيًا ، ما بين جبال وهضاب ، وصحاري ، ووديان ، علما بأنه لم تكن للعرب معرفة سابقة بهذه المنطقة ، بأي شكل من الأشكال ، فقد اعتمد عقبة بن نافع ، أثناء حملاته ، على الأدلاء لاسيما من هذه القبائل (١) .

كما حصل على معلومات أخرى من « يليان » حاكم طنجة عن أوضاع أفريقية وبلاد الأندلس (٢) . كما دعمت بعض هذه القبائل البربرية أبا المهاجر دينار ، مولى مسلمة ابن خالد ، أثناء تولية قيادة الجبهة بعد تنحية عقبة بن نافع عام ٥٥ هـ / ٦٧٤ م ، وهو ما يفسر النجاحات التي حققها في المغرب الأوسط(٣) كما تلقى زهير البلوي دعمًا أمنيًا من بعض القبائل البربرية بعد استشهاد عقبة بن نافع (٤) .

كما استطاع حسان بن النعمان الغساني بعد توليه أفريقية سنة ٧٤ هـ / ٦٩٤ م تكوين عيون وجواسيس محليين ، وذلك لمراقبة تحركات البربر ، الذين ظلوا على عدائهم ، وتحالفوا مع العدو البيزنطي الذي كان لا يزال موجودًا في بعض المراكز الساحلية ، ويلاحظ أن هذه العيون هي التي نقلت إليه مدى العلاقة بين الكاهنة وبين البيزنطيين قبل الاصطدام الأول في وادي العذارى (٥).

كما كانت سياسة موسى بن نصير الذي تولى أفريقية بعد حسان الغساني تسير على نفس الاتجاه ، من اعتماده على عيون محلية تمده بالمعلومات في محاولة إكمال

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ١٩٥ .

(٢) ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، طبعة دار الثقافة بيروت ، بدون تاريخ ١ / ٢٦ .

(٣) عبد الله بن أبي عبد الله المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية ، تحقيق حسين مؤنس ، طبعة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة بدون تاريخ . ١ / ٢٠ - ٢١ .

(٤) عبد الرحمن بن محمد الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ١ / ٦٥ .

(٥) عبد الله المالكي ، رياض النفوس ١ / ٣٢ - ٣٣ ، وابن عذاري ، البيان المغرب ١ / ٣٦ .

تحرير المغرب ، ونشر الإسلام بين سكانه ، فقد نقلت إليه عيونه وجواسيسه ، أن الأوضاع الاقتصادية لقبيلة صنهاجة تسمح إليه بالقيام ضدها بعملية ناجحة ، فيشن عليها حملة ناجحة [١] .

٩ - مصادر إسبانية وإفرنجية :

رغم بُعد المسافات بين مركز الخلافة الأموية وبين بلاد الأندلس ، لم يمنع هذا استخدام القيادة الأموية للعيون والجواسيس من الإسبانيين والفرنجة ، يعتمدون عليها في كثير من المعلومات التي تخدم الجانب العسكري والجانب الإداري في الدولة الأموية ، فقد كان الأمير طارق بن زياد أمير الفتح الإسلامي حاكمًا على طنجة ، قبل قيادة هذه الحملة [٢] وكان المسلمون يحصلون على معلومات بصورة مستمرة عن أوضاع الأندلس ، من خلال علاقتهم الجيدة مع حاكم « سبتة » يليان [٣] ، وعندما حانت ساعة الصفر أو ساعة الانطلاق إلى الفتح وجّه يليان مع طارق بن زياد مجموعة من العيون والأدلاء ، الذين سهلوا عملياته ، وكانت تصله عن طريقهم أخبار تحركات « القوط » العسكرية وأوضاعهم [٤] كما كان لا ينسى دور أولاد غيطشة ، الذين ينتمون إلى العائلة المالكة ، التي سبقت مجيء لذريق والذين دفعتهم كراهيتهم للزريق

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ٢ / ٥٤ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٢٠٥ ، وأحمد بن يحيى الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، طبعة مطبعة روخس - مجريط ١٨٨٤ م . ١٠ - ١٥ .

(٣) إبراهيم بن القاسم القيرواني ، تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق المنجي الكعبي ، طبعة تونس ١٩٦٧ م ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، طبعة مجريط ١٨٦٧ م . ص ٧ ، ١١ ، وابن عزارى ، البيان المغرب ٢ / ٩ ، ١٣ ، وأحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، طبعة دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ م . ١ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٦١ .

إلى العمل عيونًا ، في خدمة الجهد العسكري الإسلامي [١] ، بل وساهموا في القيام بعمليات خاصة تقدم العون والمساعدة للقيادة الأموية [٢] .

ومن المعروف والملاحظ أحيانا تحتوي معاهدات الصلح بنودًا تنصّ على دور السكان المحليين في القيام بأعمال تجسس ، سواء في خدمة الجهد العسكري ، أو في مقاومة التجسس المضاد ، فقد جاء في الصلح الذي تم بين القائد المسلم « عبد العزيز بن موسى » وبين القائد القوطي « تدمير » وكان وقتها حاكمًا لمنطقة شرق الأندلس ، وجاء النص في المعاهدة على النحو التالي : « وأنه لا يدع حفظ العهد ، ولا يكتمنا خبرًا علمه ... » [٣] .

وكما وُجدت العيون والجواسيس في الساحة الأسبانية ، كذلك وجدت في الساحة الفرنجية - الفرنسية - حيث استمرت تلك العمليات أكثر من قرن ونصف ، في جنوب فرنسا ، وشمال إيطاليا وسويسرا [٤] .

١٠ - مصادر بيزنطية :

لقد مثلت الحدود الشمالية للدولة الأموية قواعد للعيون والجواسيس ، وهي التي تسمى « الثغور » ، مثل مدينة أنطرسوس ، وملطية ، وتمشاط ، وهي المدن التي كانت تنطلق منها السرايا الصائفة والشاتية ، فكانت تلك العيون عاملة ، سواء في مناطق الثغور ، أو في عمق أراضي العدو البيزنطي ، تجمع المعلومات عن المنطقة وأوضاعها والسكان بها وميولهم ، وطبيعة الجهد العسكري البيزنطي ، وكذلك الأوضاع

---

(١) أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب ١ / ٢٥٨ .

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ٢ / ١٤ .

(٣) محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الأول ، طبعة الخانجي القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٥ .

(٤) شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وإيطاليا . طبعة دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٦ ص ٨٥ - ١٤٤ .

الاقتصادية والمناخية ، كل ذلك من صميم عمل العيون والجواسيس ، ونظرًا لأهمية هذه الثغور فقد كانت مرتبطة بمحطات للبريد ، تعمل على نقل أخبار أية حركة معادية إلى مركز القيادة ومقر الخليفة الأموي [١] ، واستخدام العيون من البيزنطيين في تسهيل أداء عمليات خاصة أحيانًا [٢] .

لم يقتصر تعاون أو نشاط العيون البيزنطيين على ثغور الشام والجزيرة فقط ، بل امتد إلى المغرب العربي ، حيث كان للبيزنطيين تواجد في المنطقة ، وقد استغل المسلمون الانشقاقات الداخلية من أجل كسب أحد الأطراف ، ودفعه للعمل لمصلحتهم ، ومصالحه الشخصية في آن واحد ، كما حدث مع « أجناديوس » الحاكم البيزنطي في أفريقية ، في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، والذي زار دمشق من أجل طلب العون للعودة إلى الحكم ، بعد أن أطيح به من قِبَلِ أحد منافسيه [٣] .

فهذا مغيث الرومي الذي يعود إلى أصول بيزنطية من شمال أفريقية ، كان مولى الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذي عُرف عنه دوره الكبير في فتح الأندلس [٤] ، كما كان له دور كبير في قمع تمردات الخوارج الصفرية في عهد كلثوم بن عياض القشيري [٥] ، وقد مارس أيضًا دورًا أمنيًا كعين من العيون لصالح الخلافة الأموية في دمشق ، عندما قام بمراقبة أداء القادة والولاة .

١١ - مصادر سندية :

رغم بُعد بلاد السند وتعقيد تضاريسها ، فقد لعبت العيون المحلية دورًا فاعلاً في

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٢٢ .

(٢) المبرد ، الكامل في اللغة : ٢ / ١١٣ - ١١٤ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١ / ١٧ .

(٤) مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ص ١٠ - ١٢ ، والضبي ، بغية الملتمس ص ٤٦١ .

(٥) مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ص ٢١ .

هذه الجبهة البعيدة ، من خلال تقديم معلومات مهمة [١] ، وكذلك خدمات على صعيد المفاوضات ، فقد لقي « داهر » ملك السند مصرعه على يد اثنين من المتعاونين مع القوات الإسلامية ، وقيل أنهما من مدينة « بروص » ، وقد اشتُرط على أهل « ساوندى » في معاهدة الصلح المعقودة معهم ، أن يكونوا أدلاء للمسلمين ، ويقومون بإمدادهم بالمعلومات التي تخدمهم سواء في الجانب العسكري أو الجانب الإداري [٢] .

١٢ - مصادر يهودية :

من المعروف أن الإسلام والمسلمين يحسنون معاملة أهل الذمة ، دون أي ظلم أو عدوان ، فظل اليهود من خلال هذه المعاملة الجيدة في العصر الأموي في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان يعملون عيونًا وجواسيس ، غير أنهم توقفوا عن العمل في زمن الخليفة يزيد بن معاوية ، مما استوجب عليهم الجزية ، بعد أن أعفوا منها في العصر الراشدي بسبب عملهم عيونا وجواسيسًا لصالح الدولة الإسلامية [٣] .

ثم شمح لهم بإعادة هذا التعاون من جديد بعد انتشارهم الواسع ، كما حدث عند بدء عمليات فتح الأندلس ، حيث كانوا في حالة عداء مع النظام القوطي في الأندلس ، هذا النظام الذي أضرّ كثيرًا بمصالحهم الاقتصادية [٤] ، فقد قدموا عونًا ناجحًا ومعلومات مهمة وخدمات تجسسية للقوات الإسلامية [٥] .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٥٣٦ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٥٣٧ . ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٥ و المسعودي ، التنبيه والأشراف ص ١٣٨ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٨٧ .

(٤) مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ص ١٢ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ٢ / ١٢ ، وإبراهيم بيضون الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، طبعة دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٧ . ص ٧٣ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ٤ / ٨١ .

١٣ - مصادر متنوعة :

نظرًا لقرب المجتمع الإسلامي من عصر الرسالة ، وإيمان المجتمع جعل مسئولية الأمن والحفاظ على وحدة الجماعة هدف معظم أبناء الأمة ، ولذلك فإن أبناء الأمة كانوا يسارعون إلى تقديم ما لديهم من معلومات ، إلى المسئولين ، بغض النظر عن درجة القرابة التي تربطهم بالمتهمين ، فعندما وصل إلى أسماع الحنف بن قيس ، قيام عمه جزء بن معاوية التميمي ، باختلاس مئة ألف درهم ، أثناء توليه الإشراف على منطقة سقي الفرات ، سارع إلى إبلاغ عبيد الله بن زياد عامل البصرة الذي قام باسترجاعها منه [١] ، وكانت لتلك المصادر المتطوعة دور حاسم في تغيير مسار بعض المعارك في العصر الأموي [٢] .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٥٣٨ ، ٥٠٨ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٧ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ٣٠٧ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٧ .

ثانيا : مصادر العدو في جمع المعلومات من الدولة الإسلامية

كانت الدولة البيزنطية ، وملوك الأتراك فيما وراء النهر وبجارى والصغد وسمرقند ، ودول رعوية في السهوب الكبرى [١] ، تمثل العدوّ المباشر للدولة الأموية ، وقد عملت الدولة البيزنطية على إيجاد قنوات ومصادر تزودها بالمعلومات عن الدولة الإسلامية ، التي طردتها من أهم الأقاليم التي كانت تسيطر عليها في الشام والجزيرة وأرمينية ومصر والمغرب ، وساعدها على ذلك تقدمها الحضاري ، وامتلاكها معلومات كثيرة ، عن طبيعة هذه الأقاليم ، وسكانها فضلاً عن وجود متعاطفين معها من بعض السكان من خلال العقيدة الدينية المشتركة ، فعلى الصعيد الحضاري ، وُصف البيزنطيون بأنهم من أحذق الأمم في فن التصوير الذي وظفوه في تصوير جواسيس العدوّ ، سواء كان شيخًا ، أو شابًا جميلاً كان أو قبيحًا ، ضاحكًا أو باكيًا أو مبتسمًا [٢] ، وكان أهداف تجسسهم تشمل ميادين عديدة ، أهمها مراقبة الحدود المشتركة ، وكل ما يتعلق بالنشاط العسكري الإسلامي .

استخدمت الدولة البيزنطية كغيرها من الدول مصادر معينة كعيون وجواسيس لها ، كي تمدها بالمعلومات المختلفة عن الدولة الإسلامية من بين هذه المصادر ، العبيد والجواري الذين هم من أصل بيزنطي ، ورجال الدين النصارى ، والتجار ، والخزر ، والرسل وسكان المناطق الحدودية في الثغور ، والعرب المتنصرة ، والجراجمة .

---

(١) شرف الزمان طاهر المروزي ، أبواب في الصين والترك والهند ، تحقيق مينورسكي طبعة لندن ١٩٤٢ ص ١٧ – ٢٦ .

(٢) أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٣٦ .

١ - العبيد الجواري البيزنطيين :

استغل القادة البيزنطيون زيادة العبيد والجواري البيزنطيين في المجتمع الإسلامي ، سواء عن طريق الحروب أو البيع والشراء ، وتغلغلهم في كل مكان خاصة قصور الخلفاء والأمراء ، ومعظم هؤلاء العبيد والجواري في سن الشباب ، بحيث يصبح من السهل على القادة البيزنطيين أن تسرّب من خلال هذا الطريق من تحاول زرعه في أماكن معينة ، إذا ما سنحت الفرصة في ذلك ، مثل ما حدث في نقل بعض أخبار الخليفة عبد الملك بن مروان إلى الملك البيزنطي فقد ذكر « المبرد » [١] أن الحوار الذي دار بين الشعبي وبين الخليفة عبد الملك بن مروان بعد عودته من القسطنطينية ، قد نُقل بكامله إلى الملك .

٢ - رجال الدين النصارى :

لقد هيّأت العقيدة المشتركة وكذلك الصلات المشتركة أيضًا أجواءً ملائمة للتعاون بين رجال الدين النصارى وبين الدولة البيزنطية ، تعاونًا يخدم البيزنطيين ، لاسيما وأن علاقات بعض الكنائس الشرقية مع القسطنطينية ظلت مستمرة ، حيث نجد كبار رجال الكهنوت في الشام كانوا على اتصال بالبيزنطيين [٢] .

يمكن تفسير لجوء الدولة الإسلامية في العصر الأموي إلى التطبيق الصارم لعقود الصلح المبرمة مع أهل الذمة ، وخاصة زعاماتهم الدينية ، مع العدو البيزنطي ، مما أوجب اتخاذ سياسة حازمة إزاءهم ، لاسيما في أعقاب اشتداد حدة الصراع بين الدولتين في أعقاب تراجع حملة القسطنطينية الرابعة [٣] .

---

(١) المبرد ، الكامل في اللغة : ٢ / ١١٣ .

(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٨ ، ومؤلف مجهول ، العيون والحدائق ٣ / ٤٥ والجهشياري ، الوزراء والكتاب ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٥٧ .

٣ - التجار :

استفاد البيزنطيون من مصدر التجار في الحصول على المعلومات الخاصة بالدولة الإسلامية ، لاسيما وأن العلاقات التجارية لم تكن مرتبطة بإقامة علاقات سليمة مستمرة ، بين الدولة الإسلامية ، والدولة البيزنطية [١] ، علمًا بأن البيزنطيين كانوا بحاجة إلى بعض البضائع المنتجة في دار الإسلام ، أو في أطرافه [٢] .

نتيجة لذلك فالقادة الأمويون - عن طريق عيونهم وجواسيسهم - قاموا بمراقبة التجار الأجانب ، والعمل في الوقت نفسه على صيانة حقوقهم من أية محاولة للعدوان عليها [٣] .

وحرصًا من الدولة الإسلامية على سلامتها من التجار الذين يعملون كعيون للدولة البيزنطية كانت تقيم على منافذ الحدود المشتركة نقاط تفتيش تسمى « المسالح » تتأكد من الذين يمرون بها أنهم لا يحملون معهم ما يضر بدار الإسلام ، أو أنهم يحملون رسائل سرية فيها معلومات سرية تضر بأمن دار الإسلام وسلامته [٤] .

٤ - الخزر :

اعتبر الخزر والبيزنطيون المسلمين عدوًا مشتركا ، لذلك تحالف الخزر والبيزنطيون فيما بينهما على المسلمين ، خاصة بعد أن تمت بينهما المصاهرة وتزوج « جستيان الثاني » البيزنطي أخت ملك الخزر [٥] وتبعه « قسطنطين ابن ليون الأسوري » بالزواج

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٣٦ ، ومؤلف مجهول ، العيون والحدائق ٣ / ٥ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٤ / ١٢٨ .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام ، غريب الحديث ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٦ هـ ٢ / ١٠٦ .

(٤) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ، الخراج ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٥) محمد سعيد عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨١ ص ٨٥ .

من أميرة خزرية [١] ، وكان بإمكان الطرفين استنادًا إلى وحدة المصالح تبادل المعلومات ، وتنسيق العمليات في القوقاز وثغور الشام والجزيرة [٢] .

٥ – الرسل :

من المعروف أن البيزنطيين اتخذوا من المفاوضات وسيلة لكسب الوقت وللتجسس على العدو [٣] ، خاصة وأن العصر الأموي شهد سفارات بيزنطية ، زارت مركز الخلافة الأموية – دمشق – فقد كان في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان سفارة بيزنطية [٤] ، وأخرى في عهد الوليد بن عبد الملك ، عندما أحسوا بحجم الاستعدادات التي يقوم بها الخليفة الأموي لحصار القسطنطينية ، فقاموا بإرسال « دانيال » بطريق سينوب رسولاً سنة ٩٥ هـ / ٧١٣ م للتفاوض على عقد هدنة ولاستطلاع أخبار المسلمين للحملة المرتقبة ، وقد أكد « دانيال » بعد عودته ضرورة الاستعداد للحملة المقبلة [٥] كما توجد سفارة أخرى في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، حيث ورد عشرة رجال من ملك الروم إلى دمشق فسألوا أن يؤذن لهم في دخول المسجد ، فأذن لهم أن يدخلوا من باب البريد ، فوكّل بهم رجلاً يعرف لغتهم ويستمع كلامهم ، وينهى قولهم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز من حيث لا يعلمون ، فمروا في الصحن حتى استقبلوا القبلة فرفعوا رؤوسهم إلى المسجد فنكس رئيسهم رأسه واصّفر لونه ، فقالوا له في ذلك فقال : إنا كنّا معاشر أهل دوميّة تتحدث أن بقاء

---

(١) السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية – بيروت ١٩٨٢ ص ١٩٠ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ ٥٥٣ .

(٣) ستيفن رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦١ ص ١٦٨ .

(٤) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، تحقيق سامي مكي العاني – بغداد ١٩٧٢ ص ٣٠١ .

(٥) إبراهيم العدوي ، الأمويون والبيزنطيون – طبعة الأنجلو المصرية – القاهرة بدون تاريخ ص ٢١٤ – ٢١٥ .

العرب قليل ، فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة لابد أن يبلغوها »[١] .

٦ - سكان المناطق الحدودية في الثغور :

نظرًا للعقيدة الدينية المشتركة بين هؤلاء السكان وبين البيزنطيين ، عملا الطرفان على توظيف قسم منهم في جمع المعلومات والمراقبة والإنذار ، وهذا ما يفسر رحيل أهل « سوستة » إلى عمق الأراضي البيزنطية عام ٩٢هـ / ٧١٠ م بعد أن انكشف أمرهم[٢] .

والذي لاشك فيه أن البيزنطيين وظّفوا مسألة العقيدة ، حتى مع البحارة النصارى العاملين كفنيين في وحدات الأسطول الإسلامي في حملة القسطنطينية الرابعة ، في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك ، مما كان أحد أسباب الكارثة[٣] .

٧ - العرب المتنصرة :

لجأ مجموعة من العرب البيزنطيين في الأراضي البيزنطية ، وجعلوا منهم قوة قتالية في صفوفهم ، ظل صداها يتردد في أحداث العمليات إلى نهاية القرن الأول ، حيث قاتلوا إلى جانب البيزنطيين[٤] .

فمن الطبيعي أن يُستغل هؤلاء في جمع المعلومات والاتصال بسبب ملامحهم العربية وإجادتهم لهذه اللغة العربية ، وعلاقات القربى التي ظلت مع أقسام من قبائلهم من الممكن استخدامهم في الحصول على المعلومات المطلوبة لصالح البيزنطيين .

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٦٨ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٤ / ٥٢٨ - ٥٥٦ .

(٣) محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة في التاريخ الإسلامي طبعة الخانجي القاهرة ١٩٦٢ ص ٤٢ .
وعمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ ص ١٠٦ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٢٩ ، ٤٣٦ . وياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٣٤ - ٤٤ .

٨ - الجراجمة :

تعتبر الجراجمة مصدرًا من مصادر البيزنطيين ، وقد أحسنوا استغلالهم ، واستخدامهم ، للضغط العسكري على الدولة الإسلامية ، وللحصول على المعلومات ، لاسيما في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان . إلى أن أتم ابنه مسلمة بن عبد الملك عملية القضاء عليهم وترحيلهم ما بين مدن الشام والأراضي البيزنطية (١) .

فكما استخدمت الدولة البيزنطية العيون والجواسيس لصالحها ضد الإسلام والمسلمين ، فقد قامت بعض الشعوب الناطقة بالتركية بعمل عيون وجواسيس من بني جنسهم ينقلون إليهم أنباء التحركات العسكرية العربية ، التي يحتاجونها (٢) كما عُرف عنهم نجاحهم في إقناع الجواسيس الذين ينتمون إليهم قوميًا ، والذين يعملون لصالح القوات الإسلامية ، للعمل لصالحهم أحيانًا (٣) فضلا عن استخدامهم الرسل لأغراض التجسس (٤) ، وإمدادهم بالمعلومات التي تخدم الجانب العسكري والإداري عندهم ، كما مارست الدولة البيزنطية عمل الجواسيس ، ومن خلالهم تم نشر الإشاعات المخربة ضمن أسلوب الحرب النفسية (٥) .

لقد جند البيزنطيون جواسيسهم من جنسهم ، أي من السكان الناطقين بالتركية ، والذين ظل بعضهم على الوثنية ، أو أولئك الذين قُدّمت لهم إغراءات مادية ، فضلاً عن استفادتهم من الخلافات العربية العربية ، ولجوء بعض القادة مع أنصارهم إليهم ، كما

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٨٦ ، ١٩٠ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٧١ - ٧٧ .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٣٠ ، وابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٧ / ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٤) ابن حبيب ، المحبر ص ٢٢٢ .

(٥) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١١٤ .

حدث من الحارث بن سريج التميمي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، عندما أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي لملاقاة الحارث ابن سريج التميمي الذي قد غلب على الجُوزجان التي بين مرو والروذوبلخ - فالتقى الاثنان واقتتل الجيشان قتالاً شديدًا ، ثم اصطلحا على أن يقيم الحارث بن سريج ببلخ ويبعث رسولاً إلى هشام ويبعث عاصم رسولاً ، فبعث أسدًا بن عبد الله فالتقوا واقتتلوا فهُزم الحارث فلحق بالترك ، وأخذ أسد بن عبد الله ناسًا من أصحابه فقتل بعضهم وقطع يد بعضهم [1] .

لقد تحدث عبد الحميد الكاتب خلال العصر الأُمويّ عن أهمية المخابرات تحت مسمى العيون والجواسيس ، فيما كتبه عن الخليفة الأموي مروان بن محمد لبعض من ولاّه ، وهو عبد الله بن مروان عندما أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي ، حيث تظهر لنا من خلالها مدى اهتمام الخلفاء الأمويين بهذا الأمر ، ومدى طريقة التعامل من جهة الخليفة والولاة مع عيونهم ورجال أخبارهم والتعليمات التي يأمر بها الخليفة للولاة من أجل الحفاظ على أمن واستخبارات الوطن فيقول :

« ... ثم أذك عيونك على عدوك متطلعًا لعلم أحوالهم التي يتقلبون فيها ، ومنازلهم التي هم بها ، ومطامعهم التي قدوا أعناقهم نحوها ، وأيّ الأمور أدعى لهم إلى الصلح ، وأقودها لرضاهم إلى العافية ، وأسهلها لاستنزال طاعتهم ، ومن أي الوجوه مأتاهم ، أمِنْ قِبل الشدّة والمُنافرة والمكيدة والمُباعدة والإرهاب والإيعاد ، أو الترغيب والأطماع ، مثبتًا في أمرك ، متخيرًا في رَويتك ، مستمكنًا من رأيك ، مستشيرًا لذوي النصيحة الذين قد حنكتهم [2] السّن وضبطتهم التجربة ، محترسًا من الغرّة ، كأنك في مسيرك

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ٣٤٦ .

(٢) حنكتهم السّن : تمرسوا بالتجارب .

كلِّه ونزولك أجمع مُواقفٌ لعدوك رَأي عينٍ تنتظر حملاتهم وتتخوف كرّاتهم [(١)] ، مُعدًا أقوى مكايدك وأرهب عتادك ... ، احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك ، وإياك ومعاقبة أحد منهم على خبر إنْ أتاك به اتهمته فيه ، أو سُؤت به ظنّا ، أو أتاك غيره بخلافه ، أو أن تكذبه فيه فترُدَّه عليه ، ولعله أن يكون قد مَحَضَك [(٢)] النصيحة وصدقك الخبر ، وكذبك الأول ، أو خرج جاسوسك الأول متقدمًا قبل وصول هذا من عند عدوّك ، وقد أبرموا لك أمرًا ، وحاولوا لك مكيدة ، وأرادوا منك غرّة [(٣)] ، فازدلفوا إليك في الأهبة ... ، واجعلهم أوثق من تقدر عليه ، وآمَنَ من تسكن إلى ناحيته ليكون ما يُبْرِم [(٤)] عدوك في كل يوم وليلة عندك إن استطعت ذلك ، فتنقُض [(٥)] عليهم برأيك وتدبيرك ما أبرموا ، وتأتيهم من حيث أمِنوا ، وتأخذ لهم أهبة ما عليه أقدموا ، وتستعد لهم بمثل ما حذروا .

واعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صَدقوك ، وربما غشوك ، وربما كانوا لك وعليك ، فنصحوا لك وغشو عدوك ، وغشوك ونصحوا عدوّك ، وكثيرًا ما يصدقونك ويصدقونه ، فلا تُبدرنَّ منك فرطة عقوبة إلى أحد منهم ، ولا تعجل بسوء الظن إلى من اتهمته على ذلك ، واستنزل نصائحهم بالمباحة والمنالة [(٦)] ، وابسط من آمالهم فيك من غير أن يرى أحد منهم أنك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتَّبع له ، أو علمت على رأيه عمل الصادر عنه ، أو رددته عليه ردّ المكذب به ، المتهم له ، المستخف بما أتاك منه ، فتفسد بذلك نصيحته ، وتستدعي غشه وتجتزّ عداوته .

---

(١) كرّاتهم : هجومهم .

(٢) محضك : أسدي إليك . ابن منظور ، لسان العرب « م . ح . ض » .

(٣) غرّة : غفلة .

(٤) يبرم : يخطط . ابن منظور ، لسان العرب ، « ب . ر . م » .

(٥) تنقُض : تفشل .

(٦) المباحة والنالة : الإعطاء والمكافأة : ابن منظور ، لسان العرب « ب . ي . ج » ، « ن . و . ل » .

واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضًا ، فإنك لا تأمن من تواطئهم عليك وممالأتهم عدوّك ، واجتماعهم على غشك وتطابقهم على كذبك ، وإصفاقهم على خيانتك ، وأن يورط بعضهم بعضًا عند عدوك ، فاحكم أمرهم ، فإنهم رأس مكيدتك ، وقوام تدبيرك ، وعليهم مدار حربك ، وهو أول ظفرك ، فاعمل على حسب ذلك ، وحيث رجاؤك به ، تنل أملك من عدوك ، وقوتك على قتاله ، واحتيالك لإصابته غِرّاته [1] ، وانتهاز فرصة إن شاء الله [2] .

واحذر أن يعرفوا في عسكرك ، أو يشار إليهم بالأصابع ، وليكن منزلهم على كاتب رسائلك - وأمين سرّك - ويكون هو الموجه لهم ، والمُدخل عليك مَن أردت مشافهته منهم ، واعلم أن لعدوك في عسكرك عيونًا راصدة ، وجواسيس كامنة ، وأنه لن يقع رأيه عن مكيدتك بمثل ما تكايده به ، ويحتال لك كاحتيالك له ، ويعدّ لك كإعدادك له قيمّا تزاوله منه ، ويحاولك كمحاولتك إياه فيما تقارعه عنه ، فاحذر أن يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوّك ويعرف موضعه ، فيُعدُّ له المراصد [3] ، ويحتال له بالمكايد ، فإن ظفر به فأظهرَ عقوبتَه ، كسر ذلك ثقات عُيُونك وخذلهم عن طلب الأخيار من معدنها ، واستقصائها من عيونها [4] ، واستعذاب اجتنائها من ينابيعها حتى يصيروا إلى أخذها مما عُرض من غير الثقة ولا المعاينة [5] لفظًا لهم بالأخبار الكاذبة والأحاديث المرجفة [6] .

---

(١) غرّاته : غفلاته ، ابن منظور ، لسان العرب « غ . ف . ل » .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١ / ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٣) المراصد : الكمائن ، ابن منظور ، لسان العرب « رصد » .

(٤) عيونها : المقصود من مصادرها .

(٥) المعاينة : المشاهدة ، ابن منظور ، لسان العرب « شهد » .

(٦) المرجفة : الكاذبة : ابن منظور - لسان العرب لابن منظور « رجف » ، وانظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ١٠ / ٢١٥ .

تضمنت هذه الرسالة العديد من الأمور التي تهم الدولة من حيث عمل العيون والجواسيس منها :

١ - إنها حثت على إعداد العيون إعدادًا جادًا يكون لهم القدرة على القيام بالعمل الأمني ، والقدرة على تحقيق المهام الموكلون بتنفيذها .

٢ - أن يكون لدى العيون والجواسيس القدرة والكفاءة في معرفة أحوال العدو ومنازلهم ، والأطماع التي يهدفون إليها ، والقدرة على التحليل العميق ، والاستنباط الدقيق ، والقدرة على معرفة المدخل المناسب للعدو ، سواء من باب الترهيب والقوة ، أو من باب الترغيب .

٣ - على الدولة أن تستعين بذوي الخبرة ؛ لأنها تمكنهم من معالجة الأمور وتقييم المعلومات .

٤ - أن يكون لدى العيون والجواسيس القدرة على نقل جميع أخبار العدو صغيرها وكبيرها ، مما يجعل المسئولون يرون العدو كله رؤية عين من خلال تلك العيون .

٥ - مراعاة العلاقة بين الدولة وبين عيونها ، مما يجعل هذه العيون أوثق الناس وآمنهم .

٦ - تقديم العيون المعلومات عن العدو أولاً بأول كل يوم وليلة .

٧ - حكمة القيادة في معاقبة عيونها ، وعدم العجلة في سوء الظن بهم .

٨ - الحذر من أن يعرف بعض العيون بعضهم ، حتى لا يتواطئون على الدولة والقيادة .

٩ - الحكومة والمسئولون يحكمون أمرهم بناء على المعلومات المقدمة من العيون والجواسيس سواء تمس هذه المعلومات داخل الدولة أو خارجها .

١٠ - الحذر من أن تُعرف العيون في عسكرهم أو يشار إليهم بالبنان .

۞ ۞ ۞ ۞

الفصل الثالث

صفات رجال المخابرات الإسلامية في العصر الأموي

إن استخدام رجال المخابرات من أشق الأعمال ، لما ينطوي عليها من مخاطر ، وما يؤول إليها من نتائج ، وكفاءة العيون والجواسيس ترجع أولاً إلى كفاءة القائمين عليها ، وأن الاختيار السليم لهؤلاء العيون على جميع درجاتهم هو أفضل الحلول للوصول إلى التقويم الصحيح في مجال عملهم ، وبما أن عمل العيون والجواسيس من أشق الأعمال خاصة في العصر الأموي ، نظرًا لارتفاع مستوى التحديات ، وطبيعة الصراع الذي ساد هذا العصر ، خارجيًا وداخليًا ، يلاحظ أن صفات العيون قد تأثرت بذلك إيجابيًا من أجل إنجاز ما هو منوط بها من أهداف ، ولابد من أن تتوفر فيمن يقوم بهذا العمل صفات معينة لكي يستطيع تحمل هذه المسئولية ويؤديها بنجاح ، ومن أهم هذه الصفات :

١ - السمع والطاعة :

فعندما يوجه أي أمر للعين فإنه يجب عليه تنفيذ الأمر مهما كان صعبًا في تنفيذه ، وذلك استجابة لأمر رسول الله ﷺ : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » (١) .

لقد تحلى رجال العيون للخليفة معاوية بن أبي سفيان بالطاعة التامة له ، وبتنفيذ أوامره أثناء قيامهم بواجبهم الاستخباري ، ففي خلافته أُسِرَ رجل من المسلمين بالقسطنطينية وأهين ببلاطهم فاستغاث : وامعاوياه ! لقد أغفلت أمورنا وأضعتنا ،

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ٤ / ٦٠ ، والإمام مسلم في صحيحه بشرح النووي ١٢ / ٢٢٢ .

فوصل الخبر إلى معاوية عن طريق عيونه المنتشرة بأرض الروم ، فأخفى معاوية الأمر واحتال فداء الرجل ، ثم أسر من أهانه في القسطنطينية لكي يقتص منه بمثل ما أهانه ، وذلك عن طريق رجل من رجال معاوية وعين من عيونه ، حيث رسم له معاوية الخطة التي عن طريقها يأتي ببطريق القسطنطينية الذي أهان الرجل المسلم ، فما أن نفَّذ هذا العين الخطة وأتى برجل القسطنطينية موثوقًا حتى قدم به على معاوية ووقف بين يديه ، وأحضر معاوية الرجل المسلم وقال : قم فاقتص من البطريق واصنع به ما صنع بك ولا تزد [1] . فنجاح الخطة دليل على تنفيذ الأمر والطاعة ومدى دقة نظام العيون في التنفيذ ، فعندما ننظر في هذا الخبر نجد أنه قد ورد في مصدر بعيد من حيث الزمن عن العصر الأموي ، حيث ورد عن شهاب الدين النويري في القرن الثامن الهجري ، حيث توفي سنة ٧٣٢هـ ، وعلى الرغم من ذلك فقد تضمن هذا الخبر العديد من الأمور الاستخبارية المرتبطة بأمر العيون والجواسيس ، فنلاحظ أن عيون الخليفة معاوية أخبرته عن الرجل المسلم الذي أسره الروم بالقسطنطينية ، مما يدل على أن عيونه على وعي ويقظة تامة لكل صغيرة وكبيرة لما يحدث من جانب العدو ، وأن الاتصال بينهما لا ينقطع ببعد المكان أو طول الزمان ، كما يبين هذا الخبر مدى السرية التامة التي التزم بها الخليفة ، وألزم بها عيونه وجواسيسه وهو يخطط لأسر بطريق الروم بالقسطنطينية جراء ما اقترف من تعذيب لأسرى المسلمين ، والإتيان به إلى عاصمة الخلافة دمشق ، كما يكشف لنا هذا الخبر استخدام الخليفة معاوية الغطاء الأمني والاستخباري لتغطية العملية التي سوف ينفذها عين من عيونه ، فجعل هذا العين يستتر في مظهر التاجر العربي ، ويختفي وراء نشاط التجارة في القسطنطينية حتى يستدرج البطريق الرومي من القسطنطينية إلى دمشق ، وهذا ما تم بالفعل بناء على حسن التخطيط ودقة اختيار العين ،

---

(١) شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥ ، ٦ / ٨٥ .

ومدى القدرة على التخفي والتستر خلف نشاط تجاري ، وبراعة الإيقاع بالبطريق ، ومواصلة الاتصال دون انقطاع بين العين وبين الخليفة معاوية رضي الله عنه .

٢ - الصمت وكتمان الأخبار :

عُرف عن رجال المخابرات ميلهم إلى الصمت عند تكليفهم بأداء مهمات معينة ، وعدم كشف هويتهم بأي حال من الأحوال ، فقد وضع الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٦ هـ - ١٢٦ هـ) العيون والجواسيس في خيار الناس وفضلاء العباد في سائر الأمصار والبلاد يحصون أقوال الولاة والعمال ، ويحفظون أعمال الأخيار والأشرار ، ولا يُعلم منهم واحد ، ولا يرى لهم عابر [١] .

فالقائد الناجح هو الذي يكتم عن الناس سرّ المعارك قبل خوضها ، وستر أسرار قواته عن عدوّه يكون ظفرُهُ به أو هزيمة عدوّه أمامه ، وهذا يدل على مدى نجاح عيون القائد وجواسيسه ، حيث عرّفت القائد بنوايا أعدائه مبكرًا ، وكتمت أخبار القائد وخططه عن العدو ، مما يظهر عجز عيون وجواسيس العدو ، وحرمان العدو من الحصول على أي معلومات .

وإذا صعب على القائد منع عساكره من جواسيس عدوّه ، فليحترس منهم بكتمان السر وستر العورة ، وليتلطف لإخفاء كتبه مع عيونه وجواسيسه بألطف الحيل [٢] . وليحرص على أن عيونه وجواسيسه دائمًا تكتم أمرها وتتجسس وتتخفى نفسها [٣] .

---

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ ، الإمامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزيني ، طبعة مؤسسة الحلبي - القاهرة بدون تاريخ ٢ / ١٠٨ .

(٢) الهرثمي الشعراني ، مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عارف أحمد عبد الغني ، طبعة دار كنان - سورية ١٩٥٥. م ص ٢٤ .

(٣) علي بن أبي بكر الهروي ت ٦١١ هـ ، كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية ، طبعة مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة بدون تاريخ . ص ١٦ .

٣ - الصبر والتحمل وتمالك الأعصاب :

يجب أن تتوفر في رجل المخابرات صفة الصبر وتمالك الأعصاب في الأوقات الحرجة ، وأمام أكثر المواقف إثارة ، وقد ظهر مثال ذلك واضحًا عندما تمالك أحد العيون أعصابه ، وهو يرى زوجة قائده الشهيد الجراح الحكمي (١) تتعرض وهي في الأسر للمراودة عن نفسها ، من قِبَلِ أحد قادة الخزر ، وهي تستغيث دون جدوى ، وقام بجلب المعلومات المطلوبة لمعركة الثأر التي قادها سعيد الحرشي (٢) .

فعلى الجاسوس أو العين أن يكون صبورًا على ما لعله يصير إليه من إثارة أو عقوبة إن ظُفر به العدو ، بحيث لا يخبر بأحوال وطنه ، ولا يُطلع على وهن في وطنه (٣).

٤ - الإخلاص والتضحية :

امتازت رجال المخابرات المكلفة بضبط الأوضاع الداخلية ، ومراقبة الجهاز الإداري بأن تكون من خيار الناس وفضلائهم في سائر البلدان (٤) .

---

(١) الجراح الحكمي هو الجراح بن عبد الله الحكمي ، من القادة الأكفاء ، الذين برزوا في العصر الأموي ، وقد استشهد في « مرج أردبيل » سنة ١١٢ هـ عندما تكاثرت الخزر والترك على المسلمين ، ولما قتل الجراح الحكمي طمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين ، ابن الأثير علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، طبعة دار صادر بيروت ، ١٩٨٢ م ، ٥ / ١٥٩ ، وابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، طبعة دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩ م ، ١ / ١٤٤ .

(٢) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٤٨ - ٥٠ .
أما سعيد الحرشي ، فهو أحد القادة العسكريين الأفذاذ ، الذين ظهروا في العصر الأموي ، واشترك في قمع تمرد ابن الأشعث ، وقضى على حركة شوذب الخارجي ، وتولى خراسان ، ثم أرمينية ، وأبلى بلاءً حسنًا في التصدي للخزر والترك ، انظر أبا جعفر الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٣١٦ ، ٣٦٢ ، ٥٧٧ ، ٦١٩ ، ٧ / ٧ - ١٢ ، ٧٠ ، ٧١ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٤ .

(٤) ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ٢ / ١٠ .

كما يمتازون بالإخلاص في العمل ، والاستعداد للتضحية في أي وقت يفترض فيه التضحية ، مهما تعرضوا للمغريات أثناء العمل ، يجب أن يتصف الجاسوس بالشعور السامي ، وأن يؤدي ما عليه من واجب بكل إخلاص وأمانة ووفاء ، وأن يكون عنده الإحساس بالتضحية في سبيل الغاية التي يعمل من أجلها ، وتنفيذ ما أمره به قائده [١] .

لقد حاصر « مسلمة بن عبد الملك بن مروان » ت ١٢٠ هـ [٢] حصنًا ، فندب الناس إلى نقب منه ، فما دخله أحد ، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليه وعليهم ، فنادى مسلمة بن عبد الملك : أين صاحب النقب ؟ فما جاء أحد ، فنادى : إني قد عزمت عليه إلا جاء ، فجاء الرجل فقال : أنا أخبركم عنه إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا . ألا تسوِّدوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة « أي تكتبوه » ، ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو ، قال : فذاك له ، قال : أنا هو . فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلاّ قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب [٣] . هذا نموذج لأحد العيون والجواسيس الذين أخلصوا في عملهم وعندهم الاستعداد الكامل للتضحية بأنفسهم ابتغاء رضا الله عزّ وجلّ .

---

(١) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ، طبعة الشركة المتحدة للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٧٤ .

(٢) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأموي الأمير ، ويلقب بالجراوة الصفراء ، وكان موصوفًا بالشجاعة والإقدام والرأي والدهاء ، وَلِي أرمينية وأذربيجان غير مرة ، وإمرة العِرَاقَيْن ، وسار في مئة وعشرين ألفًا ، وغزا القسطنطينية في خلافة سليمان بن عبد الملك أخيه ، وروى عن عمر بن عبد العزيز . انظر : الحافظ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥ م ج ١ / ١١٨ .

(٣) ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ ، عيون الأخبار ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦ م ١ / ١٦٦ .

٥ - القدرة على المراوغة والدهاء والحيلة :

يجب على رجل المخابرات أن يكون كثير الدهاء والحيلة والخديعة [١] ، والتمويه [٢] لكي يتوصل بدهائه إلى كل موصل ، ويدخل بحيلته في كل مدخل ، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه [٣] ، كما يكون له القدرة على المراوغة في حالة الوقوع في الأسر ، ومحاولة الوصول إلى الهدف ، عبر استخدام أقصى طاقات العقل البشري ، مع تقبل الشهادة في سبيل الله برحابة صدر [٤] .

ومن الممكن أن تقوم رجال المخابرات بتوجيه القائد وإخباره بأن في جيشه عيونًا وجواسيس للعدو ، متخفية بين الصفوف ، ولابد من استخدام الحيلة والدهاء والمخادعة لكي يضللوا عيون العدو ، مثل ما حدث مع القائد الجراح بن عبد الله الحكمي في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ت ١٠٥ هـ ، عند إزماع القائد الجراح بن عبد الله الحكمي السير لمحاربة الخزر سمع عن طريق عيونه وجواسيسه بأن معه عيونًا متخفية بين صفوف جنده قد كاتبوا ملك الخزر بخبر مسيره إليه ، فبحنكة من القائد وعون من عيونه وجواسيسه أمر مناديه أن ينادي في العسكر بأنه مقيم عدة أيام ، وطلب منهم أن يستكثروا من الميرة والعلف ، فكتبت عيون العدو إلى ملك الخزر بهذا فاطمأن ملك الخزر بذلك ، ثم لما كان الليل أمر القائد الجراح بن عبد الله الحكمي

---

(١) الخديعة : هي مجمل التدابير الرامية إلى إخفاء العمليات الحقيقية عن العدو ، ودفعه إلى الانتباه نحو عمليات موهومة ، وتشتيت قواه : انظر : الهيثم الأيوبي وآخرين ، الموسوعة العسكرية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت بدون تاريخ ، ٢ / ٥٣ .

(٢) التمويه : هو مجموعة التدابير الخاصة الرامية إلى إخفاء العمليات الحقيقية وللاختفاء عن رصد العدو بكل أشكاله دون أن يعطل هذا الاختفاء المهِمَّة القتالية ، الهيثم الأيوبي الموسوعة العسكرية ١ / ٣٠٩ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٣ .

(٤) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦م ، ج ٨ / ٤٧ - ٤٨ .

بالرحيل نحو العدو ، فباغتهم وتمكن من التغلب عليهم (١) .

٦ - تعلّم لغة العدو :

تعلم لغة العدو من الضروريات في مجال استخدام رجال المخابرات ، سواء من حيث التحدث بها أو الكتابة (٢).

فإجادة اللغة من الأهمية بمكان ، خاصة في المنطقة التي يعملون بها ، علمًا بأن التوسع الكبير في مساحة الدولة الإسلامية قد أوجب حتى على القادة الميدانيين في كل منطقة إجادة لغة العدو فيها ، فقد عُرف عن قتيبة بن مسلم ت ٩٦ هـ أنه كان يجيد الباذغيسية وهي إحدى اللهجات التركية (٣) .

وهذه الصفة عُني بها النبي ﷺ وسار خلفه واهتدى بهديه الخلفاء من بعده ، فقد أمر ﷺ زيد بن ثابت الأنصاري بتعلم لغة اليهود ، وفي هذا يقول زيد : أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب اليهود السريانية ، ثم يقول زيد : فوالله ما مرّ بي نصف شهر حتى تعلمته وجُدْتُ فيه ، فكنت أكتب له إليهم ، وأقرأ له كتبهم إليه (٤) ، فعن زيد بن ثابت قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كلمات من كتاب يهود ، وقال في رواية أخرى ، أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية ، وفي رواية : « فتعلمتها في سبعة عشر يومًا » (٥) .

وإذا لم يكن للجاسوس إلمام بلغة العدو ، فلن يحالفه التوفيق في النهوض بواجباته إلا بقدر محدود ، فعليه ألاّ يدخر جهدًا ولا وقتاً في تعلّم لغة العدوّ ، وأن تمتد معرفته إلى

---

(١) ابن الأثير الجزري ، الكامل في التاريخ ٥ / ١١١ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٤ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٧ / ٢٢٨ .

(٤) أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي ، سنن أبي داود ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، حديث رقم ٣٦٤٥ ، ج ٣ / ٣١٨ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، طبعةالريان عن طبعة المكتبة السلفية - القاهرة ، بدون تاريخ ، باب ترجمة الحكام ١٣ / ١٨٥ .

اللغة واللهجة العامية ومصطلحاتها [١] .

٧ - جودة التقليد ومهارة التخفي :

من الضروري أن يتصف الجاسوس أو العين بالقدرة على التقليد والتمثيل ومهارة التخفي ، بحيث يأخذ ما يريده دون أن يراه أحد ، وعليه أن يلبس حالات مختلفة وانفعالات معينة مصاحبة لهذه الحالات ، وعليه أن يتصف بكل حالة بما يتلاءم معها من انفعالات أو عواطف ، الأمر الذي يحتم أن يكون عنده القدرة على التخفي والتمثيل .

فالعين لا يحتاج فقط لوسيلة اختفاء متجددة ، بل يحتاج إلى مهارة ليلعب دور الشخصية التي يختارها لاختفائه ، فمن الضروري أن يكون سريع التحول من حال إلى حال قادرًا على أن يواجه في ثبات واتزان أخطر المواقف وأعقدها [٢] .

لقد امتازت رجال المخابرات العرب بإجادة التشبه بالعدو ، حتى في الملبس والتصرف ، بحيث لا يجلب انتباه العدو [٣] .

٨ - القدرة على المفاوضة والإقناع :

يجب أن تتوافر في الجاسوس القدرة على الإقناع ، واختيار العبارات التي تحتمل التأويل ، والتفسيرات المختلفة ، وذلك لعدم إلزام الطرف العربي المسلم ، بما قد يؤذيه مستقبلاً في الوقت الذي يعتقد فيه الخصم أنه حصل على ما يريد [٤] ، ولكي يكون لديه القدرة على الإقناع ، فإنه لابد أن يكون ذا ذاكرة تعي الأرقام وتختزن الحقائق والمعلومات ، فالقدرة على الملاحظة ضرورية للجاسوس من أجل الإقناع ، كما أن

---

(١) محمد راكان الدغمي التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية ص ٩٧ .

(٢) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ٧٦ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٥٠ ، ٥١ .

(٤) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، طبعة النجف ، ١٣٥٨ هـ ، ٢ / ٢٨٦ .

الدقة في حفظ الضروري من المعلومات في الذاكرة له أهمية عظيمة ، فلكي يأخذ الجاسوس المعلومات ، فإنه يسمع أولاً ، ثم يحفظ ، ثم يؤديها لفظًا بإرسالها لمصدرها ، أو أن يدونها ، وهذا كله يتطلب مرانًا ذهنيًا ممتازًا (١) .

وقد توفر هذا في العين الذي أرسله الخليفة معاوية إلى بطريق القسطنطينية حيث استوعب تنفيذ الخطة أكثر من عامين ، حتى استطاع العين أسر هذا البطريق والمجيء به إلى دمشق ، فقد احتاجت هذه العملية قدرة فائقة في المفاوضات والإقناع والرؤية (٢) .

٩ - اختيار رجال المخابرات من غير المعروفين :

يجب اختيار العيون من الأشخاص غير المعروفين على نطاق واسع في معظمهم ، فالشخص المعروف قد يكون سببًا في إثارة الريبة والشك . مثل ما حدث مع المهلب ابن أبي صفرة (٣) عندما كلفه مسلم بن زياد (٤) قائد الجيوش لفتح بخاري ، ووجه له الأمر بأن يذهب إلى معسكر ملك السغد (٥) ليرى ما مقداره وإعداد تقارير سرية تخدم الإسلام والمسلمين ، فأجاب المهلب بن أبي صفرة قائلاً : لا يوفد مثلي في هذه

---

(١) محمد راكان الدغمي ، التجسس ص ٩٣ .

(٢) شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب ٦ / ٨٥ .

(٣) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، أمير خراسان ، صاحب الحروب والفتوح ، أمير عبد الملك بن مروان على خراسان ، وكان مولده عام الفتح ، ولأبيه صحبة ، وأبو ضفرة هو ظالم بن سراق ، من أزد العقيل أزددبا ، ودبا بين عمان والبصرة ، وقد توفى عام ٨٢ هـ .
انظر ، ابن العماد الحنبلي ، شذارت الذهب ، طبعة دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩.م ، ١ / ٩٠ - ٩١ .

(٤) هو مسلم بن زياد بن أبيه ، أمير خراسان ، ومسلم هذا هو الذي جاء إلى خراسان ومن هناك كوّن جيشًا ووصل إلى بخاري . انظر : محمد بن جعفر النرشخي ، تاريخ بخاري ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٣ م ، ص ٦٩ .

(٥) السُغد أو الصُغد : ناحية كثيرة الأشجار والمياه ، بين بخاري وسمرقند . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، طبعة دار الفكر - بيروت بدون تاريخ ٣ / ٢٢٢ .

المهمة ، أنا رجل مشهور ، فأرسل شخصًا إذا عاد سالمًا يخبرك الخبر اليقين ، وإذا هلك لا تظهر الهزيمة في جيشك [(١)] . وقد حدث ذلك في عهد عبد الملك بن مروان .

١٠ - كفاءة عالية في تمثيل الأدوار المطلوبة :

على رجال المخابرات أن يكونوا ذات كفاءة في تمثيل الأدوار المطلوبة منهم ، مثل الاندساس ضمن قوافل المنهزمين من السكان ، واللاجئين إلى المدن ، هربًا من تقدم القوات ، حيث الظروف أكثر أمنًا لدخول مدن العدو مع أسلحتهم ، أو أحيانًا يكون التمثيل من خلال إجادة أدوار الصالحين ، أو الفقراء الذين يستَجْدُون [(٢)] .

هكذا كانت رجال المخابرات عند الخليفة هشام بن عبد الملك « فقد صاروا أعقابًا يتعاقبون ، ينهض قوم بأخبار ما بلوا في المصر الذي كانوا فيه ، ويقبل آخرون يدخلون مشرقين ، ويخرجون متفرقين ، لا يُعْلَم منهم واحد ، ولا يرى لهم عابر » [(٣)] .

وهذا هو الحجاج بن يوسف الثقفي ت ٩٥ هـ والي العراق في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان ت ٧٥ هـ ، اهتم الحجاج بالرقابة على القادة والعسكر ، فقد كان يبعث العيون من جهته نحو القائد المهلب بن أبي صفرة ليأتيه بأخباره ، وسير حروبه مع الخوارج [(٤)] .

إن استخدام مثل هذه العيون دون أن يكشفها أحد في مراقبة العدو ، ومراقبة القادة والعسكر لمن الحكمة والدقة بمكان ، وإنها لكفاءة عالية وأداء جيد .

---

(١) محمد بن جعفر النرخشي ، تاريخ بخاري ، تحقيق أمين عبد المجيد ونصر الله الطرازي ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٧٠ .

(٢) الدينوري أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٣) ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ٢ / ١٠٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٣٠١ .

١١ - ممارسة مهن شعبية للاندماج وسط الناس :

يمارس رجال المخابرات بعض المهن الشعبية ، من أجل أن يكونوا في تماس مع الناس ، أو من أجل أن يطلعوا على اتجاهاتهم وميولهم ، أو من أجل التعبير عن سياسة معينة ، في مساعدة السلطات المسئولة [(١)] .

فقد قام عبد الله بن قيس الجاسي كعين من عيون القائد معاوية بن أبي سفيان أثناء فتح قبرص بانتحال شخصية تاجر في الميناء من أجل التخفي والتستر ، فقد كان في شواطئ قبرص [(٢)] جاسوسة تعمل لصالح الروم ، وتنتحل شخصية متسولة على شواطئ قبرص ، حيث عرفت عبد الله بن قيس الذي خرج طليعة للمسلمين ، فسألته الصدقة فأعطاها ، فرجعت ودلت عليه ، وقالت : إن عبد الله بن قيس في الميناء ، ولم تكن تعرفه ، ولما قيل لها : بأي شيء عرفتيه ؟ قالت : كان كالتاجر ، فلما سألته أعطاني كالملك فعرفته بهذا [(٣)] .

وحين صارت الخلافة بيد الوليد بن عبد الملك اعتنى بأمر العيون والجواسيس ، وكان الخليفة وولاته وقادته يدسون العيون بين صفوف العدو متنكرين دون أن يعرفهم أحد من أجل استيفاء المعلومات عن العدو ، وهذا ما كان يقوم بعمله القائد قتيبة بن مسلم وسواه من القادة [(٤)] .

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري ، أنساب الأشراف ، طبعة القاهرة ١٩٥٩ هـ ٤ / ٩٤ .

(٢) قبرص وقيل : قبرس : وهي جزيرة في بحر الروم - البحر المتوسط - في الإقليم الرابع : انظر : ياقوت الحموي - معجم البلدان ٤ / ٣٠٥ .

(٣) محمود شلبي ، اشتراكية عثمان رضي الله عنه ، الطبعة الثانية - دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤ م ص ١٦٤ .

(٤) أبو جعفر الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٣ ، و ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٤ / ١٦٠ . و البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد . النهضة المصرية - القاهرة بدون تاريخ ، ٣ / ٥٣٥ .

١٢ - المعرفة الجيدة بتضاريس المنطقة التي يعمل بها :

يجب على رجال المخابرات أن يكونوا على اطلاع تام على تضاريس المنطقة التي يعملون بها ، وكذلك الحال بالنسبة للمناخ (١) .

في ذلك غناء لهم عن السؤال عن البلد أو المنطقة وعن أهلها ، فربما كان في سؤاله تنبه له وتيقظ لأمره ، فيكون ذلك سببًا في هلاكه ، بل ربما وقع في العقوبة ، وسئل عن حال بلده فدل عليه وكان عينًا عليه لا له (٢) .

۞ ۞ ۞ ۞

(١) أبو جعفر الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١١٧ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ١ / ١٢٤ .

الفصل الرابع

أنواع المخابرات في العصر الأموي

شهد العصر الأموي أنواعًا عديدة من رجال المخابرات ، منها ما هو معروف ، ومنها ما ظلت مجهولة ، من بين هذه العيون ، عيون عربية ، وعيون من غير العرب ، عيون مسلمة ، وأخرى غير مسلمة كالنصارى والمجوس والمشركين ، فضلاً عن عيون تعمل في خدمة الأسطول الإسلامي ، حيث إن الانتصارات التي تمت خلال العصر الأموي للأسطول الإسلامي سواء في محاصرة المدن الكبرى كالقسطنطينية ، أو تحرير معظم جزر البحر المتوسط ، لم تكن لتتحقق من غير استطلاع واستخدام للعيون والجواسيس ورصد لمعلومات مؤكدة عن إمكانيات العدو ، والمخاطر المحتملة ، التي يمكن أن تتعرض لها الحملات البحرية ، فقد أشير إلى أنه كان هناك سفينة مخصصة من قطع الأسطول الإسلامي في العصر الأموي ، تسمى الجاسوس ، وكانت تبنى في مصر ، منذ عام (٩١ هـ / ٧٠٩م) حيث تستخدم للنقل السريع والأخبار [(١)] .

أولاً : رجال المخابرات المسلمة

أ - عيون عربية مسلمة : هذه العيون تم استخدامها في نقل الأخبار ورصد المعلومات المؤكدة ، وإدارة المفاوضات لصالح الولاة والأمراء والقادة .

من بين العيون : شمر بن جعونة [(٢)] ، وهو من قبيلة كلاب ، استطاع القيام بنقل

---

(١) فيلهلم هونيرباخ ، البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط في عهد معاوية ، طبعة تطوان ، دار الطباعة المغربية ١٩٥٤ م ، ص ١٦ ، وأنيس صائغ ، الأسطول الحربي الأموي ، طبعة بيروت ١٩٥٦ م ص ٥٢ - ٥٣ ، وعلي محمود فهمي ، التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط في القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، طبعة بيروت بدون تاريخ ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) هو شمر بن جَعْونَة الكلابي من قبيلة كلاب . انظر : محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١٨١ .

أخبار إلى المغيرة بن شعبة [١] عن الخوارج في الكوفة [٢].

وعمارة بن عقبة [٣]، وهو من قريش، استطاع أن ينقل أخبارًا إلى يزيد بن معاوية ت ٦٤ هـ عن التنظيم العلوي في الكوفة [٤]، كما نقل أخبارًا إلى زياد بن أبيه [٥] عن التنظيم العلوي في الكوفة [٦].

والغضبان بن القبعثري [٧]، من قبيلة شيبان، وجهه الحجاج بن يوسف الثقفي إلى بلاد كرمان [٨] ليأتيه بخبر ابن الأشعث [٩] عن خلعه [١٠].

---

(١) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، ولي العراق لعمر بن الخطاب وغيره، ولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم الكوفة. انظر ابن العماد الحنبلي: شذارت الذهب ١ / ٥٦.

(٢) أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ١٨١.

(٣) عمارة بن عقبة بن أبي معيط، أسلم يوم الفتح، مات بالبصرة. انظر: ابن قتيبة محمد بن عبد الله بن مسلم ت ٢١٣ هـ، المعارف، الطبعة الرابعة – دار المعارف، القاهرة ١٩٨١ م ص ٣٢٠، ٥٩٣.

(٤) أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٣٥٦.

(٥) هو زياد بن أبيه، استلحقه معاوية بن أبي سفيان، وزعم أنه ولد أبي سفيان، وقد جمع له معاوية إمرة العراقين، مات سنة ٥٣ هـ. انظر: خليفة بن خياط، ت ٢٤٠ هـ – كتاب الطبقات، الطبقة الثانية – دار طيبة – الرياض ١٩٨٢ م ص ١٩١. والحافظ الذهبي: العبر ١ / ٤١.

(٦) أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري ٥ / ٢٣٦.

(٧) هو الغضبان بن القَبَعْثَرى، من علماء العرب، جالس الحجاج وحادثه. انظر: ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. طبعة دار الفكر – سورية ١٩٨٦ م. ٢٠ / ٢٠١.

(٨) كرمان: ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤ / ٤٥٤.

(٩) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، قُتل بسجستان في عام ٨٤ هـ. الحافظ الذهبي، العبر ١ / ٧١.

(١٠) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب، شرح وتقديم مفيد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦، ٣ / ١٧٩، ومحمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، طبعة بغداد بدون تاريخ ١ / ٤٨ – ٤٩.

ولأُيّ بن شقيق بن ثور السدوسي الذي نقل الأخبار عن ابن الأشعث لصالح الحجاج الثقفي ، عندما خلع ابن الأشعث بسجستان وأقبل يريد الحجاج بالعراق ، فقدم لأُيّ بن شقيق السدوسي على الحجاج فأخبره ، فحمله من ساعته إلى الخليفة عبد الملك بن مروان ، فردّه عبد الملك إلى الحجاج يأمره بالتشمير والجد حتى تأتيه الجنود [(١)] .

وضرار بن سنان [(٢)] ، من ضبة ، قد نقل أخبارًا إلى قتيبة بن مسلم عن وكيع التيمي [(٣)] ، وكذلك إبراهيم بن عاصم العقيلي ، نقل أخبارًا لسعيد الحرشي عامل أرمينية [(٤)] وأذربيجان [(٥)] عن الخزر [(٦)] .

وثُبيت البهراني ، قد استطلع لصالح الجرشي ضد الخزر ، قال : قدم علينا الحرشي برذعة [(٧)] على دواب البريد ، فسرنا معهم إلى « البيلقان » ومضوا نحو « أذربيجان » وأقبل عسكر للخزر معهم عَجَلٌ كثير عليها سبايا المسلمين والغنائم من أهل « أردبيل » ، قال ثبيت البهراني : فوجهني الحرشي طليعة فأتيت العسكر وهم نيام فانصرفت فأخبرته

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، طبعة دار طيبة – الرياض ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م ، ص ٢٨١ .

(٢) هو ضرار بن سنان الضبي ، دسّه قتيبة بن مسلم عندما كان عاملاً للحجاج الثقفي على خراسان على وكيع بن أبي سُود التميمي ، ابن قتيبة : المعارف ص ٤٠٧ ، و الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٥١٣ .

(٣) هو وكيع بن أبي سُود التميمي الأعرابي ، مقدام لا يبالي ما ركب ، ولا ينظر في عاقبته ، وله عشيرة كبيرة تطيعه . انظر : الطبري : تاريخ الطبري ٦ / ٥١٢ .

(٤) أرمينية : اسم لصقع عظيم في جهة الشمال ، ولم ير بلدًا أوسع منها ولا أكثر عمارة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ١٦٠ ، ١٦١ .

(٥) أذربيجان : تقع في الإقليم الخامس ، وهي إقليم واسع ، يتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم . ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ١٢٨ .

(٦) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٧ / ٢٦٩ ، / ٥٠ – ٥١ .

(٧) بَرْذَعة : بلد في أقصى أذربيجان . ياقوت الحموي . معجم البلدان ١ / ٣٧٩ وما بعدها .

فحضض أصحابه وصار إليهم [١] .

وسليمان بن سراقة البادقي الذي نقل أخبارًا عن حركة زيد بن عليّ [٢] في الكوفة لصالح يوسف الثقفي ، حيث عندما أمر زيد بن عليّ أصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد لمحاربة يوسف بن عمر الثقفي ، فالوقت الذي كان فيه سليمان بن سراقة البارقي يعمل عينًا ليوسف بن عمر الثقفي ، فأخبر سليمان بن سراقة يوسف الثقفي بهذا الخبر فتجهز له .

وكذلك حريث بن أبي الجهم ، قد نقل أخبارًا عن حركة زيد بن عليّ في الكوفة لصالح يوسف بن عمر الثقفي ، لأنه كان عينًا له على حركة زيد بن علي [٣] .

وشميل بن عبد الرحمن المازني ، في عام ١٠٦ هـ أثناء غزو مسلم بن سعيد [٤] الترك ، وعندما صار بفرغانة [٥] بلغه أن خاقان الترك قد أقبل إليه ، فأتاه شميل بن عبد الرحمن المازني ، وكان عينًا له في عسكر الترك ، فقال : عاينت عسكر خاقان في موضع كذا وكذا ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي عبد الله الكرماني مولى بني سليم فأمره بالاستعداد للمسير [٦] .

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،خرج في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢ هـ فبعث إليه يوسف بن عمر الثقفي العباس المري ، فرماه رجل بسهم فقتله . ابن قتيبة ، المعارف ص ٢١٦ .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١٨٠ - ١٨١ ، وابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ١١٤ - ١١٦ ، وعلي بن الحسين الأصبهاني ، مقاتل الطالبيين ، طبعة النجف الأشرف ١٣٥٣ هـ ص ٩٨ - ٩٩ ، ١١٢ .

(٤) هو مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي ، تولى خراسان سنة ١٠٤ هـ ، وغزا فرغانة ، وقتله جماعة من المشركين . انظر : خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ٣٣٣ ، ٣٣٦ .

(٥) فرغانة : مدينة واسعة بما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تركستان . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٢٥٣ .

(٦) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٣٢ - ٣٣ .

والأشهب بن عبيد ، الذي نقل الأخبار للجنيد المرّي [١] في معركة الشِّعب ، عندما خرج الجنيد المرّي ومعه الناس وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسي وزياد بن خيران الطائي ، فسرح الجنيد الأشهب بن عبيد الحنظلي ومعه عشرة من طلائع الجند كعيون له ، وقال للأشهب : كلما مضيت مرحلة فسرّح إليّ رجلاً يعلمني الخبر [٢] .

ومن المعروف أن استخدام الرسل بين الدولة الأموية والدول الأخرى الهدف منها في الغالب هو افتداء الأسرى أو إدارة المفاوضات من أجل الوصول إلى هدنة ، أو لأغراض أخرى كنشر الإسلام ، وليس كما يقول الأعداء أن الإسلام انتشر بالسيف ، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لم يفرض بالقوة ، بل أقبل الناس عليه بإرادتهم واختيارهم [٣] . وقد شهد العصر الأموي العديد من إرسال الرسل أو السفارات المسلمة إلى القسطنطينة ، فقد كتب الخليفة عمر ين عبد العزيز إلى الأسارى بالقسطنطينية أما بعد : فإنكم تعدون أنفسكم أسارى ، معاذ الله بل أنتم الحبساء في سبيل الله ، واعلموا أني لست أقسم شيئًا بين رعيتي إلا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه ، وإني قد بعثت إليكم بخمسة دنانير ، خمسة دنانير ، ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم ، وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم ، وذكركم وأنثاكم ، وحركم ومملوككم بما سئل به ، فأبشروا ثم أبشروا ، والسلام عليكم [٤] .

---

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المري ، ولاه هشام بن عبد الملك مرة غطفان ، وقد غزا طخارستان في عام ١١٣ هـ ، وولاه هشام بن عبد الملك أمر خراسان سنة ١١٣ هـ ، ثم عزله سنة ١١٥ هـ . انظر : خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ٣٤٢ - ٣٤٥ ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٨٢ - ٨٣ .

(٣) LancPool(Stanly):StudiesinaMosque,(London.1893.p.86).

(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة بن عمر بن عبد العزيز ص ١٤٠ ، و المبرد ، الكامل في اللغة : ٢ / ١١٢ ، والمسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١١٧ .

وإلى الصين وذلك كالوفد الذي أرسله قتيبة بن مسلم إلى ملك الصين عندما قرب قتيبة من الصين ، حيث كتب إليه ملك الصين : أن ابعث إلينا رجلاً من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم ، فانتخب قتيبة من عسكره اثنى عشر رجلاً لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس ... » (١) .

ومن المعروف أيضًا أن القيادة الأموية كانت تختار رسلها وسفراءها بعناية وقدرة وكفاءة عالية ، سواء في القدرة والحكمة والسياسة والكياسة وقوة الشخصية وجمال الهيئة (٢) وتوفير المعلومات لهم عن تلك الأماكن التي يسافرون إليها ، وعن الذين سوف يتفاوضون معهم (٣) .

لقد تم خلال عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك في عام ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م ، سفارة مكونة من رجلين هما : مجاهد بن يزيد ، وخالد البريدي ، وقد وصفا طريقة حماية السكان المدنيين من قِبل البيزنطيين أثناء دخول القوات الإسلامية إلى داخل الأراضي البيزنطية ، وذلك من خلال ملاجئ تحت الأرض تسمى « المطامير » . كما نشير إلى التقاء إحدى السفارات ، ربما بطريقة معتمدة من قبل السلطات البيزنطية بأحد الأسرى العرب المرتدين عن الإسلام (٤).

وعندما علم البيزنطيون بالمهام التجسسية للرسل التي تصل بلادهم ، فقد كانوا يسمحون لهم بالإقامة الطويلة ، وقد صنعوا ذلك للحيلولة دون اطلاع هذه الجواسيس على أي أسرار (٥) .

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٥٠١ ، ٥٠٢ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٥٠١ ، و المسعودي ، مروج الذهب ١ / ٣٦٣ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥ / ١٧٨ .

(٤) الأصفهاني ، كتاب الأغاني ٦ / ١١٧ - ١١٨ .

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١١٧ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ٣ / ١١٣ .

ب – عيون من الموالي مسلمة : هذه العيون تم استخدامها في نقل الأخبار ، واختراق التنظيمات المعادية للدولة ، ومراقبة القادة وأدائهم خاصة في المغرب والأندلس ، واستخدامهم في أمور التفاوض لصالح المسلمين ، واستخدامهم في مراقبة المرشحين لتولي أحد المناصب ، واستخدامهم أيضًا في نقل رسالة تحذير إلى أحد القادة الترك .

من بين هذه العيون : أيوب بن حُمْران ، وكان عينًا لعبيد الله بن زياد قائد جيوش الخليفة يزيد بن معاوية ، أرسله إلى الشام ليأتيه بخبر يزيد بن معاوية فركب عبيد الله بن زياد ذات يوم حتى إذا كان في « رحبة القصّابين » إذا هو بأيوب بن حُمْران قد قدم من الشام ، فلحقه فأسرّ إليه موت يزيد بن معاوية [١] .

ومعقل مولى عبيد الله بن زياد الذي اخترق التنظيم العلوي في الكوفة ، حيث دعاه ابن زياد فقال له : خُذ ثلاثة آلاف درهم ، ثم اطلب مسلم بن عقيل ، واطلب لنا أصحابه ، ثم اعطهم هذه الثلاثة آلاف ، فقل لهم : استعينوا بها على حرب عدوكم ، وأعلمهم أنك منهم ، فإنك لو قد أعطيتها إياهم اطمأنوا إليك ، ووثقوا بك ولم يكتموك شيئًا من أخبارهم ، ثم اغْد عليهم ورُح ، ففعل ذلك [٢] . وصار معقل عينًا من عيون عبيد الله بن زياد ت ٦٧ هـ ، واستطاع أن يخترق التنظيم العلوي في الكوفة ، ويمد عبيد الله بكل المعلومات التي قد توصل إليها .

ومغيث الرومي الذي كان غُلامًا للوليد بن عبد الملك ت ٩٦ هـ ، وكان عينًا له على القادة وأدائهم في المغرب والأندلس ، فعندما أخذ موسى بن نصير ت ٩٧ هـ طارق بن عمرو فشده وثاقًا وحبسه ، وهمّ بقتله فبعث طارق إلى مغيث الرومي وقال له : إنك إن

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٥٠٦ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ٢ / ٨٠ ، والدينوري ، الأخبار الطوال ص ٢٣٩ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٣٤٨ - ٣٦٢ .

رفعت أمري إلى الوليد وأن فتح الأندلس كان على يدي ، وأن موسى حبسني يريد قتلي أعطيتك مائة عبد ، وعاهده على ذلك ، فلما أراد مغيث الرومي الأنصراف ودَّع موسى بن نصير ، وقال له : لا تعجل على طارق ولك أعداء ، وقد بلغ أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك أمرهُ وأخاف عليك وجْدَه ، فانصرف مغيث وموسى بالأندلس ، فلما قدم مغيث على الوليد أخبره بالذي كان من فتح الأندلس على يد طارق ، وبحبس موسى إياه ، والذي أراده به من القتل ، فكتب الوليد إلى موسى يقسم له بالله ، لئن ضربته لأضربنك ، ولئن قتلته لأقتلن ولدك به ، ووجه الكتاب مع مغيث الرومي ، فقدم به على موسى بالأندلس ، فلما قرأه أطلق طارقًا ، وخلى سبيله ، ووفّى طارق لمغيث بالمائة عبد الذي كان قد وعده بها [١] .

وسليم بن عبد الله الناصح ، وكان عينًا لقتيبة بن مسلم ت ٩٦ هـ ، فبعد أن فتح قتيبة بن مسلم بخارى عام (٩٠ هـ) وهزم جموع العدو ، هابه أهل السُّغْد ، وأراد طَرْخون ملك السُّغد الصلح مع قتيبة ، فأجابه قتيبة إلى ما طلب وصالحه ، وكان قتيبة قد صالح من قبل في عام ٨٧ هـ نيزك طرخان ملك « باذغيس » [٢] وأرسل نيزك هذا ما عنده من أسرى المسلمين إلى قتيبة ، وفي عام ٩٠ هـ غدر نيزك طرخان ونقض الصلح مع قتيبة وعزم على حربه متحدًا مع ملك « الطالقان » [٣] بخراسان فهزمهم قتيبة بن مسلم ، وهرب نيزك طرخان إلى « كابل شاه » [٤] ثم

---

(١) ابن عبد الحكم ، مصر والمغرب ، تحقيق شارلز تورّى ، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٩ م ، ص ٢١٠ .

(٢) باذغين : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ٣١٨ .

(٣) الطالقان : بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ ، وبلخ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٦ .

(٤) كابل شاة : ثغر من ثغور طخارستان وهي ذات مروج بين الهند وغزنة . ياقوت الحموي . معجم البلدان ٤ / ٤٢٦ .

مضى حتى نزل « الكرز » [١] فعلم قتيبة بخبره ، ودعا قتيبة سليم بن عبد الله الناصح وأخبره بأن ينطلق إلى نيزك طرخان في « الكرز » ، وأن يحتال عليه بشتى وسائل الاحتيال حتى يأتيه به ، فاحتال سليم الناصح إقناع نيزك بالذهاب والحضور أمام قتيبة للتفاوض والصفح حتى تمّ قتله [٢] .

فاستطاع سليم بن عبد الله الناصح أن يكون عينًا للقائد قتيبة بن مسلم ، وأن يكون مفاوضًا ومحاورًا ، وكانت لديه القدرة على الإقناع للخصم ، وقدرة على الدهاء وحُسْن التصرف ، والقدرة على اختيار الكلمات التي يتحاور بها ، ويُقنع بها خصمه .

وحسّان بن حيّان ، وكان عينًا للخليفة هشام بن عبد الملك ت ١٢٥ هـ ، فكان يُراقب عمال الخليفة ، فقد راقب خالد القسري [٣] عامل العراق والمشرق ، وذلك لحساب الخليفة [٤] .

وسعيد الصغير ، وكان فارسًا مولى باهلة ، وكان عالمًا بأرض « الختّل » [٥] ، وقد دعاه أسد بن عبد الله إلى نقل رسالة تحذير إلى القادة يحذره فيها من الترك [٦] ، فما كان أسد بن عبد الله وهو قائد للمسلمين على خراسان أن يستخدم سعيد الصغير في

---

(١) الكرز : هي بلد في الجبل قرب الطالقان ، قرية من قرى مرو الروذ . ياقوت الحموي . معجم البلدان ٤/٤٥٠ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٣) هو خالد بن عبد الله القسري الأمير الدمشقي كان أميرًا للعراق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وكان جوادًا ممدوحًا خطيبًا مفوهًا ، مات سنة ١٢٦ هـ ، انظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ١ / ١٦٩ - ١٧١ .

(٤) أخرجه ابن إسحاق اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، طبعة بيروت دار صادر ١٩٦٠ ٢ / ٢٢٣ .

(٥) الختل : كورة واسعة كثيرة المدن ، على نهر جيحون من وراء النهر . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢ / ٣٤٦ .

(٦) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١١٧ .

مثل هذه المهمة الفدائية ، إلا وهو متأكد من أنه عين واعية ، وأنه على قدر المسئولية .

ج - عيون من الفرس مسلمة : هذه العيون تم استخدامها في نقل الأخبار والاستطلاع على العدو ، وتدبير الأمن والأمان ، والعمل على خدمة الإسلام والمسملين من بين هذه العيون :

ماذرواسب دهقان بابل مهروذ وعظيمها وهو فارسي كان عينًا لعروة بن المغيرة بن شعبة [(١)] ، حيث أرسل ماذرواسب كتابًا سنة ٧٦ هـ إلى عروة أن تاجرًا من تجار الأنبار [(٢)] من أهل بلادي أتاني فذكر لي أن شبيبًا بن يزيد الخارجي [(٣)] يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل ، أحببت إعلامك ذلك لترى رأيك ، كما كتب « ماذرواسب » إلى الحجاج في سنة ٧٧ هـ كتابًا بسبب نزول واتجاه شبيب بن يزيد الخارجي نحو المدائن ، حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فقال : أما بعد : « فإني أخبر الأمير أصلحه الله أن شبيبًا قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة ، ولا أدري أين يريد » ، فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم دعاهم للقتال [(٤)] .

وبردك البيلقاني الفارسي كان عينًا لسيعد الحرشي وهو يتولى أمر خراسان ، فقد نقل له أخبارًا عن الخزر [(٥)] .

---

(١) هو عروة بن المغيرة بن شعبة ، ويكنى أبا يعقوب ، وكان أمير الكوفة . انظر : ابن قتيبة - المعارف ص ٢٩٥ .

(٢) الأنبار : مدينة قرب بلخ ، وهي قصبة ناحية جوزجان وبالقرب من مرو الروذ ، انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ / ٢٥٧ .

(٣) هو شبيب بن يزيد بن نُعيم من بني شيبان ، ويُكنى أبا الصحاري . انظر : ابن قتيبة . المعارف ص ٤١٠ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٠ .

(٥) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٤٧ .

ومردان شاه الفارسي ، قال ابن أعثم الكوفي : كان من عيون الاستطلاع التي تأتي بالأخبار ضد الخزر [١] .

۞ ۞ ۞ ۞

(١) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٣٩ .

ثانيًا : رجال المخابرات غير المسلمة

أ - عيون تركية مشركة : هذه العيون رغم أنها عيون غير عربية وغير مسلمة ، إلا أن القادة المسلمين استخدموهم في جمع المعلومات والأخبار التي تفيد القادة والجيوش الإسلامية ، وتخدم الإسلام والمسلمين ، واستخدموهم في إدارة المفاوضات مع طرخون ملك الصغد لمصلحة القائد المسلم قتيبة بن مسلم ، من بين هذه العيون :

النيلان ابن عم ملك فرغانة ، ففي سنة ١٠٤ هـ ، قام بجمع معلومات تفيد القائد قتيبة بن مسلم ضد أهل السغد « بخُجنَدة » [١]، فخرج النيلان إلى الحرشي سعيد بن عمر ، وأخبره بخبر أهل السغد وهم بخجندة وقال : عاجلهم قبل أن يصيروا إلى الشِّعب ، فليس لهم علينا جوار حتى يمضى الأجل ، فوجّه سعيد بن عمر الحرشي مع النيلان ، عبد الرحمن القشيري وزياد بن عبد الرحمن القشيري في جماعة [٢] .

وكارتقبد [٣] ، وهو عين من الترك ، كان يعمل لصالح القائد سَوْرَة بن الحرّ التميمي في سنة ١١٢ هـ ، وقد دلَّهُ على طريق يسلكه حتى لا يقع هو وجيوشه في قبضة الترك ، فعندما أمر سوْرَةُ بالرحيل من سمرقند واستخلف عليها موسى ابن أسود ، وخرج في اثني عشر ألفًا ، فأصبح على رأس جبل ، وقد دلَّهُ على ذلك الطريق « كارتقبد » [٤] .

وتنذر [٥] وكان عينًا لقتيبة بن مسلم ، وهو تركي ، ففي عام ٨٧ هـ غزا قتيبة

---

(١) خنجدة : بلدة مشهورة بما رواء النهر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٣٤٧ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٧ .

(٣) كارتَقبد : تركي مشرك يعمل كعين لخدمة القائد المسلم سَوْرَةُ بن الحر التميمي . الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٧٦ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٧٦ .

(٥) تنذر : تركي مشرك ، نقل أخبارًا إلى قتيبة بن مسلم ، وقام بمفاوضات مع ملك الصعد لصالح قتيبة . الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٣٠ .

« بِيْكَنْدْ »(١) وهي أدني مدائن بخاري إلى النهر ، يقال لها مدينة التجار ، على رأس المفازة من بخاري ، ولكن أهل بخاري قد أعطوا « تنذر » مالاً على أن يفتأ عنهم قتيبة ، فأتاه ، فقال : أخْلني ، فنهض الناس ، واحتبس قتيبة ضرار بن حصن الضّبي ، فقال تنذر : هذا عامل يقدم عليك » (٢).

ب - عيون بيزنطية نصرانية : هذه العيون البيزنطية تمّ استخدامها لصالح الإسلام والمسلمين ، مثل ما تم - نتيجة امتزاج الحضارة العربية بالحضارات الأخرى - اتخاذ الخدم والجواري الذين يقومون على أمر البيوت في نظامها وإدارتها ، وكان من بين السبي نصارى (٣) ، فمن بقي من أهل الذمة على دينه فقد عاملهم العرب بتسامح عظيم ، باعتبارهم أهل كتاب (٤) . من بين هذه العيون : يليان العجمي صاحب سبتة ، استطاع طارق بن زياد أن يحصل منه على أخبار ومعلومات واستخدمه كعين تخدم الجيش الإسلامي (٥) .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) بيكند : بلدة بين بخاري وجيحون ، على مقربة من بخاري - ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/ ٥٣٣ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦/٤٣٠ .

(3) Muir (Wiliam Temple) : Its Rise , Decline and Fall (London 1924) . p. 19 .

(4) Shedd (W. Ambrose) . Islame and the Oriental Churches (Philadelphio 1904, p. 97) .

(٥) ابن عبد الحكم المصري ، فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٥ - ٢١٠ .

الفصل الخامس

تطور أساليب العمل الأمني لرجال المخابرات في العصر الأموي

اهتم الخلفاء الأمويون في إدارة دولتهم بأمر العيون والجواسيس ، وعملوا على تطور هذا النظام في عهدهم ، وشهد ظهور أساليب مبتكرة في العمل ، وأخذت بما يتلاءم ودولة عالمية ، حكمت شعوبًا ذات أصول قومية ، ولغوية وعقدية مختلفة ، وواجهت تحديات عديدة ، نجحت في اجتياز معظمها بتفوق ، أمام أعداء لم يكن كثير منهم بأقل منها في حجم إمكانياته وخلفياته الحضارية ، مما لا يدع مجالاً للشك أن الدول غير المسلمة مدينة لأعمال وجهود العلماء المسلمين ، باعتبار أن هؤلاء المسلمين لهم السبق في كثير من مجالات العلم والفلسفة ، ولأنهم كانوا حملة المشاعل على طريق المعرفة التي أضاءت لأوروبا طريقها نحو النهضة والتقدم (١) .

إن اهتمام الأمويين بتطور أساليب العمل الأمني للعيون والجواسيس بشكل ناجح وفعّال ، يتطلب عدم التغاضي عن أبسط المعلومات التي يتم الحصول عليها ، حيث يجب الأخذ بنظر الاعتبار أسوأ الاحتمالات وليس أحسنها .

يتمثل هذا التطور في عدة أمور :

١ - الالتزام بمبدأ السّرية التامة في التعامل مع المعلومات والحفاظ على الأسرار التي هي من أهم قواعد للعيون والجواسيس ، فقد عنّف زياد - وهو والى الكوفة سنة ٥٠ هـ - كلاً من عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حُريث (٢) وهما

---

(1) Nicholson ، Literary History of the Arabs Combridge. 1964, p. 359.

(٢) هو عمرو بن حريث من بني مخزوم ، وله عقب بالكوفة ، ولاه المهدي طبرسان : انظر : ابن قتيبة : المعارف ص ٢٩٣ .

يتحدثان بصوت عالٍ في أسرار تخص الدولة من الناحية العسكرية ، وقصد من هذا التعنيف زجر الاثنين على أن الحديث في هذا الكلام ليس هذا مكانه ، بل يعتبر من الأسرار ، ويجب التزام مبدأ السرية التامة والحفاظ على الأخبار والمعلومات . وسبب ذلك لما قدم زياد الكوفة أتاه عمارة بن عقبة بن أبي معيط ، فقال : إن عمرو بن الحَمق يجتمع إليه من شيعة أبي تراب ، فقال له عمرو بن حريث : ما يدعوك إلى رفع ما لا تيقّنه ولا تدري ما عاقبته ، فقال زياد : كلاكما لم يصب ، أنت حيث تكلمني في هذا علانية ، وعمرو حين يردّك عن كلام ، قُومَا إلى عمرو بن الحَمق فقولا له : ما هذه الزرافات التي تجتمع عندك ، من أرادك أو أردت كلامه ففي المسجد ؟ [١]

إنَّ التزام مبدأ السرية التامة في التعامل مع المعلومات والحفاظ على الأسرار أمر واجب ، ولا يصح أن يُتكلم فيه علانية ، وفي أي مكان ، لأن تكتم الأخبار والسرية في التخطيط وحركة الجيوش من الشروط الأساسية للنصر ، وهي أحد المظاهر الضرورية للقيام بأي عمل لصالح الإسلام والمسلمين ، وفيه حماية لأسرار الدولة وعدم تسربها للأعداء .

ويذكر الأصفهاني السر وضرورة حفظه وأن إعلانه من غير ذوي الاختصاص يعتبر خيانة ، فيقول : إن إذاعة السر وإعلانه من الخيانة ، ومن الحزم الاحتياط وهو أخص بالملوك وأصحاب السياسات ، وإذاعة السّر من قلة الصبر وضيق الصدر ، وتوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان [٢] .

إن حرص الأمويين على تطور أساليب العمل الأمني لم يأت من فراغ ، بل من خلال تجارب سابقة ، ووعي ناضج وأخذ عبر التاريخ في الاعتبار ، فكتمان السّر قطع مكيدة

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٢٣٦ .

(٢) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، طبعة القاهرة ١٣٩٣ هـ ص ١٥١ .

من يكيدك ، وقد قيل في ذلك : اكفف لسانك عن فلتة كل منطق ينكشف بها ما تضمر من أمرك أو تخفيه من سرك ، واعلم أنه قد يستدل بلحن المنطق على مصون الستر ومكنون الضمير ، ولا تستهن في إظهار سرّك بصغير لصغره ، ولا بأعجمي لعجمته ، فربّ سرّ مصون قد أذاعوه واطلعوا عليه وقد قيل : إن رأس التدبير ألاّ يُظهر عدوك عوراتك ، ولا تستتر عنك عوراته ، ولن تحكم ذلك في نفسك إلا مع شدة الحذر ، وكتمان السّر ، ولن تعرفه من عدوك إلا مع التيقظ والتلطف وإذكاء العيون والجواسيس [(١)] .

٢ - لجوء القيادة الأموية إلى ترحيل بعض السكان المتعاطفين مع البيزنطيين ، والمتعاونيين معهم على مستوى الأخبار ، وذلك على صعيد مقاومة التجسس المضاد وتقليل فرص العدو في إيجاد مصادر للمعلومات ، فمن أهم واجبات العيون والجواسيس في الدولة مقاومة جواسيس الأعداء باستخدام كافة الوسائل والإجراءات التي يتم بها حماية أسرار الدولة وعدم تسربها للخارج [(٢)] .

فترحيل بعض السكان المتعاطفين مع العدو والمتعاونين مع تطورٌ في أساليب العمل الأمني للقيادة الأموية ، كما حدث في منطقة الثغور الشامية ، وكما هو الحال مع سكان « شوسَنَة » [(٣)] في سنة ٩٢ هـ عندما غزا مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ففُتح على يد مسلمة حصون ثلاثة ، وطُرد أهل « شوسَنَة » إلى داخل أرض الروم [(٤)] .

كما اضطرت الدولة الأموية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد ت ١٢٦ هـ ،

---

(١) الهرثمي ، مختصر في سياسة الحروب ص ٢٢ .

(٢) أحمد هاني ، الجاسوسية بين الوقاية والعلاج ص ١٠٦ .

(٣) شوسنة : مدينة بناحية المصيصة التي هي من ثغور الشام ، محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٢٩ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٦٨ .

إلى إعطاء سكان « قبرص » الخيار بالرحيل إلى الشام ، أو الأراضي البيزنطية ، بسبب تعاطفهم مع البيزنطيين ، وتعاونهم على مستوى الأخبار ، عندما أمّر الخليفة الوليد بن يزيد على جيش البحر القائد الأسود بن بلال المحاربي ، وأمره أن يسير إلى قبرص فيخيرهم بين المسير إلى الشام إن شاءوا ، وإن شاءوا إلى الروم ، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين ، فنقلهم الأسود إلى الشام ، واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها (١) .

٣ - ومن تطور أساليب العمل الأمني في الدولة الأموية : أن القيادة لجأت إلى إيجاد مرافقين بمثابة عيون وجواسيس تستقبل الوفود البيزنطية هؤلاء المرافقون يكونون على درجة عالية و كفاءة جيدة في إجادة اللغة اليونانية دون أن يحس أعضاء الوفود بذلك (٢) ، وذلك لردع أي محاولة للتجسس المضاد من جهة ، ولمعرفة النوايا الحقيقية للوفد من جهة أخرى .

فقد اهتمت القيادة الأموية بتعلم لغة الغير ودراستها وإجادة الحديث بها ، و كذلك الكتابة ، لذلك حرص الأمويون على أن يكون من عيونهم من يجيدون التحدث والكتابة بلغة العدو ، كضرورة حيوية في مجال تطور أساليب العمل الأمني للعيون والجواسيس ، والمساعدة في عملية إدارة المفاوضات (٣) .

٤ - كما حرصت القيادة الأموية على إقامة مراكز للمراقبة والرصد على قمم الجبال وإقامة المسالح (٤) على الطرقات ، وإيجاد قواعد للبريد بين كل قاعدة وقاعدة ، وذلك

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٢٧٧ .

(٢) عبد القادر بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، منشورات دار المسيرة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م ، ١/ ٢١١ .

(٣) عبد الله علي السلامة مناصرة ، الاستخبارات العسكرية في الإسلام ، طبعة بيروت ١٩٩١ م . ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٤) المسالح : مقرات العيون ومهمتها جمع المعلومات وإرسال الإنذار ، محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١١٩ .

حرصًا من القيادة أثناء تقدّم القوات في عمق أراضي العدو ، ولمقاومة التجسس والتسلل ، ولنقل الأخبار بسرعة إلى قيادة العمليات ، وذلك في عام ٨٠ هـ في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ت ٨٦ هـ [١] .

إضافة إلى ذلك اعتنى الخليفة الوليد بن عبد الملك بالطرق عامة ، وبطرق البريد خاصة ، فهو أول من وضع الأميال بالطرقات وقام بتسهيلها [٢] ، فقد كانت كتب الحجاج بن يوسف الثقفي ترد على القائد محمد بن القاسم بالسّند ، وكتب القائد محمد بن القاسم كانت ترد على الحجاج بواسط بوصف ما قبله ، واستطلاع رأيه فيما يعمل به في كل ثلاثة أيام [٣] .

واهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز في إدارته بالطرق وتسهيلها ، وبالبريد [٤] ، فقد فرض لصاحب البريد من سهام المسلمين بقوله : « الرسول والبريد والوكيل يُبعثون من العسكر يُجرى لهم سهامهم مع المسلمين » [٥] .

٥ – ومن تطور أساليب العمل الأمني في العصر الأموي ، تعريب الدواوين من اليونانية إلى العربية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان [٦] ، الغرض من ذلك عرض أمني وهو مقاومة التجسس المضاد ، وتقليل فرص العدو في إيجاد مصادر للمعلومات عن إمكانيات الدولة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية ، وكان الخليفة

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٢) القلقشندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، طبعة عالم الكتب – بيروت ١٩٨٠ ، ١ / ١٣٦ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ٣ / ٥٣٥ .

(٤) الحسيني ، س . أ . ق . الإدارة العربية ترجمة إبراهيم العدوي – مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٥) ابن سعد كاتب الواقدي ، الطبقات الكبرى ، دار الفكر العربي – القاهرة بدون تاريخ ٥ / ٢٦١ .

(٦) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، الطبعة الثانية – طبعة الحلبي ١٩٨٠ ، ص ٣٨ .

عمر بن عبد العزيز بحسه الثاقب على إدراك تام ووعي ناضج لخطورة التجسس المضاد ، حينما أوعز إلى أحد قادته بضرورة أن تكون عيونه من العرب ، وممن يطمئن إلى أمانتهم من السكان المحليين [١] .

نلاحظ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز يرغب في أن تكون عيونه وجواسيسه من العرب ، فلعله يرى أن لكل مرحلة سياقتها الخاصة بها ، فما هو مطلوب في مرحلة ماء قد يكون مؤذيًا في مرحلة أخرى ، لاسيما بعد اشتداد حدة الصراع مع العدو البيزنطي وتحول البيزنطيين من الدفاع إلى الهجوم [٢] .

٦ - ومن تطور أساليب العمل الأمني أيضًا ، لجوء القادة الأمويين إلى كل وسائل الخداع للحيلولة دون وصول أسرار الخطط إلى العدو ، فقد عُرف عن مالك بن عبد الله الخثعمي [٣] ، صاحب الصوائف في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان أنه إذا أراد الحركة داخل الأراضي البيزنطية ، يلقي خطابًا في قواته يشير فيه بأنه سيسلك الطريق الفلاني ، فتنطلق جواسيس العدو بعد أن تسمع هذا الخطاب مخبرة قيادتها بذلك ، إلا أنه عندما يصدر أمر الحركة الفعلية ، يعلن خطة جديدة تقوم على اختيار درب آخر ، حتى سماه البيزنطيون الثعلب [٤] .

والذي دفع القائد مالك بن عبد الله الخثعمي إلى اتخاذ هذه السياسات هو تركيبة السكان الذين يقطنون الثغور ، والذين معظمهم من غير العرب ، وغير المسلمين ،

---

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٧٣ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ١٥٧ .

(٣) مالك بن عبد الله الخثعمي ، أحد قادة الصوائف ، اشتهر في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان في ثغور الشام والجزيرة . انظر خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ٢٥٣ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٢٢٧ - ٢٢٩ .

(٤) شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب ٦ / ١٧٦ .

فضلاً عن وعورة المنطقة ، وكثافة أدغالها وغاباتها ، ومناخها المتطرف ، لاسيما في فصل الشتاء البارد والمثلج ، وخوفه من الوقوع في كمائن الأعداء ، لأن نجاح العدو - في بعض الأحيان - في جبهة الثغور الشامية والجزرية ، يعتمد على طبيعة القيادة العسكرية الإسلامية ، وإمكاناتها ونشاط عيونها ، وكفاءة الوحدات المقاتلة ، فضعف هذه العوامل هو الذي مكّن البيزنطيين في بعض الأحيان من متابعة تحركات السرايا منذ دخولها الأراضي التابعة لهم ، وحتى انسحابها ، وفي أي الوديان تعسكر في طريقها (١) .

وقد عُرف عن قتيبة بن مسلم الباهلي بأنه كان لا يفصح عن هدفه ، بل ينوّه بهدف آخر ، وذلك من أجل الحفاظ على أمن الخطط ، وكان أحيانًا لا يبوح بخطته لهيئة قيادته حتى اللحظة الأخيرة (٢) .

٧ - اللجوء إلى وسائل مبتكرة للتمويه ، وللحيلولة دون وقوع المعلومات بيد الأعداء ، كأسلوب متطور من أساليب العمل الأمني في العصر الأموي ، فقد كانت التقارير ترسل بطريقة خفية ، وبحيلة من الصعب على العدو أن يكشفها ، فأحيانًا ترسل التقارير في رغيف من الخبز ، أو في سروج الخيل ، بعد حفرها وإيداع الرسائل في داخلها بشكل لا يلفت الانتباه وبطرق فنية مبتكرة جديدة لم يتعود عليها العدو من قبل (٣) .

فقد ظهر تطور أساليب العمل الأمني خلال عملية فتح الأندلس بتطبيق ذكي لأمن

---

(١) محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨ هـ ، تاريخ الإسلام ، تحقيق عمر عبد السلام ، دار السلام العربي - بيروت ١٩٩٠ ، حوادث سنة ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٧٢ ، وابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٧ / ٢٣٦ - ٢٣٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، وعبد الرحمن بن محمد الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق إبراهيم شبوح - القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٦٨ م ١ / ٦٣ - ٦٤ .

الخطط ، فللحيلولة دون وقوع المعلومات بيد العدو ، وعدم لفت انتباه جواسيس العدو القوطي إلى الفتح الإسلامي ثم الاتفاق مع يوليان حاكم سبتة بطريقة متطورة غير معتادة على أن تتم عمليات العبور بسفنه [١] وقد تم اختيار مدينة « سبتة » لأنها لم تكن من الناحية الفعلية خاضعة للسيطرة العربية .

هذا التطور الأمني أمر ضروري وحساس خاصة في العمل العسكري ، ويفسر هذا الكتمان الشديد أمر يتطلبه الواقع ، ومصلحة الإسلام والمسلمين تتطلب ذلك .

٨ - وكما أن أمن الخطط ومنع تسربها أمر ضروري وحساس في الجانب العسكري فإنه أمر ضروري وحساس في العمل الإداري ، فقد حرص بعض الخلفاء الأمويين بشدة على عدم تسرب أي شيء من أسرار العمل الإداري ، فكانوا يقومون بأنفسهم بكتابة الرسائل السرية على أصغر مساحة ممكنة من الجلد - كأنها أذن فأرة - ودرجها بطيّ كتاب آخر اعتيادي ، كتبه صاحب الرسائل ، كما حدث عند تولية الخليفة هشام بن عبد الملك ليوسف الثقفي على العراق وعزل خالد القسري [٢] .

فهذا في حدّ ذاته تطور في أساليب العمل الأمني في العصر الأموي ، وهذا التصرف الذي حدث من الخليفة هشام بن عبد الملك ، أمر يتطلب الكتمان الشديد ، وذلك لخطورة القرار المتعلق بعزل والٍ استغرق حكمه للعراق والمشرق حوالي خمس عشرة سنة .

٩ - ومن تطور أساليب العمل الأمني في العصر الأموي أن الخليفة عبد الملك بن مروان أنشأ ما يمكن وصفه بأنه من شئون أمن القادة أو ما أشبه ذلك ، وحمايتهم من محاولات الغدر ، خاصة أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان لديه حساسية شديدة

---

(١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي ، البحرية الإسلامية - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٦٩ . ص ٣٦ و ٣٧ .

(٢) الجهشياري ، كتاب الوزراء والكتاب ، ص ٦٢ - ٦٣ .

إزاء هذا الخطر [١] ، لاسيما وأن الأمة الإسلامية قد شهدت ثلاث حالات اغتيال لثلاثة من الخلفاء الراشدين ، وهم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم [٢] فضلاً عن محاولتين غير موفقتين ، استهدفتا معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص [٣] وهذا ما يفسر إنشاء المقاصير من قِبَلِ معاوية بن أبي سفيان ، وزياد بن أبيه [٤] .

وقد عُرف عن القائد العظيم المهلب بن أبي صفرة نجاحه في تأمين شخصه في جبهات القتال أمام عدو متمرس مستميت ، وهو الخوارج ، وهذا بفضل عيونه وجواسيسه اليقظين [٥] ، فضلاً عن قوة البصيرة التي كان يتمتع بها ، والتي أنقذته في إحدى المرات من كمين مهلك نصبه له الخوارج [٦] .

١٠ - ومن الأساليب المتطورة في العمل الأمني ، لجوء الخليفة عبد الملك بن مروان إلى استخدامه رقابة على العين المكلف بمهمة من قِبَلِ عين آخر ، وذلك من أجل التأكد من سلامة التنفيذ في وحدات العيون والجواسيس عنده [٧] .

كما نجد قتيبة بن مسلم يلجأ إلى أسلوب آخر متطور وأقل كلفة ، وذلك عبر شق لوح منقوش وإعطائه للشخص المكلف بالمهمة ، ويطلب منه في نهاية العملية أن يضع الشق الخاص به في مكان ما ، وقد يكون تحت شجرة ، أو مخاضة ، أو في خربة ، في حين

---

(١) الأصفهاني ، كتاب الأغاني ٩ / ١٧٠ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ١٩٠ - ١٩٤ ، ٥ / ١٤٤ - ١٤٧ .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ١٤٩ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٤٢٧ .

(٥) أبو علي القالي ، كتاب الأمالي ، طبعة دار الكتاب المصرية ١٣٤٤ هـ ١ / ٢٦٤ .

(٦) محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، منشورات مؤسسة المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ ٣ / ٣٣١ .

(٧) علي بن حجة ، ثمرات الأوراق ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، بدون تاريخ طبع . ص ٣٤٢ - ٣٤٢ .

يرسل الشق الثاني مع عين آخر لكي يأتي بالنصف الأول على السياق نفسه [١] .

من خلال عرض هذه الأساليب الأمنية المتطورة التي استخدمها الخلفاء الأمويون يتبين لنا مدى تطور مفهوم الأمن عندهم ، ومدى ظهور أساليب مبتكرة في العمل الأمني ، مما أعطاها التفوق الأمني في استخدام العيون والجواسيس على العدو .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٥٠٤ .

الفصل السادس

الهيكل الإداري والتنظيمي لرجال المخابرات في العصر الأموي

كانت مسئولية الإشراف على العيون والجواسيس في العصر الأموي غير منحصرة في هيكل إداري واحد على الأرجح ، وبالتالي فإننا نجد أنفسنا أمام جهات عديدة أخذت على عاتقها المسئولية الكبرى في إدارة هذا العمل الأمني الخطير ، هذه الجهات بدءًا من الخليفة الذي مارس دوره في إدارة العيون والجواسيس ، وإنشاء ديوان البريد كمؤسسة داخل الدولة فقد أخذت على عاتقها مسئولية إدارتها ، حريصين كل الحرص على الاستفادة منها ومن مميزاتها الإدارية والتنظيمية كمؤسسة ، ومن طبيعة التسهيلات التي كانت تقدمها ، كما تولى إدارة العيون والجواسيس والإشراف عليها عامل الخراج ، وأصبح له دور أمني فعّال ، ثم صاحب الشرطة أيضًا المرتبط إدارة بعامل المصر أو الجند كان له من عيونه الخاصة التي تعينه في مسئولياته الكبيرة على صعيد حفظ الأمن ، كما كان للخليفة عيون مرتبطين به مباشرة ، وكان شديد الحرص على إمالة قلوب الرعية وامتلاك أفئدتها ، وخلق الإحساس بالأمان والثقة والسكينة والألفة ، ورغبة الخليفة في تحقيق ذلك يدعو إلى التآلف وحسن الطاعة ، وتبعث على الاتفاق وبذل النصيحة ، وذلك من أقوى الأسباب في حراسة الدولة [١] ، ومع ذلك عدله ولطفه ورأفته وكرمه وسخاؤه وحنوّه على رعيته ، وعفوه ورده للمظالم ، فوراء كل هذه الفضائل الجميلة تحصل له الطاعة والولاء ، ليس من قِبَلِ عيونه وجواسيسه فقط ، بل من الرعية كلها [٢] .

---

(١) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ت ٤٥٠ هـ ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، تحقيق رضوان السيد ، طبعة دار العلوم العربية – بيروت ١٩٨٧ م ص ٢٢٤ .

(٢) راجع : Kametti (Ilias) Mosse et Puissamce, p 317 - 318 EGallimard .

نستطيع القول بأن هناك أربعة هياكل ، كان العيون والجواسيس يعملون في إطارها وبصورة مستقلة ، وتتعاون فيما بينها ، وهي : ديوان البريد وصاحب الخراج ، وصاحب الشرطة ، وعيون الخليفة المرتبطة به .

إن صاحب الإشراف بصورة عامة ومباشرة على الإدارة الأمنية الداخلية للدولة ، والإشراف على التجسس الداخلي هو الخليفة الأموي ، فقد مارس دوره في إدارة العيون والجواسيس بصورة فعالة في معظم الأحيان ، فكانت أوامره إلى عماله وقادته تستند إلى تقارير العيون في كثير من الأمور . أما الإشراف على التجسس الخارجي فلعماله وقادته العسكريين في الأمصار والجبهات ، والذين يزودونه في الوقت نفسه بخلاصة الموقف بصورة مستمرة ، ليكون على اطلاع تام على الأمر ، مع استثناءات قليلة تركت للخليفة في الإشراف على التجسس الخارجي [١] .

فقد كانت تقارير الأجهزة الأمنية المنتشرة في أمصار الدولة الأموية تصل إلى عاصمة الخلافة « دمشق » ، وهذه التقارير تختلف في أهميتها وترتيب أولويائها ، ما بين تقارير مستعجلة جدًا ، وتقارير مستعجلة ، وتقارير لمجرد الاطلاع ، فتنسيق التقارير يتطلب كادرًا خاصًا متخصصًا وموثوقًا به بدرجة كبيرة ، لكي يقدم خلاصات هذه التقارير ، وتقديم مقترحات متعددة لكي يختار الخليفة المناسب منها ضمن هيئة معاونيه الأمنيين والتي تشمل الكاتب ، وصاحب ديوان الرسائل والخراج ، وآخرين ممن لم تكن لهم صفة رسمية ثابتة ، فالكاتب في العهد الأموي كان يمارس أحيانًا ما يشبه صلاحيات الوزير العباسي كما كان ينافسه صاحب ديوان الرسائل في أحيان أخرى ، فضلاً عن كاتب الخراج [٢] ، علمًا بأن الأمر كان يحتاج أحيانًا إلى الاستعانة

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١٢٦ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ٢٢٨ ، ٣١٢ ، ٤٠٨ ، ٣٦٢ - ٣٦٧ ، ٨ ، ٢٢٩ ، ٣٥٥ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ١٨٠ - ١٨٢ .

بخبراء متخصصين في شئون أمن الإقليم أو المصر [١] .

كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يمارس دوره في إدارة العيون بصورة مباشرة ، فقد قام بفرض رقابة دقيقة ومحكمة على أفراد الحاميات وأسرهم وعيّن موظفًا في كل حامية ليتحرى عن الداخلين والخارجين حتى لا يتسلل عين أو جاسوس للعدو إلى أرض المسلمين ، فيتعرفوا على مواقع معسكراتهم ومدى قوة استعدادتهم العسكرية ونقاط الضعف بها إن وجدت [٢] .

وحين انتقلت الخلافة إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، اهتم بأمر العيون والجواسيس ، حيث يرسل عيونه وجواسيسه أمام جيشه لكي ترصد أخبار العدو ، كما يوصي قادته بأن يستميلوا بعض أبناء البلاد المفتوحة ليكونوا عيونًا لهم يقدمون لهم المعلومات الصحيحة عن تحركات العدو [٣] .

ديوان البريد وإدارة العيون

عندما أنشأ الخليفة معاوية بن أبي سفيان ديوان البريد ، كانت أول مؤسسة يعمل في إطارها العيون والجواسيس مستفيدين منها لما لها من مميزات إدارية وتنظيمية ، وما تقدمه من تسهيلات من خلال النقل السريع المأمون .

هذه المؤسسة يقصد بها لغة : المسافة بين كل منزلتين ، ويقصد بها أيضًا الرسل على دواب البريد [٤] .

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ، والدينوري ، الأخبار الطوال ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٢) وفيق الدقدوقي ، الجندية في عهد الدولة الأموية ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٩٨٥ . ص ١٧٧ .

(٣) المبرد ، كتاب الكامل في اللغة والأدب ٢ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٨٧ ، وابن قتيبة الإمامة والسياسة ٢ / ٥٤ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ .

(٤) ابن منظور لسان العرب (ب . ر . د) .

أما اصطلاحًا : فيقصد بها ، وضع خيل سريعة في عدة محطات ، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها ، وقد تعب فرسه ، تركه وركب غيره من خيول المحطة ، وكذلك يفعل بالمكان الذي يليه حتى يصل الهدف (١) .

فأول من وضعه في الإسلام كمؤسسة هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، وذلك حين استقرت له الخلافة ، ولكي تسرع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها .

وليس معنى هذا أنه لم يكن للبريد وجود قبل الخليفة معاوية ، بل كان موجودًا في أيام الرسول ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، ولكن في زمن الخليفة معاوية كان التنظيم والتطوير ، والاستعانة بدهاقين الفرس ، وأهل أعمال الروم ، وعرّفهم لما لهم من خبرة في هذا المجال (٢) .

فالمهمة الرئيسية للبريد هي نقل الأخبار والرسائل بين عاصمة الخلافة وبين الأمصار الأخرى ، وكان للبريد ديوان للنظر في أمور موظفي البريد ودوابه وأمكنته ، وينبغي لموظفي هذا الديوان أن يكونوا على اطلاع تام ومعرفة دقيقة بالطرق والمسالك ، بحيث يجد الأمير أو القائد عندهم كل المعلومات المطلوبة ، وأصبح ديوان البريد إدارة مستقلة يتولاها شخص يعرف بصاحب البريد ، وكانت وظيفته من أهم الوظائف الإدارية في العصر الأموي ، وكان يتمتع بنفوذ كبير (٣) . وذلك لما يديره من أمر العيون والجواسيس التي تخدم أمن البلاد وتعمل على تقديم المعلومات عن العدو أولاً بأول ، مما يهيّئ للمسلمين دائمًا كشف خطط العدو ومعرفة أخبارهم .

---

(١) محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، طبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٨٨ .

(٢) أبو هلال عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الأوائل ص ١٦٢ .

(٣) مجموعة مؤلفين من رابطة العالم الإسلامي ، صناعة الكتابة وتطورها ، مكة المكرمة سلسلة دعوة الحق - بدون تاريخ ص ٣٢ .

كان البريد واسطة بين الخلفاء والولاة والقادة لنقل المعلومات والأخبار والأوامر وكان أصحاب البريد رقباء ومفتشين من قِبَلِ الدولة يرفعون التقارير عن أحوال الجند في مختلف حالات القتال ، وفي كل الظروف والأوقات ويخبرون بحال المال والعطاء ، ومن واجبات صاحب البريد أيضًا مساعدة الإدارة العسكرية في التموين والإمداد وحفظ القوافل وحفظ الطرق وصيانتها من الأعداء وانسلال الجواسيس في البر والبحر ، وإليه كانت ترد كتب أصحاب الثغور وولاة الطراف ، فيقوم بتوصيلها بوجه السرعة من اختصار للطرق ، واختيار المراكب لمعرفته بالطرق والمسالك إلى جميع النواحي ، وكان الخليفة يجد عنده ما يحتاج إليه من المعرفة عند إنقاذ جيش وغيره وقت الحاجة إلى ما هنالك من مهام قام البريد بتأديتها [١] .

استخدم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في كل ثغر صاحب بريد كعين له ، يخبره بكل ما يحدث ويجري في ذلك الثغر من أحداث وبخاصة فيما يتعلق بتحركات الأعداء ونواياهم ، ثم يرفعها إلى مركز الخلافة ليرى فيها رأيه وأمره [٢] .

كما كانت هذه المؤسسة تستخدم في جمع الأخبار وتنسيقها ، ثم نقلها وذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، والهدف من وراء هذا الاهتمام وهذا التخصص كهذه المؤسسة هو التحديات التي واجهها الخليفة عبد الملك سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي ، لذلك كان حريصًا على معرفة الأخبار التي ينقلها البريد

---

(١) أبو علي الحسن بن علي العباسي ، آثار الأول في ترتيب الدول ، طبعة بولاق - القاهرة ١٨٧٨ م ، ص ٨٣ ، ٨٥ . وقدامة بن جعفر البغدادي ، الخراج وصناعة الكتابة - تحقيق محمد حسين الزبيدي منشورات الرشيد ، بغداد ١٩٨١ م ص ٥١ ، ٧٨ ، وابن الأزرق محمد بن علي بن محمد ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار ، منشورات وزارة الإعلام العراقية بدون تاريخ ٢ / ٥٢٠ .

(٢) التنوخي أبو علي المحسن بن علي ، الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي - منشورات دار صادر ، بيروت ١٩٧٨ م ، ٢ / ١٩١ .

أولاً بأول ، فكان يقول لحارسه ابن الزعيزعة : « والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب ... » [(١)] ، وكان قبيصة بن ذؤيب الخزاعي [(٢)] يشرف على البريد في عهد عبد الملك بن مروان ، حيث كان قبيصة يقرأ التقارير السرية التي تحمل الأخبار في سرية تامة ، ثم يقوم بتنسيقها ، ثم يدخلها على الخليفة ، حتى يقوم بتقديم موجز لها ويخبره بما فيها ، وكان يقوم بالإجابة عليها ، نيابة عن الخليفة عبد الملك بعد أن يأخذ منه الخطوط العريضة لهذه الإجابة [(٣)] .

ونظرًا للمسئولية الكبيرة التي كانت ملقاة على عاتق قبيصة بن ذؤيب ، فقد كان يحق له الدخول على الخليفة عبد الملك في أي ساعة من ليل أو نهار [(٤)] .

وفي زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك لعب البريد كمؤسسة وكهيكل يندرج تحته عمل العيون والجواسيس دورًا هامًا ، فبواسطته كان يوجه القادة ويلقي إليهم الأوامر ، وبه تأتيه الأخبار عن هؤلاء القادة .

وفي خلافة يزيد بن الوليد الأموي كان يوسف بن عمر الثقفي عاملاً له على العراق وكان في عهد الحجاج بن عبد الله البصري ، ومنصور بن نصير وهما رجلان كانا على الخبر ما بين الشام والعراق [(٥)] .

يُفهم من هذا النص أن هذين الرجلين كانا عينين لنقل الأخبار نقلاً مباشرًا ما بين مركز الخلافة دمشق وبين واسط في العراق ، كما يدل على أن هذين الرجلين تم

---

(١) أبو هلال العسكري ، كتاب الأوائل ص ١٦٢ .

(٢) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي المدني الفقيه بدمشق ، وكان من علماء الأمة . انظر : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ١ / ٩٧ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ / ١٣١ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤١٢ ، وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ١ / ١٧٣ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤١٢ .

(٥) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١٧٥ ، ٢٧١ .

اختيارهما بعد تمحيص وتدقيق نظرًا لما يُسند إليهما من مهام جسام تمس أمن الدولة وسلامة أبنائها ، ولمدى أهمية مسئوليتهما السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية تحت مظلة وهيكل ديوان البريد .

وإن مثل هذين الرجلين - وهم كثيرون - قد روعي في اختيارهم الكفاءة والثقة والتجربة ، فقد كان قبيصة بن ذؤيب الخزاعي مشرف البريد في عهد عبد الملك بن مروان فوق ذلك فقيهًا ومحدثًا ثقة ، فضلاً عن كفاءته المهنية [(١)] .

إن المتتبع لديوان البريد خلال العصر الأموي ليجده قد قام بإدارة العيون والجواسيس ، وأسند إليه كثير من المهام الأمنية التي تمس أمن الوطن والمواطن في الداخل والخارج ، كجمع الأخبار ونقلها إلى الخليفة ، وليس وحده المسئول والمشرف على العيون ، بل يعتبر ديوان البريد مؤسسة من بين مؤسسات الدولة التي تشرف على هذا الأمر ، وأخذت على عاتقها جانبًا من المسئولية الأمنية .

عامل الخراج وإدارة العيون

عرفنا فيما سبق أن مسئولية الإشراف على العيون وإدارتها لم تكن مقصورة على ديوان البريد ومشرفيه ، أي ليست منحصرة في هيكل إداري واحد ، بل المسئولية في الإشراف على العيون والجواسيس تتداخل ، والخليفة والدولة تستفيد من الجميع ، فكان عامل الخراج يتحمل جانبًا من المسئولية أيضًا في الإشراف ، لما لديه من عيونه الخاصة به ، وكانت المهمة التي تسند إليهم مهمة مزدوجة ، ما بين الإشراف على الخراج وجبايته وحساباته ، في الوقت الذي تصل فيه سلطته إلى أقصى أنحاء الريف لاسيما من خلال الدهاقين ، أو من خلال عمال القرى الذين كانوا بدورهم مسئولين

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ / ١٣١ ، وابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق محمد علي البجاوي ، طبعة دار نهضة مصر - القاهرة د . ت ٥ / ٥١٨ .

عن أي حادث مُهمّ يقع في قراهم [١] .

كما كان يوجد تداخل وتعاون بين عامل الخراج وعامل الحرب ، حيث يقوم بتبليغه ما يتجمع لديه من معلومات ، ويرسل من هذه المعلومات نسخة إلى الخليفة ، فالأمثلة التي تدل وتبرهن عن الدور الأمني لعامل الخراج عديدة منها أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان قام بتعيين مولاه عبد الله بن دراج على خراج العراق [٢] ، ولم يكن السبب اقتصادياً فحسب ، بل كان أمنيًا أيضًا ، خاصة أن الخليفة معاوية كان عليه أن يعرف أوضاع العراق غير المستقر وقاعدة الشرق كله ، ليس عن طريق عامل الحرب وحده بل وعن طريق عامل الخراج .

وفي عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك ، كان عامل الخراج على المدينة المنورة رجل من أهل الشام يُقال له « ابن هرمز » ، وبجانب عمله في الخراج كان له دور أمنيّ يشمل مراقبة الوالي ، كما فعل مع والي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك ، حيث أخبر عنه الخليفة وعما يحدث منه في المدينة حتى عزله الخليفة .

وفي عام ١٠٩ هـ كان عمال الخراج على مدينة « مرو » الحسن بن شيخ وكان عينًا للخليفة هشام بن عبد الملك في نفس الوقت ، وهو الذي كشف التنظيم العباسي في خراسان سنة ١٠٩ هـ بقيادة زياد بن أبي محمد مولى همذان ، وعند التحقيق معه من قِبَلِ أسد القسري والي خراسان ، اكتشف أسد أنه سبق أن رأى زياد في حانوت بدمشق ، فبرر زياد الرؤية بأنه تاجر ، واقتنع الوالي أسد القسري ببراءته فأطلق سراحه مقابل مغادرته خراسان ، إلا أن عامل الخراج الحسن بن شيخ وعين الخليفة في نفس الوقت لم يهدأ حتى قبض عليه مرة أخرى فأعدم مع مساعديه الثمانية .

وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أيضًا كان والي العراق خالد القسري ،

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٠ - ٢٥٨ ، ٧ / ١٣٠ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٥٨ .

وكان عامل الخراج فيها مولاه طارق ، ويشرف على الجانب الأمني ، وله صلاحية اتخاذ الإجراءات المناسبة ، لمعالجة الحالات الطارئة قبل الرجوع إلى والي العراق خالد القسري [١] .

وفي عهد الخليفة هشام أيضًا سجل عامل خراج دمشق أروع الأعمال الأمنية ، حيث كشف في عام ١٢٦ هـ الأسباب الخفية للحرائق التي أخذت تجتاح دمشق ، والتي اتهم فيها عامل دمشق خطأً موالي وأنصار خالد القسري ، وكان هذا هو السبب في إبقاء القبض على أسرته وأنصاره ، في حين كان السبب الحقيقي لها هو أحد لصوص الكوفة ، أبو العمرس وعصابته ، وكان الهدف من الحرائق لإشغال الناس ريثما يقوموا بنهب جانب آخر من السوق [٢] .

مما يدل على أن عامل الخراج كان عينًا مخلصًا في عمله ، وعلى درجة عالية من الكفاءة والقدرة على تقصي الأخبار ، وتتبع المشاغبين والمتسببين في إخلال الأمن في البلاد ، وأن عامل الخراج هذا لديه العيون والجواسيس الذين يعملون في الإشراف على الخراج ، ويعملون أيضًا في جمع الأخبار والحفاظ على الأمن في البلاد .

وفي زمن الخليفة يزيد بن الوليد الأموي الذي تولى خلافة المسلمين في عام ١٢٩ هـ كان عامله على الخراج محمد بن سعيد الأزدي ، وقد عينه الخليفة مشرفًا على عيونه في جند الأردن [٣] .

مما سبق عرضه من أمثلة لمشرفي عامل الخراج على أمر العيون والجواسيس ، يتبين لنا أن صاحب الخراج كان له نصيب وافر في إدارة هيكل العيون والجواسيس في العصر الأموي ، ليس وحده فحسب بل مشاركًا مع جهات أخرى في هذه الإدارة .

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١٢ ، ١٣ ، ٥٠ ، ١٤٧ .

(٢) ابن قتيبة الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٣٤٥ ، محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٢٦٧ - ٢٦٨ .

صاحب الشرطة وإدارة العيون

الشرطة مهمتها الأولى حفظ الأمن في البلاد ، ونشر الطمأنينة بها ، وفي العصر الأموي صار نظام الشرطة أكثر وضوحًا ، وأشد قوة وإحكامًا ، وعُرف رجال الشرطة بشدة المراس وقوة الشكيمة وعفة الخُلُق ، والصدق في الأمانة والإخلاص في العمل .

وكان صاحب الشرطة في العهد الأموي يتمتع بسلطات واسعة ، طالما أنه كان ينفذ العقوبات بحق الأفراد الذين يرتكبون جرائم تخلّ بالنظام ، وتعكر صفو الناس وأمنهم (١)

وكان لصاحب الشرطة المرتبط إداريًا بعامل المصر ، أو الجند عيونه الخاصة التي تعينه في مسئولياته الكبيرة ، على صعيد حفظ الأمن ، أو مراقبة الحركات السياسية المعارضة . وقد صرح بذلك والي المدينة المنورة عثمان بن حيان المرّي في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في سنة ٩٤ هـ خطب الناس قائلاً : « ... فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم ، إنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم ، فدعوا عيب الولاة ... » (٢) .

وفي أواخر العصر الأموي ظهر منصب جديد إلى جانب جهاز الشرطة ، وهو نظام الأحداث ، وصاحب هذه الوظيفة يسمى « صاحب الأحداث » أو « والي الأحداث » ، ومهمته المحافظة على الأمن خارج العواصم ، وهو خطوة وسط بين الشرطة والجيش ، ويغلب على صاحب الأحداث الطابع العسكري الصارم ، وذلك لكثرة تعرض المناطق النائية عن العاصمة للفتن والاضطرابات من الداخل ، وغزوات الأعداء من الخارج ، وبذلك حققت وظيفة الأحداث التعاون مع الشرطة من ناحية ، ومن ناحية أخرى التعاون مع الجيش ، وقد طبق هذا النظام في العراق ، وحقق نتائج مهمة ،

---

(١) مجموعة من المؤلفين ، حضارة العراق ، طبعة دار الحرية - بغداد ١٩٨٥م ، ٦ / ٢٩٠ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٨٦ .

وعادت بأحسن المردود [١] .

وقد أشير إلى هذه الوظيفة في عهد والي العراق خالد القسري (١٠٥ - ١٢٠ هـ) ويقصد بالحدث والأحداث الحالات الطارئة ، أي أن صاحب الأحداث مهمته مراقبة الحركات السياسية المعارضة ، والتي تسمى في منظور السلطات الأموية «أهل الأهواء» وكان على صاحب الأحداث مراقبة تصرفات الحركات ، والشخصيات المعارض في طروحاتها الفكرية للسلطات الأموية [٢] .

وظهر منصب آخر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، هو صاحب العصاة ، وكان يتولاه أحد الخوارج السابقين ، وهو ابن عقفان ، ومهمته تشخيص أصحاب الأفكار المعارضة والقبض عليهم [٣] .

مما سبق نجد أن صاحب الشرطة أشرف على أمر كثير من العيون التي تعينه في مسئولياته ، وتساعده في حفظ الأمن ، ومراقبة الحركات السياسية المعارضة وتعمل على توفير الأخبار ، التي تخدم القادة والولاة وتعمل على توفير الأمن للبلاد .

عيون ترتبط بالخليفة مباشرة

عندما تعمل رجال المخابرات تحت إشراف الخليفة مباشرة ، فليس هناك شك في أنها تتمتع بإمكانيات وصلاحيات كبيرة ، مثل أشرس بن جبير النخعي ، كان عينًا لعبد الملك بن مروان بالعراق ، وكان عبد الملك فرض له في ألفين [٤] ، أي أنه يجذل له

(١) مجموعة من المؤلفين ، حضارة العراق ٦ / ٢٩٠ .

(٢) مجهول العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، طبعة مصورة عن مكتبة المثنى - بغداد بدون تاريخ ، ٣ / ١٥ .

(٣) عز الدين علي بن محمد الشيباني ابن الأثير ، الكامل في التاريخ - طبعة دار صادر - بيروت ١٩٦٥ م ٥ / ١١٨ .

(٤) أبو جعفر محمد بن حبيب المحبر ، تحقيق سيد كسروي ، دار الغد العربي - القاهرة ٢٠٠٠ م ص ٣٢٩ .

العطاء ، وتنال هذه العيون كثيرًا من الامتيازات المادية .

لقد وردت أخبار كثيرة في سياقات سابقة تبين لنا الدور الفعّال والكبير لعيون الخلفاء الأمويين وما قدموه من أخبار تخدم أمن البلاد وأمن الخلافة ، مثل ذلك عيون الخليفة عبد الملك بن مروان في العراق أثناء سيطرة ابن الزبير (١) .

وانظر أيضًا عيون الخليفة هشام بن عبد الملك في العراق ، في عهد خالد القسري ، وكان مولاه طارق يشرف على الجانب الأمني ، وله صلاحية اتخاذ الإجراءات المناسبة في حل المشكلات الطارئة قبل الرجوع إلى الوالي (٢) .

انظر مدى ما يتمتع به هذا العين من حرية في التصرف واتخاذ القرارات والإجراءات ، وهذا يدل على مدى ما تتمتع به عيون الخلفاء من صلاحيات .

وانظر أيضًا إلى عيون الخليفة مروان الثاني لكشف التنظيم العباسي (٣) .

من خلال ما سبق عرضه في مبحث « الهيكل الإداري والتنظيمي لرجال المخابرات في العهد الأموي ، نجد أن العيون والجواسيس عملت في إطار أربعة أقسام وهياكل وبصورة مستقلة ، وتتعاون فيما بينها ويكمل كل منهم الآخر ؛ لأن هدفهم جميعًا واحد وهو العمل على توفير الأمن والاستقرار للدولة ، فقد استفادت العيون والجواسيس من إشراف البريد في النقل السريع للأخبار ، ووصول المعلومات في سرية تامة ، وانتشار البريد في كل أنحاء الدولة الكبرى .

إن تعدد الهياكل التي عملت من خلالها العيون والجواسيس كان سببًا في تحقيق فوائد مهمة منها : عدم انفراد جهة واحدة بعينها بهذا العمل ، وأن اعتماد الدولة على

---

(١) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ٢ / ١٩١ . ومحمد بن حبيب ، المحبر ص ٣٢٩ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١٤٧ ، واليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢٣ .

(٣) مجهول ، نبذة من كتاب التاريخ بعناية بطرس مطبعة موسكو ، أكاديمية العلوم السوفيتية ، معهد الدراسات الشرقية ١٩٦٠ ص ١٥٩ .

جهة واحدة يجعلها في وضع تكون فيه المعلومات التي تحصل عليها كمًا ونوعًا تعتمد على تصورات منفردة ، وفي حالة إصابة أي حلقة من حلقاته بأي خلل ، فإنه يؤدي إلى إصابة مجموع عناصر الرؤية والتمييز والاختيار لدى أصحاب القرار هي الأخرى بالعطب ، ولكن التعددية تؤدي إلى تزويد أصحاب القرار بتحليلات وتقويمات متعددة (١) .

وسائل نقل الأخبار عند رجال المخابرات

استخدم خلفاء العصر الأموي وقادته أكثر من وسيلة لنقل الأخبار ، وتوصيلها من مكان إلى مكان آخر ، وفي مقدمة هذه الوسائل « الخيل » ، فالخيل العربية أعرق الخيل أصولاً ، وأكرمها دمًا .

ونظرًا لسرعتها في توصيل الأخبار وتوصيل البريد ، وعندما تم تعريف البريد من حيث الاصطلاح قيل : وضع خيل سريعة في عدة محطات ، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها ، وقد تعب فرسه ، تركه وركب غيره من خيول المحطة ، وكذلك يفعل بالمكان الذي يليه حتى يصل الهدف (٢) .

كما كان العيون يستخدمون سروج الخيل هذه في إخفاء الرسائل حتى لا تقع في أيدي العدو (٣) . فاستخدام الخيول كوسيلة لنقل الأخبار أمر ثابت في العصر الأموي (٤) .

---

(١) علي عباس مراد ، الأجهزة الاستخبارية ، مجلة الأمن القومي - بغداد كلية الأمن القومي - العدد الثالث ١٩٨٥ ، ص ١٩٩ .

(٢) محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ص ٨٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، و عبد الرحمن بن محمد الدباغ ، معالم الإيمان ١ / ٦٣ - ٦٤ .

(٤) مجهول ، العيون والحدائق ٣ / ٨٢ .

كما استخدمت « البغال » في عمليات نقل الأخبار ، وبصورة رئيسية « دواب البريد » وهي من البغال مقطوعة الذنب ، وهي علامة مميزة لبغال البريد (١) .

وكان الخبر يتم أحيانًا عبر اصطحاب العين لعشرة رجال ، يرسل عند كل مرحلة واحدًا منهم رسولاً إلى المقر ، ينقل إليه آخر الأخبار (٢) .

كما استخدمت النيران ليلاً والدخان نهارًا لإيصال الأخبار ، فقد اتخذ الحجاج بن يوسف الثقفي المناظر بين واسط وقزوين ، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر ، إذا كان نهارًا ، وإن كان ليلاً اشعلوا نيرانًا متصلة (٣) .

أما عن استخدام « الحمام » في نقل الأخبار في العصر الأموي فلم يرد سوى نصوص نادرة نص متقدم ونص متأخر ، ولكن الذي يجعلني أتجرأ وأقول : إن استخدام الحمام في نقل الأخبار في العصر الأموي ، دليل سابق للعصر الأموي استُخدم فيه الحمام ، فقد دفع محمد بن علي بن أبي طالب إلى بعض خاصة إبراهيم بن الأشتر حين خرج مطالبًا بدم الحسين حمامًا ، بياضًا ضخامًا ، وقال : إن رأيتم الأمر لنا فدعوها ، وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها (٤) .

أما عن استخدامه في العصر الأموي فقد أورد الحافظ الذهبي خبرًا نقلاً عن الإمام الشافعي وهو : قال حرملة (٥) : حدثنا الشافعي قال : لما بنى هشام بن عبد الملك

---

(١) عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، كتاب البغال ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٤ م ٢ / ٢٧٢ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٨٢ - ٨٣ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ / ٣٥٠ .

(٤) محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ١ / ١٦٩ .

(٥) حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران ، أبو حفص التُّجيبي ، المصري ، صاحب الشافعي ، صدوق ، مات سنة ثلاث أو أربع وأربعين ومائتين من الهجرة . انظر : ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، تقديم ودراسة محمد عوّامة ، الطبقة (٤) ، دار الرشيد - سوريا - حلب ١٩٩٧ م ص ١٥٦ .

« الرصافة » [١] بقنسرين [٢] أحب أن يخلو يوم لا يأتيه فيه غمّ فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم من بعض الثغور فأوصلت إليه فقال : ولا يومًا واحدًا » [٣] .

نلاحظ مما سبق أن الحمام نقل إلى الخليفة هشام بن عبد الملك في مقره بمدينة الرصافة خبر تعرّض أحد الثغور لهجوم معاد أحدث خسائر . وهذا النص الذي أورده الحافظ الذهبي من طريق حرملة بن يحيى ، وهو رجل صدوق في نقله عن الإمام الشافعي رضي الله عنه الذي هو مصدر ثقة ، ومتقدم من الناحية الزمنية ، نص يتمتع بأهمية استثنائية ، فلعل هذه النصوص تدعم بعضها البعض في استخدام القادة الأمويين للحمام في نقل الأخبار ، خاصة وأن الإمام الطبري قد أورد في تاريخه ولع أهل المدينة بتطيير الحمام منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه [٤] .

---

(١) الرصافة : موقع بقرب غرب الرقة بحوالي ٢٤ كيلومترا ، على طرف البادية ، كان مصيفًا للخليفة هشام بن عبد الملك . انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ / ٤٧ .

(٢) قنسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم ، انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ / ٤٠٤ .

(٣) الحافظ محمد بن أحمد الذهبي ، تاريخ الإسلام ، طبعة دار الغد العربي - القاهرة ١٩٩٦ م ، ٣ / ٥٧٣ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٤ / ٣٩٨ .

الفصل السابع

الواجبات المنوطة برجال المخابرات في العصر الأموي

لاشك أن الواجبات المنوطة برجال المخابرات في أي عصر من العصور متعددة ، ومتنوعة ومثقلة لكواهلهم ، ولكن حب العمل والإخلاص والتفاني فيه ، وحب الدين وحب الوطن قد خفف عنهم ، وجعلهم يبذلون الغالي والرخيص في سبيل تحقيق الأمن والأمان للدولة .

لقد قامت رجال المخابرات خلال العصر الأموي بالواجبات المنوطة بهم والتي ألقيت على عاتقهم ، من خلال الاستطلاع العميق وجمع الأخبار ، وتضليل العدو ، والحرب النفسية تجاه العدو ، والتفاوض مع الأعداء ، والقيام بعمليات الردع الخاصة تجاه الخصم ، واختراق التنظيمات المعادية ، وتوقيت نصب الكمائن للعدو ، ومراقبة الجهاز الإداري للدولة ، ومراقبة أداء القادة العسكريين ، ومراقبة الشخصيات ذات النفوذ ، فبعث العيون يعتبر من بين الوسائل الفعالة في مراقبة أحوال العمال والولاة ، فهم عيون إلى أرجاء أقاليم الدولة متنكرين في هيئة تجار ومسافرين ودراويش ، تكون مهمتهم إعداد تقارير عما شاهدوه وسمعوه ، حتى لا تبقي أي منطقة في حكم المجهول (١) .

فنحن أمام واجبات تمس الجبهة الخارجية ، خارج أجهزة الدولة الإسلامية ، وواجبات تمس الجبهة الداخلية أي ترتبط بأجهزة الدولة الإدارية والشخصيات المهمة . أما هذه الواجبات فهي :

---

(1) Nizam al - Mulk : Traite de gouverment . Traduit du persan et annate for charles sindbard . Paris 1984. p. 71, 95, 134.

١ـ الاستطلاع العميق

إذا ما تحدثنا عن أوائل الجغرافيين المسلمين فلابد وأن نذكر في المقدمة العيون والجواسيس فمثلهم مثل أوائل الجغرافيين المسلمين الذي مسحوا المناطق المرشحة للعمليات العسكرية ، تضاريسيًا ، ومناخيًا وسكانيًا ، وساسيًا واقتصاديًا .

فالمعلومات التي كانت تُجمع عن طريق العيون ، اعتبرت من أسرار الدولة ، التي يجب التكتم عليها ، ومما يؤكد هذا الطرح أن ما وصلنا من نتائج عمليات الاستطلاع العميق ، كان لا يتجاوز كلمات محدودة ، مسجوعة ، مما يدل على أن تقاريرهم التفصيلية حفظت بعناية من أجل استخدامها ، والاستفادة منها في الوقت المحدد ، خاصة للأغراض العسكرية(١) .

ويبدو أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان يهدف من إرسال عيونه إلى أي جهة من جهات الأرض معرفة كافة النواحي بالجهة أو المنطقة ، فعندما أرسل خمسةً وعشرين عينًا إلى شمال القوقاز ، والذي سبق وإن اقتربت من هذا المكان القوات الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان الخليفة معاوية يهدف إلى استطلاع أوضاع هذه الجبهة بصورة أفضل من ذي قبل ، من كافة النواحي بالرغم من أن الهدف المعلن كان بصورة أفضل من ذي قبل ، من كافة النواحي بالرغم من أن الهدف المعلن كان لمعرفة سد يأجوج ومأجوج ، وقام بتأمين نجاح الرحلة من خلال إرساله كتابًا مع هدايا إلى ملك الخزر ، الذي تقع المنطقة تحت سيطرته ، يطلب منه أن يساعدهم إلى الوصول إلى هدفهم (٢) ، استطاع الخليفة معاوية بن أبي سفيان أن يخدع ملك الخزر

---

(١) إبراهيم شوكت ، الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادي ، ترجمة صالح فليح ، وخلدون داود صبري ، طبعة بغداد ١٩٩٠ م ، ص ٤٤ .

(٢) محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، تحقيق : إحسان عباس ، نشر مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م ، ص ٣١٠ .

وشعبه ، عن طريق إعلان هدف الرحلة ، كرحلة استطلاعية لمعرفة سدّ يأجوج ومأجوج ، وأخفى الهدف الأساسي وهو معرفة أوضاع جبهة القوقاز من جميع النواحي ، فاستخدم الحيلة والتنكر والسرية .

كما قام زياد بن أبي سفيان أيضًا في عهد معاوية بن أبي سفيان بإرسال فريق لاستطلاع جبل الأَشَلُّ [١] ، قبل إرسال حملة بقيادة الحكم بن عمرو الغفاري [٢] إلى جبل الأشلّ بخراسان ، وقد عرف زياد أخبارًا جيدة عن أهل جبل الأشل وسلاحهم ، حيث ذكر هذه الأخبار في كتابه إلى الحكم بن عمرو الغفاري يأمره بغزو جبل الأشل فقال : إن أهل جبل الأشل سلاحهم اللّبود ، وآنيتهم الذهب ، ... » [٣] فيبدو أن هذا الفريق استطاع أن يمد القائد زياد بن أبي سفيان بأخبار عن هذه المنطقة ، وبناءً عليها أعطى الأمر للقائد الحكم بن عمرو بالغزو في سنة ٥٠ هـ .

كما كتب يزيد بن المهلب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٨٥ هـ عندما أمره على الحملة إلى خوارزم ، يقول : إن هذه المنطقة قليلة السَّلب ، شديدة الكَلَب » [٤] فهذه العبارة على الرغم من قصرها وقلة عدد كلماتها ، وخلوها من التفصيل إلا أنها تلخص الموقف حسب الطريقة المتبعة في التعبير آنذاك ، والمتعارف عليه في الكتابة بين القائد وعيونه ، فالمعنى الذي تسفر عنه هذه الكلمات أنها منطقة قليلة الإمكانيات الاقتصادية ، وهي تحتاج إلى استعدادات عسكرية كبيرة .

---

(١) جبل الأشلُّ : جبل في ثغور خراسان ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ / ٢٠٠ .

(٢) الحكم بن عمرو الغفاري من أصحاب رسول الله ﷺ ، سكن البصرة ، وقد عين زياد على البصرة ، ثم عزله وولاه حملة إلى بعض أعمال خراسان ، وتوفي سنة ٥٠ هـ ، انظر عبد البر ، الاستيعاب ١ / ٣٥٦ - ٣٥٨ .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٤) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٣٩٦ .

لم يكتف عيون الاستطلاع بجمع الأخبار فقط ، بل تطور بهم الأمر خلال العصر الموي إلى وضع خرائط مصورة للمنطقة التي يستطلعون عنها ، تبين الجبال والسهول والمنخفضات ، والبحيرات ، كما حدث للحجاج بن يوسف الثقفي عندما أمر باستطلاع منطقة « الديلم » قبل إرسال حملة إليها في مفاوضاته مع زعماء « الديلم » واستخدام المعلومات التي حصل عليها [١] .

وكما يوجد استطلاع في أماكن بعيدة عميقة بالنسبة للعيون ، فقد كان هناك استطلاع قريب أيضًا ، مثل الاستطلاع الذي قام به « ثبيت البهراني » في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة ١١٢ هـ بتوجيه من القائد سعيد بن عمرو الحرشي ، وكان مكان الاستطلاع معسكر الخزر بالقرب من الموصل ، وذلك لمعرفة أخبار مهمة عن المعسكر ودراسة أوضاعه قبل شن الهجوم ، قال ثبيت البهراني : وجهني سعيد بن عمرو الحرشي طليعة ، فأتيت العسكر - أي عسكر الخزر - وهم نيام ، فانصرفت فأخبرته فحضض أصحابه وسار إليهم [٢] .

من خلال النظر في الرواية السابقة نلاحظ أن مهمة تثبيت البهراني هي اختراق معسكر العدو - الخزر - ودراسة أوضاعه قبل شن الهجوم عليهم ، وقد استطاع أن يحصل على معلومات خطيرة تنفع المسلمين وتضر بالخزر ، مما هيًأ الفرصة للجيش الإسلامي من مهاجمة العدو ودحره وتحرير السبايا والغنائم .

٢ ـ تضليل العدو

استخدم الخلفاء الأمويون والقادة أيضًا رجال المخابرات في عمليات التضليل سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي ، وأعمال التضليل هذه حالها حال الحرب النفسية ، تندرج تحت فن الخداع ، هذا الفن الذي بلغ في العصر

(١) ابن الفقيه أحمد بن محمد الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن - بريل ١٣٠٢ هـ ص ٢٨٣ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

الأموي درجة عالية من الإتقان .

فعلى المستوى أو الصعيد الداخلي نجد المهلب بن أبي صفرة استخدم العيون في عملية تضليل ضد الخوارج شهدت تطبيقات ناجحة عديدة لمبدأ التضليل وهي : استخدام الخوارج النصال المسمومة ضد المسلمين ، والذي صنعها لهم حداد من الأزارقة اسمه « أبزي » ، فأراد المهلب بن أبي صفرة التخلص من هذه النصال المسمومة ، فأرسل أحد عيونه إلى معسكر الخوارج وحمل معه كتابًا فيه ألف درهم مكتوب فيه « أما بعد .. فإن نصالك قد وصلت إليّ ، وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها ، وزدنا من النصال » ، ووقع الكتاب والألف درهم في يد قائد الخوارج قطرى بن الفجاءة ، فأمر بقتل الحداد « أبزي » ظنًا منه أنه خائن ، وأنه أمدّ المهلب ابن أبي صفرة بالنصال المسمومة ، وكان قتل « أبزي » سببًا في حدوث انشقاق بين صفوف قادة الخوارج ، حيث تمرد عبد ربه الصغير على القائد قطري بن الفجاءة لهذا السبب (١) .

وعلى الصعيد الخارجي نجد أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان نفذ عملية تضليل ناجحة من خلال عيونه البواسل ضد القيادة البيزنطية ، التي كانت شديدة العداء للإسلام والمسلمين . أراد بها الإيقاع بين القائد البيزنطي والبطريق ، فأرسل معاوية كتابًا كأنه جواب أو ردّ على كتاب سبق وأن أرسله البطريق ، يتضمن ثقته في خليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان ، وأنه سوف يعمل في خدمته وضد الدولة البيزنطية ، وتعمّد جاسوس معاوية أن يقع الكتاب في أيدي الجهات المسئولة حتى يصل إلى القائد البيزنطي ، وبالفعل وقع الكتاب في يد القائد ، وعلم منه بعد قراءته أن البطريق يتعاون مع الخليفة معاوية ، وأن البطريق عين للمسلمين ضد الدولة البيزنطية ، فاصدر

---

(١) محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ٣ / ٣٨٢ ، ومحمد بن محمد بن نباته ، شرح العيون بشرح رسالة ابن زيدون ، طبعة بولاق المطبعة الأميرية - القاهرة ١٢٧٨ هـ ص ٣٤ .

القائد على البطريق الحكم بالإعدام بتهمة الخيانة والتآمر لحساب المسلمين [١] .

ومن عمليات التضليل الناجحة لصالح المسلمين ضد الأعداء أن يقوم بالعملية فردٌ من أفراد الأعداء عن طريق التحالف غير المكشوف ، فقد نجح الخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك في أن يكسب إلى جانبه أحد الزعماء الأرمن ، الذي كان يعمل لمصلحة الدولة البيزنطية ، واستخدمه الخليفة الوليد بن عبد الملك كورقة تضليل ضد العدو البيزنطي ، أثناء تنفيذ العمليات في ثغر من ثغور المصيصة يسمى « الطوانة » عام ٨٦ هـ ، وقد اتفق معه أن يكتب إلى الملك البيزنطي بأن المعلومات المتوفرة إليه تشير إلى أن الخزر وغيرهم من ملوك الجبال في القوقاز قد اتفقوا على مهاجمة الأراضي البيزنطية [٢] .

وكان هدف الخليفة الأموي هو تخفيف الضغط على القائد مسلمة بن عبد الملك بالمنطقة وذلك عَبْرَ سحب بعض القطاعات البيزنطية من هذه المدينة لمواجهة الخطر الجديد القادم من قِبَلِ الخزر وملوك الجبال في القوفاز ، وقد تم ذلك بالفعل ، وتعد هذه العملية ناجحة في تضليل العدو وجعله يصدق ويقتنع بأن هناك عدوًا جديدًا سوف يهاجمه ، وعليه أن يسحب بعض قواته من أمام المسلمين لمواجهته ، لقد تم ذلك من خلال حليف مضمون وغير مكشوف ، ضمن أعلى درجات العمل الجاسوسي ، الذي خدم مصلحة الدولة الإسلامية بتعاون من أحد أفراد الأعداء .

كما نفذ القائد قتيبة بن مسلم عملية تضليل بارعة أيضًا ، أثناء صراعه مع القيادات التركية فيما وراء النهر من أهل سمرقند والشاش ، فاشاع في معسكره بأنه سيقوم بتزويج ابنه في يوم محدد ، وطلب من رجاله أن تتخذ الإجراءات اللازمة لهذا الفرح . وفي نفس الوقت أرسل هذا الخبر مع عيونه من الترك إلى سمرقند والشاش ، وعندما

---

(١) محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ٢ / ١١٣ - ١١٤ .

(٢) عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٤ / ٥٣١ .

وصل الخبر إلى القيادة التركية حاولت هذه العيون إقناع القيادة التركية بانتهاز الفرصة لمهاجمة قتيبة بن مسلم أثناء الاحتفال بيوم زواج ابنه ، ولإتمام عملية التضليل استمر قتيبة بن مسلم في إعداد مراسم الفرح ، وانتظر حلول الظلام ، وكان بينه وبين قوات العدو في سمرقند ستون كيلومترًا ، وعندما حلّ الظلام قاد قتيبة وحدة من ألف فارس ، وكمن بها على روابي الطريق الذي ستسلكه قوات الترك المعادية ، وعندما جاء العدو هاجمه قتيبة ورجاله بغتة ، فحلت في صفوفهم الهزيمة ، واتجه قتيبة بعد هذا النصر نحو المعسكر الرئيسي للترك ، وظن قادة الترك بالمعسكر أن القوات القادمة هي قواتهم قد عادت بعد أن انتصرت على قتيبة بن مسلم ، فلم يأخذوا استعدادهم ، فتمت إبادتهم ، لاسيما وأن الوقت كان ليلاً [(١)] .

بالنظر في هذه الرواية نلاحظ كيف استطاع القائد المسلم قتيبة بن مسلم أن يستخدم العيون التركية مستعينًا بها على القادة الترك ، وخداعهم وتضليلهم حتى حقق هدفه ودمرّ معسكر الأعداء .

إن تزويد العدو بالمعلومات المضللة ، التي تجعله يبني خططه عليها ضد المسلمين ، لمن أبرع وأروع استخدام القادة المسلمين للعيون ذات الكفاءة التي تقوم بواجبها على خير وجه ، وهذا ما قام به القائد المسلم الجراح بن عبد الله الحكمي في زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٤ هـ أثناء تولية الجراح على « أرمينية » ، وقد أمده الخليفة يزيد بن عبد الملك بجيش كثيف وأمره بغزو الخزر ، فقام الجراح بعملية تسريب متعمدة لخطة مفتعلة غير واقعية للتصدي للعدو إلى حلفاء العدو وعيونه ، ووصلت المعلومات إلى قادة الخزر وبنوا خططهم عليها على أن الجراح سوف يهجم بعد فترة ، ولكن الجراح فاجأهم بالهجوم في نفس الليلة ، مما جعل العدو يرتبك ويقرر الانسحاب ، ودخل جيش المسلمين مدينة « الباب

---

(١) محمد الإسكافي ، لطف التدبير تحقيق أحمد عبد الباقي ، طبعة مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٤ م ص ٤٦ .

والأبواب » وغنم المسلمون الكثير [١] هكذا نجح القائد المسلم في تسريب المعلومات إلى العدو ، كما يدل هذا العمل على مدى براعة العيون المسلمة التي عرفت أن للعدو عيونًا في المسلمين وحلفاءهم يقومون بتوصيل المعلومات والأخبار للعدو ، ورغم ذلك استخدمهم القائد المسلم لصالح المسلمين ، وتركهم يعملون تحت مراقبة شديدة وذكية ، وتزويدهم بالمعلومات المضللة ، أفضل من القبض عليهم ، وهذا ما حدث مع الجراح بن عبد الله الحكمي ، لقد أجاد فن الخداع ، الذي تضمنه حديث رسول الله ﷺ : « الحَرْبُ خدْعَةٌ » [٢] .

٣ - الحرب النفسية

القيام بمجموعة أعمال بقصد التأثير على الروح المعنوية وعواطف وأفكار وسلوك العدو : هذه الأعمال هي حرب هجومية يخوضها أفراد بأسلحة فكرية وعاطفية من أجل تحطيم قوة المقاومة المعنوية بين صفوف العدو وبين أفراد شعبه ، بما يحقق للدولة الأموية أهدافها [٣] .

هذه الأعمال المنوطة بالعيون والجواسيس قد أطلق عليها حديثًا « الحرب النفسية » هذا المصطلح الذي وُضع ليدل على ذلك المضمون وليكون عنوانًا معبرًا عنه ، وكان أول استخدامٍ حديثٍ له في عام ١٩٤١ م ، ولكن القيام بمضمونه وممارسته موجود منذ بدايات الصراع الإنساني – وما نتعرض له الآن مرتبط بالعصر الأموي حيث كانت العيون والجواسيس تقوم بها على الصعيد الداخلي وعلى الصعيد الخارجي .

فعلى الصعيد الداخلي نجد أن الصراع مع التيارات السياسية المعارضة ، لم

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥ / ١١١ .

(٢) الحديث صحيح ، أخرجه الشيخان البخاري كتاب ٥٦ باب ١٥٧ ، ومسلم عن طريق أبي هريرة رضي الله عنه كتاب ٣٢ حديث ١٧ – ١٨ .

(٣) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص ١٢١ .

تستخدم فيه الوسائل العسكرية والفكرية فحسب ، وإنما أضيفت إليها ما يسمى بالحرب النفسية عن طريق توجيه الخُطب والكلمات للأفراد تحمل في طياتها التهديد والتحذير ، وتحطيم المقاومة المعنوية مثل ما قاله عثمان بن حيّان المرّي عندما ولاه الخليفة الوليد بن عبد الملك المدينة في سنة ٩٤ هـ فخطب في أهل المدينة يهاجم أهل العراق ، ويهدد ويحذر أهل المدينة من أن يأووا أحدًا من أهل العراق فقال : أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق ... والله ما جرّبت عراقيًا قط إلا وجدتُ أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول ... وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، فإني والله لا أوتي بأحد آوى أحدًا منهم ، أو أكْراه منزلاً ، ولا أنزله إلا هدمت منزله ، وأنزلت به ما هو أهله ... فإني قد بعثت في مجالسكم مَنْ يسمع فيبلغني عنكم ، إنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم ، فدعوا عيب الولاة ، فإن الأمر إنما ينقض شيئًا شيئًا حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء ، والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد [١] .

نلاحظ من خلال هذه الرواية أن القادة الأمويين ترد على المنشقين والمتسببين في الفتن ، فتتهم بشق وحدة الأمة ، وإيجاد جو من الفتنة الدائمة ، وبيان أن ما يقومون به من أعمال لا شرعية في الخفاء يصل إلى أسماعها . كما كانت القيادة الأموية تلجأ عندما يشتد الصراع العسكري مع بعض القوى المادية إلى قيام عيونها وجواسيسها بتسريب أنباء استعداد القيادة الأموية للعفو عمن يصنع السلاح ويترك جانب المعارضة مما يجعل عناصر المعارضة في حالة معنوية تفتّ في عضدها ، ويفرون من حول قيادتهم ، وهذا ما فعله الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة ٧٧ هـ عندما بعث إلى العمال في « الأنبار » بأن يدسُّوا إلى أصحاب شبيب الخارجي أن من جاءنا منهم فهو آمن ، فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممّن قد هدّه القتال يجيء فيؤمّن ، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج يوم هُزموا : إن مَنْ جاءنا منكم فهو آمن ، فتفرق عن

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٨٥ - ٤٨٦ .

شبيب ناس كثير من أصحابه [١] .

لقد نجح الحجاج الثقفي في هذه الحرب النفسية التي شنّها على شبيب الخارجي ، واستطاع أن يؤثر في أصحابه ، ويبعدهم عنه ويفت في عضد شبيب ورجاله .

وعلى الصعيد الداخلي أيضًا كانت حركات المعارضة ضد الأمويين تقوم بنشر الشائعات ضمن الحرب النفسية المتبادلة ، فأشاعت نبأ وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي وكان ردّ الحجاج على هذه الحرب ردًا قويًا فوريًا فصعد المنبر وقال : إن أهل الشقاق والنفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا : مات الحجاج ، وما مات الحجاج فَمَهْ [٢] والله ما أرجو الخير كله إلا بعد الموت وما رضي الله الخلود لأحد من خلقه في الدنيا إلا لأهونهم عليه ، وهو إبليس ، والله لقد قال العبد الصالح سليمان بن داود : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ [صٓ : ٣٥] .

فكان ذلك ، ثم اضمحل فكأن لم يكن ، يا أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كأني بكل حيّ ميتًا ، وبكل رطب يابسًا [٣] .

استطاع الحجاج أن يوئد الشائعات في مهدها ، فشدد الخناق في خطبته ، كما يشدده على الخوارج من قبل وكأن هذه الشدة هي التي دفعت هؤلاء لبث هذه الشائعة بموت الحجاج الثقفي تلك الشائعة الخطيرة .

وضمن هذه الحرب النفسية على الصعيد الداخلي التي كانت تقودها القيادة الأموية عن طريق العيون والجواسيس ، ما تقوم به تلك العيون نحو خصومها من دعايات ساخنة عن حجم القوات وتسليحها وكفاءة قيادتها ، كما حدث عند تقدم أجناد الشام نحو مسكن للالتقاء بيزيد بن المهلب ، وهو ما دفع يزيد إلى محاولة الرد على هذه

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٧٧ .

(٢) مَهْ : اسم فعل أمر مبنى على السكون بمعنى « كفّ » .

(٣) علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١٧٣ .

الدعاية بقوله : « إني أسمع قول الرعاع ، جاء مسلمة ، وجاء العباس وجاء أهل الشام ... » [١] ، كان لهذه الدعاية تأثير كبير على معنويات الجماعات المختلفة الأهواء ، التي دعمت بشكل عفوي حركة تمرد يزيد بن المهلب .

كما لجأت السلطات الأموية إلى مثل هذه الأعمال في خراسان عندما أخذ يشتد عود التنظيم العباسي ، وظهر إلى العلن حركة سياسية عسكرية ، إلى اتهامهم بالخروج على الإسلام ، وبعبادة « السنانير والرؤوس » [٢] . وبأنهم لا يصلون ، وباستحلالهم الحرام ، وبأنهم مجوس ، ولكن هذه الشائعات التي أطلقها عيون الأمويين أحدثت قلقًا شديدًا في صفوف الحركة العباسية العسكرية مما جعل أبو مسلم الخراساني يرد على هذه الشائعات بما يثبت أنهم على الإسلام ، وأنهم يصلون ، ولا يستحلون الحرام ، وأنهم مسلمون موحدون ، فقام أبو مسلم الخراساني بالمحافظة على أسير أموي أحد قادتهم تمّ أسْرُهُ في معركة « آلين » عام ١٢٩ هـ ، ومعالجته رغم إصابته بجروح خطيرة ، حتى تحسنت صحته وعامله أبو مسلم معاملة طيبة تثبت أنهم مسلمون ، وكانوا يقيمون شعائر الدين الإسلامي ، ويحلون ما أحل الله ، ويحرمون ما حرّم الله أمام هذا القائم الأسير الأموي ، ثم سمح له بالعودة إلى الأمويين لكي يكون شاهد عيان على إسلام القوم ، ولكي يبطل ادعاءات السلطة الأموية [٣] .

أما على الصعيد الخارجي أي على جبهة الأعداء فنلاحظ أن القادة الأمويين لجؤوا إلى الحرب النفسية ضد رسل ملك الترك الذين أرسلهم إليه يهددونه بالحرب ، أو بدفع

---

(١) ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله ت ٦٥٦ هـ ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩ م ، ١ / ٢٤٢ .

(٢) مجهول ، نبذة من كتاب التاريخ ، بعناية بطرس عزيار بنوييج ، موسكو ، أكاديمية العلوم السوفيتية ، معهد الدراسات الشرقية ١٩٦٠ م ص ٦٥ .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٣٥٨ - ٣٥٩ .

الجزية ، حيث أعطاهم صورة واقعية ، نفذها أمامهم مع حاشيته ، عن رجال لا يضرهم الحرّ الشديد ، ولا البرد القارص ، فرجعوا مرعوبين وتراجعوا عن تهديداتهم ، وقد حدث هذا من عبد الله بن حازم ، أحد قادة العرب في خراسان وعاملها ابن الزبير - حيث لجأ إلى هذه العمليات - الحرب النفسية - ضد رسل ملك الترك ، حيث أرسل الترك قومًا إلى عبد الله بن حازم ، وقيل إلى موسى بن عبد الله بن حازم ، ليعلموا علمه ويعرفوا أخباره ، فلما قدموا قال موسى لأصحابه : لابد من مكيدة هؤلاء ، مكيدة تقذف في قلوبهم الرعب ، وتجعلهم في خوف منا ، قال موسى ذلك في وقت كان الحرّ فيه شديدًا ، فأمر موسى بنار قوية فأججت ، وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء ، ولبسوا فوقها لبودًا ، ومدّوا أيديهم إلى النار كأنهم يصطلون ، وأذن موسى للترك فدخلوا ، ففزعوا مما رأوا ، وقالوا : لم صنعتم هذا ؟ قالوا : نجد البرد في هذا الوقت ، ونجد الحرّ في الشتاء ، فرجع الترك وقالوا : جنّ لا نقاتلهم [١] .

ومن العمليات التي على الصعيد الخارجي ، أن طارق بن زياد فاتح بلاد الأندلس بعد أن تحقق له النصر أراد أن يشيع في قلوب الأندلسيين الأعداء الرعب والهلع ، وكسر الروح المعنوية عندهم ، فأمر رجاله أن يذبحوا رجلاً من الأعداء ، ثم يقطعَ ويُطبخ ، ثم أتوا بمجموعة الأندلسيين ينظرون ماذا يحدث لرجل منهم من ذبح وقطع وطبخ ، وفي نفس الوقت كان رجال طارق قد طبخوا لأنفسهم طعامًا ولحمًا حلالاً ، ثم في سرية تامة رموا لحم الأندلسي في مكان غير معلوم ، ودون أن يراهم أحد ، ثم أحضروا بعد ذلك الطعام واللحم الناضج ليأكلوا فظن الأندلسيون أن هذا الطعام ، وهذا اللحم هو لحم الرجل الأندلسي ففزعوا وفرّوا جميعًا وأخبروا أهل الأندلس بما رأوا ، وقالوا : إن طارق ورجاله يأكلون لحم الناس وأخبروهم بذبح

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٠٠ - ٤٠١ .

وقطع وطبخ وأكل هذا الرجل [١] .

هذه العملية وقعت على الأندلسيين وقعًا معنويًا مؤلمًا ، وأثارت في نفوسهم الرعب والخوف .

٤ ـ التفاوض مع العدو

كان التفاوض مع العدو من المهام المنوطة برجل المخابرات في العصر الأموي ، وقد شهدت في هذا العصر تطورًا كبيرًا من خلال المساحة التي أخذ يشغلها هذا الأمر وهذا النوع من العمل سواء على الصعيد الداخلي مع الخصوم داخل دار الإسلام ، أو على الصعيد الخارجي مع الخصوم في دار الحرب .

فعلى الصعيد الداخلي في ليلة معركة « الخازر » بين الزاب الأعلى والموصل بين أجناد الشام بقيادة عبيد الله بن زياد ، وبين أجناد المختار الثقفي بقيادة إبراهيم بن مالك ابن الأشتر في سنة ٦٧ هـ نجد العيون والجواسيس التابعة لعمير بن الحباب السلمي وبين إبراهيم بن مالك بن الأشتر ، وذلك من وراء قائد أجناد الشام عبيد الله بن زياد ، حتى تم لقاء عمير بن الحباب بإبراهيم بن مالك ليلاً فبايعه وأخبره أنه على مسيرة عبيد الله بن زياد ، وواعده أن ينهزم بالناس [٢] .

من خلال هذا الموقف نلاحظ أن التفاوض بين كلا القائدين تمّ عن طريق العيون والجواسيس ، وبترتيب منهم ، وكان نتيجة هذا التخطيط وهذا اللقاء كارثة كبيرة على أجناد الشام ، إذ حكم عليهم من قبل بدء الحرب بالهزيمة أمام جيش إبراهيم بن مالك بن الأشتر ، وأن نتيجة المعركة لمصلحة إبراهيم بن مالك .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٦ ، ومحمد بن عمر ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، طبعة بيروت ١٩٨٥ م ص ٣٤ – ٣٥ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ٥ / ٢٤٨ – ٢٤٩ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٨٦ – ٨٧ .

كما استطاع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أن يستفيد من العيون والجواسيس في مبادرات رائدة له في مجال المفاوضات مع الخصوم داخل دار الإسلام ، فقد اتصلت عيونه مع محمد بن الحنفية عندما بلغت العلاقات بين محمد ابن الحنفية ومصعب بن الزبير طريقًا مسدودًا بلا عودة ، فاستغل عبد الملك بن مروان هذه الظروف ، ودعا ابن الحنفية إلى القدوم إلى الشام ، وذلك بشروط سخية أهمها أنه غير ملزم بالبيعة له حتى تجتمع الأمة على رجل واحد ، وإن كان عبد الملك بن مروان قد تراجع عن هذا التعهد المختص بالبيعة عندما وصل محمد بن الحنفية إلى الشام ، وقد اتخذها عبد الملك بن مروان وسيلة من وسائل الضغط عليه (١) .

نلاحظ أن هذا الأمر وهذا التفاوض وهذه السيطرة على محمد بن الحنفية قد تم بحكمة وروية وتخطيط سليم نتيجة قيام عيون عبد الملك بن مروان بمهمتها على أكمل وجه في التفاوض بينه وبين محمد بن الحنفية .

ومن مبادرات الخليفة عبد الملك بن مروان في هذا الأمر أنه اتصل عن طريق عيونه وجواسيسه بالأحنف بن قيس عندما حدثت الجفوة بين الأحنف وبين مصعب بن الزبير ، واستطاعت عيون الخليفة عبد الملك بن مروان بالعراق نقل رسائل بين الطرفين ، حصل خلالها الخليفة عبد الملك على موافقة من الأحنف متمثلة في عدم وجود رغبة بين أهل العراق للوقوف بوجه عبد الملك دفاعًا عن مصعب بن الزبير (٢) .

يبدو أن تسرب هذه الأخبار أو هذه الاتصالات السرية ، هي التي دفعت الأحنف بن قيس – رغم شهرته بالحكمة والدهاء – إلى التنديد العلني بمبادرة عبد الملك للاتصال به ، كدخان يغطي به هذه الاتصالات (٣) .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ / ٧٨ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٤ / ٢٥٢ .

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة ١٩٧٢ م ، ص ٢٠٦ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف الورقة ٨٧٦ .

فلننظر إلى كفاءة أداء العيون ما عليهم من واجبات بكل دقة ، حتى يتم تحقيق الهدف المأمول الوصول إليه .

كما لعبت عيون الخليفة عبد الملك بن مروان دورًا بارزًا في التفاوض مع معظم قادة مصعب بن الزبير في العراق ، من خلال طرح الإغراءات السخية والاستجابة لكل طلباتهم (١) ، وعندما قدم إلى « مسكن » - وهذا الموضع القريب من أوَانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق نجد أنه قد حسم نتيجة المعركة التي لم يكن أحد من أهل المصرين الكوفة والبصرة ، مستعدًا لبذل قطرة دم واحدة من أجل مصعب بن الزبير ، ونجح عبد الملك بن مروان عن طريق عيونه وجواسيسه في الإطاحة بعامل خراسان لعبد الله بن الزبير ، عبد الله بن خازم السلمي ، من خلال الاتصال بأحد منافسيه ، وهو بكير بن وشاح ، بعد أن فشل في إقناع ابن حازم بمبايعته ، بعد مقتل مصعب بن الزبير في منطقة « مسكن » (٢) .

من خلال ما سبق نجد أن توفر الكتمان وكفاءة الأداء لدى العيون والجواسيس الأموية هي التي قادت هذه العملية كغيرها إلى النجاح .

وفي عام ١٣١ هـ كان حصار نهاوند على يد قحطبة بن شبيب الطائي ثلاثة أشهر ، ثم أرسل قحطبة بن شبيب عيونه للتفاوض مع أهل خراسان وأهل الشام المحاصرين بداخل نهاوند ، فأبى أهل خراسان التفاوض مع عيون قحطبة بن شبيب ، أما جند الشام فقد قبلوا ودخلوا في الأمان ، وكان النضر بن حميد اللخمي قائدهم ، وهو الذي يتولى أمر التفاوض مع عيون قحطبة ، فبعث أهل الشام إلى قحطبة يسألونه أن يشغل أهل المدينة حتى يفتحوا له الباب وهم لا يشعرون ، ففعل ذلك قحطبة وشغل أهل المدينة

---

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٣١١ ، و محمد بن جرير الطبري ٥ / ١٥٦ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ، و البلاذري ، فتوح البلدان ص ٥١٢ ، واليعقوبي ، بلدان الخلافة ص ٢٩٩ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ١٧٦ .

بالقتال ، ففتح أهل الشام الباب الذي كانوا عليه ، وغادر أهل الشام للمدينة بسلام [١] وبذلك دارت الدائرة على من بداخل المدينة ومن رفض التفاوض ، وانتهت العملية بنجاح تام .

وعلى الصعيد الخارجي نجد أن قتيبة بن مسلم الباهلي قد اعتمد على أحد عيونه وجواسيسه الذين قد نالوا ثقة الترك وهو سليم بن عبد الله الناصح في إدارة تفاوض ناجح من نيزَك طرخان أحد ملوك الترك ، والذي أعلن تمرده في منطقة طخارستان ، وتحالف مع بقية ملوك الترك لقتال قتيبة ، فانطلق سليم بن عبد الله الناصح إلى نيزك طرخان ، واحتال عليه سليم بن عبد الله وأفهمه أن قتيبة قد امتلأ منه غيظًا ، وأنه إذا ذهب إليه وضع يده في يد قتيبة فإنه سوف يستحي منك ويعفو عنك ، واستمر سليم في مفاوضاته وحيلته على نيزك حتى وصل به إلى قتيبة واستسلم نيزك بدون قيد أو شرط لينال جزاءه العادل وهو القتل [٢] .

كما قام قتيبة بن مسلم بتكليف أحد عيونه وجواسيسه الدهاة وهو حيان النبطي لكي ينسف تحالفًا بين ملك الصغد طرخون ، مع ملوك الترك مثل خنك خداه ، ووردان شاه ، وكور مغنانون ، وشكلوا خطرًا قويًا فيما وراء النهر ، فأرسل حيان النبطي أحد عيونه إلى ملك الصغد ، واتفق معه على موعد اجتماع ، تم ترتيبه على أقصى سرعة ، وفعلاً عقد اللقاء أثناء احتدام المعركة بين قتيبة والترك ، حيث نقل حيان بصفته ناصح أمي وليس رجلاً يعمل لصالح قتيبة رسالة خاطئة مضللة تحذر ملك الصغد من استيلاء ملوك الترك على بلاده ، وأن الصلح مع قتيبة يُبقي له ملكه ، وعمل حيان في الوقت نفسه على إيجاد مخرج لملك الصغد للتخلص من حلفائه ، بشكل ودّي غير تحذيرهم من قوات

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٤٠٨ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٨٦ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٥٥ – ٤٥٨ وابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٧ / ٢٢٦ – ٢٢٨ .

قادمة من الحجاج بن يوسف الثقفي ، سوف تقوم بتطريقهم فهربوا ، وبذلك أنقذ قتيبة من تحدّ غير مضمون النتائج [١] .

وأثناء ولاية يزيد بن المهلب على خراسان قام حيان النبطي بمهمة أو بعملية إلى منطقة طبرستان ، والتي عانت من صعوبات كثيرة حيث اتصل بأصبهذ طبرستان ، وأقنعه بأنه من أجله أيضًا بعد أن خوفه من قوة المسلمين ، ومن وصول إمدادات جديدة من الشام قريبًا فوافق على الصلح ، ومن الملاحظ أن حيان لكي يظهر نفسه أنه يفاوض لمصلحة أصبهذ ، أعلمه أن الموقف العسكري السيئ ليزيد ، سوف يساعده على الموافقة على الصلح ، وأنه سيقنعه بذلك [٢] .

إن مثل هذه الأعمال الشاقة تحتاج إلى صبر وجلد وتضحية وإيمان .

٥ - عمليات الردع الخاصة تجاه العدو

من المهام المنوطة برجال المخابرات تلك العمليات التي تهدف إلى تصفية القيادات المعادية ، التي فشلت كافة الوسائل السلمية في تحييد أنشطتهم السياسية والعسكرية ، التي باتت تشكل خطرًا على الدولة الإسلامية ، وامتازت بأهدافها الصعبة والمتميزة ، ومسرحها الجغرافي المتنوع خلال العصر الأموي .

*** من بين عمليات الردع هذه : خطف قائد بيزنطي من القسطنطينية إلى دمشق ،** خطط لها الخليفة معاوية بن أبي سفيان وأشرف على تنفيذها أيضًا ، بالتعاون مع أحد قادته في ميناء صور ، بهدف ردع القيادة البيزنطية ، وبيان مدى كفاءة العيون والجواسيس الإسلامية التي تستطيع مدّ ذراعها إلى داخل الدولة البيزنطية وخطف قائد من قيادتها ، لقد اختار الخليفة معاوية بن أبي سفيان لتنفيذ هذه العملية أحد قادته المشهور بعملياته البحرية الكثيرة ، وله كفاءة عالية في الحديث باللغة اليونانية والقدرة

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٤٠٨ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٤٨٥ - ٤٨٦ .

على التنكر والاختفاء ، وقوة الخداع ، حيث تمثل هذا القائد المسلم شخصية تاجر واشتراء بضائع كثيرة وتجهيز سفينة ذات كفاءة في الإبحار ، واتجه بها إلى جزيرة قبرص ، وأظهر أمام قائد الجزيرة ، أنه تاجر قدم بهدية إلى الملك البيزنطي ، تتضمن جارية خاصة مع هدايا ثمينة لحاشيته ، وأنه يريد الإذن بذلك ، فاتصل القائد بالقسطنطينية وحصل على الإذن المطلوب للتاجر العربي ، فأبحر إلى القسطنطينية ، وقابل الملك البيزنطي وأعطاه الهدايا وأعطى الحاشية أيضًا ، ثم قام بعمليات بيع وشراء وتجاهل هذا التاجر القائدَ البيزنطي المطلوب ، وذلك حسب الخطة المتفق عليها مع الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، ثم عاد التاجر إلى الشام ، وقد طلب منه الملك البيزنطي وبطارقته وكثر من أهل القسطنطينية طلبات من دار الإسلام هم في حاجة إليها من بضائع ومفروشات وغير ذلك ، ثم التقى التاجر بالخليفة معاوية ، وأعطاه تقريرًا مفصلاً عن الزيارة الأولى إلى القسطنطينية وتجاهله للقائد البيزنطي المستهدف ، ثم جهز كل ما طُلب منه وعاد إلى القسطنطينية في الزيارة الثانية وقد أحضر معه كل المتطلبات التي طلبت منه للملك البيزنطي وحاشيته وغيرهم ، ثم قابل التاجر العربي القائد البيزنطي المستهدف بهذا العمل مع التاجر العربي وتوطدت العلاقة بينهما ، وأخبره أن الأمر أصبح في غاية السّرية ؛ لأنه كتاجر عربي يخشى أن يعلم عند الخليفة معاوية أن يتاجر في القسطنطينة مع أعدائه ، واستطاع هذا التاجر العربي أن يخدع القائد البيزنطي بأنه يعمل من وراء الخليفة العربي المسلم ، فاطمأن البيزنطيون لهذا التاجر ، وتكررت الزيارات إلى القسطنطنية والتاجر العربي منتظر الفرصة لكي يخطف هذا القائد البيزنطي من داخل القسطنطينة ، ويذهب به إلى الشام ، وفي ذات المرات من الزيارة طلب القائد البيزنطي بساطًا ذا مواصفات خاصة من التاجر العربي ، فرحب التاجر بهذا الطلب ، وبناء عليه استطاع التاجر أن يضع الخطة مع الخليفة معاوية هذه المرة بخطف هذا القائد ، وبالفعل أحضر التاجر بساطًا غاية في الروعة والجمال ، وحمله

معه إلى القسطنطينية ، وجعل السفينة ترسو بالقرب من قصر القائد البيزنطي وفرش التاجر البساط على السفينة ، فكان غاية الانبهار ، وذهب إلى القائد ودعاه إلى رؤية البساط وهو مفروش أعلى السفينة . فأقبل القائد ومعه حاشيته ونزلوا إلى السفينة واستقروا على البساط ، في نفس الوقت كانت السفينة تسير بالشراع والشراع مطوي فهي راسية واقفة ، والقائد مطمئن من أن السفينة في حالة ثبات واستقرار ؛ لأن الشراع مطوية ، ولكن هذه السفينة المجهزة بأمور أخرى كانت تعمل وتسير بمجاديف سرية غير ملحوظة ، وعندما استقر القائد وحاشيته ، أعطى القائد إشارته إلى رجاله أن يستخدموا المجاديف السرية بعد القبض على القائد وحاشيته وإخفائهم داخل السفينة ثم انطلقت بهم إلى الشام ، وبعد سبعة أيام من الإبحار وصلت السفينة إلى ساحل صور ، وحمل إلى دمشق ، ووجد القائد البيزنطي نفسه وحاشيته أمام الخليفة معاوية بن أبي سفيان الخليفة العربي المسلم ، عندها أخبره الخليفة أنه في يوم من الأيام أهان عربيًا مسلمًا ، وكان لابد من حملك من داخل القسطنطينية إلى هنا حتى نريكم أننا نستطيع أن نصل إلى عقر دياركم في القسطنطينية ونأتي بمن نريد منكم إلى هنا ، عندها شعر القائد البيزنطي بإمكانيات الدولة الإسلامية ، وبراعة رجالها وعيونها ، ثم بين لهم الخليفة معاوية أن الإسلام قيد الرحمة وقيد العفو ، وأننا قادرون على معاقبتكم ولكننا نقابل السيئة بالحسنة ، ثم أعطاهم الخليفة الهدايا الثمينة والبساط الذي طلبه القائد البيزنطي ، ثم حمله رسالة إلى الملك البيزنطي تتضمن أن الدولة الإسلامية قادرة على معاقبة مَنْ يُسيء إليها ، ولو كان في القسطنطينة ، ثم عاد القائد البيزنطي وحاشيته إلى القسطنطينية ، فكان رد فعل البيزنطيين مزيدًا من الاحترام المشوب بالخوف من الخليفة المسلم معاوية بن أبي سفيان ، ومن إمكانيات الدولة الإسلامية ودهاء قادتها وقدرة عيونها وجواسيسها على تحقيق أهدافها [١] .

---

(١) شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب ٦ / ١٥٨ - ١٨٧ .

* **من بين هذه العمليات أيضًا : عملية مروان بن محمد :** عندما كان عاملاً على أرمينية وأذربيجان في القوقاز قام بحصار قلعة خيزج وكانت هذه القلعة مفرًا لملك السرير (١) ، حيث حاصرها مروان بن محمد لمدة سنة دون أي جدوى بسبب حصانة هذه القلعة ، مما دفع مروان بن محمد إلى التفكير في عملية ردع قوية تغيّر مسار الأمور تمامًا ، إما بدخول القلعة والسيطرة عليها ، أو أن يطلب أهلها الصلح ، ففكر مروان بن محمد في ذلك ووضع خطة مفادها أن يتنكر مروان بن محمد في هيئة رسول من قبل مروان بن محمد إلى ملك السرير ، ويحمل معه رسالة إلى الملك ، وعندما يؤذن له بالدخول من أجل مقابلة الملك ، فإنها ساعتها يتحسس نقاط الضعف في القلعة ، وبالفعل استأذن مروان بن محمد عند ملك السرير على أنه رسول من قبل مروان بن محمد ، وأحمل منه رسالة لكم مفادها : « أما بعد .. فإني قد حلفت أني لا أتصرف أو تسالمني آخر الدهر ، فإن رأيت أيها الملك أن تأذن لي حتى أدخلها وأنظر إليها فعلت ذلك منعمًا إن شاء الله تعالى » ، وقد سمع ملك السرير لهذا الرسول بالتجول في أنحاء القلعة معتمدًا ذلك حتى يقنعه بتحصينها وعندما يرجع إلى مروان بن محمد يخبره بصعوبة فتحها ، إلا أن هذا الرسول استطاع تحديد نقاط الضعف في هذه القلعة ، ثم عاد بعد ذلك إلى المسلمين ، وبعد أن وصل هذا الرسول الذي هو في الحقيقة مروان ابن محمد كتب رسالة إلى ملك القوقاز مفادها : أن مروان بن محمد هو الرسول الذي أتى إليك أيها الملك ، وأنه عرف نقاط الضعف في القلعة ، وأنه سوف يدخلها إن شاء الله حربًا ، مما أدى إلى دفع الملك عرض الصلح وإجابة مروان إلى هذا الصلح (٢) .

مثل هذه العملية تبين للعدو أن القيادة الإسلامية لديها قوة ردع عالية تستطيع

---

(١) قلعة خيزج : هي قلعة في جبال القوقاز ما بين بلاد اللان ، وباب الأبواب ، انظر في ذلك ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ / ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٧٧ - ٧٨ .

استخدامها ، وتبين من خلالها للعدو أن يدها الطولي تستطيع أن تمتد إلى داخل حصونهم ، وهذا ما حدث بالفعل .

* **ومن بين هذه العلميات عملية سحيم بن المهاجر** : استطاع الخليفة عبد الملك ابن مروان أن يخطط لعملية ردع على أعلى مستوى مستخدمًا فيها أكفأ عيونه وجواسيسه وعلى رأسهم سحيم بن المهاجر ضد القائد البيزنطي وحاشيته تقضي هذه العملية بتصفيته والقضاء عليه تمامًا في عقر قصره ، ففي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان أرسل البيزنطيون أحد قادتهم بجيشه لكي يهاجم الشام ، مما اضطر عبد الملك ابن مروان مؤقتًا إلى الموافقة على الصلح مع الدولة البيزنطية ، بعد أن سيطر البيزنطيون على أنطاكية والجبل الأسود ، وسنير ، وجبل الثلج والجولان [١] .

ولكنه بعد أن استقرت الجبهة الداخلية عنده كلف رجلاً من رجاله وهو عين من عيونه اليقظة ومن المقربين إليه هو سحيم بن المهاجر [٢] بتصفية القائد البيزنطي والقضاء على القائد البيزنطي والقضاء على أنصاره ، اتفق عبد الملك بن مروان مع سحيم بن المهاجر على أن يقوم سحيم بدور المعارض لعبد الملك بن مروان ويلجأ إلى القائد البيزنطي ويعلن رغبته في الانضمام إليه ، وأن لديه من الأسرار ما يخدم القائد البيزنطي ويضر بمصالح عبد الملك بن مروان ، ويلحق الأذى الشديد به وبالدولة الإسلامية ، وبالفعل استطاع سحيم أن يكسب ثقة القائد البيزنطي ، وأصبح سحيم في كنف القائد البيزنطي ، في الوقت نفسه استطاع سحيم أن يزرع العيون والجواسيس في

---

(١) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٦٧ ، وحسين عطوان ، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ، طبعة بيروت دار الجيل ١٩٨٧ ص ٤٤ ، حيث يشير إلى أن جبل سنير هو جبل القلمون من جبال لبنان الشرقية .

(٢) سحيم بن المهاجر : من سكان مدينة طرابلس ، ولي أمرتها لعبد الملك بن مروان ، انظر : ابن عساكر تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ٦ / ٦٧ .

مكان تواجده ، واستطاع أن يجعل بينه وبين عبد الملك بن مروان اتصالاً ، وظل هذا الأمر مستمرًا حتى حانت الفرصة لتنفيذ خطة التخلص من القائد البيزنطي ومن معه ، وذلك بإعداد قوة في مكان قريب من مكان الملك البيزنطي ، وقتلته ومن معه من البيزنطيين ، وأعلن العفو عمن تبعه ، فانضموا بسرعة إلى سحيم [(١)] ، وبذلك استطاع عبد الملك بن مروان أن يزيح كابوس القائد البيزنطي ، وأن يردع البيزنطيين ويلقنهم درسًا يبين لهم أن القيادة الإسلامية تستطيع تصفية القادة البيزنطيين في ديارهم .

٦ - اختراق تنظيمات العدو

من المهام المنوطة برجال المخابرات في العصر الأموى ، اختراق التنظيمات المعادية والتوصل إلى الأخبار والمعلومات التي عن طريقها يتم وأد العمليات قبل بدئها أو في مهدها ، فهناك العديد من العمليات التي تم اختراقها خلال العصر الأموي ، وذلك لصالح القيادة الأموية بصرف النظر عن من هي الجهة المعادية أو المضادة ، وذلك مثل عملية معقل مولى عبيد الله بن زياد ، ضد مسلم بن عقيل بن أبي طالب بمدينة الكوفة ، وكان والي الكوفة عبيد الله بن زياد في زمن الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وقد كلف زياد بن عبيد الله عينًا من عيونه اسمه « معقل » وكان هدف هذه العملية كشف أمر مسلم بن عقيل مبعوث الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وذلك قبل وصول الإمام الحسين إلى الكوفة ، وكان عقيل يمهد لوصول الإمام الحسين من خلال الاتصالات التي تتم بينهما ، ولكن معقل الذي هو عين من عيون عبيد الله بن زياد أراد اختراق مجموعة مسلم بن عقيل ، حيث قدّم نفسه إلى مساعدي مسلم بن عقيل والمقربين إليه بأنه من المحبين لآل البيت ، ودخل بينهم وذهب إلى مسجد الكوفة ، وتقرب من مسلم بن عوسجة الأسدي ، وكان أحد من يبايع للحسين ،

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ٢ ١٨٩ - ١٩٠ ، وأنساب الأشراف ٥ / ٣٠٠ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٤ / ٣٠٤ .

وأظهر له أنه رجل من أهل الشام ، وفي النهاية بايعه وأخذ عليه العهود والمواثيق على الكتمان ، وطلب إليه أن يلقاه في منزله ، حتى تتاح له الفرصة للقاء رسول آل البيت إلى أن اصطحبه يومًا إلى مسلم بن عقيل وبايعه وأعطى معقل إلي مسلم بن عقيل ثلاثة آلاف درهم تبرعًا منه إليه لينفقها على الدعوة ، حتى بلغت ثقة مسلم بن عقيل بمعقل ، أنه كان لا يُحجب عنه ، ويقضى النهار بطوله في مجلسه ، وعرف كل أسرار تنظيم مسلم بن عقيل في الكوفة ، كما عرف خططه المستقبلية ، وكان معقل هذا يعود ليلاً إلى مقرّ عبيد الله بن زياد ، فيقدم إليه تقريرًا يتضمن آخر التطورات المستجدة ، إلى أن تم معرفة كل شيء مع اقتراب الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ، من الكوفة ، وبعدها مباشرة ثم القبض على مسلم بن عقيل ورجاله (١) . مما يدل على نجاح معقل في اختراق تنظيم مسلم بن عقيل بالكوفة ، ونجاح هذه العملية بكفاءة عالية قام بها عين من عيون القيادة الأموية .

* **ومن العمليات التي اخترقت التنظيمات المعادية بعيون أموية ، عملية مملوك يوسف بن عمر الثقفي** حيث كان في سنة ١٢٢ هـ في زمن خلافة هشام بن عبد الملك ، عندما دخل زيد بن علي الكوفة ، ولم يعلم يوسف بن عمر الثقفي بدخوله فكتب الخليفة هشام بن عبد الملك إلى يوسف يشتمه ويجهله ويقول له : إنك لغافل ، وزيد في الكوفة يُبايع له فألحّ في طلبه ، فأعطه الأمان ، فإن لم يقبل فقاتله ، فكتب يوسف إلى الحكم بن الصلت وهو خليفته على الكوفة يطلبه ، فطلبه فخفى عليه موضعه ، فدس يوسف مملوكًا خراسانيًا ، وأعطاه خمسة آلاف درهم ، وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قام من خراسان حبًا لأهل البيت ، وأن معه مالاً يريد أن يقويهم به ، فلم يزل المملوك يلقى الشيعة ، ويخبرهم عن المال الذي معه حتى

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٣٦٢ - ٣٦٥ ، والأصبهاني : مقاتل الطالبيين ص ٧٠ - ٧١ ، و البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

أدخلوه على زيد ، فخرج من عنده وأخبر يوسف على موضعه ، فوجّه يوسف إليه الخيل للقبض عليه ، وهذا مما عجل في إعلان زيد الثورة قبل موعدها ، وكان سببًا في فشلها (١) .

استطاع المملوك الخراساني أن يقوم بمهمته التي كُلِّفَ بها كعين من عيون القادة الأمويين ، فاخترق صفوف زيد بن علي حتى توصل إلى معرفة المكان المختبئ فيه .

ومن العمليات التي اخترقت التنظيمات المعادية عملية قريظ بن حجاج في زمن خلافة مروان بن محمد الأموي ، في الوقت الذي بدأت فيه أحداث الثورة العباسية نشاطها في خراسان ، فأراد الخليفة مروان بن محمد أن يخترق هذه الأحداث بعين من عيونه وهو قريظ بن حجاج البصري ، حيث غادر البصرة إلى خراسان وغيَّر اسمه ، وتكنى بأبي العوجاء ، وأصبح اسمه الحركي « عبد الكريم أبو العجاء » واندس بين التنظيم العباسي بخراسان ، ونال مكانة عظيمة فيه ، وأصبح موضع ثقة الكثيرين ، ووصل درجة عالية في سلّم القيادة ، حتى كلفه أبو مسلم الخراساني المسئول السياسي والعسكري للتنظيم في خراسان مع رجل آخر اسمه أبو حميد بالذهاب لمقابلة إبراهيم الإمام وهو إبراهيم بن محمد الإمام ، وتوصيل رسالة مهمة إليه ، وعندما وصل الاثنان إلى « تدمر » تمارض أبو العوجاء ، واحتفظ بالكتاب الذي يفترض بهما إيصاله إلى إبراهيم بن محمد الإمام ، في حين أصر زميله أبو حميد على إكمال الرحلة إلى « الحميمية » بمفرده ، بينما اتجه أبو العوجاء إلى « حران » مقر قيادة الخليفة الأموي مروان بن محمد ، حيث قابل هناك سعيد بن عمرو السلمي أحد مساعدي الخليفة الذي أوصله إليه ، فقدم له كتاب أبي مسلم الخراساني ، وقد كافأ مروان بن محمد جاسوسه بسخاء وأمره بإكمال دوره إلى النهاية ، حيث عليه أن يذهب إلى إبراهيم بن

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١٨٨ ، وابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢٥ .

محمد الإمام ، ويسلمه الكتاب ، وعليه أن يتصل مباشرة بمروان بن محمد ، ويبلغه بالتطورات أولاً بأول ، وظل هذا العين حرًا طليقًا ، لم يكتشف أحد أمره حتى بعد انتهاء الحكم الأموي عام ١٣٢ هـ ، غير أنه تم اكتشافه أثناء ولاية أبي جعفر المنصور على الجزيرة الفراتية ، لأخيه العباس فتم إعدامه (١) .

هذه العملية أثبتت فيها العيون الأموية أعلى كفاءة في الخداع والكتمان وتحقيق الهدف ، رغم ما أحيط بها من مخاطر ، وقد خطط لها الخليفة الأموي مروان بن محمد بعناية فائقة ، ونفذت بصبر طويل .

٧ ـ مراقبة الجهاز الإداري

هذه المراقبة من المهام برجال المخابرات في العصر الأموي ، فقد سار الخلفاء الأمويون على سيرة الخلفاء الراشدين في مراقبة العمال مسترشدين بمعطيات القرآن الكريم ، الذي يؤكد على أن المنصب هو مسئولية ، يثمر تشريفًا في الدنيا والآخرة ، في حالة إقامة العدل ، ويكون خزيًا في حالة الركون إلى الظلم واتباع الهوى ، استنادًا لقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] ، واستنادًا إلى قول النبي محمد ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً ، فَلَمْ يُحِطْهَا بِنَصِيحَةٍ ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رِيحَ الجَنَّةِ » (٢) .

لقد عُرف عن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كغيره من الخلفاء بأنه شديد اليقظة كثير الحذر ، والتعهد لعماله ، حتى ولو كان ذلك العامل أخاه ، فكان يعهد لأحد عيونه بمراقبة عماله ، كما حدث مع أخيه بشر بن مروان عندما كان واليًا على

---

(١) مؤلف مجهول ، نبذة من كتاب التاريخ ، الورقة ١٠٣ – ١٠٥ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٢٨٣ .

(٢) الحديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه ٤ / ٢٥٣ .

العراق بعد مقتل مصعب بن الزبير ، حيث ترك معه روح بن زنباع الجذامي كعين على بشر هذا يراقبه ويقوّم أعماله ، ويرسل التقارير إلى الخليفة في دمشق [١] .

وقد أخبرت عيون الخليفة عبد الملك بن مروان بأن أحد عماله قبل هدية ، فأمر باستدعائه ، وحقق معه ، فاعترف بقبوله الهدية ، وحاول تبرير فعلته دون جدوي ، ولكنه عزل [٢] .

وقد بلغ الخليفة عبد الملك بن مروان عن طريق عيونه أن الحجاج بن يوسف الثقفي قد أسرف في معاقبته المناوئين له ، بعد دير الجماجم ، وفي مكافأة الموالين له ، أرسل إليه مهددًا محذرًا [٣] .

كما عُرف عن واليه الحجاج بن يوسف الثقفي مراقبته لعماله ، حتى في تصرفاتهم الشخصية عندما بلغه عن مالك بن أسماء الفزاري شعرًا فيه فحش ، استدعاه وحقق في الأمر ، وعندما ثبت الأمر عليه عزله [٤] .

ومن بين هذه المراقبات ما مارسه الخليفة سليمان بن عبد الملك أثناء خلافته ، وكان لا يتوانى في عزل مَنْ يُعرف عنه التقصير ، كما حدث مع خالد القسري عامله على مكة ، عندما أساء السيرة مع أهلها [٥] .

كما حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على أن يكون له عيون لمراقبة عماله وموافاته بالأخبار عنهم ، فعندما وصلته أخبار من عيونه عن أن موظفي الخراج ، في إقليم فارس يمارسون الظلم إزاء الفلاحين ، من خلال تسعير منتجاتهم الزراعية ، بطريقة غير عادلة

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١١٠ - ١١٢ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٤ / ٨٩ ، والمسعودي مروج الذهب ٣ / ١١٨ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١٣٣ - ١٣٥ .

(٤) الحافظ الذهبي ، تاريخ الإسلام ٣ / ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٥) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٥٢٢ .

فضلاً عن انعدام الأمن في الإقليم ، أرسل مجموعة من أتباعه للتحقيق ، وطلب من واليه عدي بن أرطأة عامل العراق التعاون التام مع هذه المجموعة (١) .

كما أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عامله على خراسان الجراح الحكمي ، منددًا لاستخدامه العصبية القبلية ، والتي أثارت حالة من التوتر بين التجمعات القبلية (٢) .

كما ندّد باستخدام أحد عماله لأهل الذمة ، في المناصب الحساسة ، لما في ذلك من تأثير سلبي على سير وتنفيذ السياسات العامة للدولة ، لاسيما والعلاقات متوترة مع العدو البيزنطي (٣) .

كما عُرف عن الخليفة هشام بن عبد الملك أنه كان يُراقب تحركات أكبر ولاته وهو خالد بن عبد الله القسري ، الذي يتولى حكم العراق والشرق من خلال عيونه وجواسيسه ، وفي رسالة شديدة اللهجة أشار فيها إلى نمو ثروته الشخصية ، استنادًا إلى وسائل غير مشروعة ، وإلى أتباع أخيه أسد القسري ، عامل خراسان للعصبية القبلية فيها ، فضلاً عن استخدامه المفرط لأهل الذّمة ، على حساب نظرائهم من المسلمين ، فضلاً عن محاولة الدؤبة في إحاطة شخصه بهالة من التعظيم والتبجيل ، مما يجعله ندًا للخليفة ، وحصوله على هدايا النوروز والمهرجان (٤) .

---

(١) الحافظ ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٤٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٥٢٤ .

(٣) أبو عبد الله بن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار ، طبعة بغداد لعام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ ، ١ / ٣٣٨ . والطرطوشي محمد بن الوليد بن محمد ، سراج الملوك ، طبعة الإسكندرية ، المطبعة الوطنية ١٨٧٢ م ص ٢٥٥ .

(٤) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، تحقيق سامي العاني ، طبعة بغداد ١٩٧٢ ، ص ٣٠١ ، والمبرد ، الكامل في اللغة ٤ / ١٢١ - ١٢٥ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ٤٩ .

إن كل ما ورد من روايات ومواقف تدل على مدى اهتمام الخلفاء الأمويين بمراقبة عمالهم عن طريق عيونهم وجواسيسهم ، ومدى تنفيذ هذه العيون ما تم تكليفهم به من أعمال .

٨ ـ مراقبة القادة العسكريين

لم تغفل الخلافة الأموية عن مراقبة أداء القادة العسكريين في جبهات القتال ، وهذا امتداد لما كان يمارسه الخلفاء الراشدون ، نظرًا إلى أن أي تهاون إزاء أخطاء القادة ، قد يؤدي إلى عواقب وخيمة ، حيث قام الخليفة الوليد بن عبد الملك باستخدام أحد عيونه وجواسيسه لمراقبة أداء قادته أثناء فتح بلاد الأندلس ، وهو مولاه مغيث الرومي ، حيث نقل إليه التوتر الذي حدث بين موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وحذر موسى من مغبة اتخاذ أي إجراء عنيف ضد أو إزاء طارق بن زياد ، بالتعاون مع علي بن رباح اللخمي [١] .

كما أخبر مغيث الرومي الخليفة الوليد بن عبد الملك بخطط موسى بن نصير في التقدم في عمق الأندلس شمالاً ، فطلب منه القدوم مع طارق إلى دمشق ، وعندما تأخر في الوصول أرسل مبعوثًا آخر ، وهو أبو نصر لكي يمنع موسى بن نصير من الاستمرار في العمليات ، ويجبره على العودة [٢] .

ومن بين عمليات المراقبة هذه تجاه أداء القادة العسكريين ، ما لجأ إليه الخليفة عمر ابن عبد العزيز قبل اتخاذه قراره الأخير بسحب حملة مسلمة بن عبد الملك من القسطنطينية إلى إرسال مبعوث عنه لتقدير الموقف ، وظروف الحملة ، وذلك لعدم

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) المقري ، نفح الطيب ، طبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٣٦ ، ١ / ٢٣٣ - ٢٤٣ ، وانظر دروزي ، تاريخ مسلمي أسبانيا ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٣ ، ١ / ١٥٠ .

اقتناع الخليفة الجديد بتقارير مسلمة ، وكان تقويم مبعوث عمر بن عبد العزيز هو ضرورة سحب الحملة [١] .

كما نقلت العيون والجواسيس إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك أخبار توتر العلاقة بين قائدي حملته إلى العراق لقمع حركة يزيد بن المهلب ، مسلمة بن عبد الملك ، والعباس ابن الوليد ، فأرسل بناء على ذلك عثمان بن حيان المري ، الذي أصلح بينهما [٢] .

ويلاحظ أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك جعل له عيونًا وجواسيس عديدة في كثير من البلدان ، مثل عيونه في ثغور أرمينية ، وأذربيجان ، هذه العيون استطاعت أن تقوم بمهمتها وما أسند إليها من واجبات على خير وجه ، وبكل دقة .

فقد نقلت إليه سوء معاملة مسلمة بن عبد الملك ، للقائد سعيد الحرشي ، الذي خلفه مسلمة في القيادة ، والذي سبق وأن حقق نصرًا مؤزرًا ، ودحر العدو الخزري ، فأرسل إليه رسالة شديدة اللهجة تضمنت : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من خطئك في سعيد بن عمرو الحرشي ، وشتمك إياه ، واستخفافك بحقه ، وضربك لواءه على رأسه ، وسحبك له برجله إلى السجن [٣] .

استطاع الخليفة أن يحصل على الصورة الدقيقة لما قام به مسلمة عن طريق عيونه وجواسيسه رغم أن مسلمة هذا أخو الخليفة ، فلم تمنعه الأخوة من مراقبة عماله حتى ولو كان أحدهم أخاه أو أشد أقربائه .

مراقبة الشخصيات ذات النفوذ

من المهام المنوطة برجال المخابرات في العصر الأموي مراقبة الشخصيات ذات النفوذ في الدولة الأموية ، هذه الشخصيات التي تشكل في يوم من الأيام تهديدًا

---

(١) انظر : محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٦ / ٥٥٣ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ق ٢٣٢ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٥٩ - ٦٠ .

للخلافة الأموية ، فقد كان العيون والجواسيس تراقب هذه الشخصيات بصورة غير استفزازية وغير منظورة ، وبعيدًا عن الإثارة ، وتتفاوت المراقبة والالتزام بها بين خليفة وخليفة ، فضلاً عن تفاوت طبيعة من يتم مراقبته من الشخصيات حسب الأفكار السياسية التي تحملها .

فالشخصيات التي يتم مراقبتها من قِبَلِ العيون تصنف كالتالي :

شخصيات تنافس الأمويين على منصب الخلافة ، مثل بني هاشم ، أي مثل الرقابة التي كانت تجري على الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، أثناء إقامة الحسين رضي الله عنه في المدينة [١] .

ومثل المراقبة التي جرت على الإمام علي بن الحسين رضي الله عنهما في عهد الخليفة يزيد بن معاوية ، ولذلك أوصى قائده مسلم بن عقبة المري بحسن معاملته له ، ولعدم وجود علاقة له بأهل المدينة أثناء ثورتهم [٢] .

ومثل مراقبة تحركات زيد بن علي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [٣] من خلال هذه الأسماء الثلاثة التي تمت مراقبتها نجد الدافع لمثل هذا هو النشاط السياسي الذي كانت تمارسه هذه الشخصيات ، والذي كان يهدد الخلافة على حد فهم الأمويين .

أما النوع الثاني من الشخصيات التي تتمتع بنفوذ كبير وكانت تخضع لمراقبة عيون جواسيس الخلفاء الأمويين ، هي شخصيات تنتمي إلى العائلة الأموية ، والتي تتسم علاقتها مع الخليفة أنها ليست على ما يرام ، بل يسودها التوتر بسبب ولاية العهد ،

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ١ / ١٥٠ .

(٢) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ / ٦٠ .

(٣) الجاحظ ، البيان والتبين ١ / ٣٢٥ ، والدينوري ، الأخبار الطوال ص ٢٢٤ ، و محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٧ / ١٦٥ .

كما كان عليه الأمر بين الخليفة الوليد بن عبد الملك وولي عهده سليمان ، وما بين الخليفة يزيد بن عبد الملك وولي عهده هشام بن عبد الملك . أو لاعتناقهم أفكار سياسية ، لاتنسجم مع طروحات بني أمية وأجناد الشام في الخلافة ، مثل عمر بن عبد العزيز (١) أو لاعتبارهم منافسين محتملين للخليفة ، مثل خالد بن يزيد بن معاوية ، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٢) .

أما النوع الثالث من الشخصيات التي تتمتع بنفوذ كبير ، وتوضع تحت المراقبة بأن تكون من المقربين من الخلفاء السابقين ، إلا أن علاقته متوترة مع الخليفة الحالي ، أو تتسم بالبرود ، بسبب خلافات كانت بينها وبين الخليفة قبل وصوله إلى الخلافة ، مثل تلك التي كانت بين رجاء بن حيوة الكندي ، وهشام بن عبد الملك (٣) .

أما النوع الرابع من هذه الشخصيات فلأنه مرشح لتولي منصب مهم من أجل معرفة كفاءته ونزاهته ، كما حدث لبلال بن أبي بردة الأشعري ، في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، حيث أثبتت نتيجة مراقبته عدم أهليته لتولي المنصب (٤) .

وأما النوع الخامس من تلك الشخصيات التي يتم مراقبتها فلأنه غير مستقر سياسيًا ، ولديه طموح كبير ، كما حدث للخليفة معاوية بن أبي سفيان مع عبيد الله بن الحر الجعفي (٥) .

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١٦٤ - ١٦٥ ، ٢٠٢ ، يعقوب بن سفيان البسوي ، المعرفة والتاريخ تحقيق أكرم ضياء العمري ، طبعة بغداد ١٩٧٩ ، ١ / ٣٠٦ .

(٢) يعقوب بن سفيان البسوي ، المعرفة والتاريخ ١ / ٥٧١ .

(٣) الحافظ الذهبي ، تاريخ الإسلام أحداث ١٠١ هـ - ١٢٠ هـ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ / ٢٩٢ ، والمبرد ، كتاب الكامل ٢ / ٥٢ ، ومؤلف مجهول ، العيون والحدائق ٣ / ٦٠ ، وابن عساكر ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ / ٣٢٢ .

(٥) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ٥ / ٢٧١ ، ٤٠٧ ، ٤٦٩ ، ٥٢٧ ، ٦ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٢٧ - ١٣٥ .

أما النوع السادس من تلك الشخصيات فقد تم مراقبته ؛ لأنه يؤمن بأفكار سياسية معادية للخلافة الأموية ، كالخوارج ، إلا أن ركونه إلى الهدوء كان يتطلب مراقبته خوفًا من تحوله من التقية إلى الثورة ، كما هو الحال من الإباضية ، في حين نجد نوعًا آخر من تلك الشخصيات رُوقبوا ؛ لأنهم يحملون أفكارًا على الصعيد العقدي ، لا تقرها الخلافة كالقدرية مثلاً ، مثلما حدث لغيلان الدمشقي وصاحبه في أرمينية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك(١) .

تلك هي الواجبات المنوطة برجال المخابرات في العصر الأموي لقد وجدناها متنوعة ، ومثقلة لكواهل هؤلاء الرجال ، ولا يقدر على القيام بها إلا مثل هؤلاء المسلمون ، الذين يستظلون بمظلة الوفاء والعمل والإخلاص ، وحب الدين الإسلامي ، وحب الوطن وأنهم يرغبون في توفير الأمن والأمان والسلام للمؤمنين مهما كلفهم ذلك من تضحيات .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ٢ / ٣٥ . وانظر : ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ٨ / ٨٢ - ٨٣ .

الخَاتِمَة

إن أهمية المخابرات الإسلامية جعلت القادة المسلمين ومن قبلهم النبي ﷺ يستخدمونها ضمن ضوابط شرعية قائمة .

لقد أكد لنا عصر الرسول ﷺ أنه ﷺ اعتمد على قنوات متعددة في مده بالأخبار وحصوله على المعلومات ، فقد كان عيون في مكة والمدينة ، وفي ديار القبائل العربية وقد اعتمد على هذه القنوات في وضع خططه ، وفي التعامل مع القوى المعادية ، وفي إفشال خططها ، وفي الوصول إلى النصر .

لقد ظهر لنا أنّ النبي ﷺ قد اعتمد على التربية الإيمانية في رفع مستوى الحس الأمني لأبناء المجتمع ، بحيث تحول معظم أبناء المجتمع إلى عيون ساهرة على أمن مجتمعها .

أما في عصر الخلفاء الراشدين فقد تأقلم القادة مع الوضع الجديد من حيث اتساع مساحة الدولة الإسلامية ، وأن الدولة قد ضمت شعوبًا وأممًا ذات عقائد ولغات وعادات شتى ، فضلاً عن التعقيدات التي طرأت على النسيج الاجتماعي بعد استقرار العرب المسلمين في الأمصار ، وبروز التجمعات السكانية الكبرى مثل الكوفة والبصرة والفسطاط وغيرهم واختلاطهم مع سكان البلاد المفتوحة . كل ذلك وضع العيون الإسلامية وإدارتها الوليدة أمام امتحانات صعبة ، لاسيما أن صراع الدولة الإسلامية كان أمام دولتين كبيرتين الفرس والروم . ورغم ذلك نجحت الخلافة الراشدة على هاتين الدولتين في مجال العيون والتجسس بسبب عقلية المسلمين المتفتحة والواقعية وقيادتها الميدانية في الأمصار وفي الثغور ، وتوظيف مجموعات مهمة من موظفي الأعداء ضمن وحدات العيون ، العربية الإسلامية .

أما في عصر الدولة الأموية فقد والى الخلفاء الأمويون أمر العيون والمخابرات جلّ الاهتمام ، حيث عملت على إعادة التوازن النسبي بين الواجبات الملقاة على عاتق العيون على المستويين الخارجي والداخلي .

لقد ساهمت العيون الإسلامية خلال هذا العصر بصورة فعّالة في تحقيق النصر للمسلمين على معسكر الفرس والروم ، وساهمت أيضًا على المستوى الداخلي في مراقبة الجهاز الإداري ، وكشف التنظيمات المعارضة ، ومراقبة القادة العسكريين ، والشخصيات المهمة .

وفي النهاية فإنني قد توصلت إلى مجموعة من النتائج تفصح عن أهمية المخابرات الإسلامية ظهرت من ظهور الإسلام ، وقد تحدث عنها القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة . وأنها ذات سمات ومرتكزات ، ولها نشاط عظيم في خدمة الدولة الإسلامية وهذا الجانب له أهمية قصوى في حياة أي دولة .

من هذه النتائج ظهر لنا مدى اهتمام الرسول والخلفاء الراشدين والأمويين بعمل المخابرات ، ومدى تعدد وسائل جمع المعلومات ، وأنهم قد وضعوا العديد من الصفات التي يجب أن تتوفر في رجل المخابرات ، وأن للمخابرات في تلك العصور أنواع وأساليب أمنية معينة ، وأن عليهم واجبات يجب الالتزام بها والقيام على تنفيذها .

هذا وبالله التوفيق .

المصادر والمراجع

١ـ إبراهيم بيضون :
- الدولة العربية في أسبانيا من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة .
طبعة دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٨ م .
٢ـ إبراهيم شوكت :
- الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادي .
ترجمة صالح فليح ، وخلدون داود صبري .
طبعة بغداد ١٩٩٠ م .
٣ـ إبراهيم العدوي :
- الأمويون والبيزنطيون .
طبعة الأنجلو المصرية - القاهرة ، د . ت .
- ومصر الإسلامية .
طبعة القاهرة ١٩٧٥ م .
٤ـ إبراهيم على محمد :
- في السيرة النبوية ، قراءة لجوانب الحذر والحماية .
طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر ، ١٩٦٦ م .
- والمدخل إلى علم الاستخبارات .
طبعة الخرطوم - السودان ٢٠٠٠ م .
٥ـ إبراهيم بن القاسم القيرواني :
- تاريخ إفريقيا والمغرب .
تحقيق المنجي الكعبي .
طبعة تونس ١٩٦٧ م .
٦ـ إبراهيم مصطفى محمود :
- الحرب عند العرب .
طبعة دار الكلمة الطيبة للنشر - بيروت ١٩٨١ م .
٧ـ الأبشيهي ، محمد بن أحمد ت ٨٥٠ هـ :
- المستطرف في كل فن مستظرف .
طبعة بغداد ، (د . ت) .
٨ـ ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد الشيباني ت ٦٣٠ هـ :
- الكامل في التاريخ .
طبعة دار صادر ، بيروت ١٩٨٢ م .

- واللباب في تهذيب الأنساب
طبعة دار صادر - بيروت ، د . ت .
٩ـ أحمد إبراهيم الشريف :
مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول .
طبعة دار الفكر العربي - بيروت ، د . ت .
١٠ـ أحمد بن حنبل :
كتاب المسند . تحقيق أحمد محمد شاكر .
طبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٤٩ م .
١١ـ أحمد راتب عرموش :
قيادة الرسول السياسية والعسكرية .
طبعة دار النفائس ، بيروت ١٩٨٩ م .
١٢ـ أحمد شلبي :
الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي .
الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ م .
١٣ـ أحمد شوقي عبد الرحمن :
الملحق العسكري
طبعة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٩ م .
١٤ـ أحمد عبد الرحمن البنا :
الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل .
طبعة القاهرة ١٣٧٠ هـ .
١٥ـ أحمد عطية الله :
القاموس السياسي .
الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٨ م .
١٦ـ أحمد بن محمد المقري :
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إمام عباس .
طبعة دار صادر - بيروت ١٩٦٨ م .
١٧ـ أحمد نوفل :
الحرب النفسية .
الطبعة الثالثة ، دار الفرقان للنشر ، الأردن ١٩٨٩ م .
١٨ـ أحمد هاني :

الجاسوسية بين الوقاية والعلاج .
طبعة الشركة المتحدة للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٧٤ م .
١٩ـ أحمد بن يحيى الضبي :
بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس .
طبعة مطبعة روخس - مجريط ١٨٨٤ م .
٢٠ـ الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله :
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .
الناشر مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ، د . ت .
وطبعة - روما ، ١٩٧٨ م .
٢١ـ الأزدي ، يزيد بن محمد بن إياس :
تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عامر .
طبعة القاهرة ١٩٧٠ م .
٢٢ـ ابن الأزرق ، محمد بن علي بن محمد ت ٨٦٩ هـ :
بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار .
طبعة بغداد ١٩٧٨ م .
٢٣ـ إسماعيل بن القاسم القالي :
ذيل الأمالي .
طبعة بيروت ، د . ت .
٢٤ـ الأصبهاني ، علي بن الحسين :
مقاتل الطالبيين .
طبعة النجف الأشرف للعام ١٣٥٣ هـ .
٢٥ـ الاصطخري ، إبراهيم بن محمد :
المسالك والممالك .
طبعة لندن ، ابريل ١٩٢٧ م .
٢٦ـ ابن أعثم الكوفي ، أحمد بن محمد ت ٣١٤ هـ :
كتاب الفتوح .
طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦ م .
٢٧ـ أ. أكرم :
سيف الله خالد بن الوليد ، ترجمة صبحي الجابي .
طبعة بيروت ١٣٩٩ هـ .

٢٨ـ أكرم ديري :
الوجيز في الحرب .
الطبعة الثانية ، بيروت ، د . ت .
٢٩ـ ألفريد بتلر :
فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد .
طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٣ م .
٣٠ـ أنيس صائغ :
الأسطول الحربي الأموي .
طبعة بيروت ١٩٥٦ م .
٣١ـ ابن إياس ، محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ .
بدائع الزهور في وقائع الدهور .
طبعة بولاق - القاهرة ١٣١١ هـ .
٣٢ـ البسوي ، يعقوب بن سفيان .
المعرفة والتاريخ ، تحقيق أكرم ضياء العمري .
طبعة بغداد ١٩٧٩ م .
٣٣ـ البكري ، عبد الله بن عبد العزيز :
معجم ما استعجم . تحقيق مصطفى السقا .
طبعة عالم الكتب - بيروت ١٩٤٥ م .
٣٤ـ البلاذري ، أحمد بن يحيى ت ٢٧٩ هـ :
- أنساب الأشراف .
طبعة القاهرة ١٩٥٩ م .
- وفتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد .
طبعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة . د . ت .
٣٥ـ البهوتي ، منصور بن يونس :
كشف القناع عن متن الإقناع .
نشر مكتبة النصر الحديثة - الرياض ، د . ت .
٣٦ـ البيروني ، محمد بن أحمد :
الآثار الباقية ، تحقيق إدوارد سكيو .
طبعة بغداد - ١٩٢٣ .
٣٧ـ التنوخي ، أبو علي المحسن بن علي ت ٣٨٤ هـ :

الفرج بعد الشدة . تحقيق عبود الشالجي .
منشورات دار صادر ، بيروت ١٩٧٨ م .
٣٨ـ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ :
- البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق محمد مرسي الخولي .
طبعة دار الاعتصام - القاهرة ١٩٧٢ م .
- ورسائل الجاحظ ، كتاب البغال ، تحقيق عبد السلام هارون .
طبعة الخانجي - القاهرة ١٩٦٤ م .
٣٩ـ الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ت ٨١٦ هـ :
كتاب التعريفات . تحقيق إبراهيم الأبياري .
طبعة المكتبة السلفية - القاهرة ١٤٠٠ هـ .
٤٠ـ ابن جماعة ، محمد بن إبراهيم :
تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام .
طبعة قطر ١٩٧٨ م .
٤١ـ جمال الدين الشيال :
مصر الإسلامية .
طبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٦٧ م .
٤٢ـ الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٣٣١ هـ :
الوزراء والكتاب .
الطبعة الثانية ، طبعة الحلبي - القاهرة ١٩٨٠ م .
٤٣ـ الجوهري ، إسماعيل بن حماد :
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية .
طبعة دار الكتاب العربي - مصر ، د . ت .
٤٤ـ الجويني ، أبو المعالي ت ٤٧٨ هـ :
غياث الأمم .
طبعة ونشر الدعوة الإسلامية القاهرة ١٩٧٩ م .
٤٥ـ حازم إبراهيم العارف :
الجيش العربي الإسلامي .
طبعة دار الرشيد - الرياض السعودية . د . ت .
٤٦ـ ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية ت ٢٤٥ هـ :
المحبر . تحقيق سيد كسروي .

طبعة دار الغد العربي - القاهرة ٢٠٠٠ م .
٤٧- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ :
- الإصابة في تمييز الصحابة . تحقيق محمد علي البجاوي .
طبعة دار نهضة مصر - القاهرة ، د . ت .
- وتقريب التهذيب . تقديم ودراسة محمد عوّامة .
الطبعة الرابعة ، دار الرشيد - سورية ١٩٩٧ م .
- وفتح الباري بشرح صحيح البخاري .
طبعة المطبعة السلفية - القاهرة . د . ت .
٤٨- ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ت ٦٥٦ هـ :
شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
طبعة القاهرة ١٩٥٩ م .
٤٩- ابن حزم ، علي بن أحمد الأندلسي ت ٤٥٦ هـ
المحلي ، تحقيق أحمد محمد شاكر .
طبعة دار الفكر ، بيروت د . ت .
٥٠- أبو الحسن الندوي :
السيرة النبوية .
طبعة دار الشرق - جدة ، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ .
٥١- حسين بكار :
سياسة نامة « سير الملوك » .
طبعة دار القدس - بيروت ، د . ت .
٥٢- حسين عطوان :
الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي .
طبعة دار الجيل - بيروت ١٩٧٨ م .
٥٣- الحسيني ، س . أ . ق :
الإدارة العربية . ترجمة إبراهيم العدوي .
طبعة مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٥٨ م .
٥٤- الحلبي ، علي بن برهان :
السيرة الحلبية .
طبعة القاهرة ١٩٦٤ م .
٥٥- الحموي ، عل بن حجة الحموي تقي الدين أبو المحاسن ت ٨٣٧ هـ :

ثمرات الأوراق في المحاضرات .
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، د . ت .
٥٦ـ الحميري ، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ت ٧٢٧ هـ :
الروض المعطار في خبر الأقطار . تحقيق إحسان عباس .
نشر مكتبة لبنان . الطبعة الثانية ١٩٨٤ م .
٥٧ـ ابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان :
السيرة النبوية وأخبار الخلفاء .
طبعة مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٤٠٧ هـ .
٥٨ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون .
تاريخ ابن خلدون .
طبعة مؤسسة الأعظمي - بيروت . د . ت .
٥٩ـ خليفة بن خياط ت ٢٤٠ هـ :
تاريخ خليفة . تحقيق أكرم ضياء العمري .
طبعة دار طيبة - الطبعة الثانية - الرياض ١٩٨٥ م .
٦٠ـ خليل بن أحمد السهارتفوري :
بذل المجهود في حلّ سنن أبي داود .
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت . د . ت .
٦١ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ :
كتاب العين . تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي .
طبعة دار الحرية - بغداد ١٩٨٤ م .
٦٢ـ خير الدين الزركلي .
الأعلام .
طبعة دار العلم للملايين ، بيوت ١٩٨٦ م .
٦٣ـ أبو داود سليمان من الأشعث الأزدي ت ٢٧٥ هـ :
سنن أبي داود .
طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت .
والطبعة الثانية ، نشر المكتبة السلفية - المدينة المنورة ١٩٦٨ م .
٦٤ـ الدباغ ، عبد الرحمن بن محمد :
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان . تحقيق إبراهيم شبوح .
طبعة الخانجي - القاهرة ١٩٦٨ م .

٦٥ـ دروزي :
تاريخ مسلمي أسبانيا ، ترجمة حسن حبشي .
طبعة القاهرة ١٩٦٣ م .
٦٦ـ الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢ هـ :
الأخبار الطوال . تحقيق عبد المنعم عامر .
طبعة القاهرة ١٩٦٠ م .
٦٧ـ الذهبي ، محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ :
- تاريخ الإسلام . تحقيق عمر عبد السلام .
طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٩٠ م .
وطبعة دار الغد العربي - القاهرة ١٩٩٦ م .
وطبعة بيروت ١٩٧٨ م .
- والعبر في خبر من غبر . تحقيق محمد السعيد بسوني .
طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٨٥ م .
- وكتاب سير أعلام النبلاء .
تحقيق شعيب الأرناؤوط .
طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٦ هـ .
٦٨ـ الرازي ، فخر الدين محمد الرازي :
التفسير الكبير
طبعة المطبعة الخيرية - مصر ١٣٠٨ هـ .
٦٩ـ الراغب الأصبهاني ، الحسين بن محمد ت ٥٠٢ هـ :
الذريعة إلى مكارم الشريعة .
طبعة القاهرة ١٣٩٣ هـ .
٧٠ـ الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني :
تاج العروس من جواهر القاموس .
طبعة الكويت ١٩٦٥ م .
٧١ـ الزبير بن بكار ت ٢٥٦ هـ :
الأخبار الموفقيات . تحقيق سامي العاني .
طبعة بغداد ١٩٧٢ م .
٧٢ـ ستيفن رنسيمان :
الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد .

طبعة مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦١ م .
٧٣ـ ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي ت ٢٣٠ هـ .
الطبقات الكبرى .
طبعة دار التحرير - القاهرة ١٣٨٨ هـ .
وطبعة دار الفكر العربي . د . ت .
٧٤ـ سعيد بن البطريق :
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق .
طبعة - بيروت ١٩٥٥ م .
٧٥ـ سعيد بن منصور الخراساني :
سنن سعيد بن منصور ، تحقيق حبيب الأعظمي .
طبعة بيروت ١٣٨٧ هـ .
٧٦ـ ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٤٤ هـ :
- غريب الحديث .
طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٦ هـ .
- وكتاب الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس .
الطبعة الثانية - دار الفكر . القاهرة ١٩٧٥ م .
٧٧ـ السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت ٥٨١ هـ :
الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام .
طبعة دار المعرفة - بيروت ١٩٧٨ م .
٧٨ـ السيد الباز العريني :
الدولة البيزنطية .
طبعة دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٢ م .
٧٩ـ السيد عبد العزيز سالم ، وأحمد مختار عبادي :
البحرية الإسلامية .
طبعة دار النهضة العربية - بيروت ١٩٦٩ م .
٨٠ـ سيد قطب :
في ظلال القرآن .
الطبعة السابعة ، مكتبة دار الشروق بيروت ١٩٧١ م .
٨١ـ ابن سيد الناس :
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير .

طبعة دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٠ م .
وطبعة دار الجبل - بيروت ١٩٧٤ م .
٨٢ـ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي :
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .
طبعة القاهرة ١٩٦٧ م .
٨٣ـ ابن شبّة ، عمر النميري :
تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت .
طبعة جدة ، دار الأصبهاني للطباعة ١٣٩٣ هـ .
٨٤ـ شكرى فيصل :
حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول .
طبعة دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٠ م .
٨٥ـ شكيب أرسلان :
تاريخ غزوات العرب في فرنسا وإيطاليا .
طبعة دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٦ م .
٨٦ـ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥ هـ :
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار .
طبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، د . ت .
٨٧ـ صالح أحمد العلي :
الدولة في عهد الرسول .
طبعة بغداد ١٩٨٨ م .
٨٨ـ صديق حسن خان :
فتح البيان في مقاصد القرآن .
طبعة مكتبة دار الأنصار - القاهرة ، د . ت .
٨٩ـ صلاح نصر :
حرب العقل والمعرفة .
الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٢ م .
٩٠ـ ابن طباطبا ، محمد بن علي ت ٧٠٩ هـ :
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية .
طبعة محمد علي صبيح - القاهرة ١٩٦٢ م .
٩١ـ الطبري ، محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ :

- تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
طبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .
- وتفسير الطبري ، تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر .
الطبعة الثانية ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .
٩٢ـ الطرطوشي ، محمد بن الوليد بن محمد ت ٥٢٠ هـ :
سراج الملوك .
طبعة الإسكندرية ، المطبعة الوطنية ١٨٧٢ م .
٩٣ـ طنطاوي جوهر :
الجواهر في تفسير القرآن .
طبعة الحلبي وأولاده - القاهرة ١٣٥٠ هـ .
٩٤ـ عاتق البلادي :
معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية .
طبعة دار مكة - السعودية ١٩٨٢ م .
٩٥ـ عارف العارف :
تاريخ القدس .
طبعة دار المعارف - القاهرة ، د . ت .
٩٦ـ عباس محمود العقاد :
- عبقرية الإمام علي رضي الله عنه .
طبعة دار الفكر العربي - بيروت ١٩٦٧ م .
- وعبقية عمر رضي الله عنه .
طبعة دار نهضة مصر - القاهرة ، د . ت .
٩٧ـ العباسي ، أبو علي الحسن بن عبد الله :
آثار الأول في ترتيب الدول .
طبعة بولاق - القاهرة ١٨٧٨ م .
٩٨ـ ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧ هـ :
سيرة عمر بن عبد العزيز .
طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٨٣ م .
- وفتوح مصر والمغرب ، تحقيق شارلز تورى .
طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ١٩٩٩ م .
٩٩ـ عبد الحي الكتاني :

نظام الحكومة النبوية .
طبعة أوسكان ، نسخة مصورة ، د . ت .
١٠٠ـ ابن عبد ربه الأندلسي :
العقد الفريد .
الطبعة الثالثة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة – القاهرة ١٩٦٥ م .
١٠١ـ عبد الرؤوف عون :
الفن الحربي في صدر الإسلام .
طبعة دار المعارف – القاهرة ١٩٦١ م .
١٠٢ـ عبد الفتاح الصعيدي :
الإفصاح في فقة اللغة .
الطبعة الثانية – دار الفكر العربي – القاهرة . د . ت .
١٠٣ـ عبد القادر بدران :
تهذيب تاريخ ابن عساكر . الطبعة الثانية .
طبعة ومنشورات دار السيرة – بيروت ١٩٧٩ م .
١٠٤ـ عبد الله علي مناصرة :
الاستخبارات العسكرية في الإسلام .
طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٩١ م .
١٠٥ـ ابن عذاري المراكشي :
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب .
طبعة دار الثقافة – بيروت . د . ت .
١٠٦ـ العسكري ، أبو هلال عبد الله بن سهل ت ٣٩٥ هـ :
كتاب الأوائل ، تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري .
منشورات دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض ١٩٨٠ م .
١٠٧ـ علي عباس مراد :
الأجهزة الاستخبارية . مجلة الأمن القومي .
طبعة بغداد – كلية الأمن القومي – العدد الثالث ١٩٨٥ م .
١٠٨ـ علي دعموش :
موسوعة الاستخبارات والأمن .
طبعة دار الأمير – بيروت ١٩٩٣ م .
١٠٩ـ أبو علي القالي :

كتاب الأمالي .
طبعة دار الكتب المصرية .
١١٠ـ علي بن محمد الماوردي ت ٤٥٠ هـ .
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية .
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٢ م .
- وتسهيل النظر وتعجيل الظفر ، تحقيق ودراسة رضوان السيد .
طبعة دار العلوم العربية - بيروت ١٩٧٨ م .
١١١ـ علي محمود فهمي :
التنظيم البحري الإسلامي في المشرق المتوسط من القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي
. ترجمة قاسم عبده قاسم .
طبعة بيروت . د . ت .
١١٢ـ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن العمات ت ١٠٨٩ هـ :
شذرات الذهب .
طبعة دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩ م .
١١٣ـ عمر رضا كحالة :
أعلام النساء .
المطبعة الهاشمية - دمشق . د . ت .
١١٤ـ عوض أحمد إدريس :
الوجيز في أصول الفقه .
طبعة - الخرطوم - السودان ١٤٠٨ هـ .
١١٥ـ العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد ت ٨٥٥ هـ :
عمدة القارئ شرح صحيح البخاري .
طبعة بيروت - د . ت .
١١٦ـ أبو الفرج عبد الله بن الجوزي :
الوفا بأحوال المصطفى .
طبعة دار الكتب الحديثة - القاهرة ، د . ت .
١١٧ـ ابن الفقيه ، أحمد بن محمد الهمداني :
مختصر كتاب البلدان .
طبعة ليدن ١٣٠٢ هـ .
١١٨ـ فيلهلم هونيرباج :

البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط في عهد معاوية .
طبعة تطوان - المغرب ١٩٥٤ م .
١١٩ـ القاسمي ، محمد جمال الدين :
تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل .
تخريج محمد فؤاد عبد الباقي .
الطبعة الثانية ، دار الفكر - بيروت ١٩٧٨ م .
وطبعة دار إحياء الكتب العربية - الحلبي ، القاهرة ١٩٧٥ م .
١٢٠ـ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦ هـ :
- الإمامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزيني .
طبعة مؤسسة الحلبي - القاهرة ، د . ت .
- وعيون الأخبار .
طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦ م .
- وكتاب المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة .
الطبعة الرابعة ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ م .
١٢١ـ قدامة بن جعفر :
كتاب الخراج وصناعة الكتابة .
تحقيق محمد حسين الزبيدي .
طبعة بغداد ١٩٨١ .
١٢٢ـ ابن قدامة ، شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبو عمر محمد المقدسي .
الشرح الكبير على متن الإقناع .
طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، الرياض (د . ت) .
١٢٣ـ ابن قدامة عبد الله بن أحمد :
- كتاب المغني ، تحقيق محمود عبد الوهاب وآخرين .
طبعة مكتبة القاهرة . مصر ١٩٦٩ م .
- والمقنع في فقه إمام السُّنَّة أحمد بن حنبل .
طبعة مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ١٩٨٠ م .
١٢٤ـ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين عبد الله بن أبي بكر .
زاد المعاد في هدى خير العباد .
طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت ، د . ت .
وطبعة المطبعة المصرية - القاهرة ١٩٢٨ م .

- وكتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية .
تحقيق محمد حامد الفقي .
طبعة مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٩٥٣ م .
١٢٥ـ القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ .
- صبح الأعشى .
طبعة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨ م .
- ومآثر الأناقة في معالم الخلافة .
تحقيق عبد الستار أحمد فراج .
طبعة عالم الكتب - بيروت ١٩٨٠ م .
١٢٦ـ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر :
- البداية والنهاية ، تحقيق فريق من العلماء .
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥ م .
- تفسير القرآن العظيم
طبعة عيسى الحلبي - القاهرة ، د . ت .
وطبعة دار المعرفة - بيروت ١٩٨٠ م .
١٢٧ـ الكلاعي ، سلمان بن موسى :
تاريخ الردة .
طبعة دلهي - الهند ١٩٧٠ م .
١٢٨ـ لسترنج :
بلدان الخلافة الشرقية . ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد .
طبعة بغداد ١٩٥٤ م .
١٢٩ـ ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني :
سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
طبعة عيسى الحلبي - القاهرة ، د . ت .
١٣٠ـ مالك بن أنس :
المدونة الكبرى .
طبعة بغداد ١٣٢٣ هـ .
١٣١ـ المالكي ، عبد الله بن أبي عبد الله :
رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية .
تحقيق حسين مؤنس .

طبعة القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، د . ت .
١٣٢ـ المبرد ، محمد بن يزيد :
الكامل في اللغة .
طبعة منشورات مؤسسة المعارف - بيروت د . ت .
١٣٣ـ مجد الدين محمد بن يعقوب .
القاموس المحيط .
طبعة مطبعة السعادة - القاهرة ، د . ت .
١٣٤ـ مجموعة من المؤلفين :
حضارة العراق .
طبعة دار الحرية - بغداد ١٩٨٥ م .
١٣٥ـ محمد أحمد باشميل :
غزوة خيبر .
طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٧١ م .
١٣٦ـ محمد أحمد جاد المولى :
قصص القرآن .
طبعة المكتبة الأموية - بيروت د . ت .
١٣٧ـ محمد الإسكافي :
لطف التدبير . تحقيق أحمد عبد الباقي .
طبعة مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٤ م .
١٣٨ـ محمد جمال محفوظ :
- المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية .
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٦ م .
- وغزوات الرسول ﷺ .
طبعة دار الاعتصام - القاهرة ، د . ت .
١٣٩ـ محمد بن الحسن الأزدي :
جمهرة اللغة .
طبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ .
١٤٠ـ محمد راكان الدغمي :
التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية .
طبعة ، مكتبة دار السلام - القاهرة ١٩٨٥ م .

١٤١ـ محمد رشيد رضا :
تفسير المنار .
الطبعة الرابعة – القاهرة ١٩٦٠ م .
١٤٢ـ محمد سيد عمران :
معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية .
طبعة دار النهضة العربية – بيروت ١٩٨١ م .
١٤٣ـ محمد السيد الوكيل :
تأملات في سيرة الرسول ﷺ .
الطبعة الثالثة – جدة ، السعودية ١٩٩٥ م .
١٤٤ـ محمد عبد الله عنان :
– مواقف حاسمة في التاريخ الإسلامي .
طبعة الخانجي – القاهرة ١٩٢٦ م .
– ودولة الإسلام في الأندلس .
العصر الأول – القسم الأول .
طبعة الخانجي – القاهرة ١٩٦٠ م .
١٤٥ـ محمد عزة دروزة :
التفسير الحديث .
طبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة ١٩٦٤ م .
١٤٦ـ محمد بن عمر :
تاريخ افتتاح الأندلس . تحقيق عبد الله أنيس الطباع .
طبعة بيروت ١٩٨٥ م .
١٤٧ـ محمد فرج :
العبقرية العسكرية في غزوات الرسول .
طبعة دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٧٧ م .
– والمدرسة العسكرية الإسلامية .
طبعة دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٦٩ م .
١٤٨ـ محمد بن القاسم :
الزاهر في معاني كلمات الناس تحقيق حاتم صالح الضامن .
طبعة بغداد ١٩٨٧ م .
١٤٩ـ محمد كرد علي :

خطط الشام .
طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٣ م .
١٥٠ـ محمد مرتضى :
تاج العروس .
طبعة دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازي - ليبيا ١٩٦٦ م .
١٥١ـ محمد المعراوي :
شريعة الحرب في الإسلام .
طبعة كلية الحقوق - سورية ١٩٥٨ م .
١٥٢ـ محمد بن نباتة :
شرح العيون بشرح رسالة ابن زيدون .
طبعة بولاق - القاهرة ١٩٧٨ م .
١٥٣ـ محمود شلبي :
اشتراكية عثمان رضي الله عنه .
الطبعة الثانية - دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤ م .
١٥٤ـ محمود شيت خطاب :
- الرسول القائد
طبعة مكتبة الحياة ، ومكتبة النهضة ، بغداد ، د . ت .
- وقادة فتح العراق والجزيرة .
الطبعة الثالثة - دار الفكر ١٩٧٧ م .
- اقتباس النظام العسكري في عهد النبي ﷺ طبعة قطر ١٤٠٠ هـ .
١٥٥ـ للمرغيناني ، أبو الحسن علي بن أبي بكر الداشدني ت ٥٩٣ هـ .
الهداية شرح بداية المبتدي .
طبعة الحلبي - مصر ، د . ت .
١٥٦ـ للمروزي ، شرف الزمان طاهر :
أبواب في الصين والترك والهند . تحقيق مينودسكي .
طبعة لندن ١٩٤٢ م .
١٥٧ـ المسعودي ، علي بن الحسين ت ٣٤٦ هـ :
- مروج الذهب ومعادن الجوهر .
تحقيق محمد محيى الدين .
طبعة دار المعرفة - بيروت ١٩٨٢ م .

وطبعة بتحقيق وشرح وتقديم مفيد قميحة .
طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٦ م .
– والتنبيه والإشراف .
تحقيق عبد الله الصاوي .
طبعة – القاهرة ، د . ت .
١٥٨ـ مسلم القشيري :
صحيح مسلم ، شرح محمد الذهني .
طبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ١٣٧٧ هـ .
وطبع دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٥٦ م .
١٥٩ـ المقدسي ، مطهر بن طاهر :
البدء والتاريخ ، تحقيق كيمان هوار .
طبعة باريس ١٨٩٩ م .
١٦٠ـ – المقريزي ، أحمد بن علي :
إمتاع الأسماع ، تحقيق محمود شاكر .
طبعة لجنة الترجمة والنشر – القاهرة ١٩٤١ م .
١٦١ـ المناوي ، عبد الرؤوف المناوي :
كنور الحقائق في حديث خير الخلائق .
طبعة القاهرة ١٩٠٥ م .
١٦٢ـ ابن منصور ، محمد بن المكرم أبو الفضل ت ٧١١ هـ :
لسان العرب .
طبعة دار المعارف – القاهرة ، د . ت .
١٦٣ـ منير محمد الفضبان :
المنهج الحركي للسيرة النبوية .
الطبعة الثانية – مكتبة المنار – الأردن ١٩٨٥ م .
١٦٤ـ مؤلف مجهول :
أخبار مجموعة في فتح الأندلس .
طبعة مجريط ١٨٦٧ م .
١٦٥ـ مؤلف مجهول :
نبذة من كتاب التاريخ . بعناية بطرس عزيان .
طبعة موسكو – أكاديمية العلوم السوفيتية .

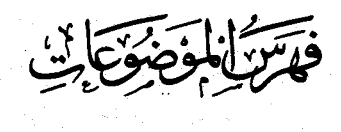
معهد الدراسات الشرقية ١٩٦٠ م .
١٦٦ـ مؤلفون متعددون :
الموسوعة العسكرية .
طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت د . ت .
١٦٧ـ النرشجي ، محمد بن جعفر ت ٣٤٨ هـ :
تاريخ بخاري ، تحقيق أمين عبد المجيد ، ونصر الله ميشرالطرازي .
طبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٩٣ م .
١٦٨ـ انصر بن مزاحم المنقري :
وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون .
طبعة المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة ١٣٨٢ هـ .
١٦٩ـ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢ هـ :
نهاية الأرب في فنون الأدب .
طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٥ م .
١٧٠ـ الهرثمي ، أبو سعيد الشعراني ، المتوفى في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري .
- مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عارف أحمد عبد الغني .
طبعة دار كنان ، سورية ١٩٩٥ م .
١٧١ـ الهروي ، علي بن أبي بكر ت ٦١١ هـ .
كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية .
طبعة مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ، بدون تاريخ .
١٧٢ـ اابن هشام أبو محمد عبد الملك ت ٢١٣ هـ :
السيرة النبوية بهامش الروض الأنف للسهيلي .
طبعة دار المعرفة - بيروت ١٩٧٨ م .
وبتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
طبعة دار الهداية - القاهرة - د . ت .
وطبعة دمشق - سورية ، د . ت .
وطبعة عيسى الحلبي الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٥ م .
١٧٣ـ الهيثم الأيوبي وآخرون :
الموسوعة العسكرية .
طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٧٧ م .
١٧٤ـ الهيثمي ، علي بن أبي بكر ت ٨٠٧ هـ :

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
طبعة مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
١٧٥ـ الواقدي ، محمد بن عمر :
- كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس .
طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٩٦٦ م .
- وكتاب فتوح الشام .
طبعة دار الجيل ، بيروت د . ت .
١٧٦ـ وفيق الدقدوقي :
الجندية في عهد الدولة الأموية .
نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ١٩٨٥ م .
١٧٧ـ وكيع بن خلف بن حبان :
أخبار القضاة .
طبعة بيروت ، عالم الكتب ، د . ت .
١٧٨ـ ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ :
معجم البلدان .
طبعة دار صادر - بيروت ١٩٧٩ م .
١٧٩ـ يحيى بن آدم :
كتاب الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر .
طبعة القاهرة ، المكتبة السلفية ١٣٤٧ هـ .
١٨٠ـ اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر :
تاريخ اليعقوبي .
طبعة النجف - بغداد ١٣٥٨ هـ .
وطبعة دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ م .
١٨١ـ أبو يوسف بن الحجاج :
كتاب الخراج .
الطبعة الرابعة - القاهرة ١٣٩٢ هـ .

* * * *

المراجع الأجنبية :

1) konetti) Ilios (Mosse et ruissance p. ٣١٨ - ٣١٧ . Egallimard .
2) Lane Pool) Stangly : (Studies in a Mosque) . London . (١٨٩٣ .
3) Muir) Willian Temple : (The caliphate ، Its Rise ، Decline and Fall) London . (١٩٢٤
4) Nichalson ، Literary History of the Arabs. Cambridge . ١٩٦٤ ،
5) Nizam al-Mulk : Traite de gouverncemetn traduit du presanet annate par charles Seheffer Sindbad . Paris . ١٩٨٤
6) Shedd) W. Ambrose : (Islam and the Oriental Churches) ، Philadelphia . (١٩٠٤


فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**